نزهة المجالس

ومنتخب النفائس

للإمام الشيخ عبد الرحمن بن عبد السلام الصفوري الشافعي
من علماء القرن التاسع عشر

الجزء الأول

الناشر
دار البيان العربي
الأزهر / درب الأتراك ت: ٥١١٨٠٩٧

الطبعة الأولى
١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

رقم الإيداع : ٢٠٤٨١ / ٢٠٠٥



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبفضله تنكشف الكربات، وتُدفع البليّات، والصلاة والسلام على سيد السادات، وأفضل أهل الأرض والسموات، سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه أفضل الصلوات والتسليمات.

وبعد،

فبين أيدينا كتاب «نزهة المجالس» للشيخ عبد الرحمن بن عبد السلام بن عبد الرحمن بن عثمان الصفوري الشافعي المتوفى عام ٨٩٤هـ، والشيخ له مصنفات عديدة يدور معظمها حول الرقائق واللطائف التي من شأنها أن تُعلي الهمم وتقوي العزائم وتشحذ النفوس على الإقبال على ما ينفعها في الدنيا والآخرة، ومن هذه المصنفات «صلاح الأرواح»، و«المحاسن المجتمعة في الخلفاء الأربعة»، و«نزهة المجالس ومنتخب النفائس» وهو الذي بين أيدينا الآن.

وكتاب «نزهة المجالس ومنتخب النفائس» هو بحق اسم وافق مسمَّاه ولفظ طابق معناه، فعندما تطالعه تشعر كأن المؤلف يتنزه ويتنقل بك في مجالس شتى وعلوم متنوعة، فتارة يكلمك عن المسائل الشرعية التي تشمل العقيدة والفقه والزهد والرقائق، وتارة يأخذك إلى عالم الصحابة والخلفاء الراشدين والعشرة المبشرين بالجنة، وتارة يدخل بك عالم الأنبياء والمرسلين فيحدثك عن بعض فضائلهم ولا سيما أولو العزم منهم.

هذا بالإضافة إلى بعض الإشارات إلى بعض الأمراض النفسية والجسدية مشيرًا في الوقت نفسه إلى طرق العلاج بحسب ما توافر في هذا الوقت من العلم وما ذكره أطباء وعلماء عصره ومن سبقوه.

هذا، ولا ينبغي أن نأخذ كل ما ورد في هذا الكتاب من الأحاديث المرفوعة إلى النبي ﷺ مأخذ التسليم والقبول دون بحث ودراسة أو نظر واستقصاء، فالكتاب به كثير من الأحاديث التي لم يوضح المؤلف - رحمه الله - في كثير منها من حيث الصحة والضعف، فعلى القارئ الكريم أن يتوقف عند الآثار والأحاديث التي ينبني عليها أمور العقيدة والتفسير والفقه، فكثيرًا ما خلط المؤلف فيها الصحيح بالسقيم.

بهذا اللون من العلوم دون بحث عن صحة أو ضعف أو صدق أو كذب هذه الأخبار والروايات .

لذا نرجو مَنْ طالع هذا الكتاب أن يتوقف عن قبول أو رفض ما ورد فيه من حكايات وآثار وأحاديث حتى يستوثق عنها من مصادرها المعلومة من كتب الأحاديث والسنن والسير بتحقيق العلماء في هذا الشأن .

ونسأل الله تعالى أن يَمُنَّ علينا بالعلم النافع والعمل الصالح وأن يجعلهما شاهدًا لنا يوم القيامة .

والحمد لله أولا وآخرا

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

الحمد لله الذي قص علينا من آياته عجبًا، وأفادنا بتوفيقه إرشادًا وأدبًا، وأرسل فينا رسولاً كريمًا نجيبًا أطلعه على الحقائق ففاق أخًا وأبًا، وعرض عليه الجبال ذهبًا فنأى وأبى، وخصنا بشريعته القويمة وحبا، فآمنا وصدقنا وله الفضل علينا وجبًا؛ لأنه ادخر لنا ذلك في خزائن الغيب وخبا، أحمده حمدًا أرغم به أنف من جحد وأبى، وأبلغ من فضله الواسع أربًا وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تكون للنجاة سببًا، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله المجتبى أشرف البرية حسبًا وأطهرهم نسبًا صلى الله عليه وعلى أهله وأصحابه الذين سادوا الخليقة عجمًا وعربًا.

وأما بعد، فإن النفس لها ارتياح إلى قصص الملاح، وأخبار أهل الصلاة فأجبتها إلى مقصودها راغبًا في الثواب من معبودها بشرط الإعراض عن فساد الأغراض ألتمس بذلك من أخ نظر فيها دعوة صالحة فلله أوقات فيها المقاصد ناجحة، وأستمد من الله العون وأسأله التوفيق والعناية لأكون من فريق السعادة والهداية، وأن يفعل ذلك بوالديّ وأقاربي ومشايخي وأحبابي بمنه وكرمه إنه أرحم الراحمين، وأن يشرك في ذلك من يقول: آمين. والمؤمنين كلهم أجمعين.

اعلم: وفقني الله وإياك لما يرضى، وأعاذني وإياك من سوء القضا أني أقدم قبل الشروع في المقصود ما نقله غير واحد عن أبي القاسم الجنيد - رحمه الله تعالى - أنه سئل عن حكايات الصالحين فقال: هي جند من جنود الله تعالى يقوم بها أحوال المريدين ويحيي بها معالم أسرار العارفين، ويهيج بها خواطر المحبين، ويجري بها دموع المشتاقين. قيل: فهل على ذلك من دليل قال: نعم قوله تعالى: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ [هود: ١٢٠]، فأحببت لقول النبي ﷺ عن ذكر الصالحين: «**تنزل الرحمة**» أن أجمع ما تيسر من أخبارهم، وما اشتملوا عليه من العبادة في ليلهم ونهارهم، وأن أطرز ذلك باللطائف، والفوائد السنية والزواجر للنفوس الغوية من المواعظ القوية مع ما أذكره من المسائل الفقهية، والمنافع الطيبة وقطرة من مناقب خير البرية من هو حي في قبره حياة حقيقية، وذاته في ضريحه المكرم على العرش طرية وأزواجه وأصحابه وأمته المرضية وقد جعلته أبوابًا وفصولاً حوت معاني قوية وسميته:

نزهة المجالس ومنتخب النفائس: وختمته بذكر الجنة، رجاء أن ننول إليها بالفضل والمنة ومنه التوفيق وبه الإعانة.

وهذا سرد ما اشتمل عليه من الأبواب، والكتب، والفصول:



باب: الإخلاص

قال الله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف :١١٠] ، وقال النبي ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى**»، وقال معروف الكرخي: من عمل للثواب فهو من التجار ومن عمل خوفًا من النار فهو من العبيد ومن عمل لله فهو من الأحرار. وقال أويس القرني: الدعاء بظهر الغيب أفضل من الزيارة واللقاء، أي؛ لأن الرياء قد يدخلهما.

حكاية: ذكر حجة الإسلام أبو حامد الغزالي في الإحياء أن رجلاً عابدًا بلغه أن قومًا يعبدون شجرة فخرج لقطعها، فقال له إبليس: إن قطعتها عبدوا غيرها فارجع إلى عبادتك، فقال: لابد من قطعها فقاتله فصرعه العابد، فقال: أنت رجل فقير فارجع إلى عبادتك وأجعل لك دينارين تحت رأسك كل ليلة ولو شاء الله لأرسل رسولاً يقطعها وما عليك إذا لم تعبدها أنت؟ قال: نعم، فلما أصبح وجد دينارين، وفي ثاني يوم لم يجد فخرج لقطعها فصرعه إبليس، فقال له العابد: كيف غلبتك أولاً ثم غلبتني ثانيًا؟ فقال: لأن غضبك أولاً كان لله وثانيًا للدينارين، وقال ابن العربي في قول النبي ﷺ: «**لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات اثنتين في ذات الله**»، قوله: ﴿إِنِّى سَقِيمٌ﴾ [الصافات :٨٩] وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَـٰذَا﴾ [الأنبياء :٦٣] ، ولم يعد قوله: هذه أختي. في ذات الله؛ لأن إبراهيم - عليه السلام - له حظ فيها لأجل صيانة فراشه وحماية زوجته فلا يكون في ذات الله إلا العمل الخالص ولم يذكر قوله عن الكواكب: هذا ربي؛ لأنه كان طفلاً غير مكلف.

حكاية: ذكر الدميري في حياة الحيوان أن آدم - عليه السلام - لما هبط إلى الأرض جاءته وحوش الفلاة تسلم عليه وتزوره فكان يدعو لكل جنس بما يليق به فجاءته طائفة من الظباء فدعا لهن ومسح على ظهورهن فظهر فيهم نوافج المسك فسألتهن طائفة أخرى عن سبب ذلك، فقالوا: زرنا آدم فدعا لنا ومسح على ظهورنا فساروا إليه فدعا لهن ومسح على ظهورهن فلم يجدوا شيئًا فقالوا: قد فعلنا مثلكم فلم نر شيئًا مما حصل لكم فقالوا: نحن زرناه لله وأنتم زرتموه لأجل المسك.

مسائل:

إحداها: لو قال: صل فرضك ولك عليّ دينار صحت صلاته ولا شيء له ولو صام بقصد الحمية صح صومه أو صلى فرارًا من غريمه صحت صلاته.

الثانية: قال في شرح المهذب: صلاة الكسوفين أفضل من صلاة الاستسقاء بلا خوف؛ لأنها لله وصلاة الاستسقاء لطلب الرفاق.

الثالثة: المسك طاهر وكذا فأرته أيضًا إن حصل الانفصال في حياة الظبية، وقال في الروضة في كتاب الإيمان: لو حلف أن لا يشم مشمومًا ما لم يحنث بالمسك وفي كتاب الغصب لو غصب مسكًا أو عبيرًا أو ما يقصد للشم ومكث عنده لزمه أجرته وفي كتاب الإجارة يجوز استئجار المسك والرياحين للشم والتفاح كذلك بخلاف الواحدة.

فائدة: قال ابن الصلاح عن علي الطبري: وفأرة المسك تخرج من الظبية كما تخرج البيضة من الدجاجة قال في نزهة النفوس والأفكار: شم المسك ينفع من جميع علل الرأس كالشقيقة وإذا خلط في الأكحال يزيد في نور البصر ويزيل البياض من العين إذا اكتحل به مع العسل، ولحم الغزال ينفع من الفالج، وقال ابن طرخان في الطب النبوي: المسك يقوي الأعضاء الباطنة شمًّا وشربًا وينفع من ضعف القوة ومنافعه كثيرة لذلك كان النبي ﷺ يستعمله.

لطيفة: قال النسفي: لما هبط آدم نزل معه أربع ورقات من التين فقصدته الحيوانات ليهنئوه بالتوبة فسبق أربع وهي الغزالة فأطعمها ورقة فصار منها المسك، والنحلة فأطعمها ورقة فصار منها العسل، والدودة فأطعمها ورقة فصار منها الحرير وبقرة البحر فأطعمها ورقة فصار منها العنبر، ورأيت في نزهة النفوس والأفكار، قال الشافعي - رضي الله تعالى عنه -: أخبرني عدد ممن أثق به أن العنبر نبات يخلقه الله تعالى بحافة البحر ثم العنبر يقوي الدماغ والقلب وينفع من أوجاع المعدة شربًا ودهنًا وأيضًا من النزلة والشقيقة بخورًا أو دهنًا وهو مع دهن البان ينفع من وجع الظهر وهو من أفخر الطيب بعد المسك.

حكاية: قال بعضهم: قضيت صلاة ثلاثين سنة كنت أصليها في الصف الأول؛ لأني تأخرت يومًا فصليت في الثاني فخجلت من الناس حيث رأوني فعلت. إن نظر الناس إلى الصف الأول كان يعجبني، قال ذو النون المصري - رحمه الله تعالى -: من علامات الإخلاص استواء المدح والذم. قال أبو سليمان الداراني - رحمه الله تعالى -: طوبى لمن صحت له خطوة واحدة يريد بها وجه الله تعالى، وقال الفضيل - رحمه الله تعالى -: ترك العمل لأجل الناس رياء والعمل لأجل الناس شرك والإخلاص أن يعافيك الله منهما.

لطيفة: قال العلائي في سورة براءة: دخل أعرابي المسجد فصلى صلاة خفيفة فقام إليه عليّ - رضي الله عنه - بالدرة وقال: أعد الصلاة فأعادها مطمئنًا فقال: أهذه خير أم الأولى؟ فقال الأعرابي: الأولى؛ لأني صليتها لله، والثانية، صليتها خوفًا من الدرة.

حكاية: ذهبت ناقة لعبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال: في سبيل الله. ثم قيل: إنها في مكان كذا فوثب إليها ثم رجع، وقال: أستغفر الله العظيم. وقال أبو طالب المكي - رضي الله عنه - قيل لبعضهم في المنام: ما فعل الله بك، قال: أدخلني الجنة، ثم تأوه، فقيل: مم تتأوه؟ قال: لما دخلت الجنة رأيت في عليين قصورًا عالية فأردت دخولها، فقيل: اصرفوه عنها؛ لأنها لمن أمضى السبيل؛ لأنك كنت تقول للشيء: في سبيل الله، ثم ترجع

فإذا أمضيت السبيل أمضينا لك، وقيل لبعضهم في المنام: ما فعل الله بك؟ قال: كل عمل لله وجدته حتى ماتت لنا هرة فاحتسبتها عند الله فوجدتها في كفة الحسنات، فلما رأيت ذلك قلت: قد مات لنا حمار فهاتوه كان مع الهرة، فقالوا: لا؛ لأنك لم تحتسبه، وعن بعض الصالحات أنها وهبت ولدها لله ثم جاء إليها بعد مدة فطرق بابها، وقال: أنا ولدك فلان، فقالت: قد وهبتك لله فلا أراك بعدها.

فائدة: يستحب لمن أحدث في الصلاة أو في المسجد أن يضع يده على أنفه ليظهر للناس أنه رعف وهذا من الرياء المستحب؛ لأن النبي ﷺ قال: «**إذا أحدث أحدكم في الصلاة فليأخذ بأنفه ثم لينصرف**» ذكره ابن العماد في تسهيل المقاصد.

حكاية: قال في الرسالة القشيرية: قال بعضهم: إن فتح الله عليّ بشيء من الدنيا دفعته للفقراء فدفع رجل إليه دينارًا، فقال في نفسه: لعلي أحتاج إليه، فهاج به وجع الضرس فقلعه ثم الآخر فقلعه فهتف به هاتف: إن لم تدفع الدينار إليهم لا نترك لك شيئًا، وقال الحسن: إنما خلد الله أهل الدارين بنياتهم؛ لأن المؤمن ينوي العبادة ما دام حيًّا وكذلك الكافر. واتخذ بعضهم ضيافة وأوقد فيها ألف مصباح، فقال له رجل: أسرفت، فقال: قم أطفئ منها ما كان لغير الله فلم يقدر على طفء شيء منها.

حكاية: قيل للجنيد: إن أبا الحسن الثوري يسأل الناس، فوزن له مائة درهم وقبض قبضة بلا وزن، وقال لخادمه: ادفع الجميع إليه فوزن الثوري مائة، وقال: ردها على الجنيد وأخذ الزائد، ثم قال الثوري: يريد الجنيد أن يأخذ الحبل بطرفيه وزن مائة لنفسه لأجل الثواب وقبض قبضة بلا وزن لله فأخذنا ما كان لله وتركنا ما جعله لنفسه، فأخبرت الجنيد بذلك، فقال: أخذ الذي له وترك الذي لنا.

فائدة: الثوري اسمه أحمد بن محمد البغدادي مات سنة (خمس وتسعين ومائتين) أخبر عن نفسه - رحمه الله - أنه اغتسل يومًا فجاء لص وأخذ ثيابه ثم جاء ووضعها مكانها وقد يبست يده فقال: يا رب قد رد ثيابي فاردد عليه يده فردها عليه.

حكاية: قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: خرج بعض الملوك يسير في مملكته فوجد رجلًا ومعه بقرة فحلب منها قدر ثلاثين بقرة فتعجب الملك من ذلك ثم نوى وأخذها فلما كان من الغد حلب نصف حليبها، فقال الملك: كيف نقص حليبها ألم ترع مكانها بالأمس؟ قال: بلى، ولكن لعل الملك نوى الظلم فرجع عن نيته فرجع حليبها الأول.

حكاية: خرج الأمير شروان للصيد فأدركه العطش فرأى في البرية بستانًا وعنده صبي فطلب منه ماء، فقال: ليس عندنا ماء، قال: ادفع لي رمانة فدفعها إليه فاستحسنها فنوى أخذ البستان، ثم قال: ادفع لي أخرى فدفع له أخرى فوجدها حامضة، فقال: أما هي من الشجرة الأولى؟ قال: نعم، قال: كيف تغير طعمها؟ قال: لعل نية الأمير تغيرت فرجع عن ذلك في نفسه، ثم

قال: ادفع لي أخرى فدفع له أخرى فوجدها أحسن من الأولى، فقال: كيف صلحت؟ قال: بصلاح نية الأمير.

حكاية: اتخذ بعض الملوك وزيرًا وقربه فنوى شخص إبعاده، فقال للملك: إن الوزير يزعم أنه يخرج من فمك رائحة كريهة فغضب الملك غضبًا شديدًا فأرسل إليه فذهب إليه ذلك الرجل فأطعمه طعامًا فيه ثوم، ثم قال له: إن الملك يطلبك فلما حضر عنده وضع يده على فمه لئلا يضر الملك ريح الثوم فتحقق الملك صدق الواشي فكتب بيده كتابًا إلى بعض عماله يأمره بهلاك الوزير، وقال: اذهب إلى عاملي فلان والناقل ينظر فظن أن الملك لم يصدقه وأنه كتب للوزير جائزة؛ لأنه كان من عادته أن لا يكتب بيده إلا خيرًا، فقال: بأي شيء أمرك الملك؟ قال: بدفع هذا الكتاب إلى عامله فلان فقال: أنا أذهب به إليه فلما وصل إلى العامل قتله سريعًا ثم بعد أيام دخل الوزير على الملك فتعجب منه، فقال: أما دفعت كتابي إلى عاملي؟! قال: لا ولكن أخذه مني فلان، فقال: أنت قلت كذا؟ قال: معاذ الله. قال: فلم وضعت يدك على فمك؟ قال: أطعمني فلان طعامًا فيه ثوم كثير فوضعت يدي على فمي لئلا تجد ريحه فتستنكره، فعرف الملك أنه إنما أراد إبعاده فقربه كما كان أولاً.

فائدة: عن النبي ﷺ أنه قال: «**أيها الناس اتقوا هذا الشرك فإنه أخفى من دبيب النمل**». قيل: وكيف نتقيه وهو أخفى من دبيب النمل قال: قولوا: «**اللهم إنا نعوذ بك أن نشرك بك شيئًا نعلمه ونستغفرك لما لا نعلمه**» رواه الطبراني، وفي رواية غيره: «**يقوله كل يوم ثلاث مرات**».



كتاب العقائد وفضل الذكر والقرآن وآيات منه وسور

اعلم وفقني الله وإياك لما يرضى أنه يشترط لصحة الإيمان صحة العقيدة، وهي أن تعلم أن الله تعالى حيّ عليم قادر سميع بغير أذن بصير بغير حدقة وأجفان متكلم بغير شفة ولسان مدبر للكائنات بأسرها ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه تعالى منزه عن فوق يرفعه وعن تحت ينزله وعن عرش يحمله وعن سماء تكتنفه وعن غمام يظله وعن جهة تحده وعن مكان يقله، قال الإمام أبو حنيفة - رضي الله عنه - لما سُئِلَ عن قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه:٥] . قال: من حصر الله تعالى في الجهة الفوقية أو التحتية فقد كفر، وقال الإمام مالك - رضي الله عنه -: الاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عن ذلك بدعة، وقال الإمام الشافعي - رضي الله عنه - لما سُئِلَ عن ذلك: آمنت بلا تشبيه وصدقت بلا تمثيل، وقال الإمام أحمد بن حنبل - رضي الله عنه -: استوى كما قال لا كما يخطر بالبال، وقال الشبلي - رضي الله عنه -: الرحمن لم يزل والعرش محدث وهو بالرحمن استوى.

وسُئِلَ ذو النون المصري - رضي الله عنه - عن ذلك فقال: أثبت ذاته وانفِ مكانه ومهما تصوره نفسك فالله بخلافه. وقال الجنيد - رحمه الله -: أشرف كلمة في التوحيد ما قال أبو بكر الصديق - رضي الله عنه -: لم يجعل للخلق طريقًا إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته، وقال أبو محمد الجويني - رضي الله عنه -: العرش مخلوق من درة بيضاء وهو بالنسبة إلى الله تعالى أحقر من درة فكيف يكون مستقرًا؟! وقال الأستاذ أبو منصور البغدادي - رضي الله عنه -: ذهب الأكثرون إلى أن معنى الاستواء هو القهر والغلبة أي الرحمن غلب العرش وقهره وخصه بالذكر؛ لأنه أعظم المخلوقات وذكر أهل السنة للاستواء معنى آخر وهو العلو، فقال تعالى: ﴿عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [النحل:٣]، ولم يصفه بالارتفاع؛ لأنه كان ولا عرش ولا غيره، وقال جعفر الصادق - رضي الله عنه -: من زعم أن الله تعالى في شيء أو من شيء أو على شيء فقد أشرك به إذ لو كان على شيء لكان محمولاً، ولو كان من شيء لكان محدثًا ولو كان في شيء لكان محصورًا تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

والجواب: عن قوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ﴾ [الملك:١٦]. أن كل شيء عالٍ يسمى سماء وخاطبهم بذلك على زعمهم أن الآلهة في الأرض هي الأصنام وأنه تعالى إله السماء وليس مقصوده سماء الدنيا ولا غيرها بل معناه أأمنتم من في العلو وهو علو الجلال كما يقال: السلطان أعلى من الأمير وإن كانا على فراش واحد ومثله قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام:١٨]، فالفوقية هنا فوقية عظمة ومنزلة ألا ترى إلى فرعون كيف وصف نفسه بالعظيم على بني إسرائيل، فقال ﴿وَإِنَّا فَوۡقَهُمۡ قَٰهِرُونَ﴾ [الأعراف:١٢٧]، ومعلوم أنه لم يكن مراده بالفوقية هنا فوقية المكان وذكر في الكشاف معنى آخر وهو أأمنتم من في السماء ملكوته فحذف المضاف وهو ملكوته وأقام المضاف إليه مقامه وهو السماء وهذا كثير

في القرآن، قال تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر:٢٢] ، أي: أمر ربك ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ﴿٨٢﴾﴾ [يوسف: ٨٢] أي أهل القرية، وهي مصر قاله الأكثرون. وأما قوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ﴾ [الأعراف:١٦٣] ، قال الأكثرون: وهي أيلة وقيل: طبرية؛ لأنها حاضرة البحر أي على شاطئه.

فائدة: قال الله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾ [الملك:١٦] ، ثم قال: ﴿أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًاۖ﴾ [الملك:١٧] ، أي حجارة، وقال تعالى في سورة الأنعام: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ [الأنعام:٦٥] فقدم في «تبارك» الذي أخره في «**الأنعام**».

جوابه: لما قدم: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا﴾ [الملك: ١٥] ناسب أن يثني بالوعيد بالخسف للأرض، ولما قدم في الأنعام: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام:١٨] ناسب تقديم ما هو جهة الفوق للمشاكلة.

والجواب: عن قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِۖ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾ [الأنعام:٣] من وجوه:

الأول: أن كل ما في السموات والأرض ملك له، قال تعالى: ﴿قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ قُل لِّلَّهِۚ﴾ [الأنعام:١٢] وكلمة «ما» تدخل على من يعقل وغيره، كقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ﴿٥﴾ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا﴾ [الشمس:٥-٦] أي بسطها فلو كان الله تعالى في السموات لكان مالكًا لنفسه، وهذا محال.

الثاني: أن قوله ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ إما أن يكون في سماء واحدة فلا يجوز أن يقال ذلك؛ لأنه من خلاف ظاهر الآية، وإما أن يكون في الجميع فإن كان كذلك الحاصل منه في إحدى السموات غير الحاصل في البواقي، وهذا يلزم منه التركيب والتأليف وهذا محال، وإن كان هو فيلزم منه حصول المتحيز في مكانين، وهذا محال.

الثالث: لو فرضنا أنه في السموات فهل يقدر على خلق عالم فوقها أم لا؟ فإن فعل ذلك كان تحت العالم، وهذا لا يقوله أحد، وإن كان لا يقدر اقتضى التعجيز وهو محال، فثبت أنه يمكن إجراء الآية على ظاهرها فوجب تأويلها وهو من وجوه:

الأول: أنه في تدبير السموات كما يقال في كذا، أي في تدبيره.

الثاني: أن قوله: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام:٣] كلام تام ثم ابتدأ فقال: ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِۖ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾ [الأنعام:٣] أي يعلم سر الملائكة وجهرهم، وكذا يعلم حال من في الأرض.

الثالث: الآية فيها تقديم وتأخير تقديره وهو الله يعلم في السموات وفي الأرض سركم وجهركم.

والجواب عن الحديث الصحيح: «**ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا**» إلخ. قال القرطبي -

رحمه الله تعالى -: هذا حديث يفسره الحديث الصحيح الذي رواه النسائي عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري - رضي الله عنهما - قالا: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله تعالى يمهل حتى يمضي شطر الليل الأول ثم يأمر مناديًا يقول: هل من داعٍ فيستجاب له هل من مستغفر فيغفر له هل من سائل فيعطى سؤله»**، وإنما أضاف المناداة إليه في الحديث الأول على جهة الاهتمام والتعظيم، كما يقال: نادى السلطان بكذا وإنما نادى منادٍ مرة، وقد روى الترمذي وأبو داود في حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ: **«والذي نفس محمد بيده لو أنكم دليتم بحبل إلى الأرض السابعة لهبطتم على الله»**، وفي حديث آخر: **«إن ملكين التقيا بين السماء والأرض، فقال أحدهما للآخر: من أين؟ قال: من الأرض السابعة من عند ربي ثم قال الآخر لصاحبه: وأنا من السماء السابعة من عند ربي»** وسئل إمام الحرمين - رضي الله عنه -: هل الحق سبحانه وتعالى في جهة؟ فقال: لا، قال: من أين أخذت هذا؟ قال: من قوله ﷺ: **«لا تفضلوني على يونس بن متى فإنه لما قال:** ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾»، وخاطب الله تعالى محمد ﷺ من فوق سبع سماوات فسمع خطاب محمد كما سمع خطاب يونس على حد سواء فلو كان الحق في جهة لسمع أحد الخطابين أبلغ من الآخر.

فائدة: قال أبو عبد الله المغربي: رأيت النبي ﷺ في المنام فقلت: يا رسول الله لي حاجة إلى الله فبماذا أتوسل؟ فقال: **«من كانت له إلى الله حاجة فليسجد سجدتين وليقل في سجوده أربعين مرة: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين»**، وفي الحديث: **«لا يقولها مكروب إلا فرج الله عنه»**، وفي حديث آخر: **«فإنه لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له»**، رواه الترمذي والنسائي، وقال الحاكم: صحيح الإسناد.

والجواب: عن قول الجارية لما سألها النبي ﷺ: **«أين الله؟»**، قالت: في السماء. أنها كانت من قوم يعبدون الأحجار وينكرون الصانع فلما أقرت بوجود الله صارت بذلك مؤمنة، ولو أنكر عليها ذلك لثبت عندها جحود الصانع من أن الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين - أنكروا عليها فقال ﷺ: **«دعوها فإنها مؤمنة»**. فعرف بإشارتها تعظيم الخالق كما عرف معنى قول الذين قالوا: صبأ صبأنا وأنكر على خالد بن الوليد - رضي الله عنه- قتلهم.

وفي صحيح البخاري عنه ﷺ: **«إذا كان أحدكم يصلي فلا يبصقن قبل وجهه فإن الله قبل وجهه إذا صلى»**، فلو كان سبحانه وتعالى في الجهة الفوقية لما كان للنهي معنى، والجواب عن قوله ﷺ: **«يطوي الله السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده»**، أنه ثبت بالدليل القاطع أن يد الله تعالى ليست بجارحة، واليد عند العرب بمعنى القوة، قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ﴾ [ص:١٧] أي ذا القوة، وبمعنى الملك، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ﴾[آل عمران:٧٣]، وبمعنى النعمة يقال: فلان له على فلان أيادٍ أي له عليه نعمة، وبمعنى الصلة قال الله تعالى: ﴿أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ﴾[البقرة:٢٣٧].

والجواب: عن قوله ﷺ: «**لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول: هل من مزيد؟ حتى يضع رب العزة فيها قدمه**». ما قاله الحسن البصري - رضي الله عنه -: والقدم الذين قدمهم الله من شرار خلقه وأثبتهم لجهنم، وقال غيره: القدم خلق يخلقه الله تعالى ثم يطرحه في جهنم ويؤيده ما في الصحيح «**ولا تزال الجنة تفضل حتى ينشئ الله لها خلقًا فيسكنهم فضلة الجنة**»، وقد جاء في رواية أخرى صحيحة «**قدمه**» بكسر القاف، وفي رواية أخرى: «**حتى يضع الجبار رجله**»، والرجل عبارة عن جماعة تقول: جاءنا رجل من الجراد، قال ابن العماد: قال بعضهم: المراد بالجبار فرعون، قال القرطبي: فرعون لقب للوليد بن مصعب، قيل: اسمه قابوس فثبت بالعقل والنقل من الكتاب والسنة أن الحق سبحانه وتعالى منزه عن الجارحة والجهة والحركة والسكون.

وفي الطبراني من حديث أبي ذر عن النبي ﷺ: «**من تقرب إلى الله شبرًا تقرب الله منه ذراعًا ومن تقرب منه ذراعًا تقرب منه باعًا ومن أقبل إلى الله ماشيًا أقبل الله إليه مهرولاً والله أعلى وأجل ثلاثًا**».

قال مؤلفه - رحمه الله تعالى -: قوله ﷺ: «ثلاثًا». دليل على أنه سبحانه وتعالى منزه عن الحركة وجميع ما جاء من الآيات والأحاديث التي يقتضي ظاهرها إثبات الجارحة والمكان مؤول عند أهل الحق والتأويل إما بقلوبهم وهم أهل السلامة، وإما بألسنتهم وهم أهل التأويل ودليلهم على التأويل قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟﴾ [المجادلة: ٧]، وقوله ﷺ: «**الحجر الأسود يمين الله**»، فالعقل يشهد بأن الله لا يتحيز ولا يتبعض والحس يشهد بأن الحجر الأسود ليس يمين الله حقيقة بل هو من اليمن والبركة، وقاله ابن عباس - رضي الله عنهما -: سُئِلَ عن قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ [القلم: ٤٢] إذا خفي عليكم شيء من القرآن فاطلبوه من الشعر فإنه ديوان العرب أما سمعتم قول الشاعر:

قد سن قومك ضرب الأعناق وقامت الحرب على ساق

ثم قال: هذا يوم كرب وشدة، وفي رواية أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ [القلم: ٤٢]. «**يكشف عن نور عظيم**»، وفي رواية عنه أيضًا «**فيكشف لهم الحجاب فينظرون إلى الله تعالى فيخرون له سجدًا ويبقى أقوام يريدون السجود فلا يستطيعون**».

والجواب: عن قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ﴾ [الزمر: ٢٣]، ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدر: ١]، ونحو ذلك أنه نزل من اللوح المحفوظ على محمد ﷺ بواسطة جبريل أن يكون جبريل سمعه من الله كما سمع موسى كلام الله من اليمين والشمال والفوق والتحت لا من جهة معينة فعبر عنه جبريل في لغة عربية فهمها محمد ﷺ لأمته بلسان عربي، فالعبارة

والمعبر عنه غير عربية عربي فهذا معنى النزول ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف:٣] - أي صيرنا قرآن هذا الكتاب عربيًّا، وقيل: بيناه، وقيل: سميناه، وقيل: وصفناه، كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا﴾ [الزخرف:١٩] وهي قراءة ثلاثة أئمة: واحد بالشام وهو ابن عامر، وواحد بمكة وهو ابن كثير، وواحد بالمدينة المشرفة وهو نافع، وقرأ الباقون: «**عباد الرحمن**» بالباء - رضي الله عنهم - وليس معنى النزول انتقال كلام الله عنه بالانحطاط من علو إلى أسفل، فقد قال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ [الزمر:٦] ومعلوم أنها ما نزلت من علو إلى أسفل، وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ﴾ [الحديد:٢٥] ومعلوم أن معدنه من الأرض.

والجواب: عن قوله ﷺ لما سأله أبو زين أين كان الله قبل أن يخلق خلقه؟ قال: «**كان في عماء**» ولو سأله أين كان قبل العماء؟ وهو السحاب لأخبره أنه كان ولا شيء معه مع أنه ﷺ قال: «**كان الله ولا شيء معه**»، وقال ﷺ: «**كان الله ولم يكن شيء غيره**» رواه البخاري، فهو الآن على ما كان عليه أولاً من أزل الآزال إلى أبد الآباد، وقال يهودي لعلي بن أبي طالب - رضي الله عنه -: أين ربنا؟ قال: الذي أوجد الأين لا يسئل عنه بأين. قال: كيف ربنا؟ قال: الذي كيف الكيف لا يقال عنه بكيف. قال: متى كان ربنا؟ قال: ويحك ومتى لم يكن.

والجواب عن قوله ﷺ: «**إن الله كتب كتابًا قبل أن يخلق الخلق: إن رحمتي سبقت غضبي فهو مكتوب عنده فوق العرش**» أنه علوى مكانه اللا مكان؛ لأن المكان لا يضاف إليه تعالى.

فإن قيل: ما بال الصحابة - رضي الله عنهم - لم يتكلموا في شيء من ذلك.

فالجواب: نعم تكلم فيه حبر الأمة ابن عباس وابن عمه كما تقدم قريبًا وسيأتي ما قاله علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - في المعراج مع أنه لم يكن ثم مجسم ولا معطل، والله المستعان.

فصل: في الذكر

قال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد:٢٨].

فإن قيل: كيف يجمع بين هذه وبين قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال:٢]؟ فالجواب أن المراد بالذكر في الاتفاق ذكر العظمة وشدة انتقامه ممن عصاه؛ لأنها نزلت عند اختلاف الصحابة في غنائم بدر فناسب ذكر التخويف، وآية الرعد فيمن هداه وأناب إليه فناسب ذكر الرحمة وقد جمع بينهما في سورة الزمر، فقال تعالى: ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر:٢٣] - أي إلى رحمته وكرمه، وعن النبي ﷺ: «**من أكثر ذكر الله أحبه الله**»، وعنه ﷺ: «**مررت ليلة أسرى بي برجل مغيب في نور العرش، قلت: من هذا؟ أهذا ملك؟ قيل: لا، قلت: نبي؟ قيل: لا، قلت: من**

هذا؟ قيل: هذا رجل كان في الدنيا لسانه رطب بذكر الله، وقلبه معلق بالمساجد».

وعن معاذ بن أنس - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ، عن ربه عز وجل: «**لا يذكرني عبد في نفسه إلا ذكرته في ملأ من ملائكتي ولا يذكرني في ملأ إلا ذكرته في الرفيق الأعلى**»، وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - كان النبي ﷺ يسير في طريق مكة فمر على جبل يقال له: جمدان - بضم الجيم وسكون الميم - فقال: «**سيروا هذا جمدان سبق المفردون، قالوا: وما المفردون؟ قال: الذاكرون الله كثيرًا**» رواه مسلم. في الترمذي، قيل: وما المفردون؟ قال: المستهترون بذكر الله يضع عنهم الذكر أثقالهم فيأتون لله خفافًا، قال في الترغيب والترهيب: المفردون - بفتح الفاء وكسر الراء المشددة - والمستهترون - بفتح التاءين والمثناتين من فوق - المولعون بذكر الله وعن النبي ﷺ: «**ذاكر الله في الغافلين مثل شجرة خضراء في وسط شجر يابس وذاكر الله في الغافلين يريه الله مقعده في الجنة وهو حي وذاكر الله في الغافلين كالمقاتل خلف الفارين وذاكر الله في الغافلين ينظر الله إليه نظرة لا يعذبه بعدها أبدًا وذاكر الله في الغافلين مثل مصباح في بيت مظلم وذاكر الله في الغافلين يغفر الله له بعدد كل فصيح وأعجم أي بعدد البهائم وبني آدم وذاكر الله في السوق له بكل شعرة نور يوم القيامة**».

فائدة: قال أهل التصوف: للذكر بداية، وهي توجه صادق وله توسط وهو نور طارق وله نهاية وهو حال خارق وله أصل وهو الصفا وفرع وهو الوفا وشرط وهو الحضور وبساط وهو العمل الصالح وخاصية وهو الفتح المبين.

قال أبو سعيد الخراز - رضي الله عنه -: إذا أراد الله أن يوالي عبدًا فتح له باب الذكر فإذا استلذ بالذكر فتح عليه باب القرب ثم رفعه إلى مجالس الأنس ثم أجلسه على كرسي التوحيد ثم رفع عنه الحجاب وأدخله دار الفردانية وكشف عنه الجلال والعظمة، فإذا نظر الجلال والعظمة بقي بلا هو فيصير فانيًا بارئًا عن دعوات نفسه محفوظًا لله.

وقال غيره: الذكر ترياق المذنبين وأنس المنقطعين وكنز المتوكلين وغذاء الموقنين وحيلة الراضين ومبدأ العارفين وبساط المقربين وشراب المحبين، وقال ﷺ: «**ذكر الله علم الإيمان وبراءة النفاق وحصن من الشيطان وحرز من النار**»، ذكره السمرقندي.

مسألة: سُئِلَ ابن الصلاح - رحمه الله تعالى - عن القدر الذي يصير به العبد من الذاكرين الله كثيرًا، فقال: إذا واظب على الذكر المأثور مساءً وصباحًا في الأوقات المختلفة فهو من الذاكرين الله كثيرًا.

حكاية: قال موسى - عليه السلام -: يا رب أقريب أنت فأناجيك أم بعيد فأناديك؟ فأوحى الله إليه: أنا جليس لمن ذكرني، فقال: يا رب إنا نكون على حال لم نجلك أي لم نذكرك كالجنابة، قال: اذكرني على كل حال. ذكره في «الإحياء».

فائدة: قال الإسنوي في ألغازه: رجل عليه حدث أصغر ويحرم عليه أن يأتي بنوع من الذكر، صورته إذا أحدث في خطبة الجمعة؛ لأن الطهارة شرط فيها، وفي الرسالة القشيرية عن بعضهم: أنه دخل غيضة فوجد رجلاً يذكر الله تعالى، وعنده سبع عظيم، فقال: ما هذا؟ قال: سألت الله أن يسلط عليّ كلبًا من كلابه إذا غفلت عن ذكره.

حكاية: قال بعض الصالحين: رأيت صيادًا بالهند كلما صاد سمكة دفعها إلى ابنة له فترسلها في الماء وهو لا يعلم فلما فرغ جاء فلم يجد شيئًا فسألها عن ذلك فقالت: سمعتك تقول عن النبي ﷺ: **«لا تقع سمكة في شبكة إلا إذا غفلت عن ذكر الله»** فكرهت أن تأكل شيئًا غفل عن ذكر الله، وقيل: إنها كانت السمكة تُسَبِّحُ في يدها، فقالت البنت: ما دفعت إليّ سمكة إلا وسمعتها تقول: سبحان الله، فقطع الشبكة وتاب عن الصيد.

فائدة: قال علي - رضي الله عنه -: أكل السمك يذيب البدن وفي النفوس والأفكار أكله يورث بلغمًا غليظًا يضر بالبدن، وأما المستخرج من البحر المالح فأكله ينفع من وجع الوركين والإكثار منه يورث البهق إلا إذا جعل عليه شيء من الزعتر والكراويا، قال الغزالي - رضي الله تعالى عنه: أكثر خلق الله السمك، فإن قيل قال الله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ﴾ [المائدة :٩٦]، فما الفرق بين الصيد والطعام؟.

الجواب: أن الصيد ما حصل بالشبكة مثلاً والطعام ما قذفه البحر.

فإن قيل: صيد البحر حلال لمن أحرم بحج أو عمرة بخلاف صيد البر فإنه حرام فما الفرق؟

فالجواب: أن صيد البحر لا يقصد به التنزه بخلاف صيد البر والصيد عند الشافعي ما يحل أكله وسمى أبو حنيفة السبع صيدًا فأوجب على المحرم ضمانته إذا قتله.

حكاية: قال إبراهيم الخواص - رضي الله عنه -: خرجت أطلب الحلال فأخذت شبكة وألقيتها في البحر فأخذت سمكة، ثم ثانية، ثم ثالثة، فهتف بي هاتف يا إبراهيم لم تجد معاشًا إلا فيما يذكرنا؟! فقطعت الشبكة، وقال إبراهيم النخعي في قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الإسراء :٤٤]: يسبح له كل شيء حتى صرير الباب، وقال غيره: الآية عامة وهي مخصوصة بالناطق كقوله تعالى: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [الأحقاف :٢٥]، ما دمرت إلا ديار عاد كقوله تعالى في حق بلقيس: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾ [النمل :٢٣]، ولم تؤت ملك سليمان، وقيل: الآية على عمومها فالناطق يسبح بالقال والصامت بالحال، وذلك بمجرد وجود يشهد لصانعه بالصنعة ورأيت في طبقات السبكي - رضي الله عنه - أن الأرجح عندنا أن التسبيح بلسان القال؛ لأنه لاستحالة ويدل عليه كثير من المنقول قال الله تعالى: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ﴾ [ص :١٨]، ولا يلزم من تسبيحها بالقال أن نسمعها ورأيت في الوجوه المسفرة عن اتساع المغفرة الراجح أنها تسبح حقيقة إلا أنه مستور عن الناس فلا ينكشف إلا بخرق العادة، وقد سمعت الصحابة - رضي الله عنهم - تسبيح الطعام وغيره بين يدي النبي ﷺ، وقوله تعالى في آخر الآية: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ

ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ﴾ ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٤] مناسبًا لحال المخاطبين بالآية من ثلاثة أوجه:

أحدها: أن الغالب على الناس الاشتغال عن تسبيح الله تعالى بخلاف المذكورات فاحتاج المشتغلون عن تسبيح الله إلى الحلم والمغفرة.

الثاني: أنهم لا يفقهون تسبيحها، وقد يكون ذلك لتقصيرهم في التأمل والتفكر في أمرها فاحتاجوا إلى الحلم والمغفرة.

الثالث: أن سماعهم تسبيحها قد يوقعهم في امتهانها ويحملهم على التفريط في حقوقها فاحتاجوا إلى الحلم والمغفرة ولا شك أن من يستحضر في ذهنه تسبيح الموجودات أكرمها وعظمها من هذه الوجوه وإن كان الشارع أمره باحتقارها من وجه آخر ثم نقل بعد هذا الكلام حكاية أن بعضهم أراد الاستجمار بأحجار فأخذ حجرًا فكشف الله عنه سمعه حتى سمع تسبيحه فتركه تعظيمًا له ثم أخذ حجرًا آخر فكذلك ثم آخر فكذلك فلما سمع جميع الأشجار والأحجار تسبح توجه إلى الله تعالى في أن يستر عنه تسبيحًا ليتمكن من إزالة النجاسة فستر الله تعالى عنه ذلك فاستجمر بها مع علمه أنها تسبح؛ لأن المخبر بتسبيحها هو الآمر بالاستجمار بها على لسان الشارع ﷺ ففي إخفاء تسبيح الكليات عن الأسماع حكمة بالغة نعم رأيت في «**تفسير الرازي**» أن الذي أطبق عليه العلماء المحققون أن من لم يكن حيًّا لم يكن قادرًا متكلمًا وجزم بأن الجمادات تسبح بلسان الحال، والله أعلم.

حكاية: أهدي للجنيد - رضي الله عنه - طائر فقبله مرة ثم أرسله فقيل له في ذلك فقال: إنه قال: يا جنيد تتلذذ بمناجاة الأحباب وتسد في وجوههم الباب؟! فلما أرسله قال: إن الطيور ما دامت ذاكرة لا تقع في شدة فإذا غفلت عن ذكر الله وقعت وأنا غفلت عن ذكر الله مرة فعذبني بالسجن فكيف بمن يغفل عن ذكر الله كثيرًا يا جنيد خذ عليَّ العهد أن لا أعود أبدًا ثم صار يتردد إلى زيارة الجنيد ويأكل من المائدة معه فلما مات الجنيد رمى بنفسه على الأرض فمات فدفنوه فرأى الجنيدَ بعضُ أصحابه في النوم فسأله عن حاله فقال: رحمني برحمتي للطائر.

سُئِل السبكي - رضي الله عنه - عن قول النبي ﷺ: «**إذا رأيتم أهل البلاء فاسألوا الله العافية**» فقال: أهل البلاء هم أهل الغفلة عن ذكر الله تعالى.

لطيفة: رأيت في حقائق العقائق أن آدم - عليه السلام - لما هبط هرب منه الطير والوحش فجاء الخطاف فجلس عنده فعاتبه الله تعالى، فقال: يارب رأيته وحده والوحدانية لك فجئت عنده لأجل ذلك فقال: أيها الطائر قد رفعت عنك السكين فلا تصاد ولا تذبح نطرح لك الألفة في قلوب أولاده يساكنونك في بيوتهم قيل: إنه كان أبيض اللون فاسود لونه لما لمسه آدم إلا صدره، وقيل: إن آدم شكا إلى ربه الوحشة فآنسه بالخطاف وهو يخطب بقوله تعالى: ﴿لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ﴾ [الحشر: ٢١] الآية، ويمد صوته بالعزيز الحكيم.

فوائد :الأولى : قال بعض المفسرين في قوله تعالى : ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ [فاطر :٣٢] هو الذاكر بلسانه ﴿وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ هو الذاكر بقلبه ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾ هو الذي لا ينسى ربه . قال ابن عطاء الله : يحتاج قائل كلمة التوحيد إلى ثلاثة أنوار : نور الهداية ونور الكفاية ونور العناية فمن منَّ الله عليه بنور الهداية فهو معصوم من الشر ومن مَنَّ الله تعالى عليه بنور الكفاية فهو معصوم من الكبائر والفواحش ومن مَنَّ الله عليه بنور العناية فهو محفوظ من الخطرات الفاسدة والحركات التي لأهل الغفلات فالنور الأول للظالم ، والثاني للمقتصد ، والثالث للسابق .

وسئل الواسطي – رضي الله تعالى عنه – عن الذكر فقال : الخروج من ميدان الغفلة إلى فضاء المشاهدة على غلبة الخوف وشدة الحب ، ومن خصائص الذكر أنه جعل في مقابلته ذكر الله ، قال تعالى : ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة :١٥٢] ، وقال موسى – عليه السلام – : يا رب أين تسكن؟ قال : في قلب عبدي المؤمن ، ومعناه سكون ذكره وسيأتي في آخر المحبة نحوه ، وقال محمد بن الحنفية – رضي الله عنه – : إن الملائكة يغضون أبصارهم عن ذكر الله كما تغضون أبصاركم عن البرق .

الثانية : جاء في الخبر أن العبد يأتي إلى مجلس الذكر بذنوب كالجبال فيقوم من المجلس وليس عليه شيء منها فلذلك سماه النبي ﷺ روضة من رياض الجنة ، قال : حلق الذكر بفتح اللام وكسر الحاء كما سيأتي في التقوى .

وقال عطاء – رضي الله عنه – : من جلس مجلسًا يذكر الله فيه كفر الله عنه عشرة مجالس من مجالس السوء ، وقال بعضهم لأبي يزيد البسطامي – رضي الله عنه – : إن لي معك سرًّا ميعادك تحت شجرة طوبى ، فقال : نحن تحتها ما دمنا في ذكر الله تعالى ، وقال علي – رضي الله عنه – : إن الله تعالى يتجلى للذاكرين عند الذكر وقراءة القرآن .

وعن النبي ﷺ : «**ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله لا يريدون بذلك إلا وجهه إلا ناداهم منادٍ من السماء بأن قوموا مغفورًا لكم وبدلت سيئاتكم حسنات**» وعن أبي الدرداء – رضي الله عنه – عن النبي ﷺ : «**ليبعثن الله أقوامًا يوم القيامة في وجوههم النور على منابر اللؤلؤ يغبطهم الناس ليسوا بأنبياء ولا شهداء**» ، فجثا أعرابي على ركبتيه ، وقال : اجلهم يا نبي الله – أي صفهم لنا – قال : «**المتحابون في الله من قبائل شتى وبلاد ومدائن شتى يجتمعون على ذكر الله تعالى يذكرونه**» ، وقال بعضهم في قوله تعالى حكاية عن سليمان : ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ [النمل : ٢١] أي لأبعدنه عن مجالس الذكر ، ورجح البغوي نتف ريشه ، وقال الجنيد – رضي الله عنه – في قوله تعالى : ﴿وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى﴾ [الشعراء :٨١] : بالغفلة ، ﴿ثُمَّ يُحْيِينِ﴾ [الشعراء :٨١] بالذكر ، وقال الحسن البصرى – رحمه الله تعالى – : ما جلس قوم يذكرون الله فيهم واحد من أهل الجنة إلا شفعه الله في الجميع .

الثالثة: قال داود - عليه السلام -: لأسبحن الله تسبيحًا ما سبحه أحد من خلقه فناداه ضفدع أتفخر على الله بتسبيحك وأنا منذ سبعين سنة ما جف لساني عن ذكر ولي عشر ليالٍ لم آكل شيئًا اشتغالاً بكلمتين؟! قال: ما هما؟ قلت: يا مسبحًا بكل لسان ومذكورًا بكل مكان.

وفي نزهة النفوس والأفكار أن ملكًا قال له داود: أتفهم ما تقول الضفدع؟ قال: لا، فسمعها تقول: سبحانك وبحمدك منتهى علمك، فقال: والذي جعلني نبيًّا لم أمدحه بمثل هذا، وقال المفسرون: إنها تقول: سبحان الملك القدوس، وفي البغوي سبحان القدوس، وفي كلام عليّ - رضي الله تعالى عنه - سبحان المعبود في لجج البحار.

الرابعة: قال عليّ - رضي الله عنه - كان في زمن يونس - عليه السلام - ضفدع بلغت من العمر أربعة آلاف سنة لا تمل من التسبيح فقالت: يا رب ما يسبحك أحد مثلي. قال يونس: قلت: يا رب ما تقول؟ قال: تقول: سبحانك أضعاف من قالها من خلقك وسبحانك أضعاف من لم يقلها من خلقك وسبحانك مدى علمك ونور وجهك وزنة عرشك ومداد كلماتك.

الخامسة: إذا ماتت الضفدع في ماء نجسته عند الأئمة الثلاثة وخالفهم مالك، وأما الماء فإن كانت بحرية فلا تنجسه عند أبي حنيفة وإن كانت برية نجسته، وقال الشافعي - رحمه الله -: إن كان الماء كثيرًا فلا إن لم يتغير برية كانت أو بحرية. الكثير: مائة وثمانية أرطال وثلث بالدمشقي عند الرافعي وعند الثوري مائة رطل وسبعة أرطال، والسرطان كالضفدع قاله في شرحه المهذب ولحمه حرام عند الشافعي وأبي حنفية حلال عند الإمامين وإذا طبخ بالشعير ينفع من وجع الظهر والصلب وإذا علق على شجرة كبر ثمرها وتسبيحه سبحان المذكور بكل لسان.

لطيفة: الضفدع في المنام رجل صالح؛ لأنها صبت الماء على إبراهيم - عليه السلام - والضفادع الكثيرة عذاب، قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ﴾ [الأعراف :١٣٣]الآية.

قال الرازي: قال بنو إسرائيل لموسى - عليه السلام -: ﴿مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ﴾ [الأعراف :١٣٢]فهي عندنا باب السحر فلا نؤمن بك فدعا عليهم فأرسل الله عليهم الطوفان ليلاً ونهارًا شمسًا ولا قمرًا فاستغاثوا إلى فرعون فاستغاث فرعون إلى موسى فاستغاث موسى إلى ربه فأمسك الله عنهم المطر وأرسل الرياح فنشفت الأرض فأخرجت نباتها بزيادة قالوا: هذا الذي جزعنا منه كان خيرًا لنا فكفروا فأرسل الله عليهم الجراد فأكل النبات واشتد عليهم الأمر حتى صار عند طيرانه يغطي الشمس فاستغاثوا إلى موسى فاستغاث إلى ربه فأرسل الله على الجراد ريحًا ألقته في البحر فقالوا: ما بقي من زرعنا فهو يكفينا فكفروا فأرسل الله عليهم القمل، قال سعيد بن جبير: إنه السوس الذي يخرج من الحنطة، وقال الثعلبي: هو نوع من الجراد ثم قال عطاء الخراساني: هو القمل المعروف، وقيل: البراغيث وقيل: الجراد الذي لا أجنحة له فلم

يدع لهم خضراء إلا أكلها وصار على أبدانهم كالجدري فاستغاثوا إلى موسى فاستغاث إلى ربه فأرسل الله عليهم ريحًا فأحرقته فلم يؤمنوا فأرسل الله عليهم الضفادع كالليل الدامس حتى في زرعهم وطعامهم وعلى فراشهم ذراعًا فاستغاثوا إلى موسى فاستغاث إلى ربه فأماتها وأرسل عليها مطرًا فاحتملها إلى البحر فكفروا فأرسل الله عليهم الدم فجرت أنهارهم دمًا وقيل: سلط الله عليهم الرعاف فمكثوا سبعة أيام يشربون الدم فقالوا: يا موسى لئن كشفت عنا الرجز لنؤمن لك قال: سعيد بن جبير: هذا عذاب سادس وهو الطاعون وقال غيره: إنه عبارة عن الأنواع الخمسة المذكورة فقال الرازي: وهو الأقوى قال وهب: إنهم أقاموا في كل بلية أربعين يومًا.

السادسة: قال ابن عباس رضي الله عنهما - قال النبي ﷺ: «**خلق الله ملكًا يوم خلق السموات والأرض وأمره أن يقول: لا إله إلا الله فهو يقول مادًا بها صوته لا يفرغ منها حتى ينفخ في الصور**».

وقال بعض الصحابة: من قال لا إله إلا الله ومدها بالتعظيم كفر الله عنه أربعة آلاف ذنب من الكبائر فإن لم يكن عليه أربعة آلاف ذنب من الكبائر كفر الله عن أهله وجيرانه وفي الحديث: «**من قال: لا إله إلا الله ومدها بالعظيم هدمت من ديوان سيئاته أربعة آلاف ذنب**» فيستحب مدّ الصوت بها كما قال النووي رضي الله عنه.

وقال النبي ﷺ: «**من قال: لا إله إلا الله ومدّ بها صوته أسكنه الله دار الجلال دارًا سمى بها نفسه فقال: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ ورزقه الله النظر إلى وجهه الكريم**».

وعن أنس - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ أنه قال: «**معاشر الناس من قال: لا إله إلا الله متعجبًا من شيء خلقه الله خلق الله من كلمته شجرة عليها ورق بعدد أيام الدنيا تستغفر له كل ورقة وتسبح له إلى يوم القيامة**».

حكاية: اجتمع إبليس بذي القرنين فقال: يا إسكندر ما كفاك ملك الضوء حتى دخلت الظلمة ثم قال: الناس يقولون: لا إله إلا الله قال: نعم، فقال: لا يقولها شقي. وفي الحديث أنها في جنب إبليس كالأكلة في جنب ابن آدم وفي الشفاء عن ابن عباس - رضي الله عنهما - مكتوب على باب الجنة لا إله إلا الله لا أعذب من قالها.

فوائد: الأولى: خلق الله عمودًا من ياقوتة حمراء من نور وأصل ذلك العمود تحت الأرض السابعة ورأسه ملتوٍ على قائمة العرش فإذا قال العبد: لا إله إلا الله محمد رسول الله تحركت الأرض واهتز العرش فيقول الله تعالى: اسكن فيقول: لا وعزتك حتى تغفر لقائلها فيقول: اسكن فإني كتبت - أي حلفت على نفسي - قبل أن أخلق خلقي أن لا أجريها على لسان عبد إلا غفرت له قبل أن يقولها.

الثانية: لا إله إلا الله لها أسرار منها: جميع حروفها جوفية إشارة إلى أن الإتيان بها من خالص الجوف وهو القلب ومنها أنه ليس فيها حرف معجم إشارة إلى التجرد عن كل معبود سواه ومنها أنها اثنا عشر حرفًا كشهور السنة منها أربعة حرم وفي الجلالة حرف فرد وثلاثة سر وهي أفضل كلماتها كما أن الأشهر الحرم وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب أفضل الشهور فمن قالها مخلصًا بها كفرت عنه ذنوب السنة ومنها أن الليل والنهار أربع وعشرون ساعة وهي مع محمد رسول الله أربع وعشرون حرفًا كل حرف يكفر ذنوب ساعة ومنها أن كلماتها سبع وأبواب جهنم سبعة كل كلمة تسد بابًا عن قائلها.

الثالثة: رأيت في كتاب الحقائق: أن رجلاً وقف على عرفات في يده سبع حصيات فقال: أيتها الحصيات اشهدن لي أني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ثم طرحهن من يده فرأى تلك الليلة كأن القيامة قد قامت وقد رجحت سيئاته على حسناته فأمر به إلى النار فرأى الحصيات قد سدت عنه أبواب جهنم فاجتمع عليه جميع الزبانية ليزيلوا حجرًا فعجزوا فانطلقوا به إلى تحت العرش وانطلقت الأحجار خلفه يشفعن فيه فأمر الله تعالى به إلى الجنة فسبقته الأحجار إلى أبواب الجنة كل حجر يقول: يا عبد الله ادخل من جانبي.

الرابعة: كان في زمن موسى - عليه السلام- عبد عصى ربه - جل وعلا - أربعمائة وثمانين عامًا فتداركه الله بكرمه فأتى موسى وقال: لا إله إلا الله موسى رسول الله فنزل جبريل عليه السلام وقال: يا موسى قد غفر الله له ذنوب أربعمائة وثمانين عامًا وذلك أن قوله: لا إله إلا الله موسى رسول الله أربع وعشرون حرفًا كل حرف يكفر له ذنوب عشرين عامًا ومحمد رسول الله أفضل من موسى رسول الله فلا عجب أن الله يكفر ذنوب سبعين عامًا مثلاً بقول المؤمن لا إله إلا الله محمد رسول الله.

الخامسة: قال النبي ﷺ: «**ما على الأرض أحد يقول: لا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله إلا كفرت عنه خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر**» رواه الترمذي، وقال: حديث صحيح.

حكاية: رأيت في تفسير قوله تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلًا لَّيِّنًا﴾ [طه :٤٤] قال موسى: يا رب كيف يكون القول اللين؟ قال: قل له: هل لك في الصلح رغبة فقد تعبت نفسك أربعمائة وخمسين عامًا فاتبع مرادنا سنة واحدة نغفر لك جميع ذنوبك فإن لم تفعل فأسبوعًا فإن لم تفعل فيومًا واحدًا فإن لم تفعل فساعة فإن لم تفعل فقل في نفس واحد: لا إله إلا الله، فأكون لك مصالحًا فلما أدى موسى الرسالة جمع فرعون جنوده وقال: أنا ربكم الأعلى فاهتزت السموات والأرض واستأذنوا ربهم - جل وعلا - في هلاكه فقال: هو كالكلب ليس له إلا العصا، يا موسى ألق عصاك فألقاها فأسلم السحرة وهرب فرعون إلى مخدعه فقال موسى: إن لم تخرج أمرتها أن تدخل عليك فقال: أمهلني قال: لم يؤذن لي فأوحى الله تعالى إليه أمد له فإني حليم

لا أعجل وصار يتغوط كل يوم أربعين مرة، وكان قبل ذلك في كل أربعين يوم مرة فلما أمهله إلى يوم الزينة - وسيأتي بيانه في فضل الأدب في كتاب الموت - طغى فأخذه الله نكال الآخرة والأولى. أي عذبه بالغرق على الكلمة الأولى وهي ما تقدم وعذبه بجهنم على الأخرى وهي: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨].

وقال ابن عباس - رضي الله عنهما -: الأولى هذه والآخرة ما تقدم. وكان بينهما أربعون سنة. ورأيت في زمرة العلوم وزهرة النجوم عن النبي ﷺ: «**قال لي جبريل: إني وقفت بين يدي ربي حين قال فرعون**: ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾؟ **فنشرت جناحين للعذاب فقال الله تعالى: مه يا جبريل إنما يستعجل بالعذاب من يخاف الفوت**»، وذكر في هذا الكتاب أيضًا أن فرعون لما قال: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [النازعات: ٢٤] أراد جبريل أن يخسف به الأرض فاستأذن ربه تعالى فلم يأذن له وأمره أن يتجاوز عنه.

قال العلائي في سورة القصص: دخل إبليس على فرعون، وهو في الحمام وقال: يا فرعون سولت لك كل شيء فما قلت لك ادع الربوبية وضربه أربعين سوطًا.

حكاية: اجتمع قوم من كفار قريش منهم فرعون هذه الأمة وهو أبو جهل عند أبي طالب في مرضه الذي مات فيه وقال: لقد علمت ما بيننا وبين ابن أخيك فخذ حقنا منه وحقه منا قبل موتك فدعاه فقال: هؤلاء أشراف أقوامك فكف عنهم ويكفوا عنك فقال ﷺ: «**يعطوني كلمة واحدة**» فقال أبو جهل لعنه الله: نعطيك عشر كلمات فقال: قولوا: لا إله إلا الله فقال: أتريد أن تجعل الآلهة إلهًا واحدًا إن أمرك لعجيب فتفرقوا فقال أبو طالب: يا محمد ما سألتهم شططًا أي ما سألتهم شيئًا عسيرًا وأما قوله تعالى: ﴿فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ﴾ [ص: ٢٢] أي لا تجر في حكمك يقال: شط الرجل شططًا إذا جار في حكمه فطمع النبي ﷺ في إسلام عمه فقال: «**قلها فأستحل لك بها الشفاعة يوم القيامة**» فقال: لولا أن تظن الناس - أي قريش - أني قلتها جزعًا لقلتها وسيأتي على هذا زيادة في معجزاته ﷺ.

وقال الرازي في سورة الأنعام: قال أبو طالب: قل غير هذه الكلمة فإن قومك يكرهونها فقال النبي ﷺ: «**لا أقول غيرها حتى يأتوا بالشمس من محلها فيضعوها في يدي**» فقالوا: اترك شتم آلهتنا وإلا شتمناك وشتمنا من يأمر بهذا فنزل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ١٠٨] الآية.

فإن قيل: سب الأصنام من أفضل الطاعات فلم نهى عنه؟

فالجواب: لما كان سبها سيؤدي إلى منكر عظيم - تعالى عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا - وهو سب الله ورسوله وجب الاحتراز عنه.

لطيفة: شبه الله كلمة التوحيد بالماء؛ لأنه يطهر وهذه الكلمة أيضًا تطهر من الذنوب،

وشبهها بالتراب؛ لأنه برد الجنة بأضعاف وهذه الكلمة يضاعف ثوابها وشبهها بالنار؛ لأنها تحرق وهذه الكلمة تحرق الذنوب وشبهها بالشمس؛ لأنها تضيء على العالمين، وهذه الكلمة تضيء على ذلك اليقين، وشبهها بالقمر؛ لأنه يذهب ظلمة الليل، وهذه الكلمة تضيء في القبر، وشبهها بالنجوم؛ لأنها دليل المسافرين وهذه الكلمة دليل أهل الضلالة على الهدى، وشبهها بالنخلة قال الله تعالى: ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾[إبراهيم:٢٤] فإن النخلة لا تنبت في كل أرض وهذه الكلمة لا تنبت في كل قلب والنخلة أطول الأشجار وهذه الكلمة أصلها في القلب وفرعها تحت العرش والثمرة لا تنقص قيمتها بالنواة والمؤمن لا تنقص قيمته بالمعصية التي بينه وبين الله تعالى والنخلة أسفلها شوك وأعلاها رطب وهذه الكلمة أولها تكاليف، فمن أتى بها وصل إلى ثمرتها وهي النظر إلى الله تعالى وهي مفتاح الجنة ولابد للمفتاح من أسنان وأسنانها ترك المحرمات وفعل الواجبات قال الله تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[محمد:١٩]، وقال النبي ﷺ: **«من قال لا إله إلا الله مخلصًا بها من قلبه دخل الجنة»** قيل: وما إخلاصها؟ قال: **«أن تحجزه عن محارم الله»** وقال النبي ﷺ: **«يا أبا هريرة كل حسنة تعملها توزن يوم القيامة إلا شهادة لا إله إلا الله، توضع في الميزان»**.

حكاية: كتب ملك الروم إلى سيدنا عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -: أخبرني رسولي أن ببلدكم شجرة يخرج ثمرها كآذان الحمير ثم ينشق عن أحسن شيء من اللؤلؤ ثم يخضر حتى يكون كالزمرد - بالزاي المعجمة - ثم يحمر ويصفر فيكون كشذور الذهب وقطع الياقوت ثم يينع - أي ينضج - فيكون أطيب من الفالوذج ثم ييبس ليكون للمقيم طعامًا وزادًا للمسافر فإن صدق فهذه شجرة من شجر الجنة فكتب إليه عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - نعم وهي التي ولد تحتها عيسى ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾[الشعراء: ٢١٣].

فائدة: قال الرازي: بين النخلة والحيوان بل الإنسان مناسبة ومشابهة بخلاف غيرها من الشجر ولهذا قال ﷺ: **«أكرموا عمتكم النخلة فإنها خلقت من بقية طين آدم - عليه السلام-»** أي؛ لأن آدم لما هبط طار شعره وتشعث بدنه فجاء جبريل بالمقراض فقص شعره وظفره وأزال الوسخ عن جسده ودفنه في الأرض ثم قام فاستيقظ وقد خلق الله تعالى النخلة إلى جانبه بدنها أي جذعها من جسده وليفها من شعره وجريدها من ظفره وهي تشرب من أعلاها وغيرها من أسفلها قال علي - رضي الله عنه -: وأول شجرة استقرت على وجه الأرض النخلة وقد ذكرها الله في القرآن في مواضع فقال: ﴿وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ﴾[ق:١٠] يعني طوالاً ﴿لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ﴾[ق: ١٠] يعني ثمر بعضه فوق بعض وكان النبي ﷺ يأمر بأكل البلح بالتمر قال ابن آدم: إذا أكله غضب الشيطان ويقول: بقي ابن آدم حتى أكل الحديث بالعتيق؛ لأن البلح بارد يابس والتمر حار رطب وفي كل منهما إصلاح للآخر وقد جمع ﷺ بين القثاء والرطب وخبز الشعير والتمر وخلط الماء البارد بالعسل وشربه على الريق طلبًا لدوام الصحة بذلك فإن الحار والبارد إذا

اجتمعا دامت الصحة، وقد نهى الحكماء عن الجمع بين السمك والبيض والسمك واللبن وعن الغسل بالماء البارد بعد أكل السمك وعن النوم بعده وعن شرب الماء بعد الجماع وعن دخول الحمام بعد شرب الحليب.

قال السمرقندي في البستان: من دخل الحمام وهو شبعان وأصابه القولنج فلا يلومن إلا نفسه.

ومن طب النبي ﷺ أنه إذا كان صائمًا أفطر على الرطب؛ لأن الصوم يضعف المعدة والكبد، والحلو أسرع شيء وصولاً إلى الكبد؛ لأنها تحب الحلو وتقبله خصوصًا الرطب وقال ﷺ: «**إذا جاء الرطب فهنئيني يا عائشة**» والتمر أفضل الأغذية في كل البلاد والجمار - بضم الجيم وتشديد الميم - وهو قلب النخل يعقل البطن وينفع من الصفراء والحرارة ويزيده لعقة من الزنجبيل المربى بعده وسيأتي ما للنفساء خير من الرطب ولا للمريض خير من العسل.

مسألة: لو حرك لسانه بالطلاق ولم يسمع نفسه لم يقع ولو حرك لسانه بلا إله إلا الله ولم يسمع نفسه أثابه الله تعالى.

فائدة: قال ابن عباس - رضي الله عنه -: علم الله تعالى جبريل دعاء وأمره أن يعلمه للنبي ﷺ من قاله كتب الله له سبعين ألف حسنة ومحا عنه سبعين ألف سيئة ورفع له سبعين ألف درجة، وهو «**لا إله إلا الله كما هلل الله كل شيء وكما يجب أن يهلل وكما ينبغي لكريم وجهه وعز جلاله والحمد لله كما حمد الله كل شيء كما يجب لله أن يحمد وكما ينبغي لكريم وجهه وعز جلاله وسبحان الله كما سبح الله كل شيء وكما يجب لله أن يسبح وكما ينبغي لكريم وجهه وعز جلاله**».

وفي الحديث: «**إذا قال العبد**: لا إله إلا الله يصعد بها ملك فيستقبله في السماء ملك آخر فيقول من أين؟ فيقول: وأنت إلى أين؟ فيقول: أصعد بها - أي بشهادته - إلى ربه فيقول الآخر: وأنا ببراءته من النار».

حكاية: مر بعض أوصياء عيسى - عليه السلام - على صبيان يلعبون وفيهم ابن الوزير يلعب معهم ثم أخذه ابن الوزير إلى بيته ليكرمه عند أبيه فأحضر له طعامًا فحضرت الشياطين فقال: بسم الله الرحمن الرحيم فهربت فسأل الوزير عن أمره فقال: أنا من أصحاب عيسى أرسلني إليكم لتؤمنوا بالله وتتركوا الأصنام فأسلم ثم قال يومًا: قد مات فرس الملك فقال: قل له: إن أطاعني أحيا الله فرسه فأخبره بذلك فقال: نعم فأحضره الوزير عند الملك فقال خذ أيها الملك بعضو الفرس وأمك بعضو وقولوا: لا إله إلا الله فلما قالوها تحرك كل عضو بيد قائلها فوثب الفرس حيًّا بإذن الله تعالى.

لطيفة: في طبقات ابن سعد أن النبي ﷺ سئل عن قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم

بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾ [البقرة: ٢٧٤] من هم؟ قال: «**هم أصحاب الخيل**».

وقال ابن عباس - رضي الله عنه -: إن الفرس تقول عند القتال: سبوح قدوس رب الملائكة والروح.

وقال عمر رضي الله عنه: عليك بإناث الخيل فإن بطونها كنز وظهورها حرز ولحم الخيل يطرد الأرياح ولا يصلح للأبدان اللطيفة؛ لأنه غليظ سوداوي وهو حرام إلا عند أبي حنفية وحده، وإذا تَبَخَّرت الحامل بحافره أسقطت الجنين والمشيمة المحتبسة، وإذا شربت المرأة لبن فرس وهي لا تعلم به وجامعها زوجها من ساعتها حملت وإذا بخرت الحامل بروثه وضعت بسهولة والاكتحال بروثه الجاف يزيل البياض من العين

ولا زكاة في الخيل عند جمهور العلماء وأوجبها أبو حنيفة في الإناث أو الذكور مع الإناث أما الذكور الخلس فلا زكاة فيها عنده فيعطي صاحبها عن كل واحد دينارًا أو يقومها فيعطي من كل مائتي درهم خمسة دراهم.

فوائد:

الأولى: قال حجة الإسلام أبو حامد الغزالي - رحمه الله تعالى -: قيل لزبيدة في المنام ما فعل الله بك؟ قالت: غفر لي بأربع كلمات:

الأولى: لا إله إلا الله أفني بها عمري.

الثانية: لا إله إلا الله أدخل بها قبري.

الثالثة: لا إله إلا الله أخلو بها وحدي.

الرابعة: لا إله إلا الله ألقى بها ربي.

الثانية: مر علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - على مقبرة فقال: السلام عليكم يا أهل لا إله إلا الله كيف وجدتم لا إله إلا الله؟ فهتف هاتف يقول: وجدناها المنجية من كل هلكة.

الثالثة: يكتب للحمى الباردة على أربع ورقات وتشرب كل يوم ورقة:

الأولى: لا إله إلا الله نارت فاستنارت.

الثانية: لا إله إلا الله دارت فاستدارت.

الثالثة: لا إله إلا الله حول العرش دارت.

الرابعة: لا إله إلا الله في علم الله غارت.

قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: معنى لا إله إلا الله: لا نافع إلا الله ولا ضار إلا الله ولا معز إلا الله ولا مذل إلا الله ولا مانع إلا الله.

وسُئِلَ بعضهم عن قوله تعالى: ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾ [الحج :٤٥] فقال: البئر المعطلة قلب الكافر معطل عن قول: لا إله إلا الله والقصر المشيد: قلب المؤمن معمور بلا إله إلا الله. وقال تعالى: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ﴾ [غافر:٣] لمن قال: لا إله إلا الله ﴿شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ﴾ على من لم يقل: لا إله إلا الله ﴿فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ١٩٣] هم الذين لم يقولوها.

الخامسة: قال ابن عباس – رضي الله عنهما –: ينادى من تحت العرش أيتها الجنة وما فيك من النعيم لمن أنت؟ فتقول: لأهل لا إله إلا الله وأنا محرمة على من لم يقل لا إله إلا الله ثم تقول النار وما فيها من العذاب: لا يدخلني إلا من أنكر لا إله إلا الله ولا أطلب إلا من كذب بلا إله إلا الله وأنا محرمة على من قال: لا إله إلا الله ثم تقول مغفرة الله ورحمته: أنا لأهل لا إله إلا الله وناصر لمن قال: لا إله إلا الله ومحب لمن قال: لا إله إلا الله والجنة مباحة لمن قال: لا إله إلا الله والنار محرمة على من قال: لا إله إلا الله.

السادسة: قال الغزالي: التوحيد ينقسم إلى لب ولب ولب، وإلى قشر وقشر وقشر مثاله اللوز له قشرتان عليا وسفلى ولب وهو القلب ولب ولب وهو الدهن فمثال القشرة الأولى أن يقول العبد بلسانه: لا إله إلا الله وقلبه غافل ومثال القشرة السفلى توحيد المنافق فإنه ينفعه ما دام في الدنيا فإذا مات طرح في النار ومثال اللب توحيد المؤمن، لكن اللب لا يخلو من أشياء لا فائدة فيها كالقشرة الرقيقة الستر للب فكذلك توحيد المؤمن؛ لأن المؤمن لا يخلو من الالتفات إلى زينة الدنيا ومثال الدهن توحيد العارف فالدهن لا يخالطه شيء فكذلك توحيد العارف صار خالصًا لا يرى إلا الله ولهذا قيل للجنيد في النزع: قل لا إله إلا الله فقال: ما نسيته فأذكره.

وقال ذو النون المصري – رحمه الله –: ما طابت الدنيا إلا بذكره وما طابت الآخرة إلا برحمته وما طابت الجنة إلا برؤيته.

حكاية: قال الجنيد – رحمه الله تعالى –: خرجت يومًا إلى الحج فتحولت الناقة إلى طريق القسطنطينية مدينة الروم فرددتها نحو الكعبة فتحولت نحو المدينة أيضًا، فتركتها فلما دخلت القسطنطينية رأيت أهلها في قيل وقال فتساءلت عن ذلك فقيل: إن ابنة الملك أصابها جنون وهم يطلبون طبيبًا فقلت: أنا أداويها فأدخلوني عليها فنادت من داخل الباب: يا جنيد لم تجذبك الناقة إلينا فتردها عنا؟ فلما رأيتها فإذا هي من أحسن النساء والغل في عنقها ورجليها فقالت: صف لي دواء فقلت لها: قولي: لا إله إلا الله فرفعت صوتها بذلك فسقط الغل من عنقها ورجليها فقال أبوها: ما أحسنك من طبيب فداوني! فقلت له: قل كما قالت فأسلم وأسلم معه خلق كثير.

مسألة: يجوز النظر إلى الحاجة بقدرها فإن كانت فصدًا أو حجامة فلابد من حضور محرم

كما شرح الرافعي وزاد في الروضة معها الزوج أيضًا، ولا يجوز لرجل طبيب أن يعالج امرأة طبيبة ويمنع الذمي مع وجود المسلم.

حكاية: رأيت في المورد العذب للبوني رحمه الله قال الخواص: خطر ببالي التوجه إلى بلاد الروم فقلت في نفسي التوجه إلى بيت المقدس أو إلى طيبة أولى قال: فقوي عزمي على بلاد الروم فلما دخلتها رأيت أهلها مجتمعين فسألتهم عن ذلك فقالوا: إن ابنت الملك أصابها جنون فقلت: أنا أداويها، فقالوا: أنت طبيب؟ فقلت: أنا عبد الطبيب، فأدخلوني على أبيها فأدخلني إليها، فلما رأتني قالت: يا خواص الجنون الذي أصابني من الطبيب الذي أنت عبده، فتعجبت من كلامها، فقالت: لا تعجب كنت في ليلة من الليالي فيما أنا فيه وإذا بجذبة من جذبات الرب قد جذبتني إلى جانب القرب ففاض الذكر على لساني وسمعت قائلاً يقول: قل هو الله أحد والرسول أحمد، فقلت لها: هل لكي في بلادنا؟ وما أصنع في بلادك؟ فقلت: فيها مكة والمدينة وبيت المقدس. فقالت: ارفع رأسك، فرفعت رأسي وإذا بالكعبة والمدينة وبيت المقدس يحومون على رأسي في الهواء، ثم قالت: يا خواص من سلك البادية بجسمه رأى الأحجار والأشجار ومن سلكها بقلبه طافة الكعبة به، ثم قالت: يا خواص قد قرب لقاء الحبيب. فقلت لها: كيف يكون الموت ببلادكم؟ فقالت: لا بأس اللحم والعظم له نسبٌ إلى الروم وأما الروح فيتولاها مولاها، ثم شهقت شهقة فارقت الدنيا، وإذا بصوت ينادي: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۝٢٨﴾ [الفجر: ٢٧-٢٨].

حكاية: مرض الشبلى فأرسل الخليفة إليه طبيبًا فعالجه فازداد مرضه فقال: يا شيخ المسلمين لو علمت أن شفاءك في قطع عضو من أعضائي لفعلت فقال: شفائي في قطع زنارك فقطعه وأسلم فوثب الشبلي كأن لم يكن به مرض فقال الخليفة: ظننت أني أرسلت الطبيب إلى المريض وإنما أرسلت المريض إلى الطبيب.

لطيفة: نظر رجل من الحواريين إلى عيسى وقد خرج من دار امرأة بغي فقال: يا رسول الله ما تصنع هاهنا فقال: الطبيب يداوي المريض.

حكاية: قصد أبو مسلم الخراساني مدينة مرو للغزو، فلما ملكها وجد فيها حكيم من المجوس، فقال له: بما صرت حكيمًا؟ قال: تركت الدنيا والكذب وفي كل صباح أجعل إلهي الذي أعبده تحت قدمي، فأمر بقتله. فقال: لا تعجل أيها الأمير. قال: ما معنى قولك: تجعل معبودك تحت قدمك؟ قال في كتابكم يقول: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الجاثية: ٢٣]، فأنا أدس هواي تحت قدمي لئلا يقهرني، فقال: من انتهى إلى هذه الحكمة كيف لا يسلم؟ فقال: القلب مقفل والمفتاح بيد غيري، فتوضأ الأمير مع أصحابه وصلى ركعتين، وسأل الله تعالى أن يكرم الحكيم بالإسلام فقال: أيها الأمير ألح في الدعاء فقد تحرك القفل، ثم نادى: ألا وإن القفل قد انفتح، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله.

حكاية: قال في روضة العلماء: كان يحضر في مجلس الحسن البصري نصراني فانقطع ثلاثة أيام فسأل عنه فقيل: إنه في النزع الأخير فدخل عليه فقال له: كيف أنت؟ قال: موت عاجل ولابد لي وقبر موحش ولا مؤنس لي ونار حامية ولا جلد لي وجنة أزلفت أي - قربت - ولا وصول لي وصراط ممتد ولا جواز لي وميزان علق ولا حسنة لي ورب غفور ولا حجة لي فقال له الحسن: هنا وقتك قال: حتى يجيء المفتاح فقام الحسن موليًا عنه فقال أتعرض عني وقد أقبل عليّ قد جاء بالمفتاح أن أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ثم مات فرآه الحسن تلك الليلة في الجنة فسأله عن حاله فقال: أسكنني أعلى الجنة.

حكاية: قال النسفي: مر بعض العباد على رجل يعبد بقرة فقال: قل لا إله إلا الله فقال: لا، فقال العابد يا بقرة بحق لا إله إلا الله كوني جمرة نار فإذا هي جمرة نار بإذن الله تعالى فقال: قلها وإلا تصير مثلها.

مسألة: لو أسلم كرهًا لم يصح، إلا أن يكون حربيًا أو مرتدًا وأتى بالشهادتين بلغة أخرى وهو يقدر على العربية صح إسلامه

قال في شرح المذهب ولو قال: أنت طالق إن كنت من أهل النار لم تطلق إن كانت مسلمة.

ولو قال: إن كان الله يعذب الموحدين فأنت طالق طلقت عند الرافعي.

قال في الروضة في زوائده: هذا إذا قصد تعذيب أحدهم فإن قصد تعذيب الكل أو لم يقصد شيئًا لم تطلق؛ لأن التعذيب يختص ببعضهم.

لطيفة: دخل يهودي على أحد الصالحين وهو يبري قلمًا فقال له: أسلم قال: لا أسلم، قال: أسلم وإلا أقطع رأس القلم قال: فقطعه فوقع رأس اليهودي عن جسده. حكاه في روض الأفكار.

حكاية: قال في الكتاب المذكور: قال مالك بن دينار: وقفت يومًا على صومعة راهب سمعته يقول: يا من لاذ بحرمه الخائفون ورغب فيما عنده الطالبون أسألك الخلاص من القصاص وأستغفرك من ذنوب ذهبت لذاتها وبقيت تبعاتها، فناديته يا راهب كيف تركت الدنيا؟ قال: تركتها قبل أن تتركني، قلت: حدثني بقصتك. قال: كنت على دين النصرانية فرأيت في منامي قائلاً يقول: ويحك إلى كم تعبد غير الله؟ إن عيسى عبد من عبيد الله فقلت له: من أنت؟ قال: أنا شفيع المذنبين أنا الذي بشر بي عيسى وشهد بنبوتي موسى أنا في التوراة موصوف وفي الإنجيل معروف ثم مسح بيده على صدري وقال: اللهم ألهم عبدك الرشاد ووفقه للسداد فانتبهت ولا شيء أحب إليّ من الإسلام فأسلمت وسكنت في صومعتي هذه.

«ويح» كلمة رحمة و**«ويل»** كلمة عذاب.

لطيفة: رأيت في رحمة النبيﷺ أنه يأتي قبره الشريف جبريل وميكائيل وإسرافيل قبل يوم

القيامة فيقول إسرافيل: يا حبيب الله قم بإذن الله فلا يجيبه فيقول ميكائيل: يا نبي الله قم بإذن الله فهو أول من تنشق عنه الأرض.

حكاية: كان إبراهيم يبيع أصنامًا ينحتها أبوه وينادي من يشتري شيئًا يضره ولا ينفعه؟ فقالت امرأة: يا إبراهيم أريد إلهًا أشتريه من أبيك فقال: أنا أبيعك صنمًا ثلثه يسخن الماء وثلثه يطبخ الطعام وثلثه يخبز العجين فتفكرت المرأة في كلامه ثم قال: أنا أدلك على إله من دعاه أجابه ومن استغاث به أغاثه فقالت: كيف الوصول؟ قال: من قال: لا إله إلا الله مخلصًا من قلبه وصل إليه فقالت المرأة: لا إله إلا الله فسقط الصنم من يد إبراهيم على وجهه فقالت: يا إبراهيم نعم الرب ربك من أمّل غيره خاب والتعب في غير طاعته ضائع ثم أخذت الصنم وكسرته.

حكاية: كان ببلاد الهند شيخ كبير يعبد صنمًا دهرًا طويلاً ثم حصل له أمر مهم فاستغاث به فلم يغثه فقال: يا أيها الصنم ارحم ضعفي فقد عبدتك دهرًا طويلاً فلم يجبه فانقطع عند ذلك رجاؤه منه ونظر الله إليه بعين الرحمة فخطر على قلبه أن يدعو الصمد فرمق بطرفه نحو السماء وقد وقع في الخجل وقال: يا صمد فسمع صوتًا من الهواء يقول: لبيك يا عبد اطلب ما تريد فأقر لله بالوحدانية فقالت الملائكة: ربنا دعا صنمه دهرًا فلم يجبه ودعاك مرة واحدة فأجبته؟! فقال: يا ملائكتي إذا دعا الصنم فلم يجبه ودعا الصمد فلم يجبه فأي فرق بين الصنم والصمد؟

حكاية: كان في بني إسرائيل رجل يعبد بقرة فدخل بها يومًا إلى البستان فطلعت سحابة مع رعد وبرق فهربت البقرة فقال في نفسه: من يفزع من الرعد والبرق لا يكون إلهًا فرفع طرفه إلى السماء وقال: يا رب السحاب إن كان لك غنم فابعثها لأرعاها وإن لم يكن غنم فأنا أقاسمك غنمي، فأوحى الله إلى نبي ذلك الزمان: اذهب إلى فلان وأقرئه مني السلام وعلمه أركان الدين فقد قذفت في قلبه المعرفة وقبلت رجوعه إليّ وأردته قبل أن يريدني.

فائدة: قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: من سمع صوت الرعد فقال: سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته وهو على كل شيء قدير فإن أصابته صاعقة فعلى دينه حكاه العلائي في سورة الرعد وقال الرازي وابن عباس - رضي الله عنهما -: إن اليهود سألوا النبي ﷺ عن الرعد فقال: **«ملك موكل بالسحاب معه مخارق من نار يسوق بها السحاب حيث شاء الله»** وقال: **«إن الله ينشئ السحاب فنطق أحسن النطق وضحك أحسن الضحك فمنطقه الرعد وضحكه البرق»** والعارفون من الصوفية الرعد صفقان الملائكة والبرق زفرات أيديهم والمطر بكاؤهم

قال الرازي: عند لمعان البرق يخاف وقوع الصواعق وذلك دليل على قدرة الله؛ لأن السحاب جوهر مركب من أجزاء رطبة مائية وهوائية والماء جسم رطب والنار جسم حار يابس وظهور الضد من الضد دليل على قدرة الصانع.

حكاية: كان أبو ذر الغفاري - رضي الله عنه - يعبد صنمًا لا يفارقه حضرًا ولا سفرًا فخرج يومًا إلى السفر فذهب لحاجته فقال: أيها الصنم احفظ متاعي فلما ذهب جاء الثعلب وبال عليه فلما رجع أبو ذر وجده مبلولاً فقال: واعجباه! السماء لم تمطر فوجد أثر الثعلب فرمق بطرفه نحو السماء وقال:

أرَبٌّ يبول الثعلبان برأسه ... لقد ذل من بالت عليه الثعالب
فلو كان ربًا كان يمنع نفسه ... فلا خير في رب نأته المطالب
برئت من الأصنام يا رب كلها ... وآمنت بالله الذي هو غالب

لطيفة: صيد الثعلب في المنام زواج بامرأة، وأكل لحمه دواء وشرب لبنه شفاء ومن قاتله خاصم بعض أهله وابن آوى كالثعلب.

مسألة: الثعلب حلال عند الشافعي ومالك، حرام عند الإماميين - رضي الله عنهم أجمعين.

فائدة: لحمه ينفع من الفالج واللوقة والجذام وطحاله إذا علق على ذي طحال عافاه الله وشحمه ينفع من وجع الأذن تقطيرًا ويطلى به رجل المنقرس فيبرأ ودمه ينبت الأقرع دهنًا وأسنانه اليمنى إذا علقت على من يشتكي وجع أذنه اليمنى عافاه الله تعالى وكذلك اليسرى لليسرى.

ذكر في كتاب العجائب والغرائب: أن الثعلب ينكح الهرة فيأتي بولد غريب الشكل قال مؤلفه - رحمه الله تعالى -: إن صح ما ذكره يكون الولد حرامًا تبعًا لأمه؛ لأن الهر الأهلي والوحشي حرام وفيها خلاف، والأهلي أضعف خلقًا فالولد يتبع أحد أصوله في التحريم والنجاسة وأشرف الأديان ومثال النجاسة إذا نكح كلب ثعلبة فأتت بولد فالولد نجس تغسل منه سبعًا إحداهن بتراب ومثال أشرف الأديان تزوج مسلم بيهودية فالولد مسلم.

حكاية: لما رجع موسى من مناجاته وجد في طريقه رجلاً يعبد فرعون فدعاه إلى الإسلام وقال: ما حصل لك من عبادة فرعون؟ فقال: وأنت ما حصل لك من عبادة ربك؟ فقال: أنا أعبد طاعة وأنت تعبد فرعون طمعًا في ماله، قال: صدقت يا موسى قال: إن في دارك كنزًا إن أخبرتك به تؤمن بالله؟ قال: نعم فأخبره به فقال: لا إله إلا الله موسى رسول الله فبلغ فرعون ذلك فأخذه ووضعه في دهن على النار فأخرجه جبريل ثلاث مرات فقال الرجل: يا موسى اسأل ربك أن يخلصني منهم فإن الموت على الإسلام خير من ذاك فأخذه فرعون ووضعه في الدهن على النار فقال جبريل: يا موسى عظم الله أجرك في صاحبك فقد فتحت الجنة لقدوم روحه.

حكاية: خرج بعض الصالحين في غزوة فضل عن الطريق فصعد جبلاً، فوجد قومًا من النصارى وعندهم كرسي فسأل واحدًا منهم فقال: يخرج إلينا راهب في كل عام مرة فيعظنا

فلبست مثل ثيابهم فلما صعد الراهب على الكرسي، فقال: أيها الناس لست لكم واعظًا؛ لأن فيكم رجلاً من أمة محمدﷺ ثم قال: يا محمديّ أقسمت عليك بحق دينك قم إلينا حتى نراك فوثب قائمًا فقال: إن سألتك عن شيء تجيبني؟ قال: نعم. قال: سمعت أن الله خلق في الجنة ثمارًا فهل خلق في الدنيا مثلها؟ قال: نعم في الاسم واللون قال: فليس في الجنة بيت إلا وفيه غصن من شجرة طوبى فهل لها نظير في الدنيا؟ قال: نعم إذا توسطت الشمس في السماء كذلك. قال: في الجنة أربعة أنهار مختلفة الطعم تخرج من أصل واحد فهل لذلك نظير في الدنيا؟ قال: نعم ماء الأذن مر وماء العين مالح وماء الأنف منتن وماء الفم طيب قال: إن في الجنة سريرًا طوله خمسمائة عام فإذا أراد الرجل أن يصعد عليه تطأطأ له فهل لذلك مثيل في الدنيا؟ قال: نعم قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾[الغاشية :١٧] تهوي برأسها إلى الأرض ثم تثب قائمة قال: إن أهل الجنة يأكلون ويشربون ولا يبولون ولا يتغوطون فهل لذلك نظير في الدنيا؟ قال: نعم الجنين في بطن أمه كلما اشتهى شيئًا أوقع الله تلك الشهوة على أمه فيبلغ الغذاء إليه وهو في هذه المدة لا يبول ولا يتغوط، ثم قلت له: أخبرني عن مفتاح الجنة، فقال الراهب: إنه سألني عن مفتاح الجنة وقد قرأت في الكتب أن مفتاحها لا إله إلا الله محمد رسول الله فأسلم وأسلم معه خلق كثير.

فائدة: قال النبي ﷺ: **«أخبرني جبريل أن لا إله إلا الله أنيس المسلم عند موته وفي قبره وحين يخرج من قبره وقال النبي ﷺ: «إذا احتضر الميت فلقنوه لا إله إلا الله فإنه ما من عبد يختم له بها إلا كانت زاده في الجنة»**.

وقال السمرقندي: إذا قال العبد: لا إله إلا الله وقلبه عند الدنيا كتب له عشر حسنات وإن كان عند الآخرة فله سبعمائة حسنة وإن كان مع الله ملأت ما بين المشرق والمغرب حسنات.

مسألة: لو قال الكافر: لا يرحمني إلا الله أو لا إله إلا الرحمن أو لا إله إلا الباري أو لا باري إلا الله أو أبو القاسم أو أحمد رسول الله كانت له لا إله إلا الله محمد رسول الله، ويصير بذلك مؤمنًا إلا أن يكون مشبهًا حتى يبرأ من التشبيه ويعتقد بأنه تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى :١١].

حكاية: رأى موسى - عليه السلام - شيخًا يعبد نارًا فقال: أما آن لك أن ترجع عنها إلى عبادة الله؟ فقال: إن رجعت إليه يقبلني؟ قال: نعم فعرض عليه الإسلام فأسلم ثم بكى حتى غشي عليه فحركه موسى فوجده ميتًا، فقال: يا رب عامله بما أنت أهله فقال: يا موسى أما علمت أن من صالحنا صالحناه ومن تقرب إلينا قربناه، وقد أنزلته منازل الموحدين وجعلته في منازل المقربين.

حكاية: كان في زمان مالك بن دينار أخوان محدثان يعبدان النار فقال الأصغر للأكبر: قد عبدناها مدة طويلة فننظر إن أحرقتنا تركناها وإلا فلازمناها فوضع كل منهما يده فيها فأحرقته

فذهبا إلى مالك بن دينار ليعلمهما الإسلام فغلبت الشقاوة على الأكبر، فقال: لا أعبد غيرها فلما أسلم الصغير ذهب إلى مكان خراب يعبد ربه فلما أصبح قالت له امرأته: اذهب إلى السوق واطلب عملًا تأكل منه فذهب إلى مكان وصلّى فيه إلى الليل ثم رجع فقالت له امرأته: هل عملت شيئًا؟ قال: عملت عند الملك وقال: أعطيك غدًا فباتوا جياعًا فلما كان في اليوم الثاني خرج للعبادة وقال: يا رب أكرمتني بالإسلام فأسألك بحق هذا الدين وهذا اليوم يوم الجمعة أن ترفع عن قلبي هم نفقة عيالي، فلما رجع ليلًا وجد عياله في فرح وعندهم طعام كثير فسألهم عن ذلك، فقالت: جاءنا وقت الظهر رجل معه طبق فيه ألف دينار وقال: قولي لزوجك هذا أجرة عملك في يومين وإن زدت زدناك فذهبت بدينار إلى الصيرفي وكان نصرانيًّا فعرف أن الدينار من هدايا الآخرة فأسلم وأعطاني ألف درهم لما أخبرته بأمرك وأمر الرجل الذي جاءنا بالطبق فسجد زوجها شكرًا لله.

فائدتان: الأولى: قال في نزهة النفوس والأفكار: من مضار النار أن إبليس خلق منها قال القرطبي: إنه خلق من نار العزة فلذلك قال: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص:٨٢] فالعزة أورثته التكبر عن السجود لآدم، ومن منافعها في الشتاء تدفع البرد وتحسن الوجه، والكي بها ينفع من الفالج، وفي الرأس ينفع من الشقيقة كالنسيان البلغمي وسيأتي في الصدقة؛ لأنه لا يحل منعها.

الثانية: قال بعض الصالحين على جبل عرفات: الحمد لله على نعمة الإسلام وكفى بها من نعمة، فلما كان العام القابل أراد أن يقولها على عرفات فهتف به هاتف: مهلًا يا عبد الله حتى نفرغ من ثوابها بالعام الماضي، وقال عن بعض أولاد علي بن أبي طالب: كان إذا رأى من هو على غير دين الإسلام قال: الحمد لله الذي فضلني عليك بالإسلام دينًا وبالقرآن كتابًا وبمحمد نبيًّا وبعليّ إمامًا وبالمؤمنين إخوانًا وبالكعبة قبلة وقال: من قال ذلك لم يجمع الله بينه وبين النار أبدًا وفي الحديث: «**ما من مسلم قال إذا رأى يهوديًا أو نصرانيًا: أشهد أن لا إله إلا الله واحدًا أحدًا فردًا صمدًا لم يتخذ صاحبة ولا ولدًا ولم يكن له كفوًا أحد كتب الله له بكل يهودي ونصراني حسنة**» ذكره الترمذي الحكيم.

حكاية: قرأ بعض الصالحين قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم:٧١] فقال يهودي: إن كان ما تقول حقًّا فنحن وأنتم فيها سواء فقال: نحن ننجو منها بالتقوى فقال اليهودي: ونحن أيضًا من المتقين فقرأ المسلم: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا﴾ [الأعراف:١٥٦] الآية فقال: أريد برهانًا على صدق ما تقول فقال المسلم: أطرح ثيابي وثيابك في النار فمن سلمت ثيابه فدينه صحيح فجعل اليهودي ثيابه في ثياب المسلم وطرحها في النار فدخلت إليها فأكلتها دون ثياب المسلم، فعند ذلك أسلم اليهودي.

مسألة: قال بعض العلماء: الإسلام ما ظهر والإيمان ما بطن، فالإسلام: هو الاستسلام

والانقياد، والإيمان: هو التصديق بالقلب، وقال بعضهم: الإسلام والإيمان هما عمل بالأركان وإقرار باللسان وتصديق بالجنان

ورأيت في «كتاب نثر الدر» دخل عليّ بن موسى نيسابور فتعلق العلماء بلجام بغلته وقالوا: بحق آبائك الطاهرين حدثنا حديثًا سمعته من آبائك فقال: حدثني أبي موسى قال: حدثني أبي جعفر قال: حدثني أبي الباقر قال: حدثني أبي زين العابدين قال: حدثني أبي الحسن قال: حدثني أبي علي بن أبي طالب - رضي الله عنهم - قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**الإيمان معرفة بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالأركان**» قال الإمام أحمد: لو قرأت هذا الإسناد على مجنون لبرأ من جنونه قيل: إنه قرأه على مصروع فأفاق.

لطيفة: من قال في منامه: لا إله إلا الله محمد رسول الله فرج الله عنه وختم له بشهادة وعن أنس - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ: «**إذا قال العبد: لا إله إلا الله خرقت طبقات السماء حتى يصير في كتابه مثل القمر وأعماله حولها مثل الكواكب**» وفي الحديث: «**من قال: لا إله إلا الله غرست له شجرة في الجنة من ياقوتة حمراء منبتها من مسك أبيض طعمه أحلى من العسل وأشد بياضًا من الثلج وأطيب ريحًا من المسك، فقال رجل: يا رسول الله إذًا نكثر من قولها، فقال: خير الله أكثر وأطيب**».

فصل: في فضل البسملة

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا﴾ [النمل :١٥]، قال الجنيد: أي علمناهما ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، وقال بعضهم في قوله تعالى: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [الفتح :٢٦] هي ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾. وقال القشيري: إذا قرع هذا اللفظ أسماع أهل المعرفة لم تذهب فهومهم ولا إلى معنى غير وجوده سبحانه، فإذا قال بلسانه: الله أو سمع بأذنه الله أو شهد بقلبه الله فكما لا تدل هذه الكلمة على معنى إلا الله لا يكون شهوة قائلها إلى الله، فيقول بلسانه: الله، يعرف بقلبه الله ويعلم بفؤاده الله ويحب بروحه الله ويشهد بسره الله ويتعلق بظاهره بين يدي الله.

ويقال: البسملة ربيع الأحباب وأزهارها لطائف الوصلة وأنهارها زوائد القربة فمن أسمعه بسم الله الرحمن أدهشه في كشف جلاله ومن أسمعه الرحمن الرحيم عيشه بلطف أفضاله

وقال في كتاب «عظة الألباب»: الباء من بسم الله بهاؤه والسين سناؤه والميم مجده وعلاه، وقيل: الباء بابه والسين سلامه والميم إنعامه، وقيل: الباء بركته والسين ستره والميم معرفته وفي غير علام الغيوب الرحمن كشاف الكروب الرحيم غفار الذنوب الله مجيب الدعوات الرحمن منزل البركات الرحيم يعفو عن السيئات، وقال النبي ﷺ: «**أول ما نزل ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ هرب الغيم من المشرق إلى المغرب وسكت الريح وأصغت البهائم بآذانها**

ورجمت الشياطين بالشهب، وأقسم الله بعزته لا يسمى باسمه على مريض إلى شفاه الله» وفي رواية ابن عباس - رضي الله عنه - ولا علي شيء إلا باركه عليه، وقال علي رضي الله عنه: لما نزلت ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ضجت الجبال حتى كنا نسمع دويها فقال الكفار: سحر محمد الجبال، وقال ﷺ: **«ما من مؤمن يقرأها إلا سبحت الجبال معه لكنه لا يسمع»**، وقال ﷺ: **«لا يرد دعاء أوله** ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾» وسيأتي في آخر الكتاب - إن شاء الله تعالى - أن بينها وبين اسم الله الأعظم كما بين بياض العين وسوادها، قال النسفي: لما قتل قابيل هابيل اشتد ذلك على آدم فأوحى الله إليه قد جعلت الأرض طوعًا لك فقال: يا أرض خذيه فلما همت به قال قابيل: يا أرض بحق ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ لا تأخذيني، فقال الله تعالى: يا أرض خلي عنه.

حكاية: افتتح الله كتابه بثلاثة أسماء والخلق ثلاثة أقسام: ظالم ومقتصد وسابق فالله للسابقين والرحمن للمقتصدين، والرحيم للظالمين.

فوائد: الأولى: أوحى الله تعالى إلى موسى أني كرمت أمة محمد ﷺ بثلاثة أسماء قال: يا رب وما هي؟ قال: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ وكان عنده رجل أعمى فقال: يا رب بحق هذه الأسماء رد عليّ بصري فرد الله عليه بصره في الحال.

الثانية: إذا كان يوم القيامة وزنت أعمال هذه الأمة تتزايد ركعة من صلاتهم على ألف ركعة من صلاة غيرهم فيتعجبون من ذلك فيقال لهم: كانوا يقولون في صلاتهم: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، وفي الحديث: **«يا أبا هريرة إذا توضأت فقل:** ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ **فإن الحفظة يكتبون لك الحسنات حتى تفرغ وإذا غشيت أهلك فقل:** ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ **فإن الحفظة يكتبون لك الحسنات حتى تغتسل، فإذا حصل من تلك الوقعة ولد كتب لك من الحسنات بعدد أنفاس ذلك الولد وبعدد أنفاس أعقابه، يا أبا هريرة إذا ركبت دابة فقل:** ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، و﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الفاتحة: ٢] يكتب لك بعدد كل خطوة حسنة».

الثالثة: عن ابن مسعود - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ: **«من قرأ** ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ **كتب الله بكل حرف أربعة آلاف حسنة، ومحا عنه أربعة آلاف سيئة ورفع له أربعة آلاف درجة»**.

الرابعة: عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: **«إن لله دارًا في الجنة يقال لها دار النور، كل شيء خلقه الله فيها من نور وهي في الهواء ليس لها طريق»** قيل: يا رسول الله كيف يصعدون إليها؟ قال: **«يقال لهم قولوا:** ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ **فيطيرون إليها»**.

لطيفة: إذا كتب السيد على عبده كتابًا عرف رضا سيده وسخطه من عنوان كتابه، والله

جعل عنوان كتابه «بسم الله الرحمن الرحيم» ولم يقل: بسم الله الجبار والقاهر فعلم بذلك رضاه، ذكره النسفي.

وقال الغزالي في «جواهر الشعراني»: لما ابتدأ الله كتابه بـ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة :٢] ، علم سبحانه أن النفوس ترهب من ذلك فعقبه بقوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ليجمع في صفاته بين الرهبة منه والرغبة إليه زاد القرطبي فيكون أعون على طاعته.

مسألة: فإن قيل: كرر ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ في الفاتحة والبسملة آية منها عند الشافعي فالجواب ما رأيت في تفسير النيسابوري: تأكيد للرحمة وعناية بها ومع ذلك عقبه بقوله: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة :٤] ؛ لئلا يغتر ثم نقل فروقًا بين بسم الله ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ عن جماعة من العلماء، فقال الضحاك الرحمن بأهل السماء والرحيم بأهل الأرض، وقال عكرمة: الرحمن برحمة واحدة والرحيم بمائة رحمة وقال ابن المبارك: الرحمن إذا سئل والرحيم إذا لم يسئل غضب، ورأيت في تفسير القرطبي الرحمن لمن آمن والرحيم لمن تاب، وقيل: الرحمن الرحيم إنعام بعد إنعام ورأيت في «تفسير الرازي» الرحمن يخلق ما لا يقدر عليه العبد والرحيم يخلق ما يقدر العبد على جنسه.

حكاية: أن رجلاً اعتقل لسانه عن الشهادة عند موته فجاء النبي ﷺ فقال: «**ما كان يصلي ويصوم**»؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «**هل عق والدته**»؟ قالوا: نعم، فدعا بها وأمرها بالعفو عنه، فأبت؛ لأنه قلع عينها فدعا بالحطب والنار فقالت: يا رسول الله ما هذا؟ قال: «**أحرقه بالنار**» فقالت: حملته تسعة أشهر وأرضعته سنتين قال: «**فإن رحمته الأم عفوت فعفت عنه**»، فانطلق لسانه وقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله. قال النيسابوري وغيره: فالرحمن خاص اللفظ فلا يسمى به غير الله عام المعنى؛ لأنه خلقه برزقه، والرحيم عام اللفظ؛ لأنه يطلق على غيره كهذه المرأة فإنها كانت رحيمة لا رحمانة وخاص المعنى بالآخرة فلا يرحم إلا المؤمنين، فإن قيل: الرحمن أعظم. قال ابن العربي: إنه اسم الله الأعظم. فلم ذكر العظيم بعده والعادة التدريج من الأدنى إلى الأعلى؟

فالجواب: أن العظيم لا يطلب منه الحقير كما حكى عن بعضهم أنه طلب شيئًا يسيرًا من بعض الأكابر فقال: اطلب الحقير من رجل حقير فكأنه يقول تعالى: لو اقتصرت على ذكر الرحمن لاستحييت منى أن تطلب الأمور اليسيرة ولكن علمتني رحيمًا فاطلب مني الأمور العظيمة كما قال النبي ﷺ: «**إذا سألتم الله فأسالوه الفردوس**» فأنا أيضًا رحيم فاطلب مني ولو مِلْحَ قِدْرِكَ قال مؤلفه - رحمه الله تعالى - إذا كان الملح حقيرًا في الطلب فقد روى ابن ماجه عن النبي ﷺ: «**سيد إدامكم الملح**» قال العلماء: سيد الشيء هو الذي يصلحه، حتى الذهب يزاد به صفرة، والفضة بياضًا، ويقلع البلغم من المعدة والصدر ويطرد الأرياح وينفع من وجع الفؤاد ويقلع الحفر من الأسنان إذا دلكها به مع قدره من السكر ويذهب الصقرة من الوجه

ويحسن اللون ولا سيما إذا استعمل صباحًا وإذ وضع على النار مع الخل ثم جعل في الفم يسكن وجع الضرس وهو صالح للأورام البلغمية العارضة لأصحاب الاستسقاء ومنافعه لا تحصى، وسيأتي على هذه زيادة في باب الكرم إن قدر الله.

حكاية: قيل: كانت للنمروذ - بالذال المعجمة - بنت صغيرة، فقالت: يا أبتي دعني أنظر إلى إبراهيم في النار، فنظرت إليه فوجدته سالمًا فقالت: كيف لا تحرقك النار؟ فقال: من كان على لسانه ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ وفي قلبه المعرفة لا تحرقه النار فقالت: أريد الدخول عندك، فقال: قولي: لا إله إلا الله إبراهيم رسول الله فقالت فصارت النار عليها بردًا وسلامًا فلما رجعت إلى أبيها أخبرته بذلك فأمرها بالرجوع عن دين إبراهيم فلم ترجع فعذبها عذابًا شديدًا فأمر الله جبريل فأخذها ووضعها عند إبراهيم ثم زوجها بولده فولدت له عشرين نبيًا

ورأيت في «**عرائس الثعلبي**» أن إبراهيم وجد في النار عين ماء وورد‌ًا أو نرجسًا، وكان ابن ست عشرة سنة، قال إبراهيم: ما كنت قط بأنعم أيامًا من الأيام التي كنت بها في النار، قال السعدي: أقام بها سبعة أيام، وقيل: أربعين.

فوائد: الأولى: جاء في الحديث عن النبي ﷺ: «**شموا النرجس فإن ما منكم من أحد إلا وله بين الصدر والفؤاد شعبة من برص أو جنون أو جذام لا يذهبها إلا شم النرجس**». قال علي - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ: «**شموا النرجس ولو في اليوم مرة، ولو في الشهر مرة ولو في السنة مرة ولو في الدهر مرة فإن في القلب حبة من الجنون أو الجذام أو البرص لا يذهبها إلا شم النرجس**» نقله الحافظ أبو عبد الله محمد الجزري بن المقرئ بسنده عن علي رضي الله عنه قال في «**نزهة النفوس والأفكار**»: شمه ينفع من وجع الرأس الكائن من البلغم ومن الصداع، قال جالينوس: الخبز غذاء البدن والنرجس غذاء الروح ومن له رغيفان فليجعل أحدهما في ثمن النرجس.

الثانية: سلطان الأزهار وأحسنها شكلاً ولونًا وريحًا الورد شمه ينفع من الخفقان وشرب مائه يحسن الصوت، وإذا جعل في الأنف قطع الرعاف وشم الورد يسكن حركة الصفراء ويقوي الأعضاء الباطنة وستأتي زيادة على هذا في باب الصلاة على النبي ﷺ.

الثالثة: قال النسفي: إذا احتضر العارف نزل عليه ملك الموت من قبل وجهه فيدفعه الذكر فيأتي من قبل يديه فتدفعه الصدقة فيأتي من قبل رجليه فيدفعه المشي لصلاة الجماعة فيقول له: اكتب اسمي على كفك وأرني إياه فيكتب ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ فإذا رأته روح المؤمن طارت شوقًا إلى ربها، وفي رواية تقول الروح لملك الموت: أنت أسكنتني في هذا الجسد، فيقول: لا فتقول: لا يخرجني إلا الذي أسكنني فيقول: أنا رسوله، فتقول: ائتني بعلامة فيقول الله تعالى: خذ تفاحة من الجنة، فيأخذ تفاحة عليها ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ

ﱡﭐﱠ﴾الرَّحِيمِ﴿ فإذا رأتها طارت شوقًا إلى الجنة، قال في «عجائب المخلوقات»: شم ظهر التفاح يقوى الدماغ وأكل التفاح يقوي القلب وعصارة ورق شجره تنفع من السموم.

حكاية: كان يهودي يحب يهودية حبًا حتى ترك الأكل والشرب، فشكا حاله إلى الشيخ عطاء الأكبر، فكتب ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ وأمره ببلعها فابتلعها فقال: يا شيخ المسلمين قد طلع على قلبي نور أنساني المرأة وأحبني الإسلام، أنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فسمعت المرأة بذلك فجاءت إلى الشيخ وقالت: يا إمام المسلمين أنا تلك المرأة، قد رأيت في المنام قائلاً يقول: إن أردت الجنة فاذهبي إلى الشيخ عطاء فقال لها: قولي: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ فناداها يا قارئة ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ قد أعطاك الله ما رأيت فانتبهت المرأة وقالت: يا رب أدخلتني الجنة ثم أخرجتني أسألك بحق ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ أن تعيدني فيها فسقطت ميتة، قال النسفي: تأخذ الزبانية يوم القيامة عبدًا فيقال لهم: ردوه فينظر إلى أعضائه فلا يوجد فيها خير فيقال: أخرج لسانك فإذا عليه بخط أبيض ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ فيقال له: اذهب فقد عفوت لك.

فائدة: قال ابن مسعود من أراد أن ينجيه الله من الزبانية التسعة عشر فليقل: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾؛ لأن حروفها تسعة عشر وقال غيره: كلماتها أربع والذنوب أربع ذنوب الليل والنهار والسر والعلانية، فمن قالها كفَّر الله عنه الذنوب الأربعة، وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ: «**ستر ما بين أعين الجن وعورات بني آدم إذا نزعوا ثيابهم أن يقولوا: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾**» قال فخر الدين الرازي: والإشارة في ذلك إذا صار هذا الاسم حجابًا لك من أعدائك في الدنيا فيصير حجابًا بينك وبين الزبانية.

حكاية: مر عيسى برجل يصطاد حية عظيمة فقالت: يا نبي الله قل له: إن لي سمًّا قاتلاً فنهاه عنها فلم يرجع، ثم بعد ذلك مر بها عيسى فقالت: يا روح الله ما غلبني بقوته ولكن بـ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ فأبطل سمي.

فائدة: قال النسفي: لما نزلت ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ على آدم قال: الآن أمنت على ذريتي من العذاب، فلما مات ارتفعت ثم نزلت على نوح فنجا بها من الغرق ثم ارتفعت بعد موته ثم نزلت على إبراهيم فصارت النار بردًا وسلامًا ثم نزلت على موسى فسلم من البحر ثم ارتفعت فنزلت على سليمان فاستقام ملكه ثم نزلت على عيسى فأوحى الله إليه قد أنزلت عليك آية الأمان، فلما رفعه الله ارتفعت ثم نزلت على محمد ﷺ إلى يوم القيامة فإذا كان يوم القيامة، يأخذ المؤمن كتابه بيمينه ويقول: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ فإذا هو أبيض لا شيء فيه، فيقال: إنه كان مملوءًا من السيئات ولكن محته ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾.

وقال القرطبي: البسملة من خصائص هذه الأمة.

وفي تفسير الرازي عن بردة عن النبي ﷺ: «**ألا أخبركم بآية لم تنزل على أحد بعد سليمان بن**

داود غيري؟» قلت: بلى يا رسول الله: «قال: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾».

قال الرازي: أجمع العلماء على أنه يستحب أن لا يشرع في عمل من الأعمال إلا ويقول: بسم الله حتى القابلة إذا أخذت الولد تقول: بسم الله فإنه خرج من ظلمات ثلاث: ظلمة الأحشاء وظلمة المشيمة وظلمة الرحم، حكاه البغوي. والبسملة قراءة أهل السموات السبع وأهل سرادقات المجد.

حكاية: لما أرسل سليمان الهدهد إلى بلقيس قالت له الطيور: كيف تذهب وحدك؟ فقال: من كان معه ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ لا يضام فوضع الله على رأسه تاجًا إلى يوم القيامة، فمر على أربعة آلاف صياد يرمون بالبنادق وكانوا لا يخطئون غيره، ولما كتب سليمان إلى بلقيس البسملة أعطاه الله ملكها زيادة على ملكه وكان تحت يدها اثنا عشر ألف قائد تحت يد كل قائد مائة ألف مقاتل وعلى عرش عظيم وهو السرير طوله ثمانون ذراعًا وعرضه كذلك وارتفاعه في الهواء كذلك قاله مقاتل. وصفته تأتي في مناقب عائشة - رضي الله عنها -.

ويحكى: عن بعض القضاة أنه وقعت له قضية ليس فيها ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ فقال: نسوا الله فنسيهم - أي تركهم - ولم يعط السائل شيئًا، فإن قيل: كيف قدم سليمان اسمه على اسم الله تعالى؟ فالجواب من وجوه:

الأول: كانت جبارة فقدم اسمه على الاسم الشريف خوفًا من شتمها وقذفها، فلما علم الله ذلك من نيته ظفره بها وهي راغمة.

الثاني: لما رأت الكتاب على الوسادة ولم يكن لأحد عليها سبيل ورأت الهدهد علمت أنه من سليمان فقال: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ﴾ [النمل: ٣٠]، فلما قرأته وجدت فيه البسملة فقوله: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ﴾ [النمل: ٣٠]من كلام بلقيس لا من كلام سليمان.

الثالث: لعل سليمان كتب عنوان ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ﴾ [النمل: ٣٠]وكتب داخله البسملة كما هو المعتاد، فلما أخذته قرأت عنوانه فلما فتحت قرأت البسملة.

ورأيت في كتاب «**الفاخر**» وهو إنما قدم اسمه؛ لأنها كانت كافرة والكافر لا يخوف بالله.

ورأيت في «**شمس المعارف**» مَن كَتب البسملة ستمائة مرة وحملها رزقه الله الهيبة في قلوب عباده؛ لأن الله أقام بها ملك سليمان ولما أرسل الله موسى إلى فرعون وتمادى في طغيانه فدعا عليه مدة، فقال الله تعالى: يا موسى أنت تنظر إلى كفره وأنا أنظر إلى ما هو مكتوب على باب قصره وذلك أن جبريل - عليه السلام - كتب عليه ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ فلذلك وصفه الله بالمقام الكريم، وفي «**تفسير الرازي**» أن فرعون كتب على باب قصره بسم الله قبل أن يدعي الألوهية.

لطيفة: لما أراد الله أن يغرق قوم نوح قال: اكتب على سفينتك ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا

﴿وَمُرْسَىٰهَآ﴾ [هود:٤١] ، ولا تكتب الرحمن الرحيم فإن الرحمة والعذاب لا يجتمعان.

قال الضحاك: كان نوح - عليه السلام - إذا قال: بسم الله مجريها جرت السفينة وإذا قال: مرساها رست وكان مع نوح خرزتان مضيئتان واحدة مكان الشمس والأخرى مكان القمر قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: إحداهما بيضاء كبياض النهار، والأخرى سوداء كسواد الليل، فكان يعرف بهما مواقيت الصلاة، فإذا أمسوا غلب سواد هذه بياض هذه وإذا أصبحوا غلب بياض هذه سواد هذه وآخر من دخل السفينة الحمار وتعلق به إبليس. قاله القرطبي في تفسيره.

قال الرازي: وهذا بعيد؛ لأن إبليس جسم ناري وهوائي فكيف يفر من الغرق؟ وأيضًا لم يرو فيه خبر صحيح.

فائدة: رأيت في «**الوجوه المسفرة عن اتساع المغفرة**» قال النبي ﷺ: «**أمان أمتي من الغرق إذا ركبوا السفن أن يقولوا:** ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر:٦٧] ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [هود:٤١]»، ورأيت في «**بستان الواعظين**» لابن الجوزي عن الحسن البصري قال: ما من عبد يدين إلا دخل ملك في قبره معه دواة وقرطاس وقلم فيقول: اكتب عملك فيكتب عمله وإن كان غير كاتب فإن كان من أهل السعادة فأول ما يجري به القلم ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ بإذن الله تعالى فيأمن من عذاب القبر.

حكاية: قال بعض الصالحين: دخل عليَّ أخي وهو سكران فضربته فرجع ووقع في ماء فغرق، فلما دفنته رأيته في تلك الليلة في الجنة فقلت له: لم تموت سكران وأنت في الجنة؟ قال: نعم لما خرجت من عندك رأيت ورقة فيها ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ فابتلعتها، فلما دخل عليّ منكر ونكير فقلت لهما: تسألاني واسمه في بطني؟ فنادى منادٍ: صدق عبدي قد غفرت له.

حكاية: كان بمكة رجل صائم الدهر ولم يره أحد يأكل ولا يشرب غير أنه يخرج من جيبه ورقة عند إفطاره فينظر إليها، فلما مات أخرجها الغاسل من جيبه فوجد فيها البسملة فتعجب من ذلك فهتف به هاتف: لا تعجب من ذلك فإنا بالتسمية ربيناه وبالرحمانية غفرنا له وبالرحيمية وفقناه.

وقال ابن عطاء: في اسمه الرحمن عونه ونصره وفي اسمه الرحيم محبته ومودته.

فائدة: يكتب لبكاء الأطفال ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ﴾ [المرسلات:٣٥] ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ [طه:١٠٨] ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ﴾ [يس:٦٥].

فوائد: الأولى: خلق الله القلم من درة بيضاء طولها خمسمائة عام ينبع منه النور كما ينبع المداد من قلم الدنيا ثم أمره أن يكتب ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ فكتبها في سبعمائة عام فقال الله عز وجل: «**وعزتي وجلالي من قالها من أمة محمد مرة واحدة كتب الله له ثواب سبعمائة عام**» قاله النسفي.

وذكر أيضًا أن النبي ﷺ رأى ليلة المعراج قبة من درة بيضاء لها باب من ذهب وقفل من ذهب، لو أن الجن والإنس جلسوا على تلك القبة لكانوا كطير على رأس جبل، فأراد أن يرجع فقيل له: لم لا تدخلها؟ قال: لأنها مقفولة فقيل: مفتاحها معك وهو ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ فقال: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ فانفتح فرأى فيها أربعة أنهار نهر من ماء غير آسن - أي غير متغير - يخرج من ميم بسم الله، ونهر من لبن لم يتغير طعمه يخرج من هاء الجلالة، ونهر من خمر لذة للشاربين يخرج من ميم الرحمن، ونهر من عسل مصفى يخرج من ميم الرحيم، فقال الله تعالى: «**يا محمد من ذكرني من أمتك بهذه الأسماء سقيته من هذه الأنهار**».

ومن فضائلها: أن زليخا لما أغلقت على يوسف سبعة أبواب وهرب منها قال على كل باب: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ فانفتح له، كذا أبواب الجنة تفتح لقائلها بشرائطها إن شاء الله تعالى.

الثانية: مذهب الشافعي أن البسملة آية من الفاتحة بلا خلاف ومن غيرها على الصحيح وهل البسملة قرآن على سبيل القطع أو على سبيل الحكم؟ وجهان: أصحهما الثاني، فلا يكفر من نفاها ولا من أثبتها، وأما ثبوتها في النمل فبالإجماع، فمن نفاها كفر وأجمع المسلمون على حذفها من سورة براءة؛ لأنها نزلت بالسيف والبسملة آية أمان، والأمان والخوف لا يجتمعان، وقيل: لأن براءة من جملة الأنفال. قال جعفر الصادق - رضي الله عنه -: البسملة تيجان السور، وقالت المالكية: ليست بآية من أول السورة.

الثالثة: تستحب التسمية عند إرسال الصيد، فإن تركها ولو عمدًا حل الصيد عند الشافعي وعند أبي حنيفة، ولو تركها ناسيًا حل وإلا فلا، ووافقه مالك في حالة العمد واختلف في الرواية عنه في النسيان.

وقال الإمام أحمد: لا يحل بترك التسمية مطلقًا فيكون كالميتة المجمع على تحريمها في حق غير المضطر، وسيأتي بيانه في فضل الصلاة فإنه يأكل منها سدًّا للرمق إن كفاه أو كالخنزير الذي لا يحل أكله ولو لمضطر مع وجود ميتة أخرى غير الآدمي فإن المضطر يأكل من الخنزير ولا يأكل من ميتة الآدمي.

قال الرازي في سورة المائدة: إنما حرم الله لحم الخنزير؛ لأنه مطبوع على حرص عظيم ورغبة شديدة في الشهوات والغذاء يتولد منه جزء من جنسه في جوف الآكل فلذلك حرمه الله

تعالى وأحل الشاة؛ لأنه حيوان في غاية السلامة من الأخلاق الذميمة.

قال في **«نزهة النفوس والأفكار»**: الشاة اسم للواحد من الضأن والمعز والضأن أفضل والصوف أفضل من الشعر.

وقال الحسن البصري: من لبس الصوف تواضعًا زاده الله نورًا في بصره ونورًا في قلبه، وقال غيره: إذا غطى إناء العسل بصوف الضأن لم يقربه النمل ومنافع لحمه تأتي في مناقب علي - رضي الله عنه - والمعز حيوان غيره خصوصًا التيس وبول المعز ينفع شربه من الاستسقاء، وإذا قطر في الأذن زال وجعها، وبعرها إذا دق وخلط بدقيق الشعير وعجن بالخل وضمد به الركبة المتألمة من الورم زال بإذن الله تعالى.

الرابعة: قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام في **«القواعد»**: يجب قتل الخنزير، وسبقه إلى ذلك البيهقي؛ لأن عيسى قتله كما في الصحيحين، وقال البلقيني في **«الفوائد على القواعد»** الأصح الاستحباب، وقال غيره: إن حصل معه ضرر استحب وإلا فلا ولحمه حرام عند النصارى واليهود قال في الروضة: ولا يحنث من حلف لا يأكل لحمًا بأكل لحمه.

الخامسة: أجمع المسلمون على استحباب التسمية على الطعام، فإن تركها ولو عمدًا استحب أن يقول: بسم الله أوله وآخره وفي آخره وفي الحديث من نسي أن يسمي على طعامه فليقرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[الإخلاص:١] عند فراغه من الطعام مرة واحدة بني له مدينة في الجنة من ياقوته حمراء، وكتب له بكل لقمة عشر حسنات وينبغي أن يسمي كل واحد من الآكلين، فلو سمى واحد أجزأ عن الباقين كرد السلام.

السادس: قال أبو بكر الصديق - رضي الله عنه -: والله العظيم لقد حدثني محمد ﷺ وقال: «**والله العظيم لقد حدثني جبريل وقال: والله العظيم لقد حدثني ميكائيل وقال: والله العظيم لقد حدثني إسرافيل وقال: قال الله تعالى: وعزتي وجلالي وجودي وكرمي من قرأ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ متصلة بالفاتحة مرة واحدة أشهدكم عليّ قد غفرت له، وقبلت منه الحسنات وتجاوزت عن السيئات**»، وفي الحديث قال جبريل: يا محمد خشيت على أمتك من النار لما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[الحجر:٤٣]، فلما نزلت الفاتحة أمنت وقال بعضهم: سميت فاتحة الكتاب؛ لأن الله تعالى فتح بها على المؤمنين باب النجاة والخطاب فهي أول فاتحة من المواهب لكل نوع من المواهب، قال الجنيد: إنما سميت فاتحة الكتاب؛ لأنها أول ما فتح بها الحق سبحانه وتعالى على من اصطفاه لنفسه وارتضاه.

لطيفة: من قرأ الفاتحة في منامه أجاب الله دعاءه وصرف عنه شرًا، أو البقرة نال خيرًا من ولده وعمرًا طويلاً أو آل عمران نال ولدًا ذكرًا ويكون الولد كثير السفر، أو النساء يرث مالاً كثيرًا ثم يورث عنه وتكون زوجته مخاصمة له، أو المائدة حصل للناس منه فائدة ويبتلى بقوم قاسية قلوبهم، أو الأنعام كثرت نعم الله عليه، أو الأعراف مات غريبًا، وقيل: ينال من كل

علم، أو الأنفال انتصر على عدوه، أو التوبة أحب الصالحين، أو يونس نجا من الهموم والسقم وشفي من مرضه ودفع عنه كيد السحرة، أو هود طال عمره وكثر رزقه، أو يوسف نال عداوة من أهله وعزة ورفعة بين الناس، أو الرعد قرب أجله، أو إبراهيم فهو من الصالحين، أو الحجر إن كان تاجرًا فاق على أمثاله، أو عالمًا مات غريبًا أو ملكًا قرب أجله أو قاضيًا حسنت سريرته، أو النحل نال علمًا ورزقًا وأحب النبي ﷺ، أو الإسراء نال من السلطان عقوبة وقيل: يرتفع عند الله، أو الكهف طال عمره وحسن عمله، أو مريم هداه الله بعد الضلالة وحشر مع الأنبياء، أو طه أحب قيام الليل والفعل الحسن، أو الأنبياء رزق حظًّا وافرًا من الناس وكان موفقًا للخير، أو الحج حج وإن كان مريضًا مات، أو المؤمنون نال عفة ونجا من البلاء، أو النور نور الله قلبه ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، أو الفرقان أحب الحق وكره ضده، أو الشعراء عسر عليه رزقه، أو النمل ساد ملكًا وفهمًا، أو القصص كثر رزقه وعظم أجره، أو العنكبوت حفظه الله وأفرده عن أهله، أو الروم نال علمًا ومالاً وقيل: يفتح الله على يديه مدينة لأهل الشرك، أو لقمان نال قوة في اليقين وحكمة، أو السجدة مات في سجوده ونال خيرًا من ربه وقيل: يحب قيام الليل، أو الأحزاب مكر بإخوانه، أو سبأ يكون شجاعًا وقيل: يكون زاهدًا يسكن الجبال، أو فاطر نال رضاء ربه، أو يس حشر مع النبي ﷺ ويكون عمله صالحًا، أو الصافات نال ولدًا بارًا ورزقًا حلالاً، أو ص أحب النساء، أو تنزيل طال عمره وكان مع المرسلين، أو غافر كان مؤمنًا يفعل الخيرات، أو فصلت كأنه يدعو قومًا للهدى، أو الشورى طال عمره، أو الزخرف صغر حظه من الدنيا وكثر في الآخرة، أو الدخان أمن من عذاب النار، أو الجاثية نال زهدًا، أو الأحقاف قال جعفر الصادق: جاءه ملك الموت في صورة حسنة ويرفق به وقيل: يكون عاقًّا بوالديه ثم يتوب، أو القتال فكالأحقاف ويحشر مع النبي ﷺ، أو الفتح نال الفرج والجهاد وخير الدنيا والآخرة، أو الحجرات أصلح بين الناس، أو ق نال حلمًا، أو صلاحًا، أو الذاريات أطاعه أصحابه، أو الطور نال ولدًا قصير الحياة وقيل: يجاور بمكة، أو النجم نال ولدًا صالحًا، أو اقتربت سلم من السحر، أو الرحمن جاور مكة، أو القدس، أو الواقعة وهي القيامة نال سعة في رزقه وصحة في بدنه، أو المجادلة غلب خصمه إن كان عالمًا، أو الحشر فإنه يحشره الله مع الأبرار، أو الممتحنة فإنه يكون له في آخر عمره توبة حسنة، وقيل: ينجو من كل شر، أو الصف فإنه ينال شيئًا ومراقبة ووفاء بنذر، أو الجمعة نال حظًّا كثيرًا في الدنيا والآخرة، أو المنافقون طهره الله من النفاق، أو التغابن فإنه يبتلى بزوجة سيئة الخلق، أو الطلاق فإنه يبتلى بسيئة الخلق وقيل: يطلق نساءه، أو التحريم اجتنب المحرمات، أو تبارك عاش في خدمة سلطان وينال منه فائدة أو انتصر على عدوه، أو الحاقة وهي القيامة إن كان رجلًا قائمًا صلب، أو جالسًا مات تحت الضرب، أو امرأة طلقها زوجها، أو المعارج فإنه يقرب إليه البعيد ويكون كثير الصوم، أو نوح سكن مع قوم جاهلين، أو الجن ينتصر بقوم قاسية قلوبهم، أو المزمل نال الفرج بعد الشدة، أو المدثر عسر عليه

رزقه، أو القيامة نال خصالاً حسنة، أو الإنسان فكالقيامة، أو المرسلات أمن من كل خوف، أو عم طال عمره، أو النازعات نزع الله المنكر من قلبه، وقيل: إنه يؤخر الصلاة عن أوقاتها، أو عبس نال توفيقًا، أو التكوير فإنه يرزق السفر في ناحية المشرق ويرزق فيه وقيل: ينال الخشوع والتوبة، أو الانفطار وقع في شدة ثم يسلم، أو المطففين فهو كما قرأ يعني يخون في الميزان والمكيال، أو الانشقاق إن كان ملكًا دعا عليه جمع من قومه، أو البروج تعلم علم الفلك، أو الطارق نال أولادًا ذكورًا لا تطول حياتهم، أو الأعلى فهو يحب التسبيح، أو الغاشية وهي القيامة نال علمًا وزهدًا، أو الفجر نال هيبة، وقيل: يموت قبل فراغ عامه، أو البلد أطعم المساكين وقيل: تصدق يمينه، أو الشمس جاور ملكًا عادلاً، أو الليل عسر عليه رزقه، أو الضحى نال شفقة ورحمة، أو ألم نشرح أمن من الأمراض، أو التين نال ندامة ثم كرامة بعدها، أو العلق نال ولدًا صالحًا، أو القدر طال عمره، أو لم يكن فهو بين خوف ورجاء، أو الزلزلة يخشى عليه من سلطان، أو العاديات إن كان مسافرًا خيف عليه قطع الطريق، أو مقيمًا رغب في الدنيا، أو القارعة وهي القيامة فهو بين الخوف والرجاء، أو التكاثر قل رزقه وكثر دينه والعياذ بالله، أو العصر وهو الدهر فهو بين خوف ورجاء، أو الهمزة فهو صاحب تسمية، أو الفيل انتصر على أعدائه وقيل: تقع الفتنة في أي مكان قرأها فيه، أو قريش تيسر رزقه، أو أرأيت الذي، يمنع الزكاة ويكذب بيوم الدين، وقيل: ينصر على من خالفه، أو الكوثر أحب الخير وفعله، أو الكافرون جالس أهل البدع، أو النصر فهو منصور إن كان سلطانًا، وإلا قرب أجله، أو تبّت إن كان غنيًّا ذهب ماله، أو فقيرًا فهو يمشي بالنميمة، أو الإخلاص قوي إيمانه وكثر ماله وقل عياله واستجاب الله دعاءه، أو الفلق وهو الصبح قال الأكثرون: انتصر على عدوه وحسن حاله، أو الناس دفع الله عنه شر الجن والإنس والهوام، وقيل: قراءتها تدل على الاجتماع بالأهل، وإن ختم القرآن في منامه قضيت حاجته وقراءة آية كقراءة سورتها، ومن قرأ في المصحف قوي دينه أو التوراة نال هدى ونورًا.

فوائد: الأولى: تستحب الاستعاذة قبل القراءة. قال الرازي: وعليه الأكثرون. قال في شرح المهذب: وهو اللائق إلى الفهم قال نجم الدين النسفي: وعليه عامة المسلمين، قال: ورد عن النبي ﷺ أنه كان يقول: «**أعوذ بعفو الله العظيم من عذابه الأليم ومن همزات الشياطين إن الله لسميع عليم**». وعن أبي بكر الصديق - رضي الله عنه -: أعوذ بالله الواحد الماجد من كل عدو وحاسد ومن كل شيطان مارد إن الله هو السميع العليم، وعن عمر -رضي الله عنه-: أعوذ بالله المعين من الشيطان اللعين إلى يوم الدين، وعن عثمان - رضي الله عنه -: أعوذ بالله المعين من الشيطان ومن الكفر والطغيان وهو المنعم المستعان، وعن علي - رضي الله عنه -: أعوذ بالله العظيم ووجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم، وحكى الرافعي وجهًا أن يقول: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم في «**شرح المهذب**» وهو غريب

قال القرطبي: قال ابن مسعود - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ: «أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم هكذا أقرأني جبريل على اللوح المحفوظ قال في شرح المهذب: وعليه الجمهور ودونه في الفضيلة أعوذ بالله من الشيطان القوي. ويحصل النفوذ بكل ما اشتمل على الاستعاذة بالله من الشيطان حتى لو قال: أعوذ بكلمات الله من الشيطان الرجيم كفى ويستحب الإتيان بها كل ركعة حتى في القيام الثاني من صلاة الكسوف وفي الركعة الأولى والثانية على الراجح، ويسر بها في الصلاة ويجهر في غيرها قال ابن عباس - رضي الله عنهما - إجلال القرآن أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ومفتاح القرآن ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾.

الثانية: جميع ما في القرآن من التمجيد والتحميد والثناء تحت قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الفاتحة: ٢] وجميع ما فيه من أسماء الله الحسنى وصفاته العلي تحت قوله: ﴿رَبِّ﴾ [الفاتحة: ٢] وجميع ما فيه من العبادة والطاعة تحت ﴿الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢] وجميع ما فيه من العفو والغفران تحت قوله: ﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ وجميع ما فيه من الوعيد وذكر القيامة تحت قوله: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤]، وجميع ما فيه من العبادة والطاعة تحت قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة: ٥] وجميع ما فيه من السؤال والتضرع تحت قوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] وجميع ما فيه من سؤال الهداية وخوف الخاتمة تحت قوله: ﴿اهْدِنَا﴾ [الفاتحة: ٦] وجميع ما فيه من الإنعام والإكرام وذكر المقربين تحت قوله: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٦-٧] وجميع ما فيه من ذكر المشركين تحت قوله: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧].

الثالثة: رأيت في شرح القلوب لابن الجوزي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ قال: «قال جبريل: إن الله تعالى يقرئك السلام ويقول: إذا وقف العبد بين يدي للصلاة فيقول: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الفاتحة: ٢] فيقول: ومن الله؟ فيقول: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢] فيقول: ومن رب العالمين؟ فيقول: ﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ فيقول: ومن الرحمن الرحيم؟ فيقول: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤] فيقول: يا عبدي أنا مالك يوم الدين، فيقول العبد: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] فيقول: يا عبدي أنا إياي تعبد وإياي تستعين، سل تعط فيقول: ﴿اهْدِنَا﴾ [الفاتحة: ٦] فيقول: أي الهدى تريد؟ فيقول: ﴿الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦] فيقول: أي الصراط تريد؟ فيقول: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧] فيقول: يا ملائكتي اشهدوا أني قد جعلت عبدي من الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، فيقول العبد: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧] فيقول الله تعالى: اشهدوا أني جعلته من الذين أنعمت عليهم ولم أجعله من المغضوب عليهم ولا الضالين، فيقول العبد: آمين فتقول الملائكة: آمين».

الرابعة: نقل الثعلبي في تفسيره عن وهب بن منبه أن آمين أربعة أحرف يخلق الله من كل

حرف ملكًا يقول: اللهم اغفر لمن يقول: آمين، قال في الروضة: لو قال: آمين رب العالمين فحسن قال البيهقي: كان النبي ﷺ إذا قال: ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة :٧] قال: «**رب اغفر لي آمين**» ومعنى آمين: اللهم استجب، وقيل: لا تخيب رجاءنا وقيل: آمين كنز من كنوز الجنة تنزل به الرحمة، وقيل: لا يعلم تأويلها إلا الله وقيل: درجة في الجنة تجب لقارئها قاله ابن الملقن في «**الإشارات**» وقيل: هو طابع لدفع الآفات ذكره ابن حجر في شرح البخاري وقيل: اسم من أسماء الله وقال في شرح المهذب قيل: هو طابع الله على عباده يدفع به عنهم الآفات وقيل: هو كنز من كنوز العرش، وقال الحاكم: لا يجتمع ملأ فيدعو بعضهم ويؤمّن بعضهم إلا أجابهم الله تعالى، وقال نجم الدين النسفي عن النبي ﷺ: آمين خاتم رب العالمين على عباده المؤمنين وقال مجاهد: آمين آية من الفاتحة فاتحة جبريل أمر النبي ﷺ بها وفي شرح المهذب عن الأصحاب يسن التأمين لكن لمن فرغ من الفاتحة لكنه في الصلاة أشد استحبابًا ويجهر به الإمام والمأموم والمنفرد في الصلاة الجهرية، فإذا نسيه ثم تذكره أتى به إن لم ينتقل إلى سورة أو ركوع فلو قرأ الإمام الفاتحة قرأ المأموم معه فإن سبقه أمن لقراءة نفسه ثم يؤمن أيضًا لقراءة الإمام فإن فرغا معًا كفاه تأمين واحد، والله أعلم.

الخامسة: خلق الله ملكًا تحت العرش رأسه كرأس الآدمي له سبعون ألف جناح عن كل جناح أمة من الملائكة مكتوب على خده الأيمن سورة الإخلاص وعلى الأيسر ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران :١٨] الآية، وعلى جبهته الفاتحة وبين يديه سبعون ألف صف من الملائكة يقرءون الفاتحة فإذا قالوا: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة :٥] سجدوا فيقول الله تعالى: ارفعوا رءوسكم فقد رضيت عنكم، فيقولون: ربنا فارضَ عمن قرأ الفاتحة من أمة محمد ﷺ فيقول: أشهدكم أني قد رضيت عنهم، قال نجم الدين النسفي في التفسير: لما نزلت الفاتحة نزل معها سبعمائة ألف ملك وعن ابن عباس - رضي الله عنهما -: الفاتحة مكية وهو الصواب، وقال مجاهد: مدنية.

السادسة: عن كعب الأحبار - ومعناه سيد العلماء والكعب هو السيد عندهم والأحبار: العلماء - لو كانت الفاتحة في التوراة والإنجيل لما تهودوا أو تنصروا ولو كانت في الزبور لما مسخهم الله قردة وخنازير، ونزلت هذه الآية على هذه الأمة أرجو أن الله لا يضلهم، وفي الحديث: «**يا محمد أكرمت أمتك بسورة ليست في الكتب من قرأها حرمت جسده على النار**»، وقال النبي ﷺ: «**يبعث الله العذاب على القوم فيقرأ صبي من صبيانهم في الكتاب فاتحة الكتاب فيسمعه الله فيرفع الله عنهم أربعين سنة**».

السابعة: من أسمائها الماحية؛ لأن فيها خمسة عشر ميمًا بالبسملة فإذا قرأها العبد خرجت الميمات كالطيور فتتعلق بالعرش فيثقل على الحملة فيقولون: عشرين فيقولون: ربنا زدنا فيزيدهم مائة وعشرين سيئة لكل ميم فتكون الجملة ألفًا وثمانمائة سيئة تمحى لقارئها في

الصلوات الخمس في كل يوم وليلة ثلاثون ألفًا وستمائة سيئة .

الثامنة : قال النيسابوري وغيره : أسقط الله تعالى منها سبع حروف الثاء من الثبور ، وهو الهلاك ، والجيم من جهنم والخاء من الخزي والزاي من الزفير والشين من الشهيق والظاء من لظى والفاء من الفراق يوم تقوم الساعة يومئذٍ يتفرقون كقوله : ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا﴾ [الزلزلة :٦] فلما أسقطها غلب على الظن أن من قرأها خلصه الله تعالى من أبواب جهنم السبعة ؛ لأن آياتها سبع .

التاسعة : قال نجم الدين النسفي : دخل لأبي جهل - واسمه عمرو بن هشام وهو خال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - سبع قوافل والنبي ﷺ بين أصحابه ينظر إليها ولهم فقال تعالى : ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى﴾ [الحجر :٨٧] مكان السبع قوافل وتسميتها بالسبع المثاني ؛ لأنها تثنى في كل صلاة وقيل : نزلت مرتين وقيل : فيها كلمات مكررة مثل : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ٥-٧] الرحمن الرحيم فيها وفي البسملة وهي آية منها كما تقدم .

العاشرة : قال أنس - رضي الله عنه - : سئل النبي ﷺ عن الفاتحة فقال : «**سألت جبريل وجبريل سأل ميكائيل وميكائيل سأل إسرافيل فقال : سألت القلم عنها فقال : لما أمرني ربي بكتابة :** ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة :٢] هاج نور ملأ العرش والكرسي والحجب والسموات فجعله نصفين فخلق من الأول درجات الجنة وجعلها بين الحامدين ، والثاني سكان السموات وأمرهم بكتابة ثوابها ثم أمرني بكتابة : ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ فهاج نور كالأول فخلق الله منه بحر الرحمة ثم أمرني بكتابة ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة :٤] فهاج نور كالأول فخلق منه بحر العدل فبه يعدل أهل العدل ثم أمرني بكتابة : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة :٥] فهاج نور كالأول فجعله نصفين الأول رفعه إلى ميكائيل وقال : هذا بركة رزق عبادي والباقي بحر التوفيق فبه يوفق الخلق لطاعته ثم أمرني بكتابة : ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ فهاج نور كالأول فخلق منه بحر الهداية فإذا أراد الله هداية عبد أرسل منه قطرة إلى قلبه ثم أمرني بكتابة ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة :٧] فهاج نور كالأول فجعله في جناح جبريل وقال : هذا يقين أمة محمد ﷺ فلذلك لا يريدون غير الإسلام دينًا ثم أمرني بكتابة : ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة :٧] فهاج نور وفزع منه الخلق فخلق منه الصور فذلك قوله : ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الزمر : ٦٨] وفي حديث أبي يعلى الموصلي ، لما فرغ الله من خلق السموات والأرض خلق الصور فأعطاه لإسرافيل ، وتقدم أن القلم أول ما خلقه الله تعالى ثم أمرني بكتابة ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة :٧] فهاجت ظلمة فخلق الله منها ملكًا لو أمره الله أن يلتقم السموات والأرض لهان عليه ، وأمره يحمل النار إلى الثرى ثم خلق الله تعالى صخرة مثل السموات والأرض فوضعها على رأس النار فذلك قوله تعالى : ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ

عَن سَاقٍ﴾ [القلم :٤٢] أي يكشف الغطاء عن جهد .

الحادية عشرة: قال الحسن – رضي الله عنه –: أول الفاتحة نعيم ووسطها تكريم وآخرها رضوان من الله تعالى وقال غيره: فيها شفاء من كل داء ظاهر وباطن ففي قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة :٥] شفاء من الرياء وفي قوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة :٥] شفاء من الكبر وفي قوله: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ شفاء من الضلالة وفي الحديث «**الفاتحة شفاء من كل سقم**» وفي الحديث أيضًا «**قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فإذا قال العبد**: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ **قال الله تعالى: مجدني عبدي، وإذا قال**: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة :٢] قال: حمدني عبدي، وإذا قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ قال: أثنى عليّ عبدي، وإذا قال: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة :٤] قال: فوض إلي عبدي، وإذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة :٥] قال: هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل، وإذا قال: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ الآيات قال: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل» .

قال القرطبي: وسماها صلاة؛ لأنها لا تصح إلا بها وفي رواية «**قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين**» ولم يذكر البسملة فاستدل به من قال: إن البسملة ليست من الفاتحة وأيضًا؛ لأن نصفًا يصير أطول من نصف بالبسملة، قال ابن العماد: يجوز أن يكون نصف أطول من نصف ولهذا لو قال: أنت طالق نصف اليوم طلقت عند الزوال مع أن اليوم من الفجر فيكون النصف الأول أطول من النصف الثاني ورأيت في الروضة أيضًا في باب الطلاق ولو قال: أنت طالق عند انتصاف الشهر وقع عند غروب شمس الخامس عشر .

الثانية عشرة: لا تجب الفاتحة على المأموم عند مالك وأحمد، وقيل: تجب في السرية دون الجهرية، وقال الشافعي بوجوبها في كل ركعة على الإمام والمأموم والمنفرد إلا المسبوق وهو من أدرك مع الإمام زمنًا لا يسعها فإنها وإن وجبت عليه على الأصح خلافًا لما يفهمه كلام المنهاج فقد تحملها الإمام عنه وإن أحرم بعد أن ركع فليس له الاشتغال بالفاتحة لما يفهمه كلام المنهاج فقد تحملها الإمام عنه وإن أحرم بعد أن ركع فليس له الاشتغال بالفاتحة، وإن علم أنه يدركها ويدرك الإمام راكعًا بل يركع معه؛ لأن متابعته واجبة والفاتحة في هذه الحالة ليست واجبة ولا مستحبة، قال ابن العماد: قال أبو حنيفة: لا تتعين الفاتحة لقوله تعالى: ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ [المزمل :٢٠]حتى لو قرأ ﴿مُدْهَآمَّتَانِ﴾ [الرحمٰن :٦٤]مثلًا كفى، وقال صاحباه: لابد له من ثلاث آيات أو آية طويلة .

الثالثة عشرة: قال النيسابوري وغيره: تَعَوَّذْ بالله من الشيطان الرجيم ليدفع عنك العجب، قال نجم الدين النسفي: أسمى ما يكون الشيطان في إفساد حال العبد عند قراءة القرآن، قال النيسابوري: قل: البسملة يفتح لك باب الذكر وقل: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الفاتحة :٢]يفتح لك باب الشكر وبقولك: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ يفتح لك باب الرجاء وبقولك: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾

[الفاتحة :٤] يفتح لك باب الخوف وبقولك: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة :٥] يفتح لك باب الإخلاص وبقولك: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ يفتح لك باب الدعاء وبقولك: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة :٧] الآية يفتح لك باب الاقتداء بالأرواح الطاهرة.

الرابعة عشرة: قال الرازي: في قوله تعالى: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة :٢]، دلالة على أنه منزه عن الجهة والمكان فهو رب الزمان والمكان؛ لأن العالم هو ما سوى الله تعالى ومن جملة ذلك الجهة والمكان وهو رب الزمان والمكان وخالقهما والخالق لابد أن يكون سابقًا على مخلوقاته وفيه أيضًا دلالة على أنه منزه عن الحلول؛ لأنه لما كان ربًّا للعالمين كان خالقًا لكل ما سواه، فكأن ذاته المقدسة موجودة قبل كل محل فكما أنه كان غنيًّا عن المحل قبل وجوده فهو غني عنه بعد وجوده أيضًا قال:

فإن قيل: النون في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة :٥] هل هي نون الجميع أو التعظيم؟ إن كان الأول فباطل؛ لأن الواحد لا يكون جمعًا وإن كان الثاني فباطل؛ لأن اللائق بالعبد الخضوع سيما في العبادة.

الجواب: المراد هنا الجميع وفيه تنبيه على فضل صلاة الجماعة فإن صلى وحده كان المراد أني أعبدك مع الملائكة وغيرهم.

جواب آخر: إذا قال العبد: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة :٥] فقد ذكر عبادته وعبادة غيره فكأنه سعى في إصلاح مهمات المؤمنين، فإذا فعل ذلك قضى الله حوائجه لقوله ﷺ: «**من قضى لمسلم حاجة قضى الله حوائجه**».

جواب آخر: كأن العبد استحقر عبادته فمزجها بعبادة الصالحين فقال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة :٥] وهنا مسألة شرعية وهي إذا باع عشرة عبيد مثلاً لرجل فلا يصح أن يقبل البعض بل يقبل أو يرد الجميع فاللائق بكرم الله تعالى أن لا يرد عبادة العابدين التي من جملتها عبادة هذا الرجل، وإن كانت ناقصة كما لو اشترى عبدين فظهر بأحدهما عيب فليس له أن يرد المعيب وحده إلا برضا البائع.

جواب آخر: كأن الله تعالى يقول: عبدي لما أثنيت عليّ بقولك: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ۝﴾ [الفاتحة :٢-٤] عظم قدري عندك فلا تقصر على مهماتك وحدك ولكن أدخل جميع المؤمنين وقل: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة :٥] فإن قيل: كيف قدم اسمه الكريم هنا بقوله: ﴿إِيَّاكَ﴾ [الفاتحة :٥] وأخره في أول السورة بقوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة :٢]؟.

فالجواب: أن الحمد يجوز أن يكون لغيره ولا تجوز العبادة إلا له سبحانه وتعالى.

الخامسة عشرة: ذكر الله ﴿الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة :٢] في القرآن على خمسة أوجه:

الأول: للإنس والجن قال تعالى: ﴿لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان:١] ، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [يوسف:١٠٤] ، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧] .

الثاني: عالمي زمانهم لقوله تعالى: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة:٤٧] أي زمانهم ﴿وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الدخان:٣٢] ﴿يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران:٤٢] كما سيأتي إن شاء الله تعالى في فضل عيسى في باب فضل هذه الأمة.

الثالث: من آدم إلى يوم القيامة ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:٧١] .

الرابع: من كان بعد نوح ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الصافات:٧٩] يعني الثناء الحسن على نوح ليكون في العالمين بعده.

الخامس: قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾ [آل عمران:٩٧] إلى قوله: ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران:٩٧] ، قال أبو العالية: الإنس عالم، والجن عالم، والأرض أربع زوايا كل زاوية ألف وخمسمائة عالم ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ بالنعم ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ بالعصمة ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة:٤] وهو الحساب والجزاء وخص القيامة بأنه مالكها وهو سبحانه مالك على الإطلاق؛ لأن الخلائق تضطر يوم القيامة لله ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة:٥] إخلاصًا ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥] استخلاصًا ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة:٥] بالتوفيق ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥] على بساط التصديق ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة:٥] بطريق المجاهدة ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥] على بساط المشاهدة ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ أرنا طريق هدايتك، وقال النبي ﷺ: «**الصراط المستقيم كتاب الله**» والصراط في اللغة: هو الطريق الواضح والقرآن واضح بمنزلة الطريق الواضح و﴿ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة:٧] اليهود ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة:٧] النصارى.

السادسة عشرة: هذه السورة أولها تحميد وآخرها توحيد وقد خصها الله بأمة محمد ﷺ فربهم محمود بقوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الفاتحة:٢] ونبيهم أيضًا محمود بقوله: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ [الفتح:٢٩] فربهم رب العالمين ونبيهم رحمة للعالمين فربهم ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ونبيهم ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨] فربهم ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة:٤] ونبيهم شفيعهم يوم الدين: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩] فربهم معبودهم بقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة:٥] ، ونبيهم قائدهم إذا وردوا المحشر، فربهم هادي المؤمنين بقوله: ﴿ٱهْدِنَا﴾ ونبيهم كذلك ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى:٥٢] .

حكاية: قال محمد بن العراقي: طلع في جفني قطعة لحم فقيل: في بغداد رجل يهودي يقطعها، فقلت: لا أسلم نفسي له فرأيت في النوم قائلًا يقول: اقرأ عليها فاتحة الكتاب عقب الوضوء ففعلت فبينما أنا أتوضأ ذات يوم إذا بها قد سقطت ببركة الفاتحة، وقيل: إن سائلًا سأل

بجامع بغداد درهمًا فقال له رجل: اقرأ فاتحة الكتاب وبعني ثوابها بجميع ما أملكه فقال: أنا سائلك درهمًا من الافتقار لا بيع كلام الجبار ثم خرج فوجد فارسًا عليه ثياب خضر فأعطاه عشرة آلاف درهم، قال: من أنت؟ قال: يقينك.

حكاية: كان في الزمن الأول رجل يعبد الله فتعجب جبريل فاستأذن ربه في زيارته فأذن له بشرط أن ينظر في اللوح المحفوظ فنظر فيه فوجد اسمه مكتوبًا شقيًا، فنزل إليه وأخبره بذلك فقال الرجل: الحمد لله فظن جبريل أنه لم يسمع كلامه فأعاد عليه القول فقال: الحمد لله لو لم أكن أهلًا لذلك ما فعل بي ربي فالحمد لله على الشدة والرخاء فتعجب جبريل منه فقال الله تعالى: يا جبريل انظر في اللوح المحفوظ فنظر اسمه فوجده قد تحول من الأشقياء إلى السعداء.

فوائد: الأولى: عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - حبس بختنصر، دانيال عليه السلام في بئر خمسة أيام ومعه أسدان ثم كشف عنه فرآه سالمًا فقال: بم نجوت؟ فقال: قلت الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره، الحمد لله الذي لا يخيب مَنْ دعاه، الحمد لله الذي من توكل عليه كفاه الحمد لله الذي لا يكل من توكل عليه إلى غيره، الحمد لله الذي يجزي بالإحسان إحسانًا وبالسيئات كرمًا وحلمًا وغفرانًا، الحمد لله الذي هو رجاؤنا يوم سوقنا بأعمالنا، الحمد لله الذي يجزي بالصبر نجاة وعن النبي ﷺ **«إذا أنعم الله على عبد نعمة فقال: الحمد لله فيقول الله تعالى: انظروا إلى عبدي أعطيته ما لا قيمة له فأعطاني ما له قيمة»**

وفي رواية: أوحى الله تعالى إلى إبراهيم عليه السلام إذا صليت فابدأ صلاتك بالحمد فإني كتبت على نفسي أن من حمدني أعينه أربعًا اليسر بعد العسر والغنى بعد الفقر والراحة في الدنيا والآخرة والأمن من النار.

عن نبينا محمد ﷺ: **«إذا قال العبد: الحمد لله ملأت ما بين السماء والأرض فإذا قالها ثانيًا ملأت ما بين السماء السابعة فإذا قالها ثالثة قال الله تعالى: سل تعط»**.

قال وهب بن منبه: قرأت في بعض كتب الله أن إبليس ما قال في عبادته: الحمد لله ولو قالها ما مكر الله به وعن ابن عباس - رضي الله عنهما -: نزلت في بيت رجل له ثلاث دعوات، فقالت له امرأته: ادع الله أن أكون أجمل الناس أجمل بني إسرائيل فدعا لها بواحدة فلما صارت جميلة زهدت فيه فدعا بالثانية أن يجعلها كلبة فجعلها كلبة، فقال أولادها: ادع الله أن يردها فقد عيرنا الناس، قال: فدعا لها فنفدت الدعوات الثلاث فيها.

لطيفة: التحميد في المنام يدل على زيادة الرزق قال الله تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم:٧]، وعلى ولدين ذكرين لقوله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ﴾ [إبراهيم:٣٩]، وولده إسماعيل من هاجر قبل أن تلد سارة إسحاق بأربع عشرة سنة.

مسألة: اختلف العلماء في الحمد لله ولا إله إلا الله أيهما أفضل؟ فقالت طائفة: الحمد لله أفضل؛ لأن فيها توحيد فقط ولقائلها عشرون حسنة.

وقالت طائفة: لا إله إلا الله أفضل؛ لأنها تدفع الكفر لقول النبي ﷺ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله**» لا يشترط لفظة أشهد إلا في التشهد ولله بالوحدانية دون الشهادة بالرسالة لمحمد ﷺ على ما صححه النووي والرافعي قال: وفي شرح المهذب لو شهد الكافر بالرسالة لمحمد قبل الشهادة لله بالوحدانية لم يصح إسلامه، قال في باب الوضوء: الموالاة بين الكلمتين فلو قال الكافر أول النهار مثلًا: لا إله إلا الله وآخره محمد رسول الله صح إسلامه.

فوائد: الأولى: عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «**إن آية الكرسي والفاتحة وآيتين من آل عمران** ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران :١٨] ، ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾ [آل عمران :٢٦] ، لما أراد الله أن ينزلهن تعلقن بالعرش وقلن أتهبطنا إلى أرضك وإلى من يعصيك؟ فقال: وعزتي وجلالي لا يقرؤكن أحد من عبادي دبر كل صلاة إلا جعلت الجنة مثواه وسكنته بحظيرة القدس ونظرت إليه كل يوم سبعين نظرة وقضيت له كل يوم سبعين حاجة أدناها المغفرة» رواه ابن السني.

الثانية: في الصحيحين من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه قيل: عن قيام الليل وقيل: من كل آفة وشيطان.

وفي الحديث: من قرأ آية الكرسي وخواتيم سورة البقرة عند الكرب أغاثه الله، وفي الأذكار عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ: «**إذا وضعت جنبك على الفراش وقرأت الفاتحة و** ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص :١] فقد أمنت كل شيء إلا الموت».

الثالثة: جاء في الحديث: «**من سره أن يملأ بيته خيرًا فليقرأ آية الكرسي كثيرًا ومن قرأها عقب الوضوء رفع الله له أربعين درجة وخلق من كل حرف ملكًا يستغفر لقارئها إلى يوم القيامة**» وفي حديث آخر: «**من قرأها عند منامه فتح الله عليه أبواب الرحمة إلى الصباح وأعطاه بكل شعرة على جسده مدينة من نور وإن مات من ليلته مات شهيدًا**»، وفي حديث آخر: «**من قرأها عند غروب الشمس أربعين مرة كتب الله له أربعين حجة**».

الرابعة: قال جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - من قرأ آية الكرسي حين يخرج من بيته وكّل الله به سبعين ألف ملك يحفظونه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله. وإن مات قبل أن يرجع أعطاه الله ثواب أربعين شهيدًا. وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «**من خرج من منزله فقرأ آية الكرسي يبعث الله إليه سبعين ألف ملك يستغفرون له ويدعون له، فإذا رجع إلى منزله ودخل بيته قرأ آية الكرسي نزع الله الفقر من بين عينيه**».

الخامسة: أوحى الله إلى موسى: من داوم على قراءة آية الكرسي دبر كل صلاة أعطيته ثواب الشاكرين وأعمال الصديقين قال: ومن يداوم عليها؟ قال: لا يداوم عليها إلا نبي أو صدّيق.

ومن فضائلها أيضًا: من قرأها مائة وسبعين مرة وذلك عدد حروفها مستلقيًا على قفاه أوفى الله دينه، وقال نجم الدين النسفي في التفسير: «**لما نزلت آية الكرسي نزل مع كل آية منها ثمانون ألف ملك**»، ولعله - رحمه الله - أراد بالآية الكلمة.

السادسة: عن النبي ﷺ: «**من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة مكتوبة كان الذي يتولى قبض روحه ذا الجلال والإكرام وكان كمن قاتل في سبيل الله حتى استشهد**»، عن النبي ﷺ: «**من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة خرقت سبع سموات ولم يلتئم خرقها حتى ينظر الله إلى قارئها**».

وعن علي: سمعت النبي ﷺ يقول على أعواد المنبر: «**من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت، وإذا قرأها إذا أخذ مضجعه أمنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والدويرات حوله**».

ورأيت في «**شمس المعارف**» للبوني عن سلمان الفارسي عن النبي ﷺ: «**من قرأ آية الكرسي هوّن عليه سكرات الموت، وما مرت الملائكة ببيت فيه آية الكرسي إلا صفقوا ولا بيت فيه** ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:١] إلا سجدوا، ولا بيت فيه أواخر الحشر إلا جثوا على ركبهم».

السابعة: قال جعفر الصادق: من قرأ آية الكرسي مرة واحدة صرف الله عنه ألف مكروه في الدنيا أيسره الفقر وألف مكروه في الآخرة أيسره عذاب القبر.

حكاية: رأيت في بعض المجاميع أن شخصًا كان يقرؤها كل ليلة يحوط بها غنمه فقرأ بعضها في ليلة فغلبه النوم فلما استيقظ كمل قراءتها فلما أصبح وجد رجلاً بين غنمه فسأله فقال: كل ليلة أريد أخذ شاة فأرى سورًا، فجئت الليلة فرأيت في السور طاقة فدخلت منها وأخذت شاة ثم جئت إلى الطاقة فرأيتها قد انسدت.

أيضًا نظيره: قال رجل: كنت أخاف اللصوص فأمرني علي بن أبي طالب بقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ﴾ [الإسراء:١١٠] فقرأتها ثم نسيتها فلما كان في أثناء الليل قرأتها فلما أصبحت وجدت اللصوص موثوقين في بيتي فتابوا على يدي ببركة الآية،

وقال نجم الدين النسفي: قال جبريل: يا محمد إن عفريتًا من الجن يكيدك فاطرده عنك بآية الكرسي، وعن النبي ﷺ: «**لا تقرأ آية الكرسي في مكان فيه شيطان إلا خرج منه**» وفي حديث آخر: «**من قرأها مرة محي اسمه من ديوان الأشقياء ومن قرأها مرتين كتب اسمه في ديوان السعداء ومن قرأها ثلاث مرات استغفرت له الملائكة ومن قرأها أربع مرات تشفع له الأنبياء، ومن قرأها خمس مرات كتب اسمه في ديوان الأبرار ومن قرأها ست مرات استغفرت له الحيتان في البحار**

ووقي شر الشيطان ومن قرأها سبع مرات أغلقت عنه أبواب جهنم السبعة ومن قرأها ثمان مرات فتحت له أبواب الجنان الثمانية ومن قرأها تسع مرات كفي هم الدنيا والآخرة ومن قرأها عشر مرات نظر الله إليه ولم يعذبه أبدًا» .

فوائد : الأولى : قال التميمي في منافع من قرأ : ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ ۝٢٠﴾ [البروج: ٢٠]على باب منزله عند خروجه لسفره ثلاث مرات : أمن فيه من كل آفة ومن قرأها على نفسه وولده أمن من كل سوء، وقال القزويني : من أراد سفرًا وخاف عدوًّا أو غيره فليقرأ لإيلاف قريش وآية الكرسي فإنهما أمان من كل سوء .

الثانية : كان لكسرى قلنسوة ما وضعت على رأس مريض أو مبتلى إلا عوفي فلما هلك اتصلت إلى عمر - رضي الله عنه - فوجد فيها ورقة فيها : كم لله من نعمة في عرق ساكن ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ﴾ [الشورى :١-٢]، ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنۡهَا وَلَا يُنزِفُونَ﴾ [الواقعة :١٩]، من كلام الرحمن خمدت النيران ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران :١٨]، وقال ابن عمر رضي الله عنه : من قرأها مرة واحدة حرم ثلثه على النار وفي الحديث عن النبي ﷺأنه قال : «**من قرأ** ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [**آل عمران** :١٨]، ثم قال : وأنا على ذلك من الشاهدين خلق الله تعالى سبعين ألف ملك يستغفرون له إلى يوم القيامة» .

ورأيت في «**شمس المعارف**» عن ابن عباس - رضي الله عنهما - شهد الله لنفسه بهذه الشهادة قبل أن يخلق الخلق باثنى عشر ألف عام العام ثلثمائة وستون يومًا كل يوم ألف سنة .

فإن قيل : ما الفائدة في قوله : ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران :١٨]بعد قوله : ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران :١٨] .

قيل : الفائدة تكرار كلمة التوحيد فإن العبد كلما كررها كان مشتغلاً بأعظم القربات، وذكر النسفي : لما تولى يوسف ملك مصر أراد أن يتخذ وزيرًا فأمره جبريل أن يتخذ الصبي الذي شهد له فقال له جبريل : إن له عليك حق الشهادة لما قال : ﴿إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ . . .﴾ [يوسف: ٢٦]الآيات، فهذا شهد لمخلوق فاستحق الوزارة، فكيف بمن شهد للخالق بالوحدانية أفلا يستحق الكرامة؟ .

الرابعة : عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ: «**لكل شيء قلب وقلب القرآن** ﴿يسٓ﴾ [يس :١]، ومن قرأها كتب الله له بقراءتها قراءة القرآن عشر مرات» رواه الترمذي .

وقال علي - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ: «**اقرأ** ﴿يسٓ﴾ [يس :١]**فإن فيها عشر بركات ما قرأها جائع إلا شبع ولا ظمآن إلا روي ولا عارٍ إلا كسي ولا أعزب إلا تزوج ولا خائف إلا أمن ولا مسجون إلا خرج ولا مسافر إلا أعين على سفره ولا من ضلت له ضالة إلا وجدها ولا مريض إلا برئ ولا عند ميت إلا خفف الله عنه»** .

حكاية: قال اليافعي في روض الرياحين: عن بعض الصالحين أنه دفن ميتًا ببلاد اليمن فسمع في القبر ضربًا فخرج كلب أسود فقال: الضرب فيك أو في الميت؟ قال: وجدت عنده سورة ﴿يسٓ﴾ [يس: ١] فحالت بيني وبينه. وعن الطبراني من داوم على قراءة ﴿يسٓ﴾ [يس: ١] مات شهيدًا وستأتي زيادة في المعراج إن شاء الله تعالى.

وقال الترمذي: من قرأ في ليلة الجمعة سورة الدخان استغفر له سبعون ملكًا إلى الصباح.

الخامسة: عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ: «**في القرآن ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر له وهي:** ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ [الملك: ١] » رواه ابن حبان والحاكم ورأيت فيها حكاية كالتي في يس وورد عن النبي ﷺ «**أنها في قلب كل مؤمن**» رواه الحاكم وعن ابن عباس عن النبي ﷺ: «**إني لأجد في كتاب الله سورة وهي ثلاثون آية من قرأها عند منامه كتب له ثلاثون حسنة ومُحِيَ عنه ثلاثون سيئة، ويبعث الله له ملكًا يبسط جناحيه عليه ويحفظه من السوء حتى يستيقظ**» قال النيسابوري في سورة البقرة: إنها تقف على الصراط عند قدوم قارئها تشفع له.

السادسة: عن عمر - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ: «**ألا يستطيع أحدكم أن يقرأ كل يوم ألف آية؟**» قالوا: ومن يستطيع ذلك؟ قال: «**أما يستطيع** ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ [التكاثر: ١] ». رواه الحاكم.

السابعة: عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال لبعض أصحابه: «**هل تزوجت؟ قال: لا يا نبي الله ما عندي ما أتزوج به. قال: أليس معك** ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] ؟ قال: بلى. قال: ثلث القرآن قال: أليس معك ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾ [النصر: ١] ؟ قال: بلى. قال: ربع القرآن قال: أليس معك ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [الكافرون: ١] ؟ قال: بلى قال: ربع القرآن قال: تزوج تزوج» قالها مرتين وفي رواية ابن عباس: «﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ [الزلزلة: ١] تعدل نصف القرآن» رواه الترمذي.

الثامنة: عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ: أنه سمع رجلًا يقرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] فقال: «**وجبت**» فسألته ماذا يا رسول الله؟ قال: «**الجنة**» فأردت أن أذهب إلى الرجل فأبشره ثم فرقت أي خفت أن يفوتني الغد مع رسول الله ﷺ.

وعنه ﷺ: «**من قرأ** ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] خمسين مرة غفر له ذنوب خمسين سنة» وفي حديث آخر ينادي منادٍ يوم القيامة: ألا ليقم مادح الرحمن فلا يقوم إلا من كان في الدنيا يكثر قراءة: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] وعن ابن عباس من قرأها مائتي مرة في أربع ركعات كل ركعة بخمسين غفر له ذنوب مائة عام خمسون مقدمة وخمسون متأخرة.

ورأيت في كتاب بدر الفلاح عن النبي ﷺ: «**من صلى ركعتين بعد العشاء يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة و** ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] عشرين مرة بني له قصر في الجنة» وعن

علي بن أبي طالب عن النبي ﷺ : «**من سافر فقرأ: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾**[الإخلاص :١] عشر مرات صرف الله عنه شر ذلك السفر وأعطاه خيرًا».

وفي رواية «**من صلى أربع ركعات يقرأ الفاتحة و ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾**[الإخلاص :١] ثم يقول: اللهم إني أستودعك نفسي ومالي وأهلي وولدي فإن الله يحفظه وماله وأهله وولده ويصلح أمره حتى يرجع» ورأيت في شرح المهذب: يستحب إذا خرج من منزله أن يصلي ركعتين يقرأ في الأولى الفاتحة و ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾[الكافرون :١] ، وفي الثانية الفاتحة و ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾[الإخلاص :١] ويستحب أن يقرأ بعد السلام آية الكرسي و﴿ لِإِيلَـٰفِ قُرَيْشٍ ﴾ [قريش :١] ، وإذا نهض قال: اللهم إليك توجهت وبك اعتصمت اللهم اكفني ما أهمني وما لا أهتم به، اللهم زودني بالتقوى واغفر لي ذنبي وأن يتصدق بشيء عند خروجه وأن يودع جيرانه وأصدقاءه وأصحابه وأهله ويودعوه ويقول كل صاحب لصاحبه: أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك، زودك الله بالتقوى وغفر لك ذنوبك ويسر لك الخير حيثما كنت وأن يرافق من له رغبة في الخير والصديق القريب الموثوق به أولى.

قال القرطبي في تفسيره عن مالك بن أنس رضي الله عنه: إذا نقر بالناقوس اشتد غضب الله فتنزل الملائكة فيأخذون بأقطار الأرض فلا يزالون يقرءون: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص :١] ليسكن غضبه.

وعن أنس عن النبي ﷺ : «**من قرأ ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾[الإخلاص :١] أربعين مرة كل يوم بني له منارًا على جسر جهنم حتى يجتاز الجسر**».

وعن سهل بن سعد - وهو آخر من مات من الصحابة بالمدينة - قال: شكا رجل إلى النبي ﷺ قلة الرزق فقال: «**إذا دخلت البيت فسلم على أهلك واقرأ: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص :١] مرة**» فقرأها فأدرّ الله الرزق عليه حتى فاض عليه وعلى جيرانه، وعن واثلة بن الأسقع - رضي الله عنه - وهو آخر من مات من الصحابة بدمشق - عن النبي ﷺ : «**من صلى الصبح ثم قرأ ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾[الإخلاص :١] عشر مرات لم يلحقه في ذلك اليوم ذنب**».

النيسابوري: ومن أسمائها سورة الإخلاص؛ لأن من قرأها تخلص من النار وسورة المعرفة؛ لأن النبي ﷺ سمع رجلًا يقرؤها فقال: «**هذا عبد عرف ربه**» وسورة الأساس؛ لأن النبي ﷺ قال: «**أسست السموات السبع والأرضون السبع على ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾**[الإخلاص :١]» وسورة الولاية؛ لأن من لازم قراءتها صار وليًا لله وسبب نزولها أن كفار مكة وغيرها قالوا: يا محمد صف لنا ربك من ذهب أو ياقوت أو زبرجد؟ قال: «**إن ربي ليس من شيء؛ لأنه خلق الأشياء**» فنزلت هذه السورة.

قال نجم الدين النسفي: وهي تفسر بعضها بعضًا ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾[الإخلاص :١] قال السعدي: الصمد: هو المقصود في الرغائب المستغاث به في الشدائد، وقال أبو هريرة

رضي الله عنه: الصمد: الذي لا يحتاج إلى أحد ويحتاج إليه كل أحد.

وفي شرح الأسماء للقرطبي عن الحسن الصمد: الباقي بعد فناء خلقه، وقال ابن علي رضي الله عنهما: هو الشريف الذي كمل شرفه والعظيم الذي كمل في عظمته والعالم الذي كمل في علمه، وفيه أيضًا عن النبي ﷺ: **«من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد كتب الله له ألفي حسنة»** وسيأتي من رواية الطبراني أيضًا وقوله تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ [الإخلاص :٣]كما ولدت مريم ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ [الإخلاص :٣]كما ولد عيسى وهي تعدل ثلث القرآن؛ لأنه ثلثه أحكام وثلثه الآخر وعد ووعيد والثالث أسماء وصفات وذلك مجموع فيها قال ابن عباس: من قرأها ثلاث مرات بنى الله له مائة قصر في الجنة وعن أُبيّ بن كعب رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ: **«من قرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص :١] فكأنما قرأ ثلث القرآن وكتب له من الحسنات بعدد من آمن وأشرك»**.

حكاية: كان بعض الصالحين يزور القبور فأدركه النوم ذات ليلة فرأى الأموات على قبورهم فسألهم: هل قامت القيامة؟ قالوا: لا ولكن مر علينا ثابت البناني منذ عشرين سنة فقرأ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص :١]ثلاثين مرة وجعل ثوابها لنا فنحن نتقاسمها من ذلك اليوم فما استوفينا بعد. وعن النبي ﷺ: **«من مرّ على المقابر وقرأ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص :١]** إحدى عشرة مرة ثم وهب ثوابها للأموات أعطي من الأجر بعدد الأموات».

لطائف: الأولى: عن أبي سعيد الجزار أول كلمة دعا الله عباده إليها ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص :١]فتم المراد للخواص ثم زاد بيانًا للأولياء بقوله: ﴿أَحَدٍ﴾ [البقرة :١٠٢]ثم زاد بيانًا لخواص المؤمنين بقوله: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ [الإخلاص :٢]ثم زاد بقوله للخلق: ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ [الإخلاص :٣]إلى آخرها. وقال ابن عطاء: بقوله: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص :١]ظهر لك منه الإسلام ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص :٤]ظهر لك منه اليقين.

الثانية: قال أبو علي الدقاق: وجدنا أنواع الشرك على ثمانية أنواع على كل الكثرة والعدد والنقص والتغلب والعلة والمعلول والأشكال والأضداد فنفى الكثرة والعدد بقوله: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص :١]ونفي التنقص والتغلب بقوله: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ [الإخلاص :٢]ونفى العلة والمعلول بقوله: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ [الإخلاص :٣]ونفى الأشكال والأضداد بقوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص :٤]أي لم يكن له أحد مماثلاً ففيه تقديم وتأخير وهو تقدم خبر كان الذي هو ﴿كُفُوًا﴾ على اسمها وهو ﴿أَحَدٍ﴾ [البقرة :١٠٢].

فوائد: الأولى: عن عبد الله بن حبيب عن النبي ﷺ**«أنه قال لي: «قل»** فلم أقل شيئًا ثم قال: «**قل**» ثم قلت: فما أقول؟ قال: «﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ **[الإخلاص :١]**والمعوذتين ثلاثًا حين تصبح وحين تمسي تكفيك من كل شيء». قال الترمذي: حديث صحيح.

الثانية: عن عقبة بن عامر - رضي الله عنه - بينما أنا أسير مع النبي ﷺإذ غشيتنا ريح

مظلمة شديدة، فجعل النبي ﷺ يتعوذ بـ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١]، وقال: **«يا عقبة تعوذ بهما ولن تقرأ سورة أحب إلى الله ولا أبلغ عنده من أن تقرأ سورة: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١]، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ١]، فإن استطعت أن لا تفوتك في صلاتك فافعل»** ويقال: إنهما المقشقشتان تبرئان من النفاق، وقال الأصمعي: يقال: المقشقشتان سورة الإخلاص و﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [الكافرون: ١].

الثالثة: عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: ليس في القرآن سورة أشد غيظًا لإبليس من ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [الكافرون: ١] فإنها براءة من الشرك وتوحيد وقال رجل: يا نبي الله أوصني قال: **«اقرأ عند منامك: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [الكافرون: ١] فإنها براءة من الشرك»** وسبب نزولها قول الكافرين: يا محمد اعبد آلهتنا عامًا ونعبد إلهك عامًا والتكرار فيها للتأكيد.

حكاية: قال أحمد بن حنبل: رأيت رب العزة في المنام، فقلت: يا رب بماذا يتقرب إليك المتقربون؟ قال: بكلامي يا أحمد قلت: بفهم وغير فهم؟ قال: بفهم وغير فهم.

فائدة: رأيت في خبر للقرطبي عن النبي ﷺ: **«أعطوا العين حظها من العبادة قيل: وما حظها من العبادة؟ قال: النظر في المصحف»**.

وفي غيره أن النبي ﷺ شكا وجعًا في عينه إلى جبريل فقال: انظر في المصحف. ورأيت في التذكار في فضائل الأذكار للقرطبي عن النبي ﷺ: **«من قرأ كل يوم مائتي آية نظرًا في المصحف شفع في سبعة قبور حول قبره»** وعن شداد بن أوس **«ليس شيء من الطاعات أشد على الشيطان من القراءة في المصحف»**، وعن النبي ﷺ: **«فضل من يقرأ القرآن نظرًا على من يقرؤه ظاهرًا كفضل الفريضة على النافلة»** وسيأتي قريبًا أن الفضيلة متعلقة بالتدبر والتفكر حيث قرأ من المصحف أو غيره، وسيأتي في مناقب عثمان - رضي الله عنه - عليكم بالشفاءين القرآن والعسل، وروى البيهقي أن رجلًا شكا إلى النبي ﷺ وجعًا في حلقه فقال: **«عليك بقراءة القرآن»**.

حكاية: قال أبو بكر العسقلاني: رأيت رب العزة في المنام فأردت أن أسأله عن أفضل الأعمال فاستحييت فقال: تريد أن تسألني عن أفضل الأعمال؟ قلت: نعم قال: قراءة القرآن فأردت أن أسأله بصلاة أو غير صلاة؟ فاستحييت فقال: أتريد أن تسألني بصلاة أو غير صلاة؟ قلت: نعم قال: بصلاة أو غير صلاة، فأردت أن أسأله معربًا أو غير معرب؟ فاستحييت فقال: أتريد أن تسألني معربًا أو غير معرب؟ قلت: نعم، قال: معربًا أو غير معرب ثم قال: أتدري ما للقارئ عندي؟ قلت: لا، قال: له بالحرف المطلق عشر حسنات وبالمعرب عشرين حسنة أتدري كم الحسنة؟ قلت: لا، قال: ألف رطل والرطل ألف دانق والدانق ألف درهم والدرهم ألف قيراط والقيراط وزن أحد. قال العلامة السيوطي في **«الإتقان»** المراد بالإعراب معرفة معانيه.

لطيفة: في صحيح البخاري: عن النبي ﷺ: «**مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن ويعمل به كالأترجة**» قال الدميري في «**حياة الحيوان**»: وجه التشبيه أن البيت الذي فيه الأترج لا يدخله الجان كذلك القلب الذي فيه القرآن لا يدخله الشيطان، قال البرماوي في شرح البخاري: لون الأترج يسر الناظرين ويقوي الهضم ويدبغ المعدة وذكر ابن طرخان عن النبي ﷺ: «**أطعموا حبلاكم السفرجل**» وعن النبي ﷺ: «**كلوا السفرجل فإنه من نعم الطعام يزيد في السمع والبصر**».

لطيفة: قال رجل لابن سيرين: رأيت في المنام كأني أبلع اللؤلؤ ثم أرميه فقال: أنت كلما حفظت شيئًا من القرآن تنساه.

فائدة: قال رجل لابن عباس: أنا كثير النسيان، فقال: عليك بالكندر أنقعه ليلاً ثم اشربه على الريق فإنه يمنع النسيان، قال في نزهة النفوس والأفكار: أكل الكندر وهو حصى لبان الذكر يقوي البصر والمعدة وإن أحرقه وتلقى دخانه واكتحل به زاد في نور البصر، ومضغه يزيد في الذهن ويجذب الرطوبة من الرأس، وأكله يطرد الريح ويقطع البلاغم وهو جيد للحمى البلغمية.

وقال رجل لابن سيرين: رأيت في المنام كأني أرمي اللؤلؤ في الطين فقال: أنت تقرأ القرآن في الطريق، وصرح في الروضة بعدم الكراهة في الحمام وأما قراءته بالتمطيط الفاحش خلف الجنازة فحرام، يجب على القادر منعه وفي شرح المهذب لا يحرم على الرجل لبس اللؤلؤ بخلاف الحرير والذهب، والله أعلم.

فائدة: قال في الأذكار: القراءة في المصحف أفضل من القراءة من حفظه وحكاه عن الأصحاب، وأول من سماه المصحف أبو بكر - رضي الله عنه - وفي الروضة: لو علق طلاقها على وضع الدنيا والآخرة بين يديها فخلاصها أن يضع المصحف في حجرها.

فائدة: روى الطبراني عن عمر - رضي الله عنه - القرآن ألف ألف حرف وسبعة وعشرون ألف حرف، فمن قرأ القرآن فله بكل حرف زوجة من الحور العين، وروى الترمذي: «**من قرأ حرفًا من كتاب الله فله بالحسنة عشر أمثالها لا أقول: ﴿الٓمٓ﴾ حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف**»، ربنا تقبل إنك أنت السميع العليم.

فصل: في الأذكار غير القرآن

وفيه فوائد:

الأولى: مر يحيى - عليه السلام - على قبر دانيال - عليه السلام - فسمع صوتًا من القبر: سبحان من تعزز بالقدرة والبقاء وقهر العباد بالموت من قالها استغفرت له السموات السبع والأرضون السبع ومن فيهن.

ورأيت في كتاب العرائس للثعلبي: إن دانيال كان نبيًّا غير مرسل، عالمًا بالتعبير، حكيمًا في زمن بختنصر.

ودخل أبو موسى الأشعري - رضي الله عنه - مدينة فوجد فيها خزانة مختومة بالرصاص ففتحها فوجد فيها ميتًا في كفن منسوج بالذهب فتعجب أبو موسى من طوله حتى قاس أنفه فزاد على شبر فكتب إليه عمر : ادفنه في مكان لا يقدر عليه أهل تلك البلدة بعد أن تصلي عليه .

الثانية : جاء أعرابيٌّ إلى قبر النبي ﷺ فقال : يا نبي الله قلت فسمعنا قولك ، ووعيت عن الله فوعينا عنك ، وكان فيما أنزل الله عليك : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤] وقد ظلمت نفسي وجئتك مستغفرًا . فنودي من القبر الشريف قد غفر الله لك .

فإن قيل : أليس لو استغفروا الله وتابوا على وجه صحيح لكانت توبتهم مقبولة فما الفائدة في ضم استغفار الرسول إلى استغفارهم؟ .

فالجواب : أنهم لو يرضوا بحكم الرسول فوجب عليهم أن يعتذروا من ذلك الجواب يطلبون منه أن يستغفر لهم ؛ لأن استغفاره مقبول واستغفارهم وحده قد لا يقبل .

قال الرازي عن أهل المعاني : دلت الآية ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال :٣٣] ، على أن الاستغفار أمان من العذاب ، قال ابن عباس : كان فيهم أمانان : الرسول والاستغفار ، أما الرسول فقد مضى وأما الاستغفار فباقٍ وأما قوله تعالى : ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [الأنفال :٣٤] ، أي في الآخرة بخلاف عذاب الدنيا فقد رفعه الله عنهم بالنبي ﷺ .

قال الرازي : في قوله تعالى : ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [آل عمران :١٥٩] ، دلت الآية على أنه ﷺ يشفع لأهل الكبائر في الدنيا ؛ لأن الآية نزلت في الذين فروا يوم أحد فما أمره الله بالاستغفار لهم إلا ويريد أن يغفر لهم ويجيب سؤالهم .

قال في الكشاف : ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ﴾ [آل عمران :١٥٩] فيما يتعلق بحقك ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [آل عمران :١٥٩] فيما يتعلق بحق الله تعالى ، قال ابن أبي جمرة في إملائه على بعض أحاديث البخاري : شفاعته ﷺ في الدنيا والآخرة مستمرة على الدوام فلا يزال يشفع .

قال أبو هريرة - رضي الله عنه - : من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ ولم يذكر شفاعته في الدنيا ؛ لأنه عرفها وعاينها ، قال في الروضة : وله ﷺ في القيامة خمس شفاعات .

الأولى : الشفاعة العظمى في الفصل بين أهل الموقف .

الثانية : فيمن استحق دخول النار فلا يدخلها .

الثالثة : فيمن دخل النار فيخرجون منها .

الرابعة : في جماعة يدخلون الجنة بغير حساب .

الخامسة : في رفع درجات الجنة .

وزاد القرطبي وغيره:

السادسة: في من مات في المدينة.

السابعة: في تخفيف العذاب عن عمه أبي طالب.

الثامنة: في من صلى عليه ﷺ.

التاسعة: في من استوت حسناته وسيئاته فيدخل الجنة، وأهل الأعراف يدخلون الجنة بشفاعته ﷺ.

العاشرة: في دخول أمته الجنة قبل الأمم.

الحادية عشر: شفاعته ﷺ لأهل الكبائر من الأمة.

وروى ابن أبي الدنيا عن النبي ﷺ: «**ويبقى قوم فيدخلون النار فيعيرهم أهل النار فيقولون: كنتم تعبدون الله لا تشركون به شيئًا أدخلكم فلا تخرجون، فيبعث الله ملكًا بكف من ماء فينضح به النار التي هم فيها ويغبطهم أهل النار ثم يخرجون منها فيدخلون الجنة، فيقال لهم: انطلقوا لتضيفوا الناس فلو أن جميعهم نزلوا برجل واحد كان عنده لهم سعة**».

اللهم أدخلنا الجنة بشفاعة نبينا محمد ﷺ من غير عذاب يسبق، برحمتك الواسعة والله أرحم الراحمين.

فوائد: في قوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران:١٥٩]:

«**منها**» الاقتداء به ﷺ في المشورة.

«**ومنها**» أن علوم الناس متفاوته فلا يبعد أن يخطر بقلب الإنسان من المصالح ما لم يخطر بقلب الآخر لا سيما في أمور الدنيا، وعنه ﷺ: «**أنتم أعلم بدنياكم، وأنا أعلم بآخرتكم**» ذكره الرازي في تفسير الآية.

«**ومنها**» لما شاورهم في الخروج إلى أحد فأشاروا عليه بذلك فحصل ما حصل من فرارهم فلو لم يشاورهم لتوهموا أن في قلبه ﷺ من تلك المشورة شيئًا فأزال الله تعالى ذلك التوهم بقوله: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران:١٥٩] قال الرازي: كانت المشورة فيما لا نص فيه وهذا الأمر يقتضي الوجوب، وحمله الشافعي على الاستحباب، قال في الروضة: ومن الواجبات عليه ﷺ المشاورة على الصحيح.

الثالثة: قال رجل: يا نبي الله علمني عملًا يدخلني الجنة. قال: لا تغضب، فأعاد عليه القول، فقال: لا تغضب، ثم قال: استغفر الله قبل صلاة العصر سبعين مرة ليكفر عنك ذنوب سبعين عامًا، قال: ما لي ذنوب سبعين عامًا، قال: لأمك، قال: ما لها ذلك، قال: لأبيك قال: ما له ذلك، قال: لإخوانك، قال: نعم.

وفي الحديث: «أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام أتحب الأمان من أهوال القيامة؟ قال: نعم، قال: قل: أستغفر الله العظيم لي ولوالدي والمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات، فإن من قالها كل يوم خمسًا وعشرين مرة كتب الله له أجر سبعين صدّيقًا.

وفي الإحياء عن النبي ﷺ: «من قال: سبحانك ربي ظلمت نفسي وعملت سوءًا فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت غفرت ذنوبه ولو كانت كمدب النمل»، وعن النبي ﷺ: «من أذنب ذنبًا فعلم أن الله قد اطلع عليه غفر له وإن لم يستغفر»، قال الفضيل بن عياض: معني أستغفر الله: أقلني يا الله.

مسألة: فإن قيل: الاستغفار أفضل أو لا إله إلا الله. فيقال: الاستغفار كالصابون فهو أفضل لمن كثر سقطه، ولا إله إلا الله كالطيب فهي أفضل لمن حفظه الله من الذنوب، وكان النبي ﷺ يستغفر الله ويتوب إليه في اليوم والليلة أكثر من سبعين مرة.

وعن النبي ﷺ: «ما من مؤمن إلا وله كل يوم صحيفة فإذا طويت وليس فيها استغفار طويت وهي سوداء مظلمة وإذا طويت وفيها استغفار طويت ولها نور يتلألأ». ذكره النسفي.

وعن النبي ﷺ: «طوبى لمن وجد في صحيفته استغفارًا كثيرًا»، رواه ابن ماجه، وعن النبي ﷺ: «من أحب أن تسره صحيفته فليكثر فيها من الاستغفار» رواه البيهقي، وعن النبي ﷺ: «من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجًا ومن كل ضيق مخرجًا ورزقه من حيث لا يحتسب» رواه أبو داود والنسائي، وعن النبي ﷺ: «ما من عبد ولا أمة يستغفر الله في يوم وليلة سبعين مرة إلا غفر الله له سبعمائة ذنب، وقد خاب عبد أو أمة عمل كل يوم وليلة أكثر من سبعمائة ذنب» رواه البيهقي، وقال رجل: واذنوباه مرتين أو ثلاثًا فقال النبي ﷺ: «قل: اللهم مغفرتك أوسع من ذنوبي ورحمتك أرجى عندي من عملي فقالها، ثم قال: أعدها فأعاد ثم قالها مرة أخرى، فقال له النبي ﷺ: قم قد غفر الله لك» رواه الحاكم.

حكاية: قال رجل: يا نبي الله إن لي جارًا في داره نخلة يسقط رطبها في داري فيأكله أولادي فاسأله أن يجعلني في حل، فقال: اجعله في حل وأضمن لك في الجنة مثلها، فلم يفعل فقال: اسأله يا نبي الله أن يبيعني إياها، فقال: بألف دينار، وكان الرجل فقيرًا فوزنها عنه عثمان - رضي الله عنه - فنزل جبريل وقال: يا محمد قد غرس الله لعثمان نخلة في الجنة فصارت حديقة مثل حديقة عثمان، وفي حديث آخر: «يا جبريل أخبرني بثواب من قال: سبحان ربي الأعلى، فقال: ما من عبد يقولها في صلاة أو في غير صلاة إلا كانت في ميزانه أثقل من العرش والكرسي وجبال الدنيا، ويقول الله تعالى: صدق عبدي أنا فوق كل شيء أشهدكم يا ملائكتي أني قد غفرت له وأدخلته الجنة وإذا مات زاره ميكائيل كل يوم في قبره، فإذا كان يوم القيامة حمله على جناحه وأوقفه بين يدي الله تعالى فيقول: رب شفعني فيه، فيقول: شفعتك فاذهب به إلى الجنة» ذكره البيهقي.

مسألة: تسبيح السجود سبحان ربي الأعلى أفضل من تسبيح الركوع وهو سبحان ربي

العظيم ثلاثة وهو أدنى الكمال، وأكمله من تسع إلى إحدى عشرة وفي الأخيرتين سبعًا بتقديم السين ولو سبح مرة واحدة حصل التسبيح قال في شرح المهذب: ويستحب أن يقول: وبحمده بعد سبحان ربي العظيم وربي الأعلى، قاله في شرح المهذب أيضًا، ولا يخفى أن ذلك للمنفرد وأما الإمام فلا يزيد على الثلاث والتسبيح المذكور، وقوله: سمع الله لمن حمده وجميع التكبيرات - إن رضي من وراءه - واجب عند الإمام أحمد، فإن ترك شيئًا منه عمدًا بطلت صلاته وإن نسيها سجد للسهو.

حكاية: قال وهب: مر سليمان على بساط الريح فرآه حراث فقال: لقد أوتي آل داود ملكًا عظيمًا فحملت الريح كلامه وألقته في أذن سليمان فنزل إليه وقال: تسبيحة واحدة يتقبلها الله منك خير لك مما أوتي آل داود فقال: أذهب الله همك كما أذهبت همي.

فائدة: عن ابن عباس - رضي الله عنه - نزل إسرافيل على النبي ﷺ وقال: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم عدد ما علم الله ووزن ما في علم الله، فمن قالها مرة واحدة كتب الله له ست خصال، كان من الذاكرين الله كثيرًا، وكان أفضل ممن ذكر الله بالليل والنهار وكن له غراسًا في الجنة وتساقطت ذنوبه كما يتساقط ورق الشجر ونظر الله إليه ولم يعذبه بالنار، وفي الحديث: «**من قال: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وعدد ما فيه علم الله ودوام ملك الله، تنقطع الدنيا وأهل الدنيا ولا ينقطع ثواب قائلها**».

فوائد: الأولى: عن النبي ﷺ: إذا كان يوم القيامة تأتي لا إله إلا الله أمام قائلها وسبحان الله من ورائه والحمد لله عن يمينه والله أكبر عن يساره ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم على رأسه مثل القبة فلا يُصِيبُهُ من شر الناس شيء، ذكره ابن العماد في الذريعة.

الثانية: قال بعض الصحابة: صلينا العصر خلف النبي ﷺ فقال رجل من المسلمين: سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك عملت سوءًا وظلمت نفسي فاغفر لي ذنبي وارحمني وتب علي إنك أنت التواب الرحيم، فلما قضى النبي ﷺ صلاته قال: من صاحب هذا الكلام؟ قال الرجل: أنا يا رسول الله. قال: والذي نفسي بيده ما خرج آخرها من فيك حتى نظرت إلى اثني عشر ملكًا يبتدرون أيهم يكتبها ثم ما زلت أراها تخرج من سماء إلى سماء حتى وضعت تحت العرش، حتى تعطاها ومثلها يوم القيامة.

الثالثة: عن النبي ﷺ: «**إذا قال العبد: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وتبارك الله قبض عليهن ملك فضمهن تحت جناحه وصعد بهن على جمع من الملائكة إلا استغفروا لقائلها حتى يجيء بهن وجه الرحمن جل وعلا**» رواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد.

الرابعة: قال أبو السعادات: كان إسماعيل - عليه السلام - يقول: سبحان من هو مطلع يعلم جوارح القلوب، سبحان من يحصي عدد الذنوب سبحان من لا يخفى عليه خافية في

السموات ولا في الأرض سبحان الله الرءوف الودود من قالها مرة واحدة كتب له ألف ألف حسنة ومحا عنه ألف ألف سيئة ورفع له ألف ألف درجة .

الخامسة : قال ابن عباس - رضي الله عنهما - إن إبراهيم اجتمع بذي القرنين فقال له : بم قطعت الدهر وأنت ملك المشرق والمغرب فقال بقولي : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص :١] ، بهؤلاء الكلمات من قالهن كتب الله له ألف ألف حسنة ومحا عنه ألف ألف سيئة ورفع له ألف ألف درجة ، فقال إبراهيم : اعرضهن علي ، فقال : سبحان من هو باق لا يفنى ، سبحان من هو عالم لا ينسى سبحان من هو قيوم لا ينام ، سبحان من هو دائم لا يسهو سبحان من هو واسع لا يتكلف ، سبحان من هو قائم لا يلهو ، سبحان من هو عزيز لا يضام .

وقال أبو السعادات : كان موسى عليه السلام يقول : سبحان من هو في علوه دانٍ ، وفي دنوه عالٍ ، وفي إشراقه منير ، وفي سلطانه قوي ، من قالها كل يوم عشر مرات فكأنما حج أربعين ألف حجة ، قال أبو السعادات : كان آدم عليه السلام يقول : سبحان الخالق البارئ ، سبحان الله العظيم وبحمده ، من قالها عشر مرات أعطاه الله ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، ويونس عليه السلام يقول : سبحان القاضي الأكبر ، سبحان الخالق البارئ ، سبحان القادر المقتدر ، سبحان الله العظيم وبحمده ، قال أبو السعادات : من قالها كل يوم مرة وكّل الله به ألف ملك يحفظونه من كل سوء وكأنما أعتق ألف رقبة ، هكذا رأيته في كتاب عن بعض الأكابر مكتوب عليه تأليف أبي السعادات ولم أقف له على ترجمة صلاح ولا علم ، والله أعلم .

فصل: في أذكار الصباح والمساء للإمام النووي رحمه الله تعالى

قال آدم - عليه السلام - : يا رب شغلتني بكسب يدي فعلمني شيئًا فيه مجامع الحمد والتسبيح ، فأوحى الله إليه إذا أصبحت يا آدم فقل ثلاثًا وإذا أمسيت فقل ثلاثًا : الحمد لله رب العالمين حمدًا يوافي نعمه ويكافئ مزيده فذلك مجامع الحمد والتسبيح ومعنى يوافي نعمه أي يلاقيها ، ومعنى يكافئ مزيده أي يقوم بما زاده من النعم ، وعن النبي ﷺ مَنْ قال حين يصبح ثلاثًا : ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۞ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الفاتحة :١-٢] حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه ، صرف الله عنه سبعين نوعًا من البلاء أدناه الهم ، وعن عثمان بن عفان عن النبي ﷺ : ما من عبد يقول في صباح كل يوم ومساء كل ليلة : بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم ثلاث مرات فلا يضره شيء ، رواه الترمذي ، وقال : حديث حسن صحيح ، قال أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - يا رسول الله مرني بكلمات أقولهن إذا أصبحت وإذا أمسيت ، قال : قل : اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة رب كل شيء ومليكه أشهد أن لا إله إلا أنت أعوذ بك من شر نفسي ومن شر الشيطان وشركه ، أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ، فإن من قرأها وقال ثلاث

آيات من آخر سورة الحشر وكَّل الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يمسى، وإن مات في ذلك اليوم مات شهيدًا، رواه الترمذي.

وعن ابن عباس عن النبي ﷺ: «**من قال إذا أصبح: سبحان الله وبحمده ألف مرة فقد اشترى نفسه من الله وكان آخر يومه عتيق الله**» رواه الطبراني وغيره، وعن أبي الدرداء -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ: «**من قال حين يصبح وحين يمسي: حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم سبع مرات كفاه الله ما أهمه من أمر الدنيا والآخرة**»، رواه أبو داود.

عن النبي ﷺ: «**من قال حين يصبح وحين يمسي: اللهم إني أصبحت أشهدك وأشهد حملة عرشك وملائكتك وجميع خلقك أنك أنت الله لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمدًا عبدك ورسولك أعتق الله ربعه من النار، فإن قالها مرتين أعتق الله نصفه من النار، فإن قالها ثلاثًا أعتق الله ثلاثة أرباعه من النار، فإن قالها أربعًا أعتقه الله من النار**»، رواه النسائي.

وعن ثوبان - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ: «**من قال إذا أصبح وإذا أمسى: رضيت بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد** ﷺ **نبيًا ورسولاً كان حقًا على الله أن يرضيه**» رواه الترمذي، وفي رواية أبي داود: وجبت له الجنة، وفي رواية الإمام أحمد بن محمد بن حنبل: يقول ذلك ثلاث مرات حين يصبح وحين يمسي، ويستحب أن يقول: بمحمد نبيًّا ورسولاً جمعًا بين الروايتين، فلو اقتصر على إحداهما كان عاملاً بالحديث، وعن أبي أيوب الأنصاري عن النبي ﷺ: «**من قال كل يوم: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير عشر مرات كتب الله له بهن عشر حسنات، ومحا عنه عشر سيئات ورفع له بهن عشر درجات حتى يمسى وإذا قالهن عند المساء كذلك**» رواه النسائي، وروى أيضًا: «**من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد كتب الله له ألف ألف حسنة**».

وعن أبي كاهل - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ: «**من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له مستيقنًا بها قلبه كان حقًّا على الله أن يغفر له بكل مرة ذنوب سنة**»، وقال النبي ﷺ لبعض بناته الأربع زينب وأم كلثوم ورقية وفاطمة - وهي أصغرهن وأفضلهن -: «**قولي سبحان الله وبحمده ولا حول ولا قوة إلا بالله، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، أعلم أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علمًا، فإن من قالهن حين يصبح حفظ حتى يمسى، ومن قالهن حين يمسي حفظ حتى يصبح**» رواه أبو داود والنسائي.

وعن عبد الله بن بشر - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ: «**من استفتح في أول نهاره بخير وختمه بخير قال الله تعالى لملائكته: لا تكتبوا على عبدي ما بين ذلك**» رواه الطبراني بإسناد حسن، فالحمد لله، وتقدم فضل المعوذتين وقل هو الله أحد إذا أصبح وإذا أمسى وحديث من صلى على حين يصبح عشرًا وحين يمسي عشرًا أدركته شفاعتي يأتي إن شاء الله تعالى في باب فضل الصلاة على النبي ﷺ.

باب: المحبة

قال الله تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[آل عمران :٩٢] قال بعض العارفين: لن تنالوا محبتي وفي قلوبكم محبة غيري ولا تكون المحبة إلا في قلب حي، وحياته بموت النفس، ثم روى في المعنى حكاية: كان بعضهم له درة فصيحة الكلام فلما أراد السفر إلى بر السودان قالت له: يا مولاي أقرئ أصحابي السلام وقل لهم: عندي طير منكم في قفص حديد لا يستطيع الطيران إليكم فانظروا ما في أمره، فلما أدى الرسالة إلى جنسها من الطيور ضربوا بأجنحتهم وأظهروا له أنهم ماتوا، فندم على تبليغ الرسالة شفقة عليهم، فلما رجع أخبرها بذلك فضربت بأجنحتها وألقت نفسها إلى الأرض كأنها ميتة فأخرجها من القفص وألقاها فطارت، وقالت: يا مولاي إن أصحابي ماتوا ولكن علموني طريق الخلاص، وصحح في المنهاج تحريم أكلها. ويقول: موت النفوس حياتها وقال تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾[المائدة :٥٤] .

فإن قيل: كيف قدم محبته على محبتهم له، وقدم ذكرهم على ذكره إياهم قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة :١٥٢] .

فالجواب: ما قاله الشيخ عبد القادر الكيلاني: إن الذكر مقام طلب مكانه أمر بالطلب منه فقد ذكرهم له وأما المحبة فهي تحفة إلهية ليس للعبد فيها اختيار فلا يصح وجودها إلا بعد بروزها من جانب الغيب على يد المشيئة فلهذا قدم محبته لنا على محبتنا له، وله الفضل والمنة ومعنى محبة الله توفيقه إياهم لطاعته، والآية نزلت في أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - وعن النبي ﷺ: «**اللهم صلّ على أبي بكر فإنه يحبك ويحب رسولك**» قاله في الرياض النضرة.

وذكر أيضًا عنه ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين**» والحب في الله من الإيمان وفي الإحياء أوحى إلى عيسى: لو عبدتني بعبادة أهل السماء والأرض وحب في الله ليس معك وبغض في الله ليس معك ما أغنى عنك ذلك شيئًا، وعن النبي ﷺ: «**من أعرض عن صاحب بدعة آمنه الله يوم الفزع الأكبر، ومن سلم على صاحب بدعة ولقيه بالبشر واستقبله بما يسره فقد استخف بما نزل الله على محمد ﷺ**».

وعن الفضيل: مصارمة الفاسق قربة إلى الله عز وجل، وعن النبي ﷺ: «**أفضل الأعمال الحب في الله والبغض في الله**» رواه أبو داود، وعن النبي ﷺ: «**قال الله تعالى: المتحابون بجلالي في ظل عرشي يوم القيامة أي يوم لا ظل إلا ظلي**» رواه الإمام أحمد، وعن ابن مسعود - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ: «**المتحابون في الله على ياقوتة حمراء على رأس عمود عليه سبعون ألف غرفة يشرفون على أهل الجنة يضيء حسنهم لأهل الجنة كما تضيء الشمس لأهل الدنيا، فيقال لأهل الجنة: انطلقوا إلى المتحابين في الله فإذا أشرفوا عليهم أضاء حسنهم لأهل الجنة، ثيابهم السندس مكتوب على جباههم: هؤلاء المتحابون في الله**»، وعن النبي ﷺ قال:

«**إن في الجنة عمدًا من ياقوتة عليها غرف من زبرجد لها أبواب مفتحة تضيء كما تضيء الكواكب**. **قيل: يا نبي الله من يسكنها؟ قال: المتحابون في الله**» رواه البزار، وروى أيضًا: «**ما من عبد أتى أخاه يزوره في الله إلا ناداه مناد من السماء أن طبت وطابت لك الجنة**»، وروى الطبراني: «**إذا زار المسلم أخاه شيعه سبعون ألف ملك يصلّون عليه يقولون: اللهم صله كما وصله فيك**»، وقال أبو مسلم الخولاني - واسمه عبد الله - لمعاذ بن جبل: إني أحبك في الله، فقال: أبشر فإني سمعت النبي ﷺ يقول: «**ينصب لطائفة من أمتي كراسي حول العرش يوم القيامة وجوههم كالقمر ليلة البدر يفزع الناس ولا يفزعون ويخاف الناس ولا يخافون وهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، قيل: يا رسول الله من هم؟ قال: المتحابون في الله**» قاله في عوارف المعارف.

واعلم: أن المحبة تكون مباحة بأن يحب عامة الناس، وتكون مكروهة وهي محبة الدنيا وتكون نافلة وهي محبة الأهل والولد، وتكون فرضًا وهي محبة الله ورسوله، ومحبة الرسول مستلزمة لمحبة الله تعالى، قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران :٣١] ، وقال سهل بن عبد الله في قوله تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً﴾ [لقمان :٢٠] ، وهي اتباع النبي ﷺ ﴿وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان :٢٠] وهي محبته، وقيل: الظاهرة الإسلام والباطنة غفران الذنوب، وقرأ أبو عمر ونافع «نَعْمه» بفتح العين وضم الهاء، والباقون بسكون العين والتنوين ومن علامة المحبة اتباع المحبوب في الأوامر والنواهي، وإلا فليست بمحبة تامة كما قال القائل:

تعصي الإله وأنت تظهر حبه ... هذا لعمري في القياس بديع
لو كان حبك صادقًا لأطعته ... إن المحب لمن يحب مطيع

لطيفة: عن النبي ﷺ: «**حُبب إليّ من دنياكم ثلاث: الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلاة**» وقال أبو بكر الصديق: وأنا حبب إلي من دنياكم ثلاث: الجلوس بين يديك، والصلاة عليك، وإنفاق مالي عليك، وقال في الرياض النضرة: قالت عائشة - رضي الله عنها -: أنفق أبو بكر على النبي ﷺ أربعين ألفًا، وقال عمر - رضي الله عنه -: وأنا حبب إليَّ من دنياكم ثلاث: الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وإقامة الحدود، وقال عثمان -رضي الله عنه-: وأنا حبب إليَّ من دنياكم ثلاث: إطعام الطعام، وإفشاء السلام، والصلاة بالليل والناس نيام، وقال علي - رضي الله عنه -: وأنا حبب إلي من دنياكم ثلاث: الضرب بالسيف، والصوم في الصيف، وإقراء الضيف. فنزل جبريل وقال: يا نبي الله وأنا حبب إلي من دنياكم ثلاث: النزول إلى النبيين، وتبليغ الرسالة للمرسلين، والحمد لله رب العالمين، ثم قال: إن الله تعالى يقول: وأنا حبب إلي من دنياكم ثلاث: لسان ذاكر، وقلب شاكر، وجسد على البلاء صابر، فالعمل بهذا كله من علامات المحبة لمن أراد الدخول في قوله ﷺ: «**من أحبني كان معي في الجنة**» وفي أول الحديث إشارة تأتي في أول باب الزهد إن شاء الله تعالى، ولما وصل

هذا الحديث إلى الأئمة الأربعة قال الإمام أبو حنيفة - رضي الله عنه -: وأنا حبب إلي من دنياكم ثلاث: تحصيل العلم في طول الليالي وترك الترفع والتعالي وقلب من حب الدنيا خال وقال الإمام مالك - رضي الله عنه -: وأنا حبب إلى من دنياكم ثلاث: مجاورة روضته ﷺ، وملازمة تربته، وتعظيم آل بيته، وقال الإمام الشافعي - رحمه الله -: وأنا حبب إليَّ من دنياكم ثلاث: عشرة الخلق بالتلطف، وترك ما يؤدي إلى التكلف، والاقتداء بطريق التصوف، وقال الإمام أحمد - رحمه الله تعالى -: وأنا حبب إليَّ من دنياكم ثلاث: متابعة النبي ﷺ في أخباره، والتبرك بأنواره، وسلوك طريق آثاره.

حكاية: ذُكِرَ في الإحياء عن بعضهم قال: رأيت النبي ﷺ في المنام ومعه جماعة وإذا بملكين نزلا من السماء ومع أحدهما طست من ذهب ومع الآخر إبريق من فضة فغسل النبي ﷺ يده ثم واحد بعد واحد حتى أتوا عندي فقال أحدهما: ليس هو منهم، فقلت: يا نبي الله أنت قلت: المرء مع من أحب، وأنا أحبك وأحب هؤلاء، فقال ﷺ: «**صبوا على يديه فإنه منهم**»، وعنه ﷺ: «**من أحبني كان معي في الجنة**»، وعنه ﷺ: «**من أحب أزواجي وأصحابي وأهل بيتي ولم يطعن في أحد منهم وخرج من الدنيا على محبتهم، كان معي في درجتي يوم القيامة**» وسيأتي إن شاء الله تعالى زيادة في فضائلهم إجمالاً وتفصيلاً وعن النبي ﷺ: «**سألت ربي عز وجل فيما اختلف فيه أصحابي فأوحى إلي: أصحابك يا محمد عندي بمنزلة النجوم بعضها أضوأ من بعض، فمن أخذ شيئًا مما هم عليه من اختلافهم فهو على هدى**»، ذكره في أول الرياض النضرة.

لطيفة: المحبة أربعة أحرف: ميم وحاء وباء وهاء، فالعبد يستعمل حرفين: الميم من الندامة، والحاء من حفظ الرحمة، والله تعالى يجازي عبده بحرفين: الباء من البر، والهاء من الهداية، وقال الشبلي: سميت المحبة محبة؛ لأنها تمحو عن القلب ما سوى المحبوب، وقال غيره: المحبة كالحبة إذا وقعت في أرض طيبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة فالحبة إذا حصلت في قلب طيب تفرع منها سنابل الطاعات، وفي الرسالة القشيرية: قلوب المشتاقين منورة بنور الله فإذا تحرك الشوق أضاء ما بين السماء والأرض فيعرضهم الله على ملائكته فيقول: هؤلاء المشتاقون إني أشهدكم أني إليهم أشوق.

حكاية: رأيت بمكة شرفها الله تعالى في فردوس العارفين، قال أبو يزيد البسطامي: رأيت في المنام كأني في السماء الرابعة فاستقبلتني ملائكة يقطر منهم النور، تبرق منه السموات فسلموا علي فرددت عليهم السلام ثم التمع نور شوقي إلى ربي فأضاءت منه السموات كلها فصار نور الملائكة مع نور شوقي كسراج مع الشمس.

وقال أبو الدرداء - رضي الله عنه -: إن لله عبادًا تطير قلوبهم إلى الله اشتياقًا لا يدركها البرق الخاطف فيتقلبون في بساتين الأنس بالنزهة ويسكنون على سرير بالقرب منه.

حكاية: لما تزوجت زليخا بيوسف عليه السلام لم تنظر إليه فسألها عن ذلك فقالت: من وجد حب الله فكيف يحب غيره، قيل: لما تولى الملك رآها على الطريق لتنظر إليه فشكا إلى ربه فعلها معه وقال: يا رب أهلكها فقال جبريل: إن الله تعالى يريد أن يملكها ولا يهلكها؛ لأنها أحبت محبوبنا.

وعن الجنيد: قيل لله تعالى: لو لم تطعك جهنم ما كنت تصنع بها؟ قال: كنت أسلط عليها ناري الكبرى، وهي نار المحبة التي أوقدتها في قلوب أحبابي.

حكاية: مر عيسى - عليه السلام - على قوم يعبدون الله تعالى فسألهم عن عبادتهم، فقالوا: نرجو الجنة ونخاف من النار فقال: مخلوقًا رجوتم ومخلوقًا خفتم، ثم مر بآخرين فسألهم عن عبادتهم فقالوا: نعبده حبًّا له وتعظيمًا لجلاله فقال: أنتم أولياء الله أمرت أن أكون معكم.

وفي الإحياء مر عيسى عليه السلام بقوم قد تغيرت ألوانهم فسألهم قالوا: خَوْفُ النار غيرنا فقال: حق على الله أن يؤمن خوفكم، ثم مر بآخرين أشد منهم ضعفًا فسألهم فقالوا: شوقًا إلى الجنة فقال: حق على الله أن يعطيكم ما ترجون، ثم مر بآخرين أشد منهم ضعفًا فسألهم فقالوا: حب الله تعالى فقال: أنتم المقربون، وقال بعضهم في قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ [فاطر: ٣٢]، أي يعبده للدنيا، ومنهم مقتصد أي يعبده للآخرة ومنهم سابق بالخيرات أي يعبده لوجهه الكريم، وقيل الظالم: من يشتاق إلى الجنة، والمقتصد: من تشتاق له الجنة والسابق: من يشتاق له المولى ونقل عن الشيخ عبد القادر الكيلاني أنه قال: ورد عن الله تعالى أنه قال للدنيا: انظري إلى أحبابي قد أعرضوا عنك فقالت: يا رب أنزل عليهم البلاء فإن صبروا فهم صادقون فصب عليهم البلاء فصبروا فقالوا: مرحبًا وتلقوه بالرضى والصبر فقال البلاء: يا رب الغوث الغوث أحرقني هؤلاء بأنفسهم فرفعه عنهم فقالت الجنة: يا رب لو رآني أحبابك لاشتغلوا عن خدمتك فكشف لهم عنها فأعرضوا عنها فقالت: يا رب إن يرضوا بي فأنا أرضى بهم، فقال تعالى: هؤلاء لي وأنا لهم لا يشاركني فيهم مشارك.

حكاية: دخل بعض العارفين على مريض من النصارى وهو في النزع فقال: أسلم ولك الجنة قال: لا حاجة لي بها قال: أسلم ولك النجاة من النار قال: لا أبالي بها قال: أسلم ولك النظر إلى وجه الله الكريم، فأسلم، ففاضت روحه فرؤى تلك الليلة في المنام، قيل له: ما فعل الله بك قال: أوقفني بين يديه وقال لي: أسلمت شوقًا إلى لقائي قلت: نعم قال: لك عندي الرضا واللقاء، قاله النسفي وحكاه فخر الدين الرازي عن يهودي وقيل: إذا كان يوم القيامة واستقر أهل الجنة في الجنة وبقى رجل في الموقف من المحبين فتأتيه الملائكة بسلاسل من نور فيقودونه إلى الجنة وهو غائب في سكرة المحبة فإذا صار إلى باب الجنة أفاق من سكره فيجذب من السلاسل ويرجع مهرولاً وهو يقول: دلوني على رب الجنة والملائكة يردونه إليها فيقول الله تعالى: خلوا بيني وبينه.

وقال جعفر الصادق: في قوله تعالى: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [النور: ٣٧]، هم الرجال من بين الرجال على الحقيقة؛ لأن الله حفظ سرائرهم عن الرجوع إلى غيره فلا تشغلهم الدنيا وزهرتها ولا الآخرة ونعيمها عن الله تعالى؛ لأنهم في بساتين الأنس.

حكاية: قال السري السقطي: رأيت الحق سبحانه وتعالى في المنام فقال: خلقت الخلق فادعوا محبتي فخلقت الدنيا فاشتغل عني من كل عشرة آلاف تسعة آلاف، فبقى ألف فخلقت الجنة فاشتغل بها تسعمائة فبقى مائة فسلطت عليهم البلاء فاشتغل به تسعون، وبقى عشرة فقلت: لا الدنيا أردتم ولا في الجنة رغبتم ولا من البلاء ضجرتم فقالوا: ألست الفاعل بنا ذلك؟ قلت: بلى قالوا: رضينا فقلت لهم: أنتم عبيدي حقًّا.

وقيل: لما شاع موت الشبلي جاءه أصحابه فسألهم فأخبروه فقالوا: جئنا لجنازتك فقال: واعجبًا من أموات زاروا أحياء فقيل له: هل اشتقت إلى الله تعالى، قال: لا؛ لأن الشوق إلى غائب وما غاب عني طرفة عين.

حكاية: قال ذو النون المصري: رأيت صبيانًا يرجمون رجلاً فقلت لهم في ذلك فقالوا: إنه مجنون يزعم أنه يرى ربه فدنوت منه فأخبرته بذلك، فقال: لو احتجب عنى طرفة عين لتقطعت من ألم البين ثم قال:

طلب الحبيب من الحبيب رضاه ... ومن الحبيب إلى الحبيب لقاء
أبدًا يلاحظه بأعين قلبه ... والقلب يعرف ربه ويراه
يرضى الحبيب من الحبيب بقربه ... دون العباد فما يريد سواه

فقلت له: أمجنون أنت؟ عند أهل الأرض نعم وأما عن أهل السماء فلا، فقلت له: كيف أنت مع الله؟ قال: ما جفوته منذ عرفته قلت: متى عرفته؟ قال: لما جعل اسمي في المتحابين.

حكاية: قال الخواص: رأيت بالبصرة عبدًا يباع بعيوب ثلاثة: لا ينام من الليل ولا القليل، ولا يأكل بالنهار ولا يتكلم إلا عند الحاجة فقلت لسيده: كيف تبيعه؟ قال: رأيت درجته أرفع من درجتي فكلما قدمت على باب الخدمة وجدته يسبقني فأردت بيعه غيرة منه، فقلت: بعني إياه، قال: نعم أنت مجنون والعبد مجنون والمجنون بالمجنون أليق فقلت: من أين عرفتني؟ قال: لأني أراك كل ليلة واقفًا على الباب فعرفت أنك من جملة الأحباب.

حكاية: قال الشبلي: رأيت صبيانًا يرجمون مجنونًا بالحجارة فمنعتهم عنه فقالوا: يزعم أنه يرى ربه، فدنوت منه وإذا به يرمق بطرفه نحو السماء ويقول: يا مولاي أجميل منك أن تسلط على هؤلاء الصبيان، فقلت له: تزعم أنك ترى ربك فقال: وحق من تيمني بحبه وهيمني بقربه لو احتجب عني طرفة عين لتقطعت من ألم البين، ثم ولى وهو يقول:

جمالك في عيني وذكرك في فمي وحبك في قلبي فأين تغيب

وقال بعض أصحاب أبي يزيد البسطامي - وكان من أصحاب الكشف -: لما صار أبو يزيد في قبره وسأله منكر ونكير قال لهما: أنا طريح بين يديه ولكن اسألاه هل أنا عبده، فإن قال: نعم فلي الكرامة، فقالا: هذا كلام عجيب قال: عندي أعجب منه لما أخرجني من ظهر آدم مع اسم نبيه وقال: ألست بربكم؟ فقلت معهم: بلى هل كنتما حاضرين؟ قالا: لا قال: فخلوا بيني وبينه، فقال أحدهما لصاحبه: هذا أبو يزيد عاش سكرانًا من المحبة ومات كذلك ووضع في قبره كذلك ويبعث كذلك.

وقال السري السقطي: رأيت كأن القيامة قد قامت فرأيت الناس شاخصين بأبصارهم إلى رجل محمول وهو يتمايل بسكره على أجنحة الملائكة وهم يزفونه بالتسبيح وإذا بمناد يقول: يا أهل الموقف هذا ولينا معروف الكرخي سكر من حبنا فلا يفيق إلا بالنظر إلينا.

وقال عليّ بن الموفق: رأيت حظيرة القدس في المنام ثم دخلت سرادقات العرش فرأيت رجلًا شاخصًا ببصره إلى الله تعالى فقلت: يا رضوان: من هذا؟ قال: معروف الكرخي أخلص العبادة إلى الله تعالى فأباحه النظر إليه إلى يوم القيامة.

وقيل لبشر الحافي بعد عودته في المنام: ما فعل الله بك؟ قال: أجلسني على مائدة وقال: كل يا من منع نفسه من الشهوات، قيل: فإن الإمام أحمد قال على باب الجنة: يشفع لمن يقول القرآن كلام الله غير مخلوق.

وقال في شرح المهذب - عن كثير من الأصحاب -: تصح الصلاة خلف من يقول بخلق القرآن، قال صاحب العدة: وهو المذهب، من قال بكفره فهو محمول على كفران النعمة والله أعلم، وقال يحيى بن معاذ الرازي: إذا نظر أهل الجنة إلى ربهم ذهبت عيونهم في قلوبهم - من لذة النظر - ثمانمائة عام، وفي الإحياء استغنى أهل مصر بالنظر إلى يوسف عليه السلام عن الطعام والشراب أربعة أشهر، قال فخر الدين الرازي في تفسير سورة يوسف: كان يوسف عليه السلام إذا سار في المدينة لمع وجهه على الحيطان كنور الشمس.

حكاية: مر عيسى - عليه السلام - براهب في صومعة فسأله عن حاله، فقال: مكثت سبعين عامًا أطلب من الله حاجة قال: ما هي؟ قال: يسقيني من سر محبته زنة ذرة فدعى له عيسى ثم بعد أيام رأى عيسى الصومعة مدكدكة والأرض من تحتها تشققت نزل عيسى عليه السلام إلى شق فرأى الراهب شاخصًا ببصره فاتحًا فمه فسلم عليه فلم يرد عليه فهتف به هاتف: أسقيناه من المحبة جزءًا من سبعين ألف جزء، فكيف لو زدناه!؟

وقال أبو يزيد: إن لله شرابًا في الدنيا ادخره في كنوز ربوبيته ليسقيه أولياءه في ميدان محبته على منابر كرامته، فإذا شربوا طربوا، فإذا طربوا طاشوا فإذا طاشوا عاشوا فإذا عاشوا طاروا

وإذا طاروا وصلوا فإذا وصلوا اتصلوا فهم في مقعد صدق عند مليك مقتدر، وكتب يحيى بن معاذ الرازي إلى أبي يزيد: قد سئمت مما شربت من المحبة، فقال أبو اليزيد: غيرك لو شرب بحار السماء والأرض ما روى قال:

شربت الحب كأسًا بعد كأس فلا نفد الشراب ولا رويت

ورأيت في تفسير نجم الدين النسفي في قوله تعالى: ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان: ٢١]، هو شراب ادخره الله تعالى فإذا شربوا طربوا فإذا طربوا هاموا فإذا هاموا طاشوا فإذا طاشوا طاروا فإذا طاروا طلبوا فإذا طلبوا وجدوا فإذا وجدوا نزلوا فإذا نزلوا قربوا فإذا قربوا كشفوا فإذا كشفوا شاهدوا، فإن قيل: كيف يحب الرجل زوجته وولده وربه والقلب واحد؟ فيقال: محبة الزوجة في النفس وتسمى الشهوة ومحبة الولد في الكبد وتسمى الشفقة ومحبة الرب في القلب وقيل: خرج يوسف عليه السلام إلى صيد فرأى أعرابيًّا من الشام فسأله عن يعقوب فقال: كثير الأحزان وقد انحنى ظهره وذهب بصره على فقد ولده يوسف، فوقع مغشيًّا عليه من البكاء فقالوا: ما هذا البكاء؟ فقال: أخبرني هذا الأعرابي أن يعقوب أشرف على الهلاك، فقالوا: وإذا هلك ماذا يكون؟ ثم قالوا: أله ذنب؟ قال: اتخذ محبوبًا مع الله تعالى.

حكاية: جاءت امرأة إلى الجنيد فقالت: زوجي يريد أن يتزوج علي قال: إن لم يكن له أربع جاز قالت: لو جاز النظر إلى الأجانب لكشفت لك عن وجهي حتى تنظر إلي فتعرف أن من له مثلي لا ينبغي له أن يتزوج غيري فوقع الجنيد مغشيًّا عليه، فلما أفاق سئل عن ذلك قال: كان الحق سبحانه وتعالى يقول: لو جاز لأحد النظر إلي في الدنيا لكشفت له الحجاب عن وجهي حتى ينظرني فيعرف أن من له مثلي لا ينبغي أن يكون في قلبه سواي، ورأيت في قواعد ابن عبد السلام شعرًا:

ولو أن ليلى أبرزت حسن وجهها لهام بها اللوام مثل هيامي
ولكنها أخفت محاسن وجهها فضلوا جميعًا عن حضور مقامي

وقال أهل الإشارة: إبراهيم - عليه السلام - ادعى محبة الله ونظر إلى ولده بعين المحبة فلم يرض حبيبه بمحبة مشتركة، فقيل له: اذبح ولدك فلما أسلم قيل له: ليس المراد ذبح الولد إنما المراد أن ترد قلبك إلينا فلما رددته إلينا رددنا عليك ولدك، والذبيح إسماعيل على الصحيح حكاه القرطبي في سورة مريم عن المعظم لكن صحح في الصافات أنه إسحاق، وقيل لمريم: ألا تتزوجين؟ فقالت: لساني مشغول بذكره وجوارحي بخدمته وقلبي بمحبته فرزقها الله عيسى من غير أب كما سيأتي مبسوطًا في فضل الأمة.

وقال وهب: قرأت في بعض كتب الله تعالى: قال موسى - عليه السلام - لإبليس: لم لم تسجد لآدم؟ فقال: ما أردت أن أكون مثلك فإني ادعيت محبته فما أردت السجود لغيره واخترت العقوبة على كذب دعواي، وأنت ادعيت محبته فقال لك: انظر إلى الجبل فنظرته ولو غمضت

عينيك لنظرت إليه، وقال سهل بن عبد الله: ما من ساعة إلا ويطلع الله على عباده فأي قلب وجد فيه غيره سلط عليه إبليس وقال الشبلي في قوله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ﴾ [النور :٣٠] : غض أبصار الرءوس عن المحرمات وغض أبصار القلوب عن غير الله تعالى.

لطيفة: السلحفاة لا تحضن بيضها بل تنظر إليه فيؤثر نظرها فيه فيصير فرخًا فكيف إذا نظر الخالق إلى عبده المؤمن كما ورد في كل يوم ثلثمائة وستين نظرة، قال النسفي: أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام أني خلقت في جوف عبدي بيتًا وسميته قلبًا وجعلت أرضه المعرفة وسماءه الإيمان وشمسه الشوق وقمره المحبة وترابه الهمة ورعده الخوف وبرقه الرجاء وغمامه الفضل ومطره الرحمة وشجره الوفاء وثمره الحكمة ونهاره العراسة - وهي الضياء - وليله المعصية - وهي الظلمة - وله باب من العلم وباب من الحلم وباب من اليقين وباب من الغيرة، وله ركن من الأنس وركن من التوكل وركن من اليقين وركن من الصدق وعليه قفل من الفكر لا يطلع على ذلك البيت غيري.

وعن يحيى بن معاذ الرازي: قلب المؤمن مضغة جوفانية حشوها جوهرة ربانية حولها روضة فردانية تحتها ساحة نورانية، وفي كتاب اللؤلؤيات عن النبي ﷺ: «**ألا وإن لله آنية في الأرض وهي القلوب فأحبها إلى الله أصفاها وأصلبها وأرقها أصفاها من الذنوب وأصلبها في الدين وأرقها على الإخوان**».

وقال داود عليه السلام: «**يا رب لكل ملك خزانة فما خزانتك؟ قال: لي خزانة أعظم من العرش وأوسع من الكرسي وأطيب من الجنة وأنور من الشمس وهي قلب المؤمن**» وقال الشيخ عبد القادر الكيلاني: أول من يطلع في قلب المؤمن نجم الحلم ثم قمر العلم ثم شمس المعرفة فبضوء نجم الحلم ينظر إلى الدنيا وبضوء قمر العلم ينظر إلى الآخرة وبضوء شمس المعرفة ينظر إلى المولى، النفس المطمئنة نجم والقلب السليم قمر والسر الصافي شمس مقام النفس في الباب ومقام القلب في الحضرة ومقام السر قائم بين يدي الله تعالى يلقن القلب وهو يلقن النفس وهي تملي على اللسان واللسان يملي على الخلق.

فوائد: الأولى: إن الله اشترى الأنفس دون القلوب لكثرة عيوبها فاشتراها ليصلحها ولأن القلب وقف على محبة الله، والموقوف لا يصح بيعه وستأتي زيادة في باب الجهاد إن شاء الله تعالى. قال القشيري: ثمن النفس الجنة وثمن القلب المشاهدة.

الثانية: أعطى الله تعالى مفتاح الجنة لرضوان ومفتاح جهنم لمالك ومفتاح الكعبة لبني شيبة وفيهم نزلت: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النساء :٥٨] لما قبض النبي ﷺ المفتاح فقال لعثمان بن طلحة: «**هاك أمانة الله خالدة تالدة لا ينزعها منكم إلا ظالم**» ولا يعطي مفتاح قلب المؤمن لأحد؛ لأنه خزانة فلا يقدر أحد من الشياطين عليها كما لا يقدر أحد على خزانة أحد من ملوك الدنيا فذلك قوله تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام :٥٩] .

الثالثة: زين الله السماء بالنجوم وحفظها من الشياطين كذلك قلب المؤمن زينه بالمعرفة وحفظه، بل هو أحق من السماء بالحفظ وقيل في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾ [الملك :٥] : أي زينا قلوب الأولياء بالمعرفة وجعل فيها مصابيح الهداية وقلوب المحبين بالشوق وقلوب المتوكلين باليقين وقلوب العارفين بالخوف والرجاء.

الرابعة: لما قصد أبرهة خراب الكعبة أرسل الله طيرًا أبابيل أي كثيرة ترميهم بحجارة من سجيل أي من طين مشوي مع كل طير حجر في فمه وحجران في رجليه ويمرق الحجر من الفارس وفرسه كذلك الشيطان إذا قصد فساد قلب المؤمن يرسل الله عليه حجارة اللعنة.

الخامسة: خلق الله اللسان واحدًا والقلب واحدًا دون غيرهما من الأعضاء إشارة إلى أنه لا يذكر بالواحد إلا الواحد ولا يكون في الواحد إلا الواحد، وفيه حكمة أخرى: القلب محل الاجتهاد والنية فلو كان له قلبان لحصل الاختلاف في النية والاجتهاد فلو نوى بلسانه صلاة الظهر مثلاً وبقلبه صلاة العصر فالعبرة بما في القلب وفي الأذكار للإمام النووي: والأذكار المشروعة في الصلاة وغيرها لابد فيها من التلفظ بلسانه بحيث يسمع نفسه فلا يكفي الإتيان بها في القلب ولا يحنث من حلف لا يأكل لحمًا بأكل القلب.

السادسة: قال القرطبي: قال جميل بن معمر الفهري: لي قلبان أعقل بهما أكثر من قلب محمد، فلما انهزم يوم بدر وإحدى نعليه في رجله والأخرى في يده فقيل له في ذلك قال: ما شعرت إلا أنهما في رجلي فعرفوا أنه لو كان له قلبان لما نسي نعله في يده فكذبه الله تعالى بقوله: ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ﴾ [الأحزاب :٤] .

وفي تفسير الرازي: «سورة آل عمران» على الأكثرين - لم تقاتل الملائكة إلا في غزوة بدر، وفي غيرها يحضرون كالمدد للمسلمين.

فائدة: قال أبو بكر الكتاني وكان من أصحاب الجنيد مات سنة ثمان وعشر وثلثمائة: رأيت النبي ﷺ في المنام فقلت له: ادع الله أن لا يميت قلبي قال: قل كل يوم أربعين مرة يا حي يا قيوم لا إله إلا أنت أسألك أن تحيي قلبي اللهم صلِّ على محمد وعلى آله وسلم فقلنا ثلاثة أيام فأحيا قلبي.

قال النسفي: الشمس لها شروق وغروب ولولا ذلك لفسد العالم والقلب له شروق وهو الرجاء وله غروب وهو الخوف ولولا ذلك لفسد القلب، وقال أبو سعيد الخراز: رأيت إبليس في المنام عريانًا فأردت ضربه بالعصا فقيل: إنه لا يخاف من العصا بل يخاف من نور القلب.

فائدة: قال جعفر الصادق: أكل الرمان ينور القلب وقال ابن عباس: ما افتتحت رمانة قط إلا نظرت منها الجنة، وفي الحديث: **«ما من حبة منها تقوم في جوف رجل إلا نورت قلبه وأخرست عنه شيطان الوسوسة أربعين يومًا»**، وفي الحديث: **«من أكل رمانة حتى يستكملها**

نور الله قلبه أربعين يومًا» قال ابن طرخان : إنه جيد للمعدة ونافع للحلق والصدر والسعال وله خاصية عظيمة إذا أكله مع الخبز . هكذا قاله في الطب النبوي ، وطعام حامضه ينفع المعدة ويقطع الإسهال ويزيل الصفراء والعطش ويقوي الأعضاء وماؤه مع دهن البنفسج إذا وضع على نار لينة يزيل الحكة من الجسد شربًا ودهنًا ورأيت في نزهة النفوس والأفكار في خواص الحيوان والنبات والأشجار : وشراب الحلو يسكن لهيب المعدة وينفع من النزلات وصفته أوقية من ماء الرمان وأوقية من السكر يعقد على النار وشراب حامضه ينفع من غلبة الصفراء أو كثرة القيء والغثيان وصفته ثلاث أواقٍ من السكر ونصف أوقية من مائه ، وفي الإحياء للغزالي أنفع ما دخل في المعدة الرمان الحلو ، وأضر ما دخلها الحامض ، وقيل : الحامض أنفع من كثيره كأنه يشير إلى ذم الأكل الكثير وسيأتي في باب فضل الجوع .

لطيفة : قال الخواص : أصابتني شهوة الرمان فخرجت في طلبه فرأيت رجلاً في البرية والزنانير نحوه قد آذته قلت له : لو كان لك حال مع الله لدفع عنك ذلك ، فقال : وأنت لو كان لك حال مع الله لدفع عنك شهوة الرمان .

فائدة : رأيت في زاد المسافر وهو كتاب حسن في الطب : إذا سحق قشر الرمان ناعمًا وخلط بعصارة السداد وقطر في الأذن المتألمة زال ألمها بإذن الله تعالى .

مسألة : فضل قوم السمع على البصر من وجهين :

الأول : أنه يدرك المسموعات من كل جهة والبصر لا يدرك المرئيات إلا من جهة واحدة وهي المقابلة ومن خصائص نبينا محمد ﷺ أنه كان يرى من ورائه كما يرى من أمامه ورأيت في شرح البخاري للكفوري كان له ﷺ عينان بين كتفيه .

الثاني : أن السمع لا يحجبه ظلمة ولا حجاب والبصر يحجبه ذلك .

مسائل:

الأولى : لو اشترى رمانًا فوجده حامضًا لا يرده إلا إذا شرط حلاوته فإن شرطها وبانت حموضته بغرز إبرة مثلاً رده وإن ثقبه فلا ، قاله في الروضة .

الثانية : لو حلف أن يأكل هذه الرمانة فأكلها إلا حبة واحدة حنث ولزمته الكفارة، وهي إما عتق رقبة مؤمنة إن شاء الله أو كسوة عشرة مساكين أو إطعامهم من غالب قوت البلد كل واحد ثلاث أواقٍ وربع بالشامي من الحب السليم فلا يجزئ الدقيق والخبز عند الشافعي ، فإن عجز عن ذلك صام ثلاثة أيام ولو في كل شهر يومًا ويجب تتابعها عند الإمام أحمد وعنده تجب الكفارة إذا حلف بالنبي ﷺ خاصة دون غيره من الأنبياء ولو قال : إن لم تأكلي هذه الرمانة فأنت طالق فأكلتها إلا حبة واحدة لم يقع الطلاق ، كما لو حلف أنه لا يلبس هذا الثوب فانتزع منه خيطًا مثلاً لم يحنث بلبسه .

الثالثة: لو حلف أن لا يأكل فاكهة حنث بأكل الرمان عند الشافعي، ويصح السلم فيه بالوزن قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: يجتمع على الرمانة في الجنة جمع فيأكل كل واحد منها لونًا غير الذي يأكل الآخر اللهم اجعلنا منهم في عافية بلا محنة.

فائدة: قال علي بن أبي طالب - رضي الله عنه-: كُلِ الرمان بلبه فإنه دماغ المعدة. وفي نزهة النفوس والأفكار شحم الرمان في عين صاحب الجدري أمان لبصره والهوام تهرب من قشره كما تهرب من دخن خشبه، والله أعلم.

قال الإمام النسفي وغيره: لما دخل موسى على شعيب عليهما الصلاة والسلام ليرعى غنمه قال له: ادخل البيت وخذ لك عصا فنادته عصاه فأخذها، فقال شعيب: خذ غيرها فاختصما فأرسل الله إليهما ملكًا وأمره بغرزها وقال: من قلعها فهي له فلم يستطع شعيب مع شرفه قلعها مع حقارتها وقد غرزها مخلوق فكيف يستطيع الشيطان مع دناءته أن يقلع الإيمان من قلب المؤمن والله تعالى هو الذي غرزه؟.

قال القرطبي وغيره: كانت عصا موسى من آس الجنة تخاطبه وتنور عليه ليلاً وتظله من الحر وتثمر له وإذا تعب ركبها وإذا أراد الشرب من بئر صارت ثقبتاها كالدلو وإذا نام تحرسه وطولها اثنا عشر ذراعًا، وفي تفسير الرازي وغيره عشرة أذرع على طول موسى وهو الصحيح واسمها عليق وكان له فيها ألف معجزة ونبينا محمد ﷺ سعت له الأشجار وسلمت عليه وصار بعضها خلف ظهره لما قضى حاجته ثم رجعت إلى أماكنها لما فرغ من حاجته بإشارته ﷺ وسيأتي فضل إمساك العصا في باب الزهد إن شاء الله.

حكاية: لما ظهر فرعون على إيمان آسية - رضي الله عنها - أحضر الجزار وقال: اصنع بها كما تصنع بالشاة إذا ذبحتها فقالت الملائكة: ربنا قد وقعت هذه المرأة في بلاء فرعون، فقال: إنها قد اشتاقت إلى لقائنا فلما صارت إلى النزع قال الله تعالى: يا جبريل إنها تحرك شفتيها فاسمع ما تقول وهو أعلم فقال: يا رب إنها تطلب بيتًا فقالت الملائكة: بلاؤها شديد وصبرها كثير وسؤالها حقير. فقال الله تعالى: فاسمع منها في أي مكان هذا البيت وعند من تنزل؟ فقال: يا رب إنها تقول: ﴿رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ﴾ [التحريم: ١١] فقالت الملائكة: هذا سؤال عظيم وبيت شريف؛ لأنه في جوارك ومبني في دارك فقال الله تعالى: بنيته لها قبل سؤالها فكانوا يسلخونها وهي تنظر إليه وتقول: الله، وقال البغوي: إن فرعون أمر بصخرة عظيمة لتلقى عليها فلما أتوها بالصخرة، وقالت: ﴿رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ﴾ فنظرت إليه وهو من درة بيضاء وانتزعت روحها فألقوا الصخرة على جسد لا روح فيه، وقال الحسن وغيره: رفعها الله إلى الجنة فهي تأكل وتشرب.

وقال نجم الدين: كانوا يعذبونها في الشمس فإذا انصرفوا عنها أظلتها الملائكة وقال الثعلبي في كتاب العرائس: إن موسى عليه السلام مر بها وهي في العذاب فشكت إليه بأصبعها

فدعا الله تعالى أن يخفف عنها فلم تجد ألمًا فلما نظرت إلى البيت ضحكت، فقال: انظروا الجنون الذي بها تضحك وهي في العذاب؟ قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر:٤٦]: وكانوا ألفًا وستمائة ألف لم ينج منهم إلا آسية وابن عم فرعون الذي كتم إيمانه واسمه حزقيل وقال خير، وقال رجل للأوزاعي: رأيت طيورًا بيضاء تخرج من البحر أفواجًا لا يحجبهم إلا الله تعالى فيأخذون ناحية المغرب ثم يرجعون في الليل سودًا قال: تلك الطيور في حواصلها أرواح آل فرعون يعرضون على النار غدوًّا وعشيًّا فترجع إلى أوكارها وقد احترق ريشها فينبت لها في الليل ريش أبيض تغدو فيعرضون على النار وهكذا إلى يوم القيامة.

لطيفة: إنما قالت آسية في الحكاية المقدمة: ﴿عِندَكَ﴾ [النساء:٧٨] أولاً اختيارًا منها للجار قبل الدار، وقالت: ﴿بَيْتًا﴾ [العنكبوت:٤١] وما قالت دارًا؛ لأن الغالب لا يسكن البيت إلا واحد فأرادت الخلوة مع الحبيب فهذه السعيدة كان لها عند ربها قدم صدق، قال الليث: القدم الصدق السابقة أي سبق لهم عند الله خير، وقيل: القدم الصدق العمل الصالح فالمعنيان موجودان في هذه المرأة: لها مع الله السابقة الحسنى فلذلك آمنت بالله ونبيه وموسى وهما إن شاء الله موجودان فينا أيضًا؛ لأنا آمنا بالله وبجميع رسله وذلك إن شاء الله دليل السابقة الحسنى؛ لأنا لا نعجب من تخصيص الله بعض عباده بالرسالة والنبوة كما عجب الكفار من نبوة محمد ﷺ، قال في تهذيب الأسماء واللغات في ترجمة عمران بن الحصين قال النبي ﷺ لأبي الحصين: «**كم تعبد اليوم إلهًا**»؟ قال: سبعة: ستة في الأرض وواحد في السماء، قال: «**فأيهم تعد لرغبتك ورهبتك**»؟ قال: الذي في السماء قال: «**يا أبا حصين ألا إنك لو أسلمت علمتك كلمتين ينفعانك**» فلما أسلم قال: علمني قال: «**قل: اللهم ألهمني رشدي وأعذني من شر نفسي**».

حكاية: حلف بعضهم على زوجته أن لا تتصدق فتصدقت في بعض الأيام على رجل فرآها زوجها فقال لها: كيف خالفت أمري؟ قالت: فعلت شيئًا لله تعالى فأوقد تنورًا، وقال: ادخلي فيه لأجل الله فلبست حليها وحللها فسألها عن ذلك فقالت: إن المحب إذا زار حبيبه تزين له ثم ألقت نفسها في التنور فأطبق عليها ثلاثة أيام ثم كشف عنها فرآها تتبسم فتعجب من ذلك فهتف به هاتف: إن النار لا تحرق أحبابنا فتاب توبة حسنة.

قال أبو يزيد البسطامي: من عرف الله كان على النار عذابًا ومن جهله كانت النار عليه عذابًا ثم قال - رضي الله عنه -: لو رأتني جهنم لخمدت.

مسألة: لو قال لزوجته: إن أحببت دخول النار فأنت طالق فقالت: أحببت دخولها ففي وقوع الطلاق وجهان: أحدهما: لا يقبل قولها؛ لأن أحدًا لا يحب النار فيقطع بكذبها والثاني: يقبل فتطلق؛ لأنه لا يعرف إلا من جهتها حكاه العلائي في قواعده.

فائدة: قال الغزالي: أوحى الله إلى داود عليه السلام بلغ أهل الأرض عني أني حبيب لمن

أحبني وجليس لمن جالسني وأنيس لمن أنس بي ومصاحب لمن صاحبني ومختار لمن اختارني ومطيع لمن أطاعني، فإني خلقت طينة أحبائي من طينة إبراهيم وموسى ومحمد ﷺ ونورت قلوب المشتاقين من نوري ونعمتها بجلالي وعن ابن مسعود - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «**إن لله في الأرض ثلثمائة قلوبهم على قلب آدم عليه السلام وله أربعون قلوبهم على قلب موسى وله سبعة قلوبهم على قلب إبراهيم وله خمسة قلوبهم على قلب جبريل وله ثلاثة قلوبهم على قلب ميكائيل وله واحد قلبه على قلب إسرافيل فإذا مات الواحد أبدل الله مكانه من الثلاثة وإذا مات من الثلاثة أبدل مكانه من الخمسة وإذا مات من الخمسة أبدل مكانه من السبعة وإذا مات من السبعة أبدل مكانه من الأربعين، وإذا مات من الأربعين أبدل مكانه من الثلثمائة وإذا مات من الثلثمائة أبدل الله مكانه من العامة**»

قال اليافعي رحمه الله عن بعضهم: لم يذكر النبي ﷺ قلبه؛ لأن الله تعالى لم يخلق أشرف من قلبه وهو بالنسبة إلى قلوب الأنبياء كالشمس عند الكواكب.

حكاية: لما أخرج أهل الكهف وكانوا سبعة شباب بعد عيسى عليه السلام تبعهم كلب أصفر اللون فطردوه مرارًا فلم يرجع، ثم قال لهم: لا تخافوا مني فإني أحب أحباب الله وقد عرفت الله قبلكم فحملوه على أعناقهم.

قال النسفي: ويدخل معهم الجنة وكذلك ناقة صالح وعجل إبراهيم وسيأتي إن شاء الله تعالى في باب الكرم، وكبش إسماعيل وهو الذي قربه هابيل وبقرة بني إسرائيل وسيأتي ذكرها في بر الوالدين وحوت يونس وسيأتي في باب الأمانة ونملة سليمان وستأتي في باب الزهد وهدهد بلقيس وسيأتي في الكرم وناقة محمد ﷺ وستأتي في مناقب فاطمة - رضي الله عنها - وحمار العزير عليه السلام وزاد غيره وذئب يعقوب وسيأتي في ذكر الغيبة والنميمة.

قال مؤلفه - رحمه الله تعالى -: ويدل عليه كلب أهل الكهف لما صحبهم صار ذكره في القرآن إلى يوم القيامة ويمر معهم على الصراط فإذا صار على باب الجنة منعه رضوان فيخرج النداء: دعه يدخل معهم، ويجعل الله له روضة في الجنة طولها خمسمائة عام وقصور أهل الجنة تشرف على الروضة فحيثما التفت الكلب رآهم.

قال القشيري في تفسيره: لما صحبهم لم تضرهم نجاسته ولا خساسة قيمته فكلب بسط ذراعيه بالوصيد أي باب الأولياء فصار يقال له يوم القيامة: ﴿وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾ [الكهف: ١٨] فالمؤمن من يرفع يديه إلى ربه خمسين مرة مثلًا أتراه يردهما خائبتين؟ وقال في صفة أهل الكهف: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ [الكهف: ٢٢] الآية وقال في هذه الأمة: ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم، قال علي -رضي الله عنه-: عند أهل الكتاب أن أصحاب الكهف لبثوا ثلثمائة سنة شمسية والله تعالى ذكر ثلثمائة قمرية والتفاوت بين الشمسية والقمرية في كل مائة ثلاث سنين فلذلك قال: ﴿وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ [الكهف: ٢٥]، وسيأتي إن شاء الله تعالى زيادات

حسنة في باب فضل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

فائدة: جاء في الحديث عن النبي ﷺ من أراد الجلوس مع الله فليجلس مع أهل التصوف، وقال رجل للإمام أحمد بن حنبل: هؤلاء الصوفية جلسوا في المسجد بلا علم فقال: العلم أجلسهم في المسجد إن أحدهم يرضى بكسرة وما أحسن ما يرضى من الدنيا بكسرة فقال: إنهم يرقصون ويتواجدون قال: من فرحهم بالله تعالى.

حكاية: قال إبراهيم بن أدهم - رضي الله عنه -: رأيت في المنام كأن ملكًا نزل من السماء فسألته عن حاله، فقال: نزلت أكتب المحبين مثل: ثابت البناني ومالك بن دينار وذكر جماعة فقلت هل أنا منهم؟ قال: لا فقلت: إذا كتبتهم فاكتب تحتهم إبراهيم محب المحبين فقال الملك: قد أمرني ربي في هذه الساعة أن أكتبك في أولهم.

قال مؤلفه: ورأيت نظيره عن مالك بن دينار أنه رأى رجلين يكتبان في اليقظة فسألهما فقالا: نكتب أسماء المحبين فقال: بالله هل أنا منهم؟ فقالا: لا، فوقع مغشيًا عليه ثم رأى في منامه قائلًا يقول: أنت منهم ومعهم المرء مع من أحب وأوحى الله إلى موسى هل عملت لي عملًا؟ قال: صليت وصمت وتصدقت وسبحت وقرأت فقال: الصلاة لك نور والصوم لك جنة - بضم الجيم - والصدقة لك ظل والتسبيح لك أشجار والقراءة لك جواز فأين الذي عملته لأجلي؟ قال: دلني عليه قال: هل واليت وليًا أو عاديت لي عدوًا؟ فعلم موسى أن أفضل الأفضال الحب في الله والبغض في الله.

حكاية: نقل الإمام الرازي عن جماعة من المفسرين: أن ثوبان - رضي الله عنه - مولى رسول الله ﷺ كان شديد الحب للنبي ﷺ قليل الصبر عنه فجاء يومًا قد تغير لونه ونحل جسمه فسأله فقال: يا نبي الله ما بي من وجع ولكني ذكرت الآخرة وقد مضى يوم لم أرك فيه فاشتقت إليك فكيف يكون حالي في الآخرة؟ فإن دخلت الجنة أكون مع العبيد وأنت مع النبيين فلا أراك أبدًا وأنا لا أصبر عنك فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ﴾ [النساء :٦٩] ، قال النووي في تهذيب الأسماء واللغات: ثوبان بن بُجدد بموحدة مضمومة ثم جيم ساكنة ثم دال مهملة مكررة الأولى مضمومة اشتراه النبي ﷺ ثم أعتقه وروى عن النبي ﷺ مائة وسبعة وعشرين حديثًا.

مسألة: أم أمه لا يرث منها شيئًا؛ لأنه من ذوي الأرحام وهي ترث منه السدس وأما أبوه فيرثها إن لم يكن لها ابن ولا أب فإن كان لها بنت فلها النصف والباقي له، فإن كان لها بنتان فلهما الثلثان والباقي له، فإن مات فهو عن أمه وأم أبيه فيشتركان في السدس.

قال مؤلفه: تحير بعضهم في مسألة سئل عنها وهي ثلاث إخوة متفرقين فكان من جوابه أنه قال: لا يقسم المال حتى يجتمع الإخوة فقيل: إنهم في الحضرة فقال: كيف يكونون في الحضرة وهم متفرقون؟

فالجواب عن هذه المسألة: أن الأخ من الأم له السدس والباقي للأخ من الأبوين ولا شيء للأخ من الأب بخلاف الأخوات المتفرقات فإن للأخت من الأبوين النصف وللأخت من الأم السدس وللأخت من الأب السدس أيضًا والله أعلم، فإن اجتمع الجميع بأن مات عن أخ وأخت لأبوين وأخ وأخت لأب وأخ وأخت لأم أصلها من ثلاث تصبح من ثمانية عشر لولدي الأم ستة بينهما بالسوية يبقى اثنا عشر لأولاد الأبوين: للأخ ثمانية ولأخته أربعة وأولاد الأب لا شيء لهم.

حكاية: إذا علم المؤمن بقلبه ما يجب له وما يستحيل عليه فكأنه وحده وهذا النفي والإثبات مجموع في كلمة التوحيد أولها: نفي وآخرها: إثبات والاسم الأعظم في آخر الكلمة إشارة إلى أنه لا شيء بعده.

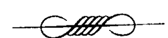
فائدة: قال النسفي - رحمه الله -: جاء في الخبر إذا أرادت المرأة الولادة أرسل الله إليها ملكين عن يمينها وشمالها فإذا أراد صاحب اليمين إخراجه زاغ إلى جهة الشمال، وإذا أراد صاحب الشمال إخراجه زاغ إلى جهة اليمين فتتوجع المرأة فيخاف الملكان فيقول الملكان: ربنا عجزنا عن إخراجه فيتجلى الله تعالى فيقول: عبدي ما أنا؟ فيقول: الله الذي لا إله إلا أنت ويسجد فيخرج في سجوده على رأسه.

فائدة: إذا شربت معوقة الولادة أربعة مثاقيل من قشر خيار الشنبر اليابس خرج الولد سريعًا وينبغي للحامل إذا قربت ولادتها أن تدخل الحمام كل يوم.

قال الرازي: ومما جربته مرارًا فوجدته نافعًا سقي المعوقة وزن درهمين زعفرانًا فإنها تلد سريعًا بإذن الله، ثم شم الزعفران ينفع من الشقيقة ومن وجع الظهر شرابًا وإذا وضع في الطعام أو الشراب حسن اللون أو في بيت لا يدخله سام أو برص أو في ثياب الصوف دفع عنها العتة، قال في الحاوي: إنه يصلح البلغم ويقوي القلب ويهيج الباه ويزيل النسيان ويفرح النفس وينشط.

لطيفة: قال رجل لابن سيرين: رأيت في المنام ديكًا يقول: الله الله الله فقال: بقي من أجلك ثلاثة أيام فكان كما قال.

نسأل الله تعالى أن يختم أعمالنا بالتوحيد في عافية.



باب: في ذكر الموت والأمل وفضل الصبر والرضا والأدب

قال الله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر:٣٠] بدأ به ﷺ تسلية للنفوس وقال ﷺ: «**الموت تحفة المؤمنين**» وتقدم عن بعض العارفين الدنيا بلا موت لا تساوي دانقًا وقالت عائشة: يا رسول الله هل يحشر مع الشهداء أحد؟ قال: «**نعم من يذكر الموت في اليوم والليلة عشرين مرة**»، وفي حديث آخر: «**يا علي من قال كل يوم إحدى وعشرين مرة: اللهم بارك في الموت وفيما بعد الموت لم يحاسبه الله بما أنعم عليه في الدنيا**» وفي حديث آخر: «**مثل المؤمن في الدنيا كمثل الجنين في بطن أمه فإذا خرج بكى فإذا رأى الضوء لم يحب أن يرجع إلى الدنيا**»، وقالت عائشة - رضي الله عنها -: قال النبي ﷺ: «**إذا عاين المؤمن الملائكة قالوا: نرجعك إلى الدنيا؟ فيقول: دار الهموم والأحزان؟ بل قدومًا إلى الله عز وجل**».

فائدة: يكره تمني الموت لمن أمن على دينه، قال الرازي في قوله عز وجل: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ [يونس:٣١] قدم الفعل إخراج الحي؛ لأنه أشرف من الميت فوجب الاعتناء بإخراج الحي من الميت أكثر من إخراج الميت من الحي، فلهذا قدم الأول قبل الحي المؤمن يخرج الكافر وبالعكس، وقيل: النبات من الحب والعكس، وقيل: البيضة من الدجاجة وبالعكس ورأيت في الشفا أن رجلًا أتى النبي ﷺ فذكر أنه طرح بنتًا له في وادي كذا فانطلق معه فناداها يا فلانة قالت: لبيك يا رسول الله قال: «**إن أبويك قد أسلما فإن أحببت أدلك عليهما**» فقالت: لا حاجة لي بهما وجدت الله خيرًا منهما.

قال كعب الأحبار - رضي الله عنه -: من عرف الموت هانت عليه مصائب الدنيا وهمومها وفي الحديث: إن الله تعالى إذا رضي عن عبده قال لملك الموت: اذهب إلى فلان فأتِ بروحه لأريحه من عمله قد بلوته فوجدته حيث أحب، فينزل ملك الموت ومعه خمسمائة من الملائكة معهم قضبان الريحان وأصول الزعفران كل واحد منهم يبشره ببشارة جديدة سوى بشارة صاحبه وتقوم الملائكة صفين لقدوم روحه ومعهم الريحان، فإذا نظر إليهم إبليس وضع يده على رأسه وصاح فيقول له جنوده: مالك يا سيدنا؟ فيقول: ألا ترون إلى ما أعطي هذا العبد من الكرامة، أين كنتم عنه؟ قالوا: قد جهدنا به فكان معصومًا.

قال العلائي في تفسيره: رأيت في بعض الكتب أن ملك الموت مكتوب على جبهته لا إله إلا الله فإذا رآها المؤمن تذكر الشهادة.

موعظة: قال القرطبي: في تذكرته عن بعضهم: من أكثر من ذكر الموت أكرم بثلاثة أشياء: تعجيل التوبة وقناعة النفس والنشاط في العبادة، ومن نسي ذكره عوقب بثلاثة أشياء تسويف التوبة وترك الرضا بالكفاف وتكاسل في العبادة، وقال ﷺ: «**لو تعلم البهائم من الموت ما تعلمون ما أكلتم منها سمينًا**».

حكاية: مر عيسى - عليه السلام - وراع يرعى إبلاً فوجد بعيرًا سمينًا يفرح بنفسه ويعض واحدًا بعد واحد فأخذه عيسى بأذنه وقال له: إنك ميت ثم مر بعد أيام على ذلك الرجل وهو يرعى إبله فوجد البعير قد هزل واعتزل وحده وترك الأكل والشرب، فسأل الراعي عن ذلك فقال: يا روح الله لا أعلم إلا أن رجلاً مر به كلمه في أذنه فأصابه ما ترى، فكان عيسى إذا ذكر الموت قطر جلده دمًا وكان سفيان الثوري إذا ذكر الموت لا ينتفع به أيامًا، وإذا سئل عن شيء قال: لا أدرى، قال النووى: وسفيان الثوري من تابعي التابعين، وقال ابن المبارك: كتبت عن ألف شيخ ومائة شيخ ما رأيت فيهم أفضل من سفيان الثوري في العلم والورع وضيق العيش.

فائدتان: الأولى: عن النبي ﷺ قال: «**إن للموقف ألف هول أدناها الموت وإن للموت تسعة وتسعين جذبة لألف ضربة بالسيف أهون من جذبة منها، فمن أراد أن يؤمنه الله تعالى من تلك الأهوال فعليه بعشر كلمات خلف كل صلاة وهي: اللهم إني أعددت لكل هول لا إله إلا الله ولكل هم وغم ما شاء الله ولكل نعمة الحمد لله ولكل رخاء وشدة الشكر لله ولكل أعجوبة سبحان الله ولكل ذنب أستغفر الله ولكل مصيبة إنا لله وإنا إليه راجعون، ولكل ضيق حسبي الله ولكل قضاء قد توكلت على الله ولكل طاعة ومعصية لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم**».

الثانية: قال في الحقائق: اعلم أن السماع ثلاثة أقسام:

قسم: يجذب الجسد وهو سماع الشيطان.

وقسم: كالمزمار ورجح الثوري تحريمه من القصب وجوزه غيره، وقال في نزهة النفوس والأفكار: إن من منافع القصب أن عتيقه إذا أحرق واكتحل به صاحب البياض الذي في العين قلعه أو اكتحل بالندى الذي على ورقه الأخضر، فكذلك إذا أحرق أصله وخلط بمثله من الحناء وخضب به الشعر قواه وأعانه على إنباته وإذا دق ورقه الأخضر ووضع على الحمرة والأورام الحارة نفعها بإذن الله تعالى، وأما الدف فهو مباح مثله طبل الصمادية ويكره في المسجد ويحرمان عند قراءة القرآن ويحرم ضرب الكف على الكف متواليًا للرجال وأما سماع الصوفية فلا إنكار فيه إذا صحت النية وسلمت العين من الخيانة.

فإن قيل: يتواجد المتواجد عند سماع الشعر دون سماع القرآن حتى انفتح لبعض المتفقهة باب الإنكار بهذا.

فالجواب: أن القرآن كلام ثقيل لا يليق مع وجوده إلا السكون والإنصات ولأنه يتكرر في الأسماع ولأن الشعر كلام البشر فبينهما مناسبة، وأما كلام الله فلا مناسبة بينه وبين البشر. قال البغوي في قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل: ٥]، وقال الحسن بن الفضل: قولاً خفيفًا على اللسان ثقيلاً في الميزان.

وقسم: يجذب الروح وهو سماع الخطاب من الغيب وذلك أن عزرائيل عليه السلام ينزل

على المؤمن فيجذب الروح من الجسد فلو جذبها بألف سلسلة ما خرجت فيقول الله دعها فإنها لا تخرج إلا بسماع فيناديها: ﴿يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾ [الفجر: ٢٧] فتخرج طائرة من حلاوة الخطاب فلا تزال طائرة إلى يوم القيامة فيقال لها: ﴿ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ﴾ [الفجر: ٢٨] أي جسدك فتفرح بالجسد ويفرح الجسد بها فتقول: أنا ما قر لي قرار ويقول الجسد: أنا أكلني الدود والتراب فيناديها منادٍ ليس بعد هذا الاجتماع فراق، ويأتي إليه ملك فيقول: أبشر كلما اندرست عظامك محيت آثامك، ويؤيده قول النبي ﷺ: «**الموت كفارة لكل مسلم**».

حكاية: ذكر النسفي في زهر الرياض: إذا دنت منية العبد نزل عليه أربعة من الملائكة فيقول الأول: السلام عليك يا عبد الله قلبت مشارق الأرض ومغاربها فلم أجد لك خطوة تخطوها ثم يقول الثاني: السلام عليك يا عبد الله قلبت أنهار الدنيا فلم أجد لك شربة ثم يقول الثالث: السلام عليك يا عبد الله قلبت مشارق الأرض ومغاربها فلم أجد لك لقمة فيها ثم الرابع: السلام عليك يا عبد الله قلبت مشارق الأرض ومغاربها فلم أجد لك نفسًا تتنفس به.

مسألة: قال القرطبي - رحمه الله - في التذكرة: اختلف الناس في الروح اختلافًا كثيرًا فمذهب أهل السنة أنه جسم لطيف وذكر قبل هذا بيسير أن الروح بعينين ويدين، ثم ذكر بعد هذا أن الروح تكون تارة في الأرض على أفنية القبور وتارة في السماء لا في الجنة قال عمرو بن دينار: ما من ميت يموت إلا وروحه في يد ملك تنظر إلى جسدها كيف يغسل وكيف يكفن وكيف يمشى به فيجلس في قبره ويقال له: اسمع ثناء الناس عليك، ذكره الحافظ أبو نعيم، وقيل: إن الأرواح تزور قبورها كل جمعة على الدوام فلذلك يستحب زيارة القبور ليلة الجمعة ويومها قال ﷺ: «**حسنوا أكفان موتاكم فإنهم يتباهون ويتزاورون في قبورهم**»، ثم قال القرطبي: قال أهل السنة: إن الروح ترفعها الملائكة إلى الله تعالى فإن كانت سعيدة قال: سيروا بها وأروها مقعدها من الجنة فيسيرون بها قدر ما يغسل فإذا غسل وكفن صارت بين جسده وكفنه، فإذا حمل على النعش سمع كلام من تكلم بخير أو شر.

قال في شرح المهذب: قال جماعة بكراهة الكلام خلف الجنازة حتى قول القائل: أستغفر الله ومن الجماعة الحسن البصري وابن جبير وإسحاق بن راهويه، والصواب أن الاشتغال بالذكر خلف الجنازة مستحب كما قاله في الأذكار ويكون سرًّا والله أعلم، فإذا دخل قبره دخلت الروح في الجسد لأجل السؤال والنعيم والعذاب عليهما ويلحقهما ثواب الصدقة والدعاء، وقال النبي ﷺ: «**مثل المؤمن في قبره مثل الغريق يتعلق بكل شيء ينتظر دعوة من والد أو ولد أو أخ أو صديق ليدخل على قبور الأموات، دعاء الأحياء من أهل الأنوار أمثال الجبال**»، والدعاء للأموات بمنزلة الهدايا للأحياء من أهل الدنيا فيدخل الملك على الميت ومعه طبق من نور عليه منديل من نور فيقول: هذه هدية لك من عند أخيك أو قريبك فيفرح بها كما يفرح الحي بالهدايا.

فوائد: الأولى: عن أنس عن النبي ﷺ قال: «**ما من عبد يقوم على قبر مؤمن فيدعو بهذا الدعاء إلا غفر الله لذلك الميت: الحمد لله الذي لا يبقى إلا وجهه ولا يدوم إلا ملكه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له واحد صمد وتر لم يتخذ صاحبة ولا ولدًا لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله**» جزى الله محمدًا النبي الأمي ما هو أهله.

الثانية: عنه أيضًا عن النبي ﷺ قال: «**إذا قرأ المؤمن آية الكرسي وجعل ثوابها لأهل القبور أدخل الله في كل قبر من أهل المشرق والمغرب أربعين نورًا ووسع الله عليهم مضاجعهم، وأعطى الله للقارئ ثواب ستين نبيًا ورفع له بكل حرف درجة وكتب له بكل ميت عشر حسنات**».

الثالثة: رأيت في كتاب المختار ومطالع الأنوار عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا يأتي على الميت أشد من الليلة الأولى فارحموا موتاكم بالصدقة فمن لم يجد فليصل ركعتين يقرأ فيهما فاتحة الكتاب وآية الكرسي وألهاكم التكاثر وقل هو الله أحد إحدى عشرة مرة ويقول: اللهم إني صليت هذه الصلاة وتعلم ما أريد اللهم ابعث ثوابها إلى قبر فلان بن فلان، فيبعث الله من ساعته إلى قبره ملكًا مع كل ملك نور وهدية يؤنسونه في قبره إلى أن ينفخ في الصور ويعطي الله المصلى بعدد ما طلعت عليه الشمس حسنات ويرفع الله له أربعين ألف درجة وأربعين ألف حجة وعمرة ويبني الله له ألف مدينة في الجنة ويعطي ثواب ألف شهيد ويكسى ألف حلة**». قال مؤلف الكتاب المذكور: وهذه فائدة عظيمة ينبغي لكل مسلم أن يصليها كل ليلة لأموات المسلمين.

الرابعة: من دخل المقابر وقال: اللهم رب هذه الأرواح الفانية والأجساد البالية والعظام النخرة التي خرجت من الدنيا وهي بك مؤمنة أدخل عليهم رحمة منك وسلامًا مني، كتب له من الحسنات بعدد الأموات، حكاه القرطبي عن الحسن البصري، وفي ربيع الأبرار بعدد من مات من بني آدم إلى يوم القيامة وأن النبي ﷺ كان يقولها إذا دخل الجبانة ونظيره عن أنس - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «**من دخل المقابر فقرأ سورة يس خفف الله عنهم وكان له بعدد من مات فيها حسنات**» وعن النبي ﷺ: «**أيما مسلم قرأ يس وهو في سكرات الموت لم يقبض روحه ملك الموت حتى يجيئه رضوان خازن الجنان بشربة من شراب الجنة فيشربها على فراشه فتقبض روحه وهو ريان وأيما مسلم قرئت عنده سورة يس إذا نزل له ملك الموت نزل بكل حرف عشرة آلاف ملك يقومون بين يديه صفوفًا يصلون عليه ويستغفرون له ويشهدون غسله وجنازته ودفنه**» ذكره ابن العماد في الذريعة.

الخامسة: زيارة القبور مستحبة للرجال؛ لأنها أنفع للقلوب وتزهد في الدنيا وتذكر الآخرة وقد أمر النبي ﷺ بها، ومكروهة للنساء وقيل تحرم؛ لأن النبي ﷺ لعن زائرات القبور وقيل: تباح إذا أمنت الفتنة. وجزم به الغزالي. قال في شرح المهذب: والذي قطع به الجمهور أن زيارة القبور مكروهة للنساء كراهة تنزيه، ثم حكى عن بعضهم تفصيلاً وهو إن كانت زيارتهن لتجديد الحزن والبكاء والنواح فحرام وإن كانت للاعتبار فمكروهة إلا أن تكون نحو عجوز لا

تشتهى فلا يكره، كحضورها الجماعة في المسجد ولا كراهة في زيارتهن قبور العلماء والصالحين، ويقول الزائر مستقبلاً للقبر: السلام عليكم دار قوم مؤمنين.

السادسة: قال أنس - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ: «**من رأى جنازة فقال: الله أكبر صدق الله هذا ما وعد الله ورسوله اللهم زدنا إيمانًا وتسليمًا كتب له عشرون حسنة من يوم يقولها إلى يوم القيامة**»، وقيل للإمام مالك - رحمه الله تعالى - بعد موته: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي بكلمة كان يقولها عثمان - رضي الله عنه - عند رؤية الجنازة: لا إله إلا الله سبحان الحي الذي لا يموت.

وقال الروياني: يستحب أن يقول عند رؤية الجنازة: لا إله إلا الله الذي لا يموت وقال النبي ﷺ: «**إذا مات رجل من أهل الجنة استحى الله أن يعذب من تبع جنازته ومن صلى عليه**» وروى البزار عنه عن النبي ﷺ: «**أول من يجازى به العبد بعد موته أن يغفر الله لجميع من تبع جنازته**» وسيأتي أن مشيع الجنازة يحشر فى زمرة الأنبياء. ولا دناءة فى حمل الجنازة ولو كان الميت امرأة وينبغي أن يكون على جنازة المرأة ما يسترها عن أعين الناس كتابوت وسماه الشيخ نصر المقدسي: مكبة، والماوردي: قبة، وصاحب البيان: خيمة، وأول ما فعل ذلك بفاطمة بنت النبي ﷺ وقال ابن حبان: أول ما فعل ذلك بزينب بنت جحش أم المؤمنين - رضي الله عنها - وقيل بزينب بنت النبي ﷺ قال في شرح المهذب: وهذا باطل غير معروف وقال عبد الله المزني صاحب الشافعي: إذا غمضت الميت فقل: بسم الله وعلى ملة رسول الله ﷺ، وإذا حملته فقل: بسم الله ثم سبح ما دمت حامله.

مسألة: لو حفر قبرًا لنفسه لم يكن أحق به من غيره؛ لأنه لا يدري أين يموت والأولى أن لا يزاحم عليه، فإن مات عقب الحفر فهو أحق به وعن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: «**إن ملك الموت لينظر في وجوه العباد كل يوم سبعين مرة**».

حكاية: كان عثمان بن عفان - رضي الله عنه - إذا ذكر القبر بكى دون الناس فسُئِلَ عن ذلك، فقال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**القبر أول منازل الآخرة فإن نجا منه صاحبه فما بعده أيسر منه وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه**» وقالت عائشة - رضي الله عنها -: يا رسول الله حدثني عن صوت منكر ونكير وضغطة القبر، فقال: يا عائشة إن صوت منكر ونكير في سماع المؤمن كالإثمد في العين وضغطة القبر كالأم الشفوقة يشكو إليها ابنها الصداع فتقدم إليه فتغمز رأسه رفقًا.

حكاية: لما ماتت صفية بنت عبد المطلب عمة النبي ﷺ وقف على قبرها وقال: قولي: هذا النبي محمد ابن أخي فقيل: ما هذا يا رسول الله؟ قال: إن منكرًا ونكيرًا سألاها عن دينها فتحيرت فقلت لها: قولي النبي محمد ابن أخي فقالوا: يا رسول الله أنت لقنت عمتك فمن يلقنا فأنزل الله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾

[إبراهيم :٢٧] ، قال الرازي: القول الثابت أن يقول: الله ربي ومحمد نبيِّي وديني الإسلام؛ لأن هذه الآية نزلت في سؤال الملكين، وقيل: هذا جواب قول المؤمن: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦] وعن النبي ﷺ قال: «**ما من عبد يقول ثلاث مرات عند قبر ميته اللهم بحق محمد وآل محمد لا تعذب هذا الميت إلا رفع الله عنه العذاب إلى يوم ينفخ في الصور**». عن أبي أمامة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ: «**إذا مات أحدكم فسويتم عليه التراب فليقم أحدكم على رأس قبره ثم يقول: يا فلان ابن فلانة فإنه يسمع ولا يجيب ثم يقل: يا فلان ابن فلانة فإنه يستوي قاعدًا ثم ليقل: يا فلان ابن فلانة فإنه يقول: أرشدنا رحمك الله تعالى ولكن لا تسمعون فيقول: اذكر ما خرجت عليه من الدنيا شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله وأنك رضيت بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد نبيًا وبالقرآن إمامًا، فإن منكرًا ونكيرًا يتأخر كل واحد منهما ويقول: انطلق بنا ما يقعدنا عند هذا وقد لقن حجته ويكون الله حجيجهما دونه فقال رجل: يا رسول الله، فإن لم يعرف أمه قال: بنسبه إلى أمه حواء**» قال القاضي حسين والمتولي والرافعي: يستحب هذا التلقين. قال تقي الدين بن الصلاح: هذا التلقين هو الذي نختاره ونعمل به والمختار أن يكون قبل أن يهال عليه التراب، وقال في الروضة: يقول: يا عبد الله ابن أمة الله، وقال في شرح المهذب: يا فلان اذكر ما خرجت عليه إلخ، ولا يلقن طفل ولا مجنون.

قال مؤلفه - رحمه الله تعالى -: قد اعتاد كثير ممن يلقن الموتى قراءة قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ﴾ [آل عمران :١٨٥] ، وعندي قراءة قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت :٣٠] .

مسألة: قال الإمام الشافعي وأحمد: تستحب الصلاة على الميت في المسجد وقال الإمامان بكراهتها والأفضل أن تكون الصفوف ثلاثة فإن لم يحضر إلا النساء فصلاتهن فرادى واحدة بعد واحدة أفضل، وبه قال مالك في شرح المهذب وفيه نظر، وينبغي أن تسن لهن الجماعة كجماعتهن في غيرها وبه قال الإمام أحمد وسفيان الثوري وغيرهما؛ وتكره الصلاة على الجنازة في المقبرة وأما في القبر فالصلاة عليه جائزة وإن كان قد صلَّى عليه وقال أبو حنيفة: يصلى على القبر إلى ثلاثة أيام، وقال الإمام: إلى شهر، والله أعلم.

فصل: في الأمل

قال الله تعالى: ﴿ذَرۡهُمۡ يَأۡكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلۡهِهِمُ ٱلۡأَمَلُۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ﴾ [الحجر :٣] ، وقال تعالى: ﴿فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ﴾ [الحديد :١٦] ، وعن النبي ﷺ: «**أيكم يحب أن يدخل الجنة قالوا: كلنا يا رسول الله قال: قصروا الأمل وثبتوا آجالكم بين أبصاركم واستحيوا من الله حق الحياء، قالوا: إنا نستحي من الله يا نبي الله قال: ليس ذلك، ولكن من استحى من الله حق الحياء فليحفظ الرأس وما وعى والبطن وما حوى وليذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة**

الدنيا فمن فعل ذلك فقد استحى من الله حق الحياء» وكان من دعائه ﷺ: **«اللهم إني أعوذ بك من ذنب يمنع خير الآخرة وأعوذ بك من حياة تمنع خير الممات وأعوذ بك من أمل يمنع خير العمل»** وقال علي - رضي الله عنه -: ألا وإن الأمل ينسى الآخرة، وقال داود الطائي: من طال أمله ساء عمله.

حكاية: مر عيسى ابن مريم - عليه السلام - على جبل فوجد شيخًا يعبد الله في الحر والبرد فقال: لو اتخذت بيتًا يقيك الحر والبرد فقال: يا روح الله أخبرني الأنبياء قبلك أني لا أعيش أكثر من سبعمائة عام فلم يختر عقلي أن أشتغل بالعمارة عن طاعة ربي، فقال عيسى - عليه السلام -: يأتي في آخر الزمان أمة لا تجاوز أعمارهم مائة عام يبنون القصور ذكره في روض الأفكار.

فصل: في الصبر

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [الزمر: ١٠]، وقال النبي ﷺ: **«يقول الله تعالى: إني إذا وجهت إلى عبد من عبيدي مصيبة في بدنه أو ماله أو ولده ثم استقبل ذلك بصبر جميل استحييت منه يوم القيامة أن أنصب له ميزانًا أو أنشر له ديوانًا»**.

فوائد: الأولى: عن ابن عباس - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ: **«من صبر على أداء فرائض الله فله ثلثمائة درجة ومن صبر على محارم الله فله ستمائة درجة ومن صبر على المصيبة فله تسعمائة درجة»**.

وقال بعض العارفين: الصبر على ثلاث مقامات:

الأولى: ترك الشكوى ويسمى الصبر الجميل وهي درجة التائبين.

الثانية: الرضا بالمقدور وهي درجة الزاهدين.

الثالثة: المحبة بما يصنع به المولى وهي درجة الصديقين، وقال عبد الله بن سلام - رضي الله عنه -: إذا كان يوم القيامة نادى مناد: ليقم أهل الصبر فيقوم ناس فيقال لهم: انطلقوا إلى الجنة فتقول الملائكة: إلى أين؟ قالوا: إلى الجنة قالوا: قبل الحساب؟ قالوا: نعم. قالوا: من أنتم؟ قالوا: نحن أهل الصبر. قالوا: كيف صبرتم؟ قالوا: صبرنا أنفسنا على طاعة الله وصبرنا أنفسنا عن معاصي الله تعالى وصبرنا على البلاء، ونحن في الدنيا، فتقول لهم الملائكة: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٤]، وقيل: إن ملكًا قال: يا إلهي ما جزاء الصابرين قال: جنة وحريرًا، قال: يا إلهي كيف يكون جلوسهم قال: ﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۚ﴾ [الكهف: ٣١] قال: يا إلهي ما ثوابهم على الحر والبرد قال: ﴿لَا يَرَوۡنَ فِيهَا شَمۡسٗا وَلَا زَمۡهَرِيرٗا﴾ [الإنسان: ١٣] قال: فإن صبروا عن لذات الدنيا قال: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيۡهِمۡ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتۡ قُطُوفُهَا تَذۡلِيلٗا﴾ [الإنسان: ١٤] قال: يا إلهي من يخدمهم في الجنة قال: ﴿يَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ﴾ [الواقعة: ١٧]،

قال: ما صفتهم قال: ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾ [الإنسان: ١٩] قال: يا إلهي ما صفة نعيم الجنة قال: لا يوصف ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ [الإنسان: ٢٠]، قال: يا إلهي ما صفة الملك الكبير قال: لكل واحد قصر في الجنة مسيرة الشمس أربعين يومًا من درة بيضاء له أربعون ألف باب يدخل عليه كل يوم من كل باب سبعون ألف ملك يسلمون عليه.

الثانية: قال داود - عليه السلام -: يا رب ما جزاء الحزين الذي يصبر على المصائب ابتغاء مرضاتك قال: جزاؤه عندي أن ألبسه لباس الإيمان فلا أنزعه عنه أبدًا، وعن أبي بكر الصديق - رضي الله عنه -: من سود الباب والثياب فعليه من الوزر بعدد أنفاسه في عمره، وعن عمر - رضي الله عنه -: عليه من الوزر بعدد قطر النيل وعن عثمان بن عفان - رضي الله عنه -: عليه من الوزر بعدد أيام الدنيا ولياليها وعن علي - رضي الله عنه -: عليه من الوزر بعدد أنفاس الملائكة ورأيت في المورد العذب للبوني - رحمه الله تعالى -: إذا كان يوم القيامة نادى مناد من قبل الله تعالى: من له على الله دين فليقم يأخذ حقه من الله تعالى، فيقال: ومن له دين على الله؟ فيقول: من ابتلاه بما يحزن قلبه ويبكي عينه، فيقوم خلق فيقال: ليست الدعوى بلا بينة فمن كان في صحيفته الصبر والرضا فهو ممن له على الله دين فتأخذ الملائكة بيد الصابرين إلى باب الجنة، فيقول رضوان: سمعت قول الله: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠] فيفتح لهم فيدخلون الجنة ويجلسون على شراسيفها خمسمائة عام يتفرجون على حساب الناس حتى يحكم الله بينهم وقال ﷺ: «**المصيبة تبيض وجه صاحبها يوم تسود الوجوه**» وقال ﷺ: «**ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله وما عليه خطيئة**»، وقال: «**ما يصيب المؤمن من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله من خطاياه**» رواه البخاري، النصب والتعب والوصب: المرض قال بعضهم: فلا يجمع الله على عبده عذابين في الدنيا والآخرة لقول النبي ﷺ: «**لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين**» وقال ابن العماد: وسبب هذا الحديث أن رجلًا ضربه بالسيف فأخطأه فقال: كنت مازحًا ثم ضرب النبي ﷺ فأخطأه فقال: كنت مازحًا فقتله النبي ﷺ، ثم قال: «**لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين**»، وقال موسى عليه السلام: يا إلهي أي منزل الجنة أحب إليك؟ قال: حظيرة القدس قال: ومن يسكنها؟ قال: أصحاب المصائب، قال: يا رب من هم؟ قال: الذين إذا ابتليتهم صبروا وإذا أنعمت عليهم شكروا وإذا أصابتهم مصيبة قالوا: إنا لله وإنا إليه راجعون.

الثالثة: عن النبي ﷺ قال: «**إن المسلم إذا خرج من بيته يعود أخاه المسلم خاض في الرحمة إلى حقويه، فإذا جلس عند المريض غمرته الرحمة وعمت المريض، وكان المريض في ظل عرشه والعائد في ظل قدسه**» وقال ﷺ: «**ما من مؤمن يعود مسلمًا إلا صلى عليه سبعون ملك حتى يمسي، وإن عاده عشية صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح وكان له قصر في الجنة**» رواه الترمذي.

وفي حديث آخر: «**من توضأ فأحسن الوضوء وعاد أخاه المسلم محتسبًا يبعد من جهنم سبعين خريفًا**» رواه أبو داود، وقال ﷺ: «**من عاد مريضًا لم يزل يخوض في الرحمة حتى يجلس فإذا جلس غمسه فيها**» رواه أحمد.

الرحمة: الخوف هو السنة، وذكر الخريف؛ لأنه لا يأتي يوم إلا والذي بعده شر منه فكذلك جهنم، لا يمضي يوم على أهلها إلا بعده أفخر منه، وقال النبي ﷺ: «**من زار أخاه المؤمن خاض في الرحمة ومن عاد أخاه المؤمن خاض في رياض الجنة حتى يرجع**» رواه الطبراني، وقال ﷺ: «**من مشى في حاجة أخيه المسلم أظله الله بخمسة وسبعين ألف ملك يدعون له ولم يزل يخوض في الرحمة حتى يفرغ، فإذا فرغ كتب له حجة وعمرة**» رواه الطبراني. وقال: «**عودوا مرضاكم وأمروهم أن يدعوا لكم فإن دعوة المريض مستجابة وذنبه مغفور**» رواه الطبراني، وسيأتي أن النبي ﷺ قال: «**إذا دخلت على مريض فمره أن يدعو لك فإن دعاءه كدعاء الملائكة**» رواه ابن ماجه بإسناد صحيح.

الخامسة: قال في شرح المهذب: عيادة المريض سنة مؤكدة ويستحب أن يعم بعيادته الصديق والعدو ومن يعرفه ومن لا يعرفه حتى الكافر يجوز للمسلم أن يعوده فقد كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ فمرض فجاءه النبي يعوده فقعد عند رأسه فقال له: «**أسلم**» فنظر الغلام إلى أبيه فقال له: أطع أبا القاسم فأسلم فخرج النبي ﷺ وهو يقول: «**الحمد لله الذي أنقذه بي من النار**»، وكان اسم الغلام عبد القدوس.

قال زيد بن أرقم - رضي الله عنه -: عادني رسول الله ﷺ من وجع كان بعيني. رواه أبو داود بإسناد صحيح وسيأتي أن المريض ضيف الله عز وجل، وفي الخبر يرسل الله ملكًا يأخذه لذة الطعام وملكًا يأخذ لذة الشراب وملكًا يأخذ لذة النوم فإذا عافاه الله عاد كل ملك بما أخذ إلا ملك الذنوب فيقول: يا رب أعيدها إليه؟ فيقول: لا بل ألقيها في البحر. نظيره إذا أراد العبد أن يدخل المسجد تقول الملائكة: إنه ملطخ بالنجاسة غير دونه فيقول الله تعالى: كيف وقصدني عبدي؟ ولكن خذوا عنه ذنوبه حتى يدخل طاهرًا فإذا خرج قالت الملائكة: أنردها؟ فيقول الله: شيء رفعناه عنه لا نعيده إليه. قال النبي ﷺ: «**المريض إذا برئ من مرضه كالبردة تنزل في صفائها ولونها من السماء**».

السادسة: عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «**يا أبا هريرة: ألا أخبرك بأمر هو حق؟ من تكلم به أول مضجعه من مرضه نجاه الله من النار يقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير، حتى أطلع وسبحان الله رب العباد والبلاء والحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه على كل حال الله أكبر كبيرًا كبرياء ربنا وجلاله وقدرته بكل مكان، اللهم إن كنت أمرضتني لتقبض روحي في مرضي هذا فاجعل روحي في أرواح من سبقت لهم منك الحسنى وأعذني من النار كما أعذت أولياءك الذين سبقت لهم منك الحسنى،**

فإن مت في مرضك ذلك فإلى رضوان الله والجنة إن كنت قد اقترفت ذنبًا تاب الله عليك» رواه ابن أبي الدنيا.

ودخل النبي ﷺ على عليّ - رضي الله عنه - يعوده، فقال: «قل اللهم إني أسألك تعجيل عافيتك أو صبرًا على بليتك أو خروجًا من الدنيا إلى سعة رحمتك فإنك تعطى إحداهن» وقال النبي ﷺ: «أنين المريض تسبيح وصياحه تهليل ونفسه صدقة ونومه على فراشه عبادة وتقلبه من جنب إلى جنب كأنما يقاتل العدو في سبيل الله» وقال ﷺ: «ما من مريض يقول: سبحان الله الملك القدوس الرحمن الديان لا إله إلا أنت مسكن العروق الضاربة ومنيم العيون الساهرة إلا شفاه الله تعالى» رواه ابن أبي الدنيا. وقال النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء:٨٧]: «أيما مسلم دعا بها في مرضه أربعين مرة فمات في مرضه ذلك أعطاه الله أجر شهيد وإن برئ غفر الله له جميع الذنوب» رواه الحاكم.

وقال النبي ﷺ: «من قال: لا إله إلا الله والله أكبر صدقه الله فقال: لا إله إلا أنا وأنا أكبر، وإذا قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له قال: صدق عبدي لا إله إلا أنا وحدي لا شريك لي، وإذا قال: لا إله إلا الله وحده يقول الله: لا إله إلا أنا وحدي، وإذا قال: لا إله إلا الله له الملك وله الحمد يقول الله: لا إله إلا أنا لي الملك ولي الحمد، وإذا قال: لا إله إلا الله لا حول ولا قوة إلا بالله قال: لا إله إلا أنا ولا حول ولا قوة إلا بي. وكان يقول: من قالها في مرضه ثم مات لم تطعمه النار» رواه الترمذي وقال: حديث حسن.

السابعة: جاء في الصحيحين أن امرأة - قال البرماوي في شرح البخاري: وهي أم بشر بتشديد الشين المعجمة وقال الإمام أحمد: هي أم سليم ووافقه الطبراني في الكبير لكنه قال في الأوسط: إنها أم أيمن - قالت: يا رسول الله ذهب الرجال بحديثك فاجعل لنا يومًا من نفسك نأتيك فيه تعلمنا مما علمك الله فأتاهن فعلمهن مما علمه الله قال: «ما منكن امرأة تقدم بين يديها ثلاثة من ولدها إلا كانوا لها حجابًا من النار» فقالت امرأة: واثنين؟ قال: «واثنين» ونسينا أن نسأله عن الواحدة وقال النبي ﷺ: «من كان له فرطان من أمتي أدخله الله بهما الجنة» قالت عائشة رضي الله عنها: فمن كان له فرط من أمتك قال: «فأنا فرط أمتي لن يصابوا بمثلي».

الثامنة: مات ولد لداود - عليه السلام - فحزن عليه حزنًا شديدًا فأوحى الله إليه ما كان يعدل هذا الولد عندك؟ قال: يا رب كان يعدل عندي ملء الأرض ذهبًا قال: لك عندي يوم القيامة ملء الأرض ثوابًا. وقال داود عليه السلام: رأيت في المنام كأني دخلت الجنة فرأيت صبيانًا يلعبون بالتفاح ورأيت واحدًا وحده مغمومًا فسألت عنه فقالوا: ببكاء أهله عليه. وقال النبي ﷺ: «إذا مات ولد العبد قال الله تعالى لملائكته: قبضتم ولد عبدي؟ فيقولون: نعم فيقول: ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمد واسترجع فيقول: ابنوا لعبدي بيتًا في الجنة وسموه بيت الحمد» قال بعضهم: وفيه دليل على حسن الخاتمة. وعن أنس - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ «إذا

كان يوم القيامة نودي يا أطفال المسلمين أن اخرجوا من قبوركم فيخرجون من قبورهم ثم ينادى فيهم أن امضوا إلى الجنة، فيقولون: يا ربنا ووالدينا معنا ثم ينادى فيهم الثانية أن امضوا إلى الجنة زمرًا فيقولون: يا ربنا ووالدينا معنا فقال لهم في الرابعة: والداكم معكم فيثب كل طفل إلى أبويه فيدخلونهم الجنة فهم أعرف بآبائهم وأمهاتهم يومئذٍ من أولادكم الذين في بيوتكم» .

حكاية: كان أيوب عليه السلام إذا أصابته مصيبة قال: اللهم أنت أخذت وأنت أعطيت مهما تبقي نفسه أحمدك على حسن بلائك .

قال في العقائق: أوحى الله إلى أيوب عليه السلام أن سبعين نبيًّا لما أخبرتهم بثواب الصبر على هذا البلاء فكل منهم سألني أن يكون هو المبتلى فلم أعطهم ذلك وجعلته لك حتى تسمع الثناء عليك في الدنيا والآخرة فإنا وجدناه صابرًا نعم العبد إنه أواب، وكان من أولاد العيص بن إسحاق بن إبراهيم وكان كثير المال والعبادة فحسده إبليس لما سمع ثناء الملائكة عليه، فقال: لو كان فقيرًا لما عبد الله لو سلطني عليه لم يكن مطيعًا فسلطه الله على ماله فأحرقه فبلغ أيوب ذلك فقال: الحمد لله الذي أعطاني وأخذ مني فقال إبليس: يا رب سلطني على أولاده فسلطه عليه فحرك القصر عليهم من أسفله فهلك الكل وكانوا في ضيافة كبيرهم، فدخل إبليس في صورة معلمهم وأخبر أيوب بذلك فقال: لو كان فيك خير لهلكت معهم وقيل: إنه قال: ليتني لم أخلق ففرح إبليس بذلك وصعد إلى السماء الدنيا فوجد توبة أيوب قد سبقته كذلك العبد إذا وقع منه ذنب وتاب تسبق توبته الكتبة فقال إبليس: يا رب سلطني على بدنه فسلطه عليه فتعلق به مثل الجدري ينبع منه القيح والدم فأخرجوه من بلده وأكله الدود غير قلبه ولسانه، فتحير إبليس من صبره فتصور لزوجته رحمة في صورة حسنة وقال: ما أصاب البلاء أيوب إلا أنه سجد لإله السماء ولم يسجد لإله الأرض فقالت: ومن إله الأرض؟ قال: أنا فإذا سجد لي سجدة أرد عليه ذلك فقالت: حتى أستأذنه فاستأذنه فقال: لأجلدنك مائة جلدة حيث لم تقولي له: إله السماء وإله الأرض واحد قال الرازي في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ﴾ [الأنعام: ١٠٠] ، نزلت في قوم قالوا: إن الله خالق الإنسان والنبات وفاعل للخيرات وإبليس خالق العقارب والحيات والسباع والحشرات فكذبهم الله تعالى بقوله: ﴿وَخَلَقَهُمْ﴾ [الأنعام: ١٠٠] فكيف يكون المخلوق شريكًا للخالق؟ فلما أراد الله كشف الضر عن أيوب أرسل جبريل برمانة وسفرجلة فلما أكلهما تناثر الدود ثم أمره أن يضرب برجله اليسرى الأرض فخرج منها ماء حار وماء بارد فشرب من البارد واغتسل من الحار، فرده الله إلى أحسن حال فأراد أن يجلد زوجته لأجل القسم فأمره الله شفقة عليها بأن يأخذ بيده ضغثًا أي مائة من أصول السنبل كذلك المؤمن تصيبه الحمى في الدنيا لأجل ما أقسم الله بقوله: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١] ، وفي رواية أنه كان في بلائه سبع سنين وسبعة أشهر وسبعة أيام وسبع ساعات وذكر الكلاباذي: لما عوفي أيوب وقع في قلبه أنه صبر فنودي بعشرة آلاف صوت من فوق عشرة

آلاف غمامة يا أيوب أنت صبرت أم نحن صبرناك؟ فقال: يا رب صبرتني.

وقال القرطبي في تفسيره: أوحى الله إليه: لولا أني وضعت تحت كل شعرة صبرًا لما صبرت فأرسل الله سبحانه وتعالى سحابة على قدر داره فأمطرت عليه ثلاثة أيام جرادًا من ذهب فقال له جبريل: هل شبعت؟ قال: ومن يشبع من فضل الله؟ ثم صحح أن مدة بلائه ثماني عشرة سنة.

قال الرازي في سورة الأنبياء: قال النبي ﷺ: «**إن أيوب بقي في بلائه ثماني عشرة سنة**» ثم ذكر أن إبليس صاح من صبر أيوب فاجتمع عليه الشياطين فقالوا: ما لك؟ قال: أعياني صبر أيوب فقالوا: أين مكرك الذي أهلكت به من مضى؟ فقال ذهب كله في أيوب فقالوا: كيف أخرجت آدم من الجنة؟ قال: بسبب زوجته حواء فقالوا: خذ أيوب من قبل زوجته فقال لها: قولي لأيوب يذبح هذه السخلة ولا يسمي الله تعالى عليها فيبرأ فجاءته بها فقالت: يا أيوب اذبح هذا السخلة كما قال لها إبليس فقال: كم مكثنا في الرخاء والنعمة قالت: ثمانين سنة فقال: ما أنصفت ربك حتى نصبر ثمانين سنة كما كنا في الرخاء ولئن شفاني الله تعالى لأجلدنك مائة جلدة، والله أعلم.

حكاية: كتب النبي ﷺ إلى معاذ - رضي الله عنه - لما مات ولده: «**سلام الله عليك فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد: فأعظم الله لك الأجر وألهمك الصبر ورزقني وإياك الشكر، ثم إن أنفسنا وأموالنا وأهلينا وأولادنا من مواهب الله المستودعة وعواريه المستردة يمتع الله بها إلى أجل معدود ويقبضها لوقت معلوم ثم افترض علينا الشكر إذا أعطى والصبر إذا ابتلى وكان ابنك هذا من مواهب الله تعالى المستودعة وعواريه المستردة متعك الله به في غبطة وسرور وقبضه بأجر كثير إن صبرت واحتسبت**».

حكاية: قال أبو الدرداء - رضي الله عنه -: مات ولد لسليمان عليه السلام فحزن عليه حزنًا شديدًا، فأتاه ملكان فجلسا بين يديه في زي خصوم، فقال أحدهما: إني بذرت بذرًا فمر به هذا فأفسده، فسأله سليمان عن ذلك فقال: إنه بذره على الطريق ولابد من السلوك فقال له: كيف بذرت على الطريق وقد علمت أنه لابد للناس من طريق؟ فقال: يا نبي الله كيف تحزن على ولدك أما علمت أن الموت طريق إلى الآخرة؟.

مسألة: يحرم أن يبني في الطريق أو يغرس أو يحفر بئرًا بطريق ضيق يضر المارة، فإن لم يضر أذن الحاكم أو لم يأذن فلا ضمان وكذلك إن حفر لمصلحة عامة أو لمصلحة خاصة ضمن، إلا أن يأذن الإمام وإن طرح في الطريق قمامات أو قشور بطيخ ضمن، إن لم يقصد الماشي وطأها وإن رش الماء فوق العادة ولو لمصلحة عامة كدفع غبار ضمن، فإن كان قدر العادة فلا إلا إذا رش الماء لمصلحة نفسه ولا يمنع من الانتفاع بالطريق ولو ربط دابة بطريق ولو واسعًا ضمن إتلافها ولو ببولها وروثها على المعتمد خلافًا للمنهاج.

قال النيسابوري رحمه الله تعالى: ذكر الله المصيبة في القرآن منكرة لتشمل كل مضرة كما روي أن سراج النبي ﷺ انطفأ فقال: «**إنا لله وإنا إليه راجعون**» فقيل: يا رسول الله أمصيبة؟ قال: «**نعم كل شيء يؤذي المؤمن فهو مصيبة**»، ومعنى قوله تعالى: ﴿إِنَّا لِلَّهِ﴾ [البقرة:١٥٦] رضا بقضاء الله ﴿وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة:١٥٦] إيمان بقدره، لو علمها يعقوب عليه السلام لما قال: ﴿يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ [يوسف: ٨٤]، وعن النبي ﷺ: «**ما من مؤمن يعزي أخاه بمصيبة إلا كساه الله من حلل الكرامة يوم القيامة**» رواه ابن ماجه.

مسألة: تستحب التعزية قبل الدفن وبعده وهو أفضل إلى ثلاثة أيام، فإن كان صاحب المصيبة غائبًا فمتى يحضر وبعد حضوره إلى ثلاثة أيام لجميع أهل الميت إلا الشابة فلا يعزيها إلا محرمها وزوجها ولا بأس بتعزية الكافر غير الحربي، بقوله: أخلف الله عليك ولا نقص عددك؛ لأن كثرتهم تنفع في الدنيا بأخذ الجزية وفي الآخرة يكونون فداء للمسلمين من النار وصغارهم خدمًا في الجنة لكن استشكل في شرح المذهب ولا نقص عددك؛ لأنه دعاء لبقاء الكافر بدوام كفره، فالمختار تركه والله أعلم، وقال عيسى ابن مريم: حب الفردوس وخشية الله يباعدان عن زهرة الدنيا ويورثان الصبر، وقال المحاسبي - رحمه الله -: لكل شيء جوهرة وجوهرة الإنسان العقل والصبر.

موعظة: اعلم أن النياحة حرام بإجماع المسلمين، قال النبي ﷺ: «**النياحة من أمر الجاهلية أما النائحة إذا ماتت قطع الله لها ثيابًا من نار ودرعًا من لهب النار**» وقال النبي ﷺ: «**تخرج النائحة من قبرها شعثاء غبراء مسودة الوجه زرقاء العينين ثائرة الرأس كالحة الوجه عليها جلباب من لعنة الله ودرع من غضب الله إحدى يديها مغلولة إلى عنقها والأخرى قد وضعتها على رأسها، وهي تنادي يا ويلاه ويا ثبوراه ويا حزنًا وملك وراءها يقول: آمين ثم يكون بعد ذلك حظها من النار**»، وقال وهب: في السماء الأولى مائة ألف ملك يلعنون النائحة والمستمعة وفي السماء الخامسة خمسمائة ألف ملك يلعنون النائحة والمستمعة وفي السماء السادسة ستمائة ألف ملك يلعنون النائحة والمستمعة وفي السماء السابعة سبعمائة ألف ملك يلعنون النائحة والمستمعة والراضية، والله أعلم.

فصل: في الرضا

وهو أعلى من الصبر درجة؛ لأن من رضي صبر ولا عكس، قال الله تعالى: ﴿وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ﴾ [التوبة:٧٢]، كذلك رضاء العبد عن ربه أكبر من سائر الطاعات، وسأل النبي ﷺ طائفة من أصحابه: «**من أنتم؟ قالوا: مؤمنون قال: وما علامة إيمانكم قالوا: نصبر على البلاء ونشكر على الرخاء ونرضى بمواقع القضاء، فقال: مؤمنون ورب الكعبة**» وقال النبي ﷺ: «**إذا أحب الله عبدًا ابتلاه فإن صبر اجتباه فإن رضي اصطفاه**».

موعظة: ورد عن الله تعالى أنه قال: خلقت الخير والشر فطوبى لمن خلقته للخير وأجريت

الخير على يديه، وويل لمن خلقته للشر وأجريت الشر على يديه وويل، ثم ويل لمن قال: ولم وكيف؟

وقال موسى - عليه السلام -: يا رب دلني على أمر فيه رضاك حتى أفعله فأوحى الله إليه: رضائي في رضاك بقضائي، وقال سفيان الثوري بحضرة رابعة العدوية: اللهم ارض عنا فقالت: أما تستحي من الله أن تسأل الرضا وأنت غير راضٍ عنه؟ فقال: متى يكون العبد راضيًا عن الله تعالى؟ قالت: إذا كان سروره بالمصيبة كسروره بالنعمة.

حكاية: مر عيسى - عليه السلام - برجل أعمى أبرص مقعد قد أخذه الفالج وهو يقول: الحمد لله الذي عافاني مما ابتلى به كثيرًا من خلقه فقال له عيسى: أي شيء من البلاء قد عافاك الله منه؟ فقال: يا نبي الله أنا خير ممن لم يجد في قلبه معرفة ربه.

قال في فردوس العارفين: للعارف أربع علامات: أن يكون صدره مشروحًا وجسمه مطروحًا وقلبه مجروحًا وباب الملكوت له مفتوحًا، ومن علاماته أن يكون أيضًا قلبه معدن التعظيم والهيبة ولسانه معدن الحمد والمدحة وروحه معدن الأنس والقربة وسره معدن الشوق والمحبة، ونفسه مقبورة تحت سلطان العقل وسيأتي في باب الدعاء ما يقال عند رؤية المبتلى.

فائدة: قال ثابت البناني لرجل: إذا اشتكيت فضع يدك حيث تشتكي ثم قل: بسم الله أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد من وجعي هذا، ثم ارفع يدك ثم أعد ذلك وترًا تقولها ثلاثًا أو خمسًا، فإن أنس بن مالك حدثني أن رسول الله ﷺ حدثه بذلك رواه الترمذي.

ورأيت في فردوس العارفين أن امرأة أصابها وجع الضرس فصاحت فنوديت: من لم يصبر على ضربنا فليرتحل من قربنا. وقال جبريل: يا محمد إن الله يقرئك السلام ويقول لك: قل لأبي بكر: هل وجدت الصحة؟ فتعجب النبي ﷺ من ذلك ثم قال: «**يا أبا بكر أي علة أصابتك؟**» قال: وجع السن منذ سبع سنين فقال: «**لم لا تخبرني؟**» فقال: كيف أشكو من الحبيب.

فائدة: لوجع الضرس إذا وضع الثوم على النار ثم وضع على الضرس زال وجعه، أو وضع عليه ورق السداب مع زبيبة سوداء ورأيت في كتاب سبيل الخيرات عن الأصمعي قال: دخلت البادية فرأيت امرأة جميلة مع رجل كريه المنظر، فقلت لها: ترضين أن تكوني معه؟ فقالت: قد أسأت في قولك لعله أحسن فيما بينه وبين الله فجعلني ثوابه، ولعلي أسأت فيما بيني وبينه فجعله عقوبتي أفلا أرضى بما رضي به؟.

حكاية: طلب رجل من زوجته ماء فجاءته به فوجدته قد نام فقامت عند رأسه إلى طلوع الفجر فلما استيقظ ورآها عند رأسه أعجبه ذلك منها فأراد إكرامها فقال لها: تمني عليَّ؟ فقالت: طلقني، فكره ذلك منها فقالت: إن أردت مكافأتي فطلقني فانطلقا إلى النبي ﷺ فعثر

في الطريق، فانكسرت رجله فقالت: ارجع فلا سبيل إلى طلاقك؛ لأنك حدثتني عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**من يرد الله به خيرًا يصب منه**» ولك عندي كذا وكذا سنة لم يصبك فعلمت أن الله تعالى لا يحبك، فلما أصابك هذا عرفت أن الله قد أحبك.

فائدة: ذكر الغزالي في الإحياء أن عمار بن ياسر تزوج امرأة فلم تمرض فطلقها. وأن النبي ﷺ أراد أن يتزوج بامرأة جميلة فقيل: إنها لم تمرض فأعرض عنها وذكر في كتاب العقائق أن النبي ﷺ سأل جبريل أن يريه شخص الحمى، نزل النبي ﷺ تحت شجرة يومًا وإذا بفارس معه قضيب أصفر فلما قرب من الشجرة تناثرت أوراقها فقال: «**يا جبريل ما هذا الفارس؟**»، قال: هي الحمى، فقال ﷺ: «**هذا فعلها بالشجرة فكيف فعلها بالبشر؟**» فنودي يا محمد كما جردت الشجرة من ورقها كذلك تجرد أمتك من الذنوب بالعرق فلذلك قال النبي ﷺ: «**حمى يوم كفارة سنة**» وقال الغزالي - رضي الله عنه -: الإنسان فيه ثلثمائة وستون مفصلاً، كل مفصل يتألم من الحمى فيكفر عن العبد بكل مفصل ذنوب يوم وقيل لأحد الأطباء: حمى يوم تذهب قوة سنة وعن النبي ﷺ: «**من حم ثلاث ساعات فصبر فيها شاكرًا لله حامدًا له باهى به الله ملائكته، فقال: يا ملائكتي انظروا إلى عبدي وصبره على البلاء اكتبوا لعبدي براءة من النار، فيكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من الله العزيز الحكيم براءة من الله لعبده فلان قد آمنتك من ناري وأوجبت لك جنتي فادخلها بسلام**».

وفي الطبراني عن النبي ﷺ قال: «**من مرض ثلاثة أيام خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه**» وقال النبي ﷺ: «**لا تكرهوا مرضاكم على الطعام فإن الله تعالى يطعمهم ويسقيهم**» رواه الترمذي وابن ماجه، وفي الإحياء عن النبي ﷺ: «**إن من إجلال الله ومعرفة حقه أن لا تشكو وجعك ولا تذكر مصيبتك**».

فائدة: كان الإمام أحمد - رضي الله عنه - يكتب للحمى: بسم الله وبالله ومحمد رسول الله ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ۝ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ﴾ [الأنبياء: ٦٩-٧٠]، اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل اشف صاحب هذا الكتاب بحولك وقوتك وجبروتك له الحق آمين، ورأيت في طبقات ابن السيف: مرض ولد للإمام أبي القاسم القشيري مرضًا شديدًا، قال والده: فرأيت الحق سبحانه وتعالى في المنام فشكوت ذلك إليه فقال سبحانه: اقرأ عليه آيات الشفاء واكتبها في إناء واسقه، ففعل ذلك فعوفي الولد وآيات الشفاء ست: ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١٤]، ﴿وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [يونس: ٥٧]، ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾ [النحل: ٦٩]، ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢]، ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠]، ﴿هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ [فصلت: ٤٤].

حكاية: ورد في الأخبار السالفة: أن نبيًّا من الأنبياء عليهم السلام شكا إلى الله الفقر والجوع والقمل عشر سنين فما أجابه فأوحى الله إليه كم تشكو هكذا سبق لك مني وهكذا

قدرت عليك قبل خلق الدنيا أفتريد أن أعيد خلق الدنيا من أجلك أم تريد أن أبدل ما قدرت عليك فيكون ما تريد فوق ما أريد؟ وعزتي وجلالي لئن تلجلج هذا في صدرك مرة أخرى لمحوتك من ديوان النبوة.

حكاية: كان في بني إسرائيل رجل كثير العبادة فزاره موسى - عليه السلام - ثم قال له: ألك حاجة؟ قال: اسأل ربك أن يرزقني رضاه فأوحى الله إلى موسى قل له: يتعبد ما شاء ليلاً ونهارًا فهو عندي من أهل النار فلما بلغه موسى الرسالة قال له: مرحبًا بقضاء ربي وحكمه، يا موسى وعزته وجلاله لا أتحول عن جنابه ولو أحرقني ولا أبرح عن بابه ولو طردني، فأوحى الله إلى موسى قل له: تلقيت حكمي بالصبر والرضاء ورضيت مني بأصعب القضاء، لو ملأت ذنوبك السموات والأرض والفضاء لغفرتها لك، فبلغه موسى بذلك فسجد سجودًا طويلاً، فإذا به قد مات - رضي الله عنه -.

حكاية: قال مسروق - رضي الله عنه -: كان بالبادية رجل له كلب وحمار وديك فالحمار يحمل عليه متاعهم، والكلب يحرسهم والديك يؤقت لهم - أى يوقظهم للصلاة - فجاء الثعلب فأخذه فقال: عسى أن يكون خيرًا ثم أصيب الكلب فقال: عسى أن يكون خيرًا ثم جاء الذئب فأكل الحمار، فقال: عسى أن يكون خيرًا ثم أصبحوا ذات يوم وإذا بالعدو قد أخذ جيرانهم لما عندهم من الصوت والجلبة ولم يكن عند أولئك شيء يجلب؛ لأنه ذهب كلبهم وحمارهم وديكهم فكانت الخيرة للرجل وأهله في هلاكهم.

حكاية: كان في بني إسرائيل رجل كثير العبادة فقال لزوجته: إني أشتهي الشواء منذ كذا وكذا سنة وأتركه لأجل الفقراء فقالت: وأنا أذبح عشرة من الغنم واحدة لك وتسعة للفقراء، فلما فعلت ذلك قال ولدها الكبير للصغير: ألا أريك كيف ذبحت أمي الغنم؟ فذبحه وهرب فوقع في التنور فاحترق، فوضعتهما في خزانة واشتغلت بالفقراء فلما جاء العابد أطعمته حتى شبع ثم قالت له: كان عندي وديعتان فأخذهما صاحبهما فشق ذلك عليّ، فقال: إن صاحب الوديعة أحق بها فقالت: إن ابنك قد ذبح أخاه ثم أراد الهروب فوقع في التنور فاحترق، فقال العابد: وفيك هذا الصبر؟ قالت: نعم أنا أولى منك بذلك، ولكن أريد أن أنظر إليهما فقاما إلى الخزانة وأشعلا مصباحًا فوجداهما يضحكان ويلعبان ببركة الصبر والرضا، قال النسفي: قال ذو النون المصري - رضي الله عنه -: إن لله عبادًا كانت البلايا عندهم عسلاً والشدائد عندهم سكرًا والأحزان عندهم رطبًا.

حكاية: قال جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - لزوجته يوم حفر الخندق: عرفت في وجه النبي ﷺ الجوع فهل عندك شيء؟ قالت: صاع من شعير، فطحنته وعناق فذبحته فأصلحت طعامًا فتوجه جابر إلى الخندق والنبي ﷺ ينقل التراب وكان له ولدان فقال أحدهما للآخر: ألا أريك كيف ذبحت أمي الشاة فذبحه فما شعرت أمه إلا والدم يسيل من الميزاب

فصاحت أمه فهرب الصبي فوقع في التنور فمات فأخذتهما وجعلتهما في البيت ودثرتهما بكساء واشتغلت بطعامهما لأجل النبي ﷺ فأتى بالمهاجرين والأنصار إلى دار جابر وكانت صغيرة، فقال: «**يا جابر أتحب أن يوسع الله دارك؟**» قال: نعم، قال: فجثى على ركبتيه ودعا قال جابر: فوالذي بعثه بالرسالة إني نظرت إلى السقوف قد ارتفعت وإلى الجدران قد تباعدت فسكب النبي ﷺ الطعام بيده وقال: «**يا جابر ادع القوم عشرة عشرة**» حتى أكلوا عن آخرهم ولم يبق إلا أنا وإياه، فقال: «**يا جابر ادع أولادك حتى آكل معهم**» فذهب إلى زوجته فقالت: إنهم نيام فأخبر النبي ﷺ بذلك فقال: «**والذي نفسي بيده لا آكل إلا معهم**» فرجع جابر إلى زوجته فقالت: دونك وإياهم فدخل البيت وكشف عنهما الغطاء فوجدهما بالحياة متعانقين فقعد أحدهما عن يمين النبي ﷺ والآخر عن يساره، فأكلوا حتى شبعوا فتبسم النبي ﷺ وقال: «**يا جابر أخبرك بما أخبرني به جبريل**»، قال: نعم، فأخبره بما أنفق وأمر ولديه فتعجب من ذلك وقد حصل له ولزوجته الفرح والسرور وفي معنى ذلك قال:

إذا ما رماك الدهر يومًا بنكبة ... فهيئ لها صبرًا وأوسع له صدرًا

فإن تصاريف الزمان عجيبة ... فيومًا ترى يسرًا ويومًا ترى عسرًا

حكاية: لما جاء إخوة يوسف بقميصه إلى أبيهم. فقال: ما أشفق هذا الذئب حيث أكل يوسف ولم يمزق قميصه ثم بكى بكاء كثيرًا، فجاءه جبريل وقال: عليك بالصبر الجميل أي وهو الذي لا جزع فيه ولا شكوى، فغمض عينيه وكتم حزنه في قلبه وقال: فصبر جميل، فأرسل الله عليه النوم وقال: يا جبريل إن يعقوب وجد الصبر الجميل من نفسه فأنزل عليه في سورة يوسف: فلما رآه بكى وقال: أي قرة عيني فأيقظه جبريل وقال: أين الصبر الجميل؟ فأخذ التراب وجعله في فمه وقال: تبت إليك فبكت الملائكة. فقال الله تعالى: قل له يلقي التراب من فمه فقد غفرت له وأذنت له بالبكاء، ولكن لا يشكون إلى غيري. وقال بعض العارفين: الصبر له باب مفتوح إلى الثناء والثناء له باب مفتوح إلى العطاء، والعطاء له باب مفتوح إلى الجزاء، والجزاء له باب مفتوح إلى البقاء والبقاء له باب مفتوح إلى اللقاء ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]، ومن نظر إلى الله فقد رضي الله عنه.

حكاية: قال إبراهيم بن أدهم - رضي الله عنه -: رأيت رب العزة في المنام، فقال: قل: اللهم أرضني برضائك وصبرني على بلائك وأوزعني أي ألهمني شكر نعمائك. وخرج يومًا إلى الحج ماشيًا فرآه رجل على ناقته فقال له: إلى أين يا إبراهيم؟ قال: أريد الحج قال: أين الراحلة فإن الطريق بعيد؟ قال: لي مراكب كثيرة ولكن لا تراه قال: ما هي؟ قال: إذا نزل بي القضاء ركبت مركب الرضاء، وإذا دعتني نفسي إلى شيء علمت أن ما بقى من الأجل أقل مما مضى، فقال: سر - بإذن الله - فأنت الراكب وأنا الماشي، وقال الفضيل - رضي الله عنه -: الرضا عن الله درجة المقربين إلى الله ليس بينها وبين الله إلا روح وريحان. وقال

قتادة: الروح الحرمة. وقرأ يعقوب - من العشرة - فرُوح بضم الراء أي يخرج روح المؤمن في الريحان والباقون فرَوْح بفتح الراء أي الراحة والريحان قيل: هو الريحان الذي يشم، وقال ابن عباس: كل ريحان في القرآن فهو الرزق. قال بعضهم: من حسن الرضا بقضاء الله أن لا يقول هذا يوم حار في معرض الشكاية. وقول أيوب: مسني الضر فيه إظهار الافتقار؛ لأن عدم المبالاة بالبلاء، مقاومة للمقدور.

فائدة: عن بعض الصالحين أنه حبسه بعض الخلفاء وأقسم أن يضرب عنقه، فقال له رجل في النوم: اكتب ورقة فيها بسم الله الرحمن الرحيم من العبد الذليل إلى الرب الجليل أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين، فبحق محمد وآل محمد اكشف همي وحزني وفرج عني واطرح الورقة في اليم.

مسألة: الرضا بقضاء الله واجب وبغض المعصية واجب ولا شك أنها بقضاء الله فكراهتها كراهة لقضاء الله، فكيف السبيل إلى الجمع بين الرضا والكراهة في شيء واحد، فالجواب يتضح بمثال ذكره الإمام الغزالي - رضي الله عنه - في الإحياء فهو أن يكون لك عدوان أحدهما عدو للآخر فيموت أحدهما فتكره موته؛ لأنه سارع في هلاك عدوك الآخر وترضاه؛ لأنه عدوك فكذلك المعصية لها وجهان: وجه إلى الله لكونه بقضاء فترضى بها من هذا الوجه تسليمًا لقضائه، ووجه إلى العبد لكونها من كسبه وسببًا لبعده عن ربه فبهذا الوجه تكره المعصية.

فصل: في الأدب

قال الله تعالى: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ [التحريم:٦]، قال الإمام علي - رضي الله عنه -: أي أدبوهم وعلموهم، وقال النبي ﷺ: «**أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم**» رواه ابن ماجه، وقال النبي ﷺ: «**لأن يؤدب أحدكم ابنه خير له من أن يتصدق بصاع طعام**» فجعل تأديب الابن أعلى من الصدقة. حكاه ابن أبي جمرة في شرح البخاري.

فائدة: قال الرازي في قوله - تعالى -: ﴿وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي﴾ [المائدة:١١٦]، أسئلة:

الأول: ﴿ءَأَنتَ﴾ [المائدة:١١٦] استفهام وهو على الله لا يجوز؛ لأنه علام الغيوب.

جوابه: أن الاستفهام بمعنى الإنكار.

الثاني: أنه سبحان يعلم أن عيسى ما قال ذلك فكيف يسأله جوابه أراد توبيخ النصارى؛ لأنهم يعتقدون أن عيسى خالق المعجزات والخالق إله.

الثالث: كيف جاز لعيسى - مع جلالة قدرة - أن يقول: وإن تغفر لهم مع أن الشرك لا يغفر.

جوابه: مذهب أهل السنة: لله تعالى أن يعذب الطائع ويثيب العاصي لا يسئل عما يفعل.

قال الرازي في أول البقرة: أوحى الله - تعالى - إلى إبليس من سرادقات الجلال يا إبليس ما عرفتني ولو عرفتني لعلمت أنه لا اعتراض علي في شيء من أفعالي فإني أنا الله لا إله إلا أنا، لا أسأل عما أفعل.

جواب آخر: يجوز أن يكون عيسى - عليه السلام - جوز توبة بعضهم فطلب لهم المغفرة. جواب آخر قال بعضهم: إن الله - تعالى - قال له ذلك لما رفعه إلى السماء، فيكون المعنى: إن توفيتهم على الكفر وعذبتهم فهم عبادك وأنت الحاكم عليهم، وإن أخرجتهم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان فغفرت لهم فلك ذلك، ثم نقل عن والده أن العزيز الحكيم هنا أبلغ من الغفور الرحيم؛ لأنه صفة المغفرة والرحمة تشبه الحالة الموجبة للمغفرة والرحمة لكل محتاج والعزة والحكمة لا يوجبان ذلك بل يوجب كونه عزيزًا أن يفعل ما يشاء وأن يكون متعاليًا عن جميع جهات الاستحقاق، فإذا حكم بالمغفرة كان الكرم - هنا - أتم من الوصف بالمغفرة والرحمة. ورأيت في تفسير القشيري: فإنك أنت العزيز الحكيم أي المعز لهم بالمغفرة ويقال: إنك أنت العزيز الذي لا يضرك كفرهم ويقال: العزيز القادر على الانتقام والعفو عند القدرة صفة للكريم. ورأيت في الوجوه المسفرة عن اتساع المغفرة، إنما قال: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة:١٢٩] حياءً من ربه أن يأتي بما فيه شفاعة لقوم عبدوا غير الله.

قال الرازي: ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾ [المائدة:١١٦] أي تعلم ما عندي ولا أعلم ما عندك، وقيل: تعلم ما في غيبي ولا أعلم ما في غيبك، والله أعلم. وقال إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء:٨٠]، ولم يقل: وإذا أمرضتني أدبًا مع ربه. كذلك النبي ﷺ لما أحسن أدبه مع ربه حيث قال: «**إن الله معنا**» فقدم اسم الله على اسمه - عصم الله أمته من الشرك إلى يوم القيامة - بخلاف قوم موسى فإنهم ارتدوا من دينهم إلى عبادة العجل؛ لأنه قدم اسمه على اسم الله - تعالى - حيث قال: ﴿كَلَّآ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى﴾ [الشعراء:٦٢]، وقال البوني: سمي نوح - عليه السلام - نوحًا؛ لأنه رأى كلبًا ميتًا فكرهه فأوحى الله إليه هذا خلقنا فاخلق أنت مثله، فصار يبكي وينوح، وقال في العقائق: إنه رأى كلبًا له أربع عيون فاستقبحه فقال: يا نوح أتعيب الصنعة فلو كان الأمر إلي لم أكن كلبًا وأما الصانع فهو الذي لا يلحقه عيب فصار يبكي وينوح.

حكاية: رأى رجل خنفساء فقال: ما أراد الله بخلقها لا صورة حسنة ولا رائحة طيبة، فابتلاه الله بقرحة عجز عنها الأطباء فحضر طبيب وقال: ائتوني بخنفساء فأحرقها وجعل رمادها على القرحة فبرئ بإذن الله تعالى، فقال صاحب القرحة: أراد الله تعالى أن يعرفني أن أقبح الحيوانات أعز الأدوية عندي.

فائدة: رأيت في حياة الحيوان للدميري: أن الاكتحال بما في جوف الخنفساء ينفع من الرطوبة ويزيل الغشاوة عن العين وإذا وضعت على لسعة العقرب أبرأتها، والله أعلم.

عجيبة: قال مؤلفه - رحمه الله تعالى -: رأيت الخنفساء تطرد العقرب وهي هاربة منها ثم رأيت بعد ذلك في نزهة النفوس والأفكار أن بينها وبين العقرب صداقة وأهل المدينة المشرفة يسمونها جارية العقرب، ومن به فالج أو حمى عتيقة ولسعته عقرب زال عنه ذلك ورماد العقرب الأسود إذا وضع على البرص معجونًا بالخل زال عنه بإذن الله تعالى، وإذا علق الخنافس على أشجار قرية لم يقربها الجراد، وكان النبي ﷺ إذا دعا على الجراد يقول: «**اللهم أهلك كباره واقتل صغاره وأفسد بيضه وخذ بأفواهه عن معايشنا وأرزاقنا إنك سميع الدعاء**» رواه ابن ماجه.

لطيفة: قال إبراهيم - عليه السلام -: رب أرني كيف تحي الموتى فأراه ذلك في غيره بقوله تعالى: ﴿فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ﴾ [البقرة:٢٦٠]، وسيأتي بيانها في باب الزهد والأمانة إن شاء الله تعالى.

حكاية: لما اجتمع موسى - عليه السلام - والسحرة عند فرعون في يوم الزينة وهو يوم عاشوراء وقيل: يوم عيدهم، وقيل: يوم السبت، وقيل: يوم سوقهم، وقيل: يوم الأضحى، وقيل: يوم كسر النيل، قال رجل أعمى للسحرة: وكان كبيرهم أرى موسى يقوى علينا مع كثرتنا وما ذلك بقوته وأخاف أن يكون الأمر سماويًا فاحترموه وعظموه، فإن غلبناه فلا يضرنا وإن غلبنا فنكون قد قدمنا للصلح مقدمة فيكون شفيعنا عند ربه، فقالوا: كيف نحترمه؟ قال: نستأذنه ونقول له: إما أن تلقي، وإما أن نكون أول من ألقى فلما أحسنوا الأدب معه كان سببًا لسعادتهم، فضحك موسى فقال هارون: أتضحك مع كثرتهم وكانوا سبعين ألفًا وقيل: سبعين ساحرًا، فقال: شممت فيهم رائحة الإيمان. فلما قالوا: يا موسى إما أن تلقي وإما أن نكون أول من ألقى، سمع قائلًا يقول: ألقوا يا أحباب الله فعند ذلك أوجس في نفسه خيفة موسى؛ لأن أولياء الله لا يغلبهم أحد فلما غلبهم موسى سجدوا لربهم وقالوا: آمنا برب هارون وموسى، فرأوا في سجودهم منازلهم في الجنة.

فائدة: إنما قدموا هارون على موسى في الذكر؛ لأنه أكبر بثلاث سنين فبدأوا بذكره تعظيمًا له، كما قدم بنات شعيب - عليه السلام - ذكر الأبوة على الشيخوخة حيث قالوا: وأبونا شيخ كبير، وكان أخاه من أمه وأبيه، وإنما قال: يا ابن أم من باب التلطف. ومات هارون قبل موسى بثلاث سنين، وكان أتم طولاً وأكثر لحمًا وأبيض جسمًا وأفصح لسانًا من موسى.

لطيفة: قرت عيون السحرة بسجدة واحدة فكيف بمن يسجد لله خمسين سجدة مثلاً بتوفيق الله وفضله. قال فخر الدين الرازي: سجود سحرة فرعون من أعظم الدلائل على فضل العلم؛ لأنهم كانوا عالمين بحقيقة السحر، وإلا كانوا يقولون لعله أكمل منا في علم السحر وسيأتي للعلم باب إن شاء الله تعالى.

فائدة: قال أبو علي الروزباري: العبد يصل إلى ربه بأدبه، وبطاعته إلى الجنة. وقال السري

السقطي: صليت ليلة من الليالي فمددت رجلي في المحراب فنوديت يا سري هكذا تجالس الملوك، فقلت: وعزتك وجلالك لا مددت رجلي أبدًا وقال بعض العارفين: مددت رجلي في الحرم، فقالت جارية: لا تجالسه إلا بأدب وإلا فيمحوك من ديوان المقربين، وقال بعضهم: ترك الأدب موجب للطرد فمن أساء أدبه على البساط طرد إلى الباب ومن أساء أدبه على الباب طرد إلى سياسة الدواب. وقال إبراهيم بن الأعزب: من تأدب بآداب الصالحين صلح لبساط القربة، ومن تأدب بآداب الأولياء صلح لبساط المحبة ومن تأدب بآداب الصديقين صلح لبساط المشاهدة.

مسألة: لو جلس بين جماعة ومد رجله مكشوفة مرارًا في غير عذر سقطت عدالته وردت شهادته.

حكاية: قال أبو يزيد البسطامي - رضي الله عنه - وُصف لي عابد فقصدت زيارته، فرأيته قد بصق في جهة القبلة فرجعت عن زيارته؛ لأنه غير مأمون على أدب من آداب الشريعة فكيف يكون مأمونًا على الأسرار؟

موعظة: قال ﷺ: «**من تفل تجاه القبلة جاء يوم القيامة وتفلته بين عينيه**» رواه أبو داود في الطبراني من رواية أبي أمامة «**من بزق في القبلة ولم يوارها جاءت يوم القيامة أحمى ما يكون حتى تقع ما بين عينيه**»، قال في شرح المهذب: بزق وبصق وبسق ثلاث لغات، ولغة السين قليلة. ورأى النبي ﷺ رجلاً يصلي بقوم فبصق إلى القبلة فقال: «**لا يصلي بكم**»، فأراد الرجل أن يصلي بعد ذلك فمنعوه وأخبروه بقول النبي ﷺ فذكر لرسول الله فقال: «**نعم**» قال الراوي: وحسبت أنه قال: «**إنك آذيت الله ورسوله**» رواه أبو داود وعن أبي أمامة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «**إن العبد إذا قام في الصلاة فتحت له الجنان وكشفت له الحجب بينه وبين ربه واستقبلته الحور العين ما لم يتمخط أو يتنحنح**» رواه الطبراني.

فائدة: قال النبي ﷺ: «**لكل شيء زينة وزينة المجالس استقبال القبلة**» وقال النبي ﷺ: «**إن لكل شيء شرفًا وإن أشرف المجالس ما استقبل القبلة**» وقال النبي ﷺ: «**إن لكل شيء سيدًا وأن سيد المجالس قبالة القبلة**» وقال بعضهم: ما فتح الله على ولي إلا وهو مستقبل القبلة.

قال مؤلفه عن والده - رحمهما الله تعالى -: إن رجلاً علَّم ولدين القرآن على السواء فكان أحدهما يقرأ وهو مستقبل القبلة فحفظ القرآن قبل صاحبه بسنة، قال الخليفة للإمام مالك - رضي الله عنه -: أستقبل القبلة وأدعو أم أستقبل النبي ﷺ؟ فقال: كيف تصرف وجهك عنه وهو في وسيلتك ووسيلة أبيك آدم استقبله وتشفع به ﷺ يشفعه الله فيك فعلى هذا يكون استقباله ﷺ في مسجده أفضل من استقبال القبلة. وهو كذلك وقد صرح بعض العلماء بأن المشي إلى قبره الشريف أفضل من المشي إلى الكعبة.

مسألة: يحرم استقبال القبلة واستدبارها ببول أو غائط إلا أن يكون أمامه أو خلفه سترة ثلثي

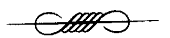
ذراع فأكثر بينه وبينها ثلاثة أذرع فأقل وتحصل السترة بإسبال ثوبه أمامه إن استقبل القبلة وخلفه إن استدبرها كما هو عادة القرى، وقال عبد الله بن المبارك: من تهاون بالأدب عوقب بحرمان السنن ومن تهاون بالسنن عوقب بحرمان الفرائض ومن تهاون بالفرائض عوقب بحرمان المعرفة.

فائدة: قال أهل التصوف: إذا صحت المحبة سقط الأدب واستشهدوا لذلك بما نقل عن خطاف أنه راود خطافة وقد دخلت قصر سليمان ﷺ فقال: إن لم تخرجي قلبت قصر سليمان فدعاه وقال: ما حملك على ما قلت؟ فقال: يا نبي الله إن العشاق لا يؤاخذون بأقوالهم. وأن الأدب أفضل من امتثال الأمر واستشهدوا بأن الصديق - رضي الله عنه - تأخر عن المحراب ولم يمتثل أمر النبي ﷺ له بإتمام الصلاة.

مسألة: لو اشترى عبدًا فوجده يسيء الأدب فلا خيار له قاله في الروضة.

لطيفة: قيل للعباس - رضي الله عنه -: أنت أكبر أم النبي ﷺ؟ فقال: هو أكبر مني وأن ولدت قبله، وذلك من أدبه - رضي الله عنه - وقال بعضهم شعرًا:

ما وهب الله لامرئ هبة ... أفضل من عقله ومن أدبه
هما جمالان للفتى فإن ... فقدا فالممات أجمل به



باب: فضل الدعاء

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى﴾ [غافر:٦٠]، أي عن دعائي قاله الأكثرون ﴿سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر:٦٠]، أي صاغرين وقال تعالى: ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ﴾ [الفرقان:٧٧]، أي لا قدر لكم عنده ﴿لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ﴾ [الفرقان:٧٧] إياه في الشدائد، وقيل معناه: ما خلقتكم ولي إليكم حاجة إلا أن تدعوني فأستجيب لكم وتستغفرون فأغفر لكم. وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف:١٨٠]، وقال تعالى: ﴿وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ [النساء:٣٢]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾ [البقرة:١٨٦].

لطيفة: قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ﴾ [البقرة:١٨٩]، ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ [البقرة:٢١٩]، أي الفاضل عن حاجتكم ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى﴾ [البقرة:٢٢٢]، ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ [البقرة:٢١٧] وهكذا في السؤال عن الأنفال والروح وذي القرنين والساعة واليتامى كل ذلك يخرج الجواب بقوله: ﴿قُلْ﴾ [البقرة:٨٠] إلا في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾ [البقرة:١٨٦]، فلم يقل: ﴿قُلْ﴾ [البقرة:٨٠] فكأنه تعالى يقول: عبدي تحتاج إلى الواسطة في غير الدعاء وأما فيه فلا واسطة بيني وبينك ذكره النيسابوري في تفسيره الكبير.

وقال الثعلبي - رضي الله عنه - في طه: فإن قيل: كيف قال: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا﴾ [طه: ١٠٥]، فخرج الجواب بالفاء دون ما تقدم من الأجوبة.

فالجواب: إن تلك سألوا عنها وهذا سؤال لم يسألوا عنه، لكن علم الله أنهم يسألون عنه فأجاب قبل السؤال. تقديره: فإن سألوك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفًا، قال مجاهد: والعوج: الانخفاض والأمت: الارتفاع.

فائدة: رأيت في الوجوه المسفرة عن اتساع المغفرة قال النبي ﷺ: «**ما أذن الله تعالى لعبد في الدعاء حتى أذن له في الإجابة**» وفي شرح البخاري لابن أبي جمرة عن النبي ﷺ: «**من فتح له باب الدعاء فقد فتحت له أبواب الخيرات**» وفي الترغيب والترهيب عنه ﷺ: «**من فتح له منكم باب الدعاء فقد فتحت له أبواب الرحمة**». وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ: «**ليس شيء أكرم على الله من الدعاء**» وعنه أيضًا ﷺ قال: «**الدعاء سلاح المؤمن وعماد الدين ونور السموات والأرض**». وعن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ قال: «**يدعو الله المؤمن يوم القيامة حتى يوقفه بين يديه، فيقول له: عبدي إني أمرتك بالدعاء ووعدتك أن أستجيب لك فهل كنت تدعوني؟ فيقول: نعم يا رب. فيقول: أما إنك لن تدعوني بدعوة إلا استجبت لك؟ أليس دعوتني يوم كذا وكذا بغم نزل بك أن أفرج عنك ففرجت عنك، فيقول: نعم يا رب فيقول: إني عجلتها لك في الدنيا ودعوتني يوم كذا وكذا لغم نزل بك أن أفرج عنك فلم تر فرجًا قال: نعم يا**

رب، فيقول: **إني ادخرت لك بها في الجنة كذا وكذا، ودعوتني في حاجة أن أقضيها لك في يوم كذا وكذا فقضيتها فيقول: نعم يا رب. فيقول: إني أعجلتها لك في الدنيا، ودعوتني يوم كذا وكذا لحاجة أقضيها لك فلم تر قضاءها، فيقول: نعم يا رب فيقول: إني ادخرت لك بها في الجنة كذا وكذا»** قال ﷺ: **«لا يدع الله دعوة دعا بها عبده إلا بين له إما أن يكون عجل له بها في الدنيا وإما أن يكون ادخر له بها في الآخرة فيقول المؤمن في ذلك المقام: يا ليته لم يكن عجل له شيء في الدنيا من دعائه»**. وعن أبي الدرداء عن النبي ﷺ: **«دعوة الرجل لأخيه بظهر الغيب تعدل سبعين دعوة مستجابة ويوكل الله ملكًا يقول: آمين ولك مثل ما دعوت»** وقال النبي ﷺ: **«أسرع الدعاء إجابة دعوة غائب لغائب»** رواه أبو داود والترمذي، وقال النبي ﷺ: **«ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن دعوة المسافر ودعوة المظلوم ودعوة الوالد لولده»** رواه أبو داود والترمذي، وفي رواية البزار **«ثلاث حق على الله أن لا يردهن دعوة الصائم حتى يفطر، والمظلوم حتى ينتصر والمسافر حتى يرجع»**، وعنه ﷺ **«دعوة الوالد لولده مثل دعاء النبي لأمته»** وعنه ﷺ **«دعوتان ليس بينهما وبين الله حجاب دعوة المظلوم ودعوة المرء لأخيه بظهر الغيب»** وعن عبد الله بن أبي بردة أن النبي ﷺ سمع رجلًا يقول: اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، فقال له: **«لقد سألت الله بالاسم الأعظم الذي إذا سُئِلَ به أعطى وإذا دُعِيَ به أجاب»** رواه أبو داود والترمذي.

قال في الترغيب والترهيب: لم يرد في باب الدعاء حديث أجود إسنادًا منه، وعن أنس - رضي الله عنه - قال: سمع النبي ﷺ رجلًا يقول: اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت يا حنان يا منان يا بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام، فقال: **«دعا الله بالاسم الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سُئِلَ به أعطي»** رواه الإمام أحمد وأبو داود، وعن عائشة - رضي الله عنها - عن النبي ﷺ قال: **«يا عائشة قد علمت أن الله تعالى قد دلني على الاسم الذي إذا دعي به أجاب»** فقلت: يا رسول الله علمنيه فقال: **«لا ينبغي لك يا عائشة»** فقمت وتوضأت وصليت ركعتين، قلت: اللهم إني أدعوك الله وأدعوك الرحمن وأدعوك الرحيم وأسألك بأسمائك الحسنى كلها ما علمت منها وما لم أعلم أن تغفر لي وترحمني قالت: فضحك رسول الله ﷺ ثم قال: **«إنه لفي الأسماء التي دعوت بها»** رواه ابن ماجه ورأيت في شرح أسماء الله الحسنى للقرطبي بمكة شرفها الله عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: يا رسول الله علمني اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب قال: **«قومي فتوضئي وادخلي المسجد وصلي ركعتين ثم ادعي حتى أسمع»** ففعلت وجلست فقال: **«اللهم وفقها»** فقالت: اللهم إني أسألك بجميع أسمائك الحسنى كلها ما علمت منها وما لم أعلم وأسألك باسمك العظيم الكبير الأكبر الذي من دعاك به أجبته ومن سألك به أعطيته، فقال ﷺ: **«أصبتيه والذي نفسي بيده»**.

فوائد: الأولى: قال النسفي - رحمه الله تعالى -: خلق الله ملكًا يقال له: دردابيل له جناح بالمشرق من زبرجد أخضر، وجناح بالمغرب من ياقوتة حمراء مكللة بالدر والياقوت والمرجان رأسه تحت العرش ورجلاه في الأرض السابعة ينادي كل ليلة هل من سائل فيعطى سؤله، هل من داع فيستجاب له، هل من تائب فيتاب عليه هل من مستغفر فيغفر له حتى يطلع الفجر. والفرق بين الدعاء والسؤال أن الأول ما لا طلب فيه نحو يا الله يا رحمن يا رحيم، والثاني ما فيه الطلب نحو اللهم ارزقني اللهم أغني.

الثانية: الياقوت أربعة ألوان أصفر وأزرق وأبيض وأحمر وأعلاه قيمة الأحمر، ويكفي فيه قول النبي ﷺ في صفة الجنة: «**حصباؤها اللؤلؤ والياقوت ومعدنه جبل طويل في جزيرة خلف جزيرة سرنديب ومن تختم بالياقوت الأحمر أو علق عليه انتفى عنه الصرع والطاعون**» وحمل الياقوت الأصفر والتختم به يمنع الاحتلام ومن حمل الأبيض اتسع رزقه. وقال ابن مسعود: المرجان هو الخرز الأحمر. وسيأتي في باب الجنة.

الثالثة: عن عبد الله بن أبي أوفى - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «**من كانت له إلى الله حاجة أو إلى أحد من بني آدم فليتوضأ وليحسن الوضوء وليصل ركعتين ثم ليثن على الله تعالى وليصل على النبي ﷺ ثم ليقل**: لا إله إلا الله الحكيم الكريم سبحان الله رب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين، اللهم إني أسالك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك والغنيمة من كل بر والسلامة من كل إثم لا تدع لي ذنبًا إلا غفرته، ولا همًّا إلا فرجته ولا حاجة هي لك رضاء إلا قضيتها يا أرحم الراحمين» رواه الترمذي.

الرابعة: عن ابن مسعود - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ أنه قال: «**اثنتي عشرة ركعة تصليهن من ليل أو نهار تتشهد بين كل ركعتين، فإذا تشهدت في آخر صلاتك فأثن على الله تعالى وصل على النبي ﷺ** واقرأ وأنت ساجد فاتحة الكتاب سبع مرات وآية الكرسي سبع مرات، وقل: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت، وهو على كل شيء قدير عشر مرات، ثم قل: اللهم إني أسألك بمعاقد العز من عرشك ومنتهى الرحمة من كتابك واسمك الأعظم ومجدك الأعلى وكلماتك التامة، ثم اسأل حاجتك ثم ارفع رأسك ثم سلم يمينًا وشمالاً ولا تعلموها السفهاء فإنهم يدعون فيستجابون» وذكر في الترغيب والترهيب أن جماعة جربوه فوجدوه حقًّا.

الخامسة: عن عثمان بن حنيف - رضي الله عنه - قال: جاء رجل أعمى إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ادع الله أن يكشف لي عن بصري قال: «**انطلق فتوضأ ثم صل ركعتين ثم قل: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد ﷺ** نبي الرحمة يا محمد إني أتوجه إلى ربي بك أن يكشف لي عن بصري اللهم شفعه في وشفعني في نفسي» فرجع وقد كشف الله عن بصره رواه الحاكم وابن ماجه والنسائي والترمذي وقال: حسن صحيح.

فائدة: وجد موسى ﷺ رجلًا يدعو مرارًا فلم يجب إلى سؤاله فقال: يا رب لو أجبته فقال: إنه بخيل يدعو لنفسه، فأخبره موسى بذلك فدعا لنفسه وللمسلمين فقبل الله دعاءه، ورأى موسى عليه السلام رجلًا يبكي ويتضرع فقال: يا رب لو كانت حاجته بيدي لقضيتها له، فأوحى الله إليه يا موسى أنا أرحم به منك ولكنه يدعوني وقلبه عند غنمه وأنا لا أستجيب لمن يدعو لي وقلبه عند غيري. وقال وهب: الدعاء بلا عمل كالقوس بلا وتر. وقال سفيان الثوري - رضي الله عنه -: لا يمنعن أحدكم من الدعاء ما يعلمه من نفسه فإن الله تعالى أجاب إبليس لما قال: أنظرني إلى يوم يبعثون. وقال موسى - عليه السلام - يا رب إذا دعاك المصلي والصائم والمجاهد فبماذا تجيبهم قال: أقول لبيك. قال: يا رب إذا دعاك العاصي قال: أقول لبيك لبيك لبيك. قال: يا رب تجيبه بالتلبية ثلاث مرات قال: لأنه اعتمد على كرمي وغيره اعتمد على عمله.

حكاية: عن بعض الصالحين قال: دخل عظم في رجلي فتألمت منه ألمًا شديدًا فجلست تحت شجرة وتضرعت إلى الله بأسمائه الحسنى فغلبني النوم فرأيت حية تمص رجلي وتمج القيح والدم وأخرجت العظم، فاستيقظت فرأيت الدم والقيح والعظم على الأرض. قال الإمام الرازي - رضي الله عنه -: وللدعاء بأسماء الله الحسنى شروط، أحسنها أن يكون مستحضرًا معنى الربوبية وذل العبودية وأن يعرف معاني تلك الأسماء وها أنا أذكر بعض ما يحتاج إليه ذلك.

الله: معناه الجامع لصفات الألوهية المتصف بأوصاف الربوبية وهو الاسم الأعظم.

الرحمن الرحيم: تقدم الفرق بينهما في الفاتحة في فضل البسملة.

القدوس: معناه: المنزه عن كل معنى يدركه حس أو يتصوره خيال أو يسبق إليه وهم، قال الغزالي - رضي الله عنه -: ولست أقول منزه عن العيوب؛ لأن ذلك يقرب من ترك الأدب فليس من الأدب أن يقال: ملك البلد ليس بحائك.

السلام: معناه: الذي سلمت ذاته مما تقدم وأفعاله سلمت من الشر والسلام من العباد من سلم قلبه من الحقد والحسد والغش.

المؤمن: معناه: من التجأ إليه صار آمنًا من كل شر، والمؤمن من العباد من هو في أمان.

المهيمن: معناه: العالم بخلقه وأرزاقهم وآجالهم وهو من أسماء الله في الكتب القديمة.

الخالق البارئ المصور: قال الغزالي - رضي الله عنه -: قد يظن أن هذه الثلاثة بمعنى واحد وليس كذلك، ثم قال: البناء مثلًا يحتاج إلى الأخشاب حتى يبنى له قدر الخشب ثم بعد ذلك إلى من ينقش ظاهر البناء ويزين صورته، وحاصل كلامه: أن الصنعة لا تقوم بواحد، كما ذكر في الإحياء أن الرغيف لا يوضع على المائدة إلا بثلثمائة وستين صانعًا والله تعالى غني في

صنعته عن غيره، فإن احتاجت الصنعة إلى موجد فهو خالقها وإن احتاجت إلى مخترع يخترعها ويصورها فهو مصورها وخالقها، وإن احتاجت إلى زينة فهو مصورها في أحسن زينة وأتم حالة.

القابض الباسط: معناه يقبض القلوب بالخوف ويبسطها بالرجاء كما فعله النبي ﷺ مع أصحابه لما قال: يقول الله تعالى: يا آدم أخرج بعث النار فيقول: كم؟ فيقول: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون، فانقبضت قلوبهم فلما رأى ذلك منهم بسطها بقوله ﷺ: «**إن مثلكم في الأمم كمثل الشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود**» وقيل: يقبض الرزق عن الفقراء ويبسطه على الأغنياء، وقيل: يقبض الأرواح عن الأشباح.

الخافض: لأهل الشقاوة.

الرافع: لأهل السعادة، والخافض الرافع من العباد الذي يخفض الباطل وأهله ويرفع الحق وأهله.

اللطيف: معناه: العالم بدقائق المصالح وموصلها إلى أهلها بالرزق، واللطيف من العباد من يعلم الطريق إلى الله تعالى بغير عنف.

الغفور: بمعنى الغفار لكنه أبلغ من الغفور.

لطيفة: رأيت في الوجوه المسفرة عن اتساع المغفرة من أسماء الله تعالى غفار وغافر وغفور، وسمي العبد بثلاثة أسماء ظالم لنفسه وظلوم كفار وظلام وهو المسرف على نفسه فكأنه سبحانه وتعالى يقول: أنا للظالم غافر وللمظلوم غفور وللظلام غفار، وقيل: معنى غافر: مزيل للذنب من الصحيفة وغفور منسٍ للملائكة ذلك الذنب وغفار منسٍ للمذنب ذنبه، وقيل: غافر في الدنيا وغفور في القبر وغفار في القيامة.

الشكور: معناه يجازي بيسير الطاعة كثير الدرجات.

الكبير: معناه القديم يقال: فلان أكبر من فلان: إذا كان أقدم منه في الزمان.

المقيت: معناه خالق الأقوات.

الحسيب: معناه الكافي.

فائدة: قال الرازي في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران:١٧٣]، أي نعم الكافي؛ لأن نعم توضع بين كلامين متناسبين تقول: الله رازقنا ونعم الرزاق وخالقنا ونعم الخلاق كذلك ههنا يكفينا الله ونعم الكافي. قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: لما عزم أبو سفيان على الانصراف من المدينة إلى مكة نادى يا محمد موعدنا بدر الصغرى فرميتك بها إن ثبت، فقال النبي ﷺ: «**إن شاء الله**» فلما حضر الأجل خرج أبو سفيان فألقى الله - تعالى - عليهم الرعب

فرجعوا من أثناء الطريق فلقي نعيم بن مسعود فقال: يا نعيم إني واعدت محمدًا أن نجتمع ببدر وهذا عام مجدب فارجع إليه فثبطه عن القتال فإن خرج ولم نخرج إليه ازداد جراءة فإن فعلت ذلك فلك عندي عشرة من الإبل، فرجع إلى المدينة فوجد الناس يتجهزون فقال: لئن خرجتم لا يرجع منكم أحد فوقع ذلك في قلوب بعضهم، فقال النبي ﷺ: «**والذي نفسي بيده لأخرجن إليهم وحدي فتبعه سبعون رجلًا وقالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل فلم يجدوا ببدر أحدًا يقاتلهم فباعوا في موسم بدر فربح الدرهم درهمين ورجعوا سالمين غانمين**» فذلك قوله تعالى: ﴿فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعۡمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٍ﴾ [آل عمران :١٧٤] ، قال مجاهد والسدي: النعمة هنا هي العافية والفضل ما ربحوه في بيعهم، وقيل: النعمة منافع الدنيا والفضل: منافع الآخرة، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ [آل عمران :١٧٥] ، يعني نعيم بن مسعود وسماه شيطانًا لكفره، يخوف أولياءه، فإن قيل: إنما خوف المسلمين وليسوا أولياءه.

فالجواب: تقديره يخوفكم أولياءه؛ لأن الخوف يتعدى إلى المفعولين بغير حرف جر.

الجليل: معناه: الموصوف بصفة الجلال وهو الغني والملك والقدرة والعلم وغيرها من صفات الكمال.

الواسع: مشتق من السعة، والسعة تضاف إلى العلم والرزق فإن نظرنا إلى علم الله فلا ساحل لبحر معلوماته وإن نظرنا إلى نعمته فلا نهاية لها.

الحكيم: معناه العالم بأفضل الأشياء وأفضل العلوم بالله فمن عرف ذلك فهو حكيم وقال النبي ﷺ: «**رأس الحكمة مخافة الله**».

الودود: الذي يحب الخير لجمع خلقه.

المجيد: هو الشريف في ذاته الجميل في أفعاله الجزيل عطاؤه.

الشهيد: بمعنى العالم.

الحق: هو الذي يكون وجوده ثابتًا لذاته أزلاً وأبدًا.

الوكيل: الذي توكل الأمور كلها إليه.

المتين: هو بمعنى القوي لكنه أبلغ.

الولي: هو الناصر لأوليائه القاهر لأعدائه.

الحميد: هو الذي يحمد نفسه أزلاً ويحمده عباده أبدًا، وهو محمود قبل حمد الحامدين وقد تقدم في الفاتحة.

المحصي: هو بمعنى العالم.

المبدئ: للأشياء قبل وجودها على غير مثال سبق.

المعيد: لها بعد العدم على مثال سبق.

القيوم: هو القائم بذاته وكل شيء قائم به ورأيت في الأسماء والصفات للبيهقي - رضي الله عنه - أن قوم موسى - عليه السلام - قالوا أينام ربنا؟ قال: اتقوا الله إن كنتم مؤمنين فأوحى الله إليه أن خذ قارورتين واملأهما ماء ففعل فنعس فسقطتا من يديه فانكسرتا فأوحى الله إليه إني أمسك السموات والأرض أن تزولا ولو نمت لزالتا.

الواجد: بمعنى المجيد وقد تقدم.

الواحد: هو الذي لا يتجزأ ولا ينقسم.

الأحد: الذي لا نظير له، وقال البغوي: لا فرق بينهما وقال القرطبي في شرح الأسماء: الأحد اسم بمعنى الذات والواحد وصف لها، والغزالي - رضي الله عنه - أسقط الأحد من شرح الأسماء لسقوطه من الروايات.

الصمد: تقدم في فضل السورة.

المقتدر: بمعنى القادر لكنه أبلغ.

المقدم والمؤخر: أي يقدم أولياءه ويؤخر أعداءه.

الأول الآخر: أي لا ابتداء له ولا انتهاء له.

الظاهر: بالأدلة للعقول فلا ينكر وجوده.

الباطن: الذي لا يعلم كنه حقيقته إلا هو.

البر: المحسن.

العفو: بمعنى الغفور لكنه أبلغ، قال العفو وهو محو الذنوب والغفر هو الستر لها والمحو أبلغ من الستر.

الرؤوف: الرأفة: شدة الرحمة.

ذو الجلال والإكرام: هو الذي لا جلال ولا كمال إلا هو له ولا مكرمة إلا هي منه، قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل:٥٣]، ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

الولي: هو الذي يدير أمور خلقه.

المتعال: بمعنى العلي والمراد علو الجلال والسلطان لا علو الجهة والمكان.

المقسط: الذي ينصف المظلوم من الظالم.

الجامع: بين الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة في الحيوانات، ويجمع الناس ليوم لا ريب فيه.

النور: قال الغزالي - رضي الله عنه -: هو الظاهر في نفسه المظهر لغيره، قال الجنيد - رضي الله عنه - نوّر قلوب الملائكة حتى قدسوه ونوّر قلوب الرسل حتى عرفوه ونوّر قلوب المؤمنين حتى وحدوه.

البديع: هو الذي لا يسبقه شيء بل هو قبل كل شيء.

الرشيد: هو الذي لا يحتاج إلى مشير، وأفعاله في غاية الكمال.

الصبور: هو الذي لا يعجل على الشيء قبل أوانه.

مسألة: الأسماء غير المسمى، وقيل: هو وهو باطن من وجهين: الأول: أن الأسماء كثيرة والمسمى واحد ولو كان هو هو لكان كل من ذكر النار أو الثلج حصل له حرارة أو برودة، فإن قيل: لو كان الاسم غير المسمى لما وقع الطلاق بقوله مثلاً: زينب طالق.

فالجواب: معناه أن الذات التي يعبر عنها بهذا اللفظ طالق؛ فلهذا السبب وقع الطلاق، فإن قيل: ما الجواب عن قوله تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ﴾ [الرحمٰن:٧٨]؟ فإن المتبارك المتعالي هو الله تعالى لا الصوت والحرف.

فالجواب: كما يجب علينا أن ننزه الله عنه النقائص فكذلك يجب علينا أن ننزه الألفاظ الموضوعة لتعريف ذاته عن العيب.

لطيفة: لما ادّعت الملائكة الفضل على آدم علمه الله جميع الأسماء ثم عرضها على الملائكة فقال: أنبئوني بأسماء هؤلاء عجزوا وأطلق الله لسانه بذكر الأسماء فلما عرف آدم أسماء المخلوقين ظهر له الفضل على الملائكة فكيف إذا عرف المؤمن أسماء الخالق؟ وذكر النسفي - رحمه الله تعالى - أن الطيور اجتمعوا في الهواء لما ألقى إبراهيم في النار فألقى الهزار نفسه معه فأمر الله جبريل أن يمسكه قال: اسأله عن فعله، فقال: في محبة الله تعالى فقال الله له: هل لك من حاجة؟ قال الطير: نعم يعلمني أسماءه الحسنى فعلمه إياها فهو يترنم بها إلى يوم القيامة.

مسألة: قال في الروضة: يصح استئجار الهزار لسماع صوته. قال الجوهري: والعندليب طير يقال له: الهزار وهو نوع من العصفور وسمي عصفورًا؛ لأنه عصى وفر، لحم العصفور من حيث الجملة حار يابس يزيد في الباه خصوصًا الدوري ويسمى الفأر الطيار، لكثرة إيذائه ويشارك بهائم الطير - هي التي تأكل الحب - ويشارك سباعها وهي التي تأكل اللحم فهو يأكل الحب والجراد ولا يعيش أكثر من سنة لكثرة جماعه، ولحم القنبر ينفع من القولنج وحبس البطن والفالج، الاكتحال بزبل العصافير الدورية يجلو بياض العين.

فائدتان: الأولى: خلق الله تعالى ملكًا له ألف رأس في كل رأس ألف وجه في كل وجه ألف فم في كل فم ألف لسان يسبح الله، فقال يومًا: يا رب هل خلقت خلقًا أعبد لك مني؟

قال: نعم خلقت رجلًا من بني آدم، فاستأذن في زيارته فأذن له فلم يجده يزيد على الفرض فقال: هل لك من علم غير هذا؟ قال: نعم أذكر أسماء الله الحسنى كل يوم بعد صلاة الصبح عشر مرات، قال القرطبي: سميت بالحسنى لما فيها من التعظيم والثواب. قال النبي ﷺ: «من **أحصاها أي حفظها دخل الجنة**» أو لحسن سماعها في القلوب، وقال أيضًا: يدعو كل اسم بما يناسبه فيا رحيم ارحمني ويا رزاق ارزقني، ورأيت في كشف الأسرار لابن العماد عن النبي ﷺ: «**يسلط الله على الكافر تسعًا وتسعين تنينًا لو نفخ تنين منها على الأرض لما أنبتت خضرًا**» والحكمة في التسعة والتسعين؛ لأنه كفر بأسماء الله وهي تسعًا وتسعون.

الثانية: نقل أبو السعادات - رضي الله عنه -: أن الله تعالى خلق ملكًا له أربعمائة ألف رأس في كل رأس أربعمائة ألف وجه في كل وجه أربعمائة ألف فم في كل فم أربعمائه ألف لسان لكل لسان لغة لا تشبهها الأخرى فقال: يا رب هل خلقت أحدًا أكثر لك مني ذكرًا؟ قال: نعم عبد - يوشع بن نون -، فاستأذن في زيارته فأذن له فسأله عن ذكره فقال: أقول إذا أصبحت عشر مرات وإذا أمسيت عشر مرات سبحان الله وبحمده عدد ما سبحه به خلقه، أضعاف ذلك كله حتى يرضى ربنا وكما ينبغي لكرم وجهه عز جلاله وعظمت ربوبيته، وكما هو له أهل وأهلله كذلك وأحمده كذلك وأشكره كذلك.

حكاية: كان ببلاد الكفر راهبان يخدمهما أسير مسلم وكان كثير التلاوة للقرآن فحفظا منه آيتين.

الأولى: ﴿وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ [النساء:٣٢].

الثانية: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر:٦٠]، فأكلا طعامًا في بعض الأيام فَغَصَّ أحدهما بلقمة فناوله الأسير خمرًا فلم ينتفع به فقال في نفسه: يا رب قلت: ﴿وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ [النساء:٣٢] وأنت قلت: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر:٦٠] فإن كان ذلك حقًّا فاسقني ماء فخرج ماء من صخرة فشرب منه فذهبت غصته، فكان ذلك سببًا لإسلامهما وأما الأسير فإنه مات كافرًا نعوذ بالله من سوء الخاتمة.

حكاية: كان رجل يتجر على عهد النبي ﷺ فرآه لص فأراد قتله، فقال: خذ المال ودعني، فقال: لا بد من قتلك. فقال: أمهلني حتى أصلي ركعتين فلما فرغ منهما رفع يديه، وقال: يا ودود يا ودود يا ودود يا ذا العرش المجيد يا فعال لما تريد أسألك بنور وجهك الذي ملأ أركان عرشك وبقدرتك التي قدرت بها على خلقك وبرحمتك التي وسعت كل شيء، يا مغيث أغثني يا مغيث أغثني يا مغيث أغثني ثلاث مرات، فنزل ملك وقتل اللص وقال للتاجر: اعلم أني من ملائكة السماء الثالثة ولما قلت: يا مغيث أغثني سمعنا لأبواب السماء قعقعة وفي الثانية فتحت أبواب السماء ولها شرر كشرر النار وفي الثالثة نزل جبريل وقال: من لهذا المكروب؟ فقلت: أنا.

واعلم: يا عبد الله أن من دعا به في كربه فرج الله عنه، ثم جاء إلى النبي ﷺ فأخبره

بذلك، فقال: «**لقد لقنك الله أسماءه الحسنى التي إذا دُعِيَ بها أجاب وإذا سُئِلَ بها أعطى**».

لطيفة: قال بعضهم: عند اشتداد الكرب تبدو مطامع الفرج قال ابن عباس - رضي الله عنه -: لما استعمل سليمان - عليه السلام - الشياطين في البناء وشدد عليهم شكوا ذلك إلى إبليس فقال: تكفيكم الراحة في رجوعكم من عملكم إلى منازلكم، فبلغ ذلك سليمان فاستعملهم في ذهابهم وإيابهم فشكوا ذلك إلى إبليس فقال: يكفيكم الراحة بالليل، فبلغ ذلك سليمان فاستعملهم ليلاً ونهارًا، فشكوا ذلك إلى إبليس فقال: الآن جاءكم الفرج، فمات سليمان بعد ذلك بيسير، ولذلك قال بعضهم: عند اشتداد الكرب تبدو مطامع الفرج.

حكاية: رأيت في تفسير الرازي أن زيد بن حارثة - رضي الله عنه - صاحب النبي ﷺ خرج مع رجل من المنافقين إلى موضع خراب فنام زيد فأوثقه المنافق كتافًا فسأله زيد عن ذلك، فقال: أريد ذبحك؛ لأنك تحب محمدًا، فقال: يا رحمن وفي غيره يا أرحم الراحمين أغثني فسمع المنافق صوتًا: لا تقتله، فخرج فلم يجد أحدا فهم بقتله فقال: يا رحمن أغثني فسمع صوتًا أقرب من الأول: لا تقتله، فخرج ونظر فلم يجد أحدًا فهم بقتله فقال: يا رحمن أغثني فسمع صوتًا على باب الخرابة: لا تقتله، فخرج فوجد رجلاً معه حربة فقتله، ثم دخل فأطلق وثاق زيد فسأله فقال: أنا جبريل كنت في المرة الأولى عند سدرة المنتهى وفي الثانية على سماء الدنيا وفي الثالثة على باب الخرابة وقد قتلت المنافق.

فائدة: زيد بن حارثة القرشي أصابه سبي فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة - رضي الله عنها - ووهبته للنبي ﷺ، فأعتقه وزوجه مولاته أم أيمن فولدت له أسامة روى أسامة عن النبي ﷺ مائة وثمانية وعشرين حديثًا وروى زيد حديثين فقط، فأيمن وأسامة أخوان من أم أيمن صحابيان - رضي الله عنهما - وعن أبي أمامة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: إن ملكًا موكلاً بمن يقول: يا أرحم الراحمين فمن قالها ثلاثًا قال الملك: إن أرحم الراحمين قد أقبل عليك فاسأله. رواه الحاكم، ومر النبي ﷺ برجل يقول: يا أرحم الراحمين فقال له: «**سل فقد نظر الله إليك**».

وفي كتاب الدعوات للطبراني: أن من قال يا رب ثلاثًا قال الله تعالى: سل تعط وقال النبي ﷺ: «**إن الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل فعليكم عباد الله بالدعاء**» رواه الترمذي، وقال: حديث غريب. وقال الحاكم: صحيح الإسناد.

حكاية: طلب الحجاج رجلاً من الأكابر فلما قدر عليه جعله بالسجن وأمر أن يقيد فلما صار في السجن ووضع القيد في رجليه رفع رأسه، وقال: لا حول ولا قوة إلا بك لك الخلق والأمر، فلما جن الليل أغلق السجان الأبواب فلما أصبح وجد القيد مطروحًا ولم ير للرجل أثرًا فخاف من الحجاج فجاء إلى أهله فودعهم ثم جاء إلى الحجاج وأخبره بأمر الرجل فقال: هل قال شيئًا قال: نعم لما جعلت القيد في رجليه رفع رأسه إلى السماء، وقال: لا حول ولا

قوة إلا بك لك الخلق والأمر، فقال الحجاج: إن الذي ذكره وأنت حاضر خلصه وأنت غائب.

قال في الإحياء: قال عمر بن عبد العزيز - رضي الله عنه -: رأيت الحجاج في النوم على شفير جهنم، فقلت له: ما تنتظر هنا؟ فقال: ما ينتظره الموحدون؟ قال النووي - رضي الله عنه -: لا يجوز لعنه، ثم ذكر في **«تهذيب الأسماء واللغات»** أنه استولى على العراق عشرين سنة فحطم أهلها، ثم مات بواسط سنة خمس وتسعين وما مس قبره وأجري عليه الماء.

فوائد: الأولى: لما هرب سعيد بن المسيب - رضي الله عنه - من الحجاج استخفى في بعض حجر للنبي ﷺ فكان لا يعلم أوقات الصلوات إلا بهمهمة يسمعها من قبر النبي ﷺ ثم بعد أيام سمع صوتًا يقول: يا ابن المسيب قل: اللهم أنت الملك وأنت على كل شيء قدير وما تشاء من أمر يكون، فما قلتها والله في كربة إلا فرج الله عني.

الثانية: لما اجتمعت اليهود ليقتلوا عيسى - عليه السلام - جاءه جبريل - عليه السلام - بهذا الدعاء اللهم إني أسألك باسمك الأحد الأعز، وأدعوك اللهم باسمك الأحد الصمد، وأدعوك باسمك العظيم الوتر، وأدعوك اللهم باسمك الكبير المتعال الذي ملأ الأركان كلها أن تكشف عني ما أصبحت وما أمسيت فيه، فلما دعا به رفعه الله إلى السماء وقال النبي ﷺ: **«يا بني هاشم ويا بني عبد مناف اسألوا ربكم بهؤلاء الكلمات فوالذي نفس محمد بيده ما دعا بهن عبد مؤمن إلا اهتز العرش والسموات السبع والأرضون السبع، ويقول الله تعالى لملائكته: اشهدوا أني قد استجبت للداعي بهن وأعطيته عاجل دنياه وآجل آخرته»**.

الثالثة: قال الربيع - رضي الله عنه -: طلب الخليفةُ الشافعيَّ - رضي الله عنه - حال غضبه فلما صار على الباب استأذنت له وأنا خائف عليه فرأيته يحرك شفتيه فلما دخل عليه قام له وقبله بين عينيه وأكرمه بمال جزيل، فخرج من عنده، وفرقه قبل أن يصل إلى منزله، فقلت له: رأيتك تحرك شفتيك قبل الدخول فقال: حدَّثني مالك عن نافع عن ابن عمر - رضي الله عنهم - أن النبي ﷺ قرأ يوم الأحزاب أي لما تحزبت عليه اليهود وكفار قريش والعرب: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾[آل عمران:١٨]، ثم قال: **«وأنا أشهد بما شهد الله به، أستودع الله هذه الشهادة وهي لي وديعة عند الله يؤديها إلي يوم القيامة، اللهم إني أعوذ بنور قدسك وعظيم ركنك وعظمة طهارتك وبركة جلالك من كل آفة وعاهة ومن طوارق الليل والنهار إلا طارقًا يطرق بخير يا رحمن، اللهم أنت عياذي فبك أعوذ وأنت غياثي فبك أستغيث وأنت ملاذي فبك ألوذ، يا من ذلت له قلوب الجبابرة وخضعت له أعناق الفراعنة أعوذ بك من خزيك وكشف سترك ونسيان ذكرك والانصراف عن شكرك، أنا في حرزك وكنفك ليلي ونهاري نومي وقراري وظعني وإقامتي وحياتي ومماتي، ذكرك شعاري وثناؤك ثاري لا إله إلا أنت، تعظيمًا لاسمك وتنزيهًا لسبحات وجهك، أجرني من عذابك وشر عبادك واضرب عليَّ سرادقات حفظك وأدخلني في حفظك وعنايتك يا أرحم الراحمين»**.

الرابعة: قال جبريل - عليه السلام -: يا محمد ما بعثت إلى أحد أحب إلي منك أفلا أعلمك دعاء خبأته لم أعلمه لأحد قبلك تدعو به في الرغبة والرهبة، فقال: قل: «**يا نور السموات والأرض يا قوام السموات والأرض يا عماد السموات والأرض يا زين السموات والأرض يا جمال السموات والأرض يا عماد السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام يا غوث المستغيثين، ومنتهى رغبة العابدين ومنفسًا عن المكروبين ومفرجًا عن المغمومين وصريخ المستصرخين ومجيب دعوة المضطرين كاشف السوء إله العالمين**».

الخامسة: حبس هارون الرشيد موسى بن جعفر الكاظم - رضي الله عنه- في بغداد ثم أمر بإخراجه وأعطاه ثلاثين ألف درهم فسئل عن ذلك فقال: رأيت عبدًا أسود معه حربة، وقال: إن لم تخرج موسى وإلا قتلتك ثم قال موسى: رأيت النبي ﷺ في المنام، وقال: «**يا موسى حبست ظلمًا فقل هذه الكلمات فإنك لا تبيت هذه الليلة في الحبس، فقل: يا سامع كل صوت يا سابق كل فوت ويا كاسي العظام ومنشرها بعد الممات - أي الموت - أسألك بأسمائك العظام وباسمك الأعظم الأكبر المخزون المكنون الذي لم يطلع عليه أحد من المخلوقين يا حليمًا بخلقه يا ذا المعروف الذي لا ينقطع معروفه أبدًا ولا يحصى له عددًا فرج عني ففرج الله عنه**».

حكاية: ذكر أبو جعفر النيسابوري - رحمه الله تعالى -: أن شابًا كان يقول كثيرًا: يا قديم الإحسان أحسن إلي بإحسانك القديم، فسئل عن ذلك فقال: كنت ألبس ثياب النساء وأحضر معهن في كل عرس ووليمة أنظر إليهن، فحضرت معهن في عرس أمير فلما فرغ العرس صاح خادم الأمير: احفظوا الباب فقد ضاع لنا جوهرة فصاروا يفتشون النساء، فألهمني ربي أن أقول: يا قديم الإحسان أحسن إلي بإحسانك القديم، وعاهدت الله أن لا أعود، فلما وصلوا إليَّ نادى مناد: اتركوا الحرة فقد وجدنا الجوهرة، فكدت أموت فرحًا فخرجت وأنا أقول: يا قديم الإحسان أحسن إليّ بإحسانك القديم.

ورأيت في «**الرياض النضرة في مناقب العشرة**»: أن بعضهم رأى النبي ﷺ في المنام فقال: يا نبي الله علمني دعاء أدعو به في سفري وحضري فقال: عليك بثلاث دعوات فادع بها في وقت كل شدة وفي كل صلاة قل: يا قديم الإحسان يا من إحسانه فوق كل إحسان، يا ملك الدنيا والآخرة. وفي غيره أوحى الله تعالى إلى داود - عليه السلام - يا داود تملق إليّ، قال: كيف أتملق إليك وأنت رب العالمين، قال: قل: يا قديم الإحسان ويا دائم الخير يا كثير المعروف فمن تملق إلي بهذه الكلمات كان كمن أتى بعبادة أهل المشرق والمغرب.

فوائد: الأولى: روى الطبراني في «**الكبير**» و«**الأوسط**» بإسناد حسن عن النبي ﷺ: «**من دعا بهؤلاء الكلمات الخمس لم يسأل الله تعالى شيئًا إلا أعطاه، لا إله إلا الله والله أكبر، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، لا إله إلا الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله**».

الثانية : مر عيسى – عليه السلام – ببقرة قد عسر عليها خروج ولدها، فقالت : يا روح الله ادع لي بالخلاص، فقال : يا خالق النفس من النفس خلصها فألقت جنينها، وقال ابن عباس – رضي الله عنهما – : إذا عسر على المرأة ولدها فليكتب لها هذا الدعاء ولا بأس أن يضاف إليه الفاتحة وسورة الإخلاص والمعوذتين وإذا السماء انشقت إلى قوله : ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾ [الانشقاق :٤] ، اللهم خلص فلانة بنت فلانة مما في بطنها من ولدها خلاصًا في عافية إنك أنت أرحم الراحمين ثم يسقى للمعوقة، قال الدميري – رحمه الله – في حياة الحيوان : وهو مجرب.

الثالثة : الزبد البحري إذا علق على ذات طلق سهل الولادة وكذا قشر البيض إذا سحق ناعمًا وشربته المعوقة بالماء سهل، وكذا عصارة قثاء الحمار إذا عجن بمرارة البقرة وقثاء الحمار عند أهل الأندلس اسمه العلقم، وأما قثاء الآدميين أكله يسكن الصفراء والحرارة وينفع من الحمى الحارة، ويضر أكله بمن طبعه بارد إلا إذا أكله بالرطب أو التمر أو الزبيب أو العسل فإنه يسمن البدن، وفي الحديث عن النبي ﷺ : «**إذا أكلتم القثاء فكلوا من أسفله**».

الرابعة : إذا شربت المعوقة ثلاثين حبة من حب اللوف سهل الولادة أيضًا.

لطيفة : قال في «**نزهة النفوس والأفكار**» : اللوف : يقال خبز القرود وورقه يشبه ورق القلقاس، وورقه مع أصله نافعان للجراحات الرديئة فإن ذلك يجلوها وينقيها تنقية قوية وأكلها ينفع من الأخلاط الرديئة ومن وجع الكبد والطحال، وبذره إذا أكله من به سرطان شفاه الله تعالى، وإذا شربت الحامل من بذره نحو ثلاثين حبة بخل ممزوج بماء سقط حملها، وأما القلقاس ويسمى آذان الفيل من منافعه أن أكله يزيد في الباه ويسمن البدن ويقوي المعدة إذا طبخ في ماء حتى ينضج ويدق ويضمد به البرص ثلاثين يومًا متوالية قلعه بإذن الله تعالى.

الخامسة : إذا تحملت المرأة بشيء من السداب، أو شربت من بزره نصف درهم أو شربت من لبن المرأة وتبخرت بحافر حمار فإن هذا يسهل الولادة – بإذن الله تعالى – فإن استمرت في الطلق أربعة أيام فاعلم أن الولد قد مات فبادر إلى سقيها بماء السداب فإن ولدت واستمرت الرقيقة فداوها بالعطاس بأن تدخل في أنفها شيئًا يكثر عطاسها.

السادسة : دخل مسلمة بن عبد الملك بن مروان بلدة من بلاد الكفر فحصل له صداع فألبسه أهل البلدة طاقية فشفى في الحال فنظر إلى الطاقية فوجد فيها ورقة فيها : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾ [البقرة :١٧٨] ، بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾ [الأنفال :٦٦] ، بسم الله الرحمن الرحيم ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ [مريم :١] ، بسم الله الرحمن الرحيم ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ﴾ [الشورى :١-٢] ، بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة :١٨٦] بسم الله الرحمن الرحيم ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا﴾ [الفرقان :٤٥] ، بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الأنعام :١٣] ، وقيل : خص الساكن بالذكر ؛ لأنه

أكثر من المتحرك وقيل: ما سكن أي ما خلق فهو أعم واستحسنه القرطبي، فقال المسلمون لأهل البلد: من أين لكم هذه الآيات وإنما نزلت على محمد ﷺ؟ فقالوا: وجدناها منقوشة على حجر كنسية قبل أن يبعث نبيكم بسبعمائة عام.

السابعة: قال بعض الصالحين: أصابني وجع شديد في رأسي فرأيت النبي ﷺ في المنام فوضع يده على رأسي، وقال: «**بسم الله ربي الله حسبي الله توكلت على الله اعتصمت بالله فوضت أمري إلى الله ما شاء الله لا قوة إلا بالله**»، ثم قال: «**استكثروا من هذه الكلمات، فإن فيها شفاء من كل داء وفرجًا من كل كرب ونصرًا على الأعداء**».

الثامنة: كان بخراسان رجل عاين يجلس يومًا مع جماعة فمر بهم قطار جمال فقال العاين: أي جمل تريدون أكله؟ فأشاروا إلى جمل، فنظر فوقع في الحال فقال صاحبه: بسم الله عظيم الشأن شديد البرهان ما شاء الله كان حبس حابس من حجر يابس وشهاب قابس، اللهم إني رددت عين العاين عليه وفي كبده وكليتيه وأحب الخلق إليه لحم رقيق وعظم دقيق فيما يتعلق ﴿فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ [الملك:٣]، أي شقوق ﴿ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ﴾ [الملك:٤]، أي ذليلاً ﴿خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ [الملك:٤]، أي منقطع ما شاء الله كان ولا قوة إلا بالله، فوثب الجمل قائمًا - بإذن الله - وبرزت عين العاين.

مسألة: لو قتله بالعين فلا شيء عليه إن اعترف بذلك؛ لأنه لا يفضي إلى القتل غالبًا.

التاسعة: إذا علق مخلاب الهدهد على صغير دفع عنه شر العين وإن حمل بجملته مذبوحًا على باب بيت أمن من فيه من السحر والعين، والاكتحال بدمه يذهب بياض العين، وإذا بخر المعقود عن النساء بلحمه أبرأه.

العاشرة: رأيت في تحفة الحبيب فيما زاد على الترغيب والترهيب عن النبي ﷺ قال: «**في كتاب الله تعالى ثمان آيات للعين يقرأها عبد في دار فلا يصيبهم في تلك اليوم عين إنس أو جن، فاتحة الكتاب وآية الكرسي**». قال الأكثرون: إنما قال يعقوب لأولاده عليه السلام: لا تدخلوا من باب واحد خوفًا من شر العين، وفي صحيح مسلم عن النبي ﷺ: «**العين حق وإن كان شيء سابق القدر سبقت العين**» وفي البخاري كان النبي ﷺ يعوذ الحسن والحسين بهؤلاء الكلمات، كما كان يعوذ بهما إسماعيل وإسحاق: «**أعيذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة**»، أي صيابة.

فائدة: قال القرطبي في سورة يوسف: واجب على كل مسلم أعجبه شيء أن يقول: تبارك الله أحسن الخالقين، اللهم بارك فيه.

فائدة: قال في شرح المهذب: يستحب إن رأى شيئًا فأعجبه أن يدعو له بالبركة وإذا رأى شيئًا يكرهه يقول: اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت ولا يذهب بالسيئات إلا أنت ولا حول ولا

قوة إلا بالله العلي العظيم، وقال في الأذكار: كان النبي ﷺ إذا رأى ما يحب، قال: «**الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات**»، وإذا رأى ما يكره قال: «**الحمد لله على كل حال**»، والله أعلم.

حكاية: أراد رجل أن يتزوج بنت عمه فلم يفعل ذلك أبوها وزوجها غيره فمات ليلة الزفاف، ثم زوجها غيره فمات ليلة الزفاف إلى الرابع فخطبها ابن عمها فتزوجها، فلما أراد الدخول بها جاء رجل من الجن، وقال: إن لم تقاسمني وإلا قتلتك كالماضين فقال له: قهرًا؟ قال: نعم فقال: لي الليل ولك النهار، فرضي زوجها ثم قال الجني: أريد الليل أن أسترق السمع ولا بد من ركوبك على جناحي فلم يجد له مخلصًا منه فركب على جناحه حتى لصق بالسماء فسمع الملائكة تقول: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فهرب الجني حتى لحق بالأرض ثم دخل الجني على المرأة، فقال الرجل: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فاشتعل الجني نارًا ولم يصل إلى المرأة، وذكره النسفي - رحمه الله تعالى - في كتابه زهرة الرياض.

فوائد: الأولى: قال النسفي وغيره: لما خلق الله العرش خلق ملكًا من نور وأعطاه قوة سبع سماوات، وخلق ملكًا من الرحمة وأعطاه قوة سبع أرضين، وخلق ملكًا من الريح وأعطاه قوة الريح، وخلق ملكًا من الماء وأعطاه قوة الماء، ثم أمرهم أن يحملوا عرشه فوقعوا تحته سبعين ألف عام فلم يقدروا على رفعه حتى سال العرق منهم كالأنهار ثم زادهم قوة فلما علم عجزهم، قال لهم قولوا: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فلما قالوها حملوه بقوته سبحانه وتعالى.

الثانية: قصد بعض الملوك مدينة كرخ بثمانين ألف فيل، فخرج أهلها لقتالهم فلم يستطيعوا من الفيلة، فقال كبيرهم: لا حول ولا قوة إلا بالله العظيم فهربت الفيلة وقطعت السلاسل وانتصروا على عدوهم بإذن الله تعالى.

لطيفة: الفيل حيوان عجيب له أذنان متحركتان دائمًا لدفع الذباب عن فمه؛ لأنه مفتوح دائمًا ويعيش أربعمائة عام ومدى حمل الأنثى منه سنتان، وإذا وضعت لم يقربها الذكر إلا بعد ثلاث سنين، ويحرم أكله ويصح بيعه، وعظمه يسمى العاج إذا شربت المرأة من نشارته سبعة أيام متوالية حملت بإذن الله وإن كانت عاقرًا.

الثالثة: ذكر النيسابوري في النزهة عن طاوس اليماني - رضي الله عنه - من قال: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم خلق الله من قوله طيرًا رأسه من الياقوت ورجلاه من اللؤلؤ وجناحه من الزعفران وذنبه من الزمرذ بالذال المعجمة مكتوب على صدر هذا الطائر من فم فلان يعبد الله مع الملائكة وعبادته لقائلها إلى يوم القيامة ويصير هذا الطائر كالفرس الجواد يركبه صاحبه إلى الجنة.

ورأيت في «**تنبيه الغافلين**» عن النبي ﷺ: «**من قالها خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه، ووفي سبعين بابًا من السوء**» وقال النبي ﷺ: «**أكثروا من غرس الجنة**» قيل: وما غراسها: قال: «ما

شاء الله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم» رواه الطبراني.

الرابعة: قال رجل لأبي الدرداء - رضي الله عنه - قد احترق بيتك، فقال: لم يكن الله يفعل بكلمات سمعتهن من رسول الله ﷺ **من قالها أول النهار لم تصبه مصيبة حتى يمسى، ومن قالها آخر النهار لم تصبه مصيبة حتى يصبح، وهي اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت عليك توكلت وأنت رب العرش العظيم ما شاء الله كان وما لم يشاء لم يكن ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، أعلم أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علمًا، اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم، وتقدم على هذا زيادة في أذكار الصباح والمساء.**

الخامسة: قال بعض العلماء المتقدمين: من قال أول الليل والنهار عقدت لسانه الحية وزبان العقرب ويد السارق يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله أمن من الحية والعقرب والسارق، وقال القشيري - رضي الله عنه -: أن الحية والعقرب قالتا لنوح - عليه السلام -: احملنا في السفينة ونعاهدك أن لا نضر أحدًا ذكرك، وقال سعيد بن المسيب - رضي الله عنهما -: من قال صباحًا ومساءً سلام على نوح في العالمين لم يضراه، وقال القزويني: من لسعته عقرب وعلق عليه شيء من ورق الزيتون برى في الحال، ورأيت في زاد المسافر أن نخالة الحنطة إذا طبخت بماء ووضعت على موضع اللسعة زال الألم وأكل البندق أو دقه وجعله على موضع اللسعة فيه منفعة عظيمة، وكذلك الفجل إذا وضع على لسعة الحية والعقرب.

لطيفة: أكل الفجل ينفع من البلغم ويزيد في نور البصر ويزيل ظلمته، وأكله مطبوخًا ينفع من السعال المزمن، وإذا وضع قشره في بيت هربت منه العقارب، ومن شرب لبنًا حليبًا قد طبخ فيه فجل تنظف مثانته من الرمل والحصى، وشرب عصير الفجل على الريق يفتت الحصى، وأكله بعد الطعام يعين على هضمه.

مسألة: من لسعته حية في الصلاة فسدت صلاته وأما عقرب فلا، والفرق أن الحية تنهش الظاهر من الجلد فيتنجس من السم، والعقرب تدخل زبانها في الباطن والباطن لا يجب غسله.

السادسة: عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رجلاً قال: يا رسول الله ما لقيت من عقرب لدغتني البارحة؟ فقال: «**أما لو قلت حين أمسيت! أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم تضرك**». رواه مسلم.

السابعة: ذكر في كتاب الدعوات للمستغفري، وشرح المقامات للمسعودي عن أبي الدرداء وأبي ذر - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ: «**إذا أذاك البرغوث فخذ قدحًا من ماء واقرأ عليه سبع مرات: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [إبراهيم :١٢]، ثم تقول: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة :٩١]، فكفوا شركم وأذاكم عنا ثم ترشه حول فراشك فتنام آمنًا من شرها**»، **وقال بعض**

العلماء: إذا نقع السداب في ماء ورشه في بيت ماتت براغيثه وإذا بخر بالمحلب هرب البق وكذلك جلد الجاموس وبزر الجوز وهو الفتائل التي تخرج قبل الورق وإذا بخر البيت بورق الزيتون أو بورق الدباء طرد الذباب، وفي جناحه الأيمن شفاء وفي الآخر داء ومثله النحل وما في معناه فإذا وقع شيء منه في طعام فاغمس جميعه فيه، ثم الذباب يأكل البق ولولاه لكثر فساد البق وحرق الذباب وخلطه بعسل ينبت الشعر الذي فسد من داء الثعلبة دهنًا، وغسل أصول الشعر بماء السلق أو الاستحمام بالماء المالح أو دهن البدن بدهن القرطم أو بالسيرج مع السداب إذا غلي على النار يطرد القمل وهو آفة لا يسلم منها أحد إلا من به جذام. قال ابن الجوزي: وذلك من لطف الله تعالى به؛ لأنه عاجز عن قتله وحك جسده لفقد أظفاره وإذا بدأ الجذام والعياذ بالله تعالى فليبادر إلى علف دجاجة بحب القرطم اثنى عشر يومًا ثم يأخذ شحمه ويدهن به فإنه يزول بإذن الله، وأكل القرطم ينفع من الرياح وينفع من القولنج، والإدهان به يقتل صبئان القمل ثم إن القملة إذا وضعت في رأس ذكر من حبس بوله خرج سريعًا بإذن الله تعالى، وإذا أرادت الحامل أن تعرف حملها فتحلب شيئًا من حليبها ثم تجعل فيه قملة إن خرجت من الحليب فالحمل أنثى وإلا فذكر، والله أعلم.

الثامنة: عن ابن عباس – رضي الله عنهما – عن النبي ﷺ قال: «**من عاد مريضًا لم يحضر أجله، فقال سبع مرات: أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك إلا عافاه الله من المرض**» حديث صحيح.

التاسعة: نقل الشيخ عبد العزيز الديريني عن الخضر – عليه السلام – أن المريض إذا لم يحضر أجله ودعا بهذا الدعاء صباحًا سبعًا ومساءً سبعًا عافاه الله تعالى: «**اللهم لا تشمت أعدائي بدائي واجعل القرآن العظيم شفائي ودوائي فأنا العليل وأنت المداوي**».

العاشرة: رؤى الإمام أحمد بن حنبل – رضي الله عنه – في المنام، فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي وألبسني نعلين من ذهب وقال: يا أحمد ادعني بالدعوات التي كنت تدعوني بها في الدنيا، فقلت: اللهم يا رب كل شيء بقدرتك على كل شيء اغفر لي كل شيء ولا تسألني عن شيء، فقال: يا أحمد قم فادخل الجنة.

الحادية عشرة: قال ابن عباس – رضي الله عنه –: قال رجل: يا رسول الله هل من الدعاء شيء لا يرد، قال: «**نعم، تقول: أسألك باسمك الأعلى الأعز الأجل الأكرم**».

حكاية: قال الحجاج لأنس: هل بين خيلي وخيل رسول الله ﷺ فرق؟ فقال: شتان ما بينهما، كانت أبوالها وأرواثها أجرًا، وخيلك اتخذتها رياء وسمعة فقال: لولا كتاب أمير المؤمنين لقتلتك فقال: ما تقدر على ذلك؛ لأن النبي ﷺ علمني دعاء لا أخاف معه سلطانًا ولا شيطانًا ولا سبعًا قال: علمه ولدي، قال: لا، وهو هذا الدعاء: «**الله أكبر الله أكبر الله أكبر بسم الله على نفسي وديني بسم الله على أهلي ومالي بسم الله على كل شيء أعطانيه ربي بسم الله**

خير الأسماء بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم، بسم الله أفتتح وعلى الله توكلت، الله ربي لا أشرك به شيئًا، اللهم إني أسألك من خير الذي لا يعطيه أحد غيرك عز جارك وعز ثناؤك، ولا إله غيرك، احفظني من كل ذي شر خلقته وأحترز بك منه وأقدم بين يدي بسم الله الرحمن الرحيم ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص :١-٤] ، **«ومن خلفي مثل ذلك ومن فوقي مثل ذلك»**.

فوائد: الأولى: قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: يجتمع الخضر وإلياس - عليهما السلام - في كل عام على عرفات فيحلق كل واحد منهما رأس صاحبه ويتفرقان عن هؤلاء الكلمات: بسم الله ما شاء الله، بسم الله ما شاء الله، لا يسوق الخير إلا الله، بسم الله ما شاء الله، لا يصرف السوء إلا الله، بسم الله ما شاء الله ما كان من نعمة فمن الله، بسم الله ما شاء الله، لا يأتي بالحسنات إلا الله، بسم الله ما شاء الله، لا حول ولا قوة إلا بالله، فمن قالها حفظ من كل آفة وعاهة وعدو وظالم وسلطان وشيطان وحية وعقرب، وما من أحد يقولها يوم عرفة مائة مرة إلا ناداه الله تعالى: عبدي قد أرضيتني ورضيت عنك فاسألني ما شئت وعزتي لأعطينك.

الثانية: لما طرح سيدنا يوسف - عليه السلام - في الجب واستوحش جاءه جبريل - عليه السلام - بهذا الدعاء: اللهم يا كاشف كل كربة، ويا مجيب كل دعوة، ويا جابر كل كسير، ويا سامع كل نجوى، ويا حاضر كل بلوى، ويا مؤنس كل وحيد، ويا صاحب كل غريب لا إله إلا أنت، سبحانك إني كنت من الظالمين، أسألك أن تقذف في قلبي حبك حتى لا يكون لي شغل ولا هم سواك، وأن تجعل لي من أمري فرجًا ومخرجًا، وأنت رحيمي يا أرحم الراحمين. وذكر القرطبي - في تفسيره - نحو هذا، ذكر أنه أقام في الجب ثلاثة أيام وكان عمره اثنتي عشرة سنة، ولما دخل السجن في مصر كان عمره ثلاثين سنة. قال وهب: ومكث يوسف في السجن سبع سنين، وقيل: أكثر.

الثالثة: قال في الزهر الفاتح: قال بعضهم: كنت أسيرًا في قسطنطينية ببلاد الروم فنذرت إذا خلصني الله أن أحج ماشيًا، فجاءني طائر إلى حائط السجن، وقال: قل: اللهم إني أسألك، يا من لا تراه العيون، ولا تخالطه الظنون، ولا يصفه الواصفون، ولا تغيره الحوادث والدهور، يا من يعلم مثاقيل الجبال ومكاييل البحار، وما أظلم عليه الليل وأشرق عليه النهار، يا من يعلم عدد قطر الأمطار وورق الأشجار، ولا تواري عنه سماء سماءً ولا أرض أرضًا ولا جبال ما في وعرها، ولا بحار ما في قعرها، أنت الذي سجد لك سواد الليل وضوء النهار، ونور القمر، وشعاع الشمس ودوي الماء وهفيف الشجر، أنت الذي نجيت نوحًا من الغرق، وغفرت لداود ذنبه، وكشفت الضر عن أيوب، ورددت موسى على أمه، وصرفت عن يوسف السوء

والفحشاء، وأنت الذي فلقت البحر لموسى حين ضربه لبني إسرائيل بعصاه، فكان كل فرق كالطود العظيم حتى مشى عليه موسى وشيعته، وأنت الذي جعلت النار على إبراهيم بردًا وسلامًا، وأنت الذي صرفت قلوب سحرة فرعون إلى الإيمان بنبوة موسى، يا شفيق يا رفيق يا جالي الضيق يا ركين الوثيق يا مولاي الحقيق خلصني من كل كرب وضيق ولا تحملني ما لا أطيق أنت منقذ الغرقى ومنجي الهلكى، وجليس كل غريب، وأنيس كل وحيد، ومغيث كل مستغيث، فرج عني الساعة فلا صبر لي على حلمك، لا إله إلا أنت ليس كمثلك شيء وأنت على كل شيء قدير، لما دعا به الليلة الثانية أرسل الله ملكًا إليه فحمله إلى منزله، فحج من سنته ماشيًا فحدث به رجلًا، فقال له: من أين لك هذا الدعاء؟ قال: حفظته من طائر بقسطنطينية عن طائر ببلاد الروم فقال: حدَّثني أبي عن جدي عن النبي ﷺ أنه دعاء الفرج، ورأيت في شمس المعارف للبوني أن من كتب محمد رسول الله أحمد رسول الله خمسًا وثلاثين مرة رزقه الله قوة على الطاعة ومعرفة على البركة وكفاه همزات الشياطين.

حكاية: قال الغزالي - رضي الله عنه -: قال بعض العارفين ظهر لي إبليس في صورة رجل نحيف البدن باكي العين مقصوم الظهر فقلت له: ما الذي أبكاك؟ قال: خروج الحُجّاج قلت: ما الذي أنحل جسمك؟ قال: صهيل الخيل في سبيل الله، قلت: ما الذي قصم ظهرك؟ قال: قول العبد: اللهم إني أسألك خاتمة الخير.

قال في مجمع الأحباب: عن وهب بن منبه - رضي الله عنه - لما أهبط آدم استوحش فقال له جبريل: ألا أعلمك شيئًا ينفعك الله به؟ قل: اللهم تمم النعمة علي حتى تهنئني المعيشة، اللهم اختم لي بخير حتى لا تضرني ذنوبي اللهم اكفني مؤنة الدنيا وكل هول في القيامة حتى تدخلني الجنة في عافية. وقال بشر الحافي - رضي الله عنه - قال جبريل للنبي ﷺ: سل ربك تهنئة العيش فقال: «**اللهم إني أسألك تهنئة العيش**». وقال سهل بن عبد الله - رضي الله عنه -: أجمع العلماء أن تفسير العافية أن لا يكل الله العبد إلى نفسه. وقال: «**لا يرد الدعاء بين الأذان والإقامة**» قالوا: فما نقول؟ قال: «**اسألوا الله العافية في الدنيا والآخرة**» رواه الترمذي وحسنه، وقال النبي ﷺ: «**من رأى صاحب بلاء يقول: الحمد لله الذي عافاني مما ابتلى به كثير من خلقه وفضلني على كثير ممن خلق تفضيلًا لم يضره البلاء**» رواه الترمذي عن أبي هريرة وعمر، ورواه الطبراني عن أبي هريرة فقط، ورواه ابن ماجه عن ابن عمر، وعن النبي ﷺ: «**تمام النعمة دخول الجنة**»، وقال علي - رضي الله عنه - تمام النعمة الوفاة على الإسلام.

حكاية: مرّ عيسى - عليه السلام - على قرية خراب فدعا الله أن ينطقها له فأنطقها فقالت: ما تريد يا روح الله؟ قال: كم لك خراب؟ قالت: أربعة آلاف سنة. قال: كم أهلك؟ قالت: كان لهم صنم من ذهب يخدمه كل يوم ألف رجل وكل ليلة ألف امرأة وكان ملكهم يسجد له

كل يوم سبع مرات وبالليل كذلك؟ ويقولون: لا نعرف ربًّا غيره، فباتوا في ليلة عنده في لهو وطرب فخسف الله بهم الأرض، وسمع النبي ﷺ رجلاً يقول: الحمد لله على الإسلام فقال: «**لقد حمد الله على عظيم**» وقال: رجل يا رسول الله: أي الدعاء أفضل؟ قال: «**سل ربك العفو العافية في الدنيا والآخرة**» ثم جاء في اليوم الثاني: فقال له كذلك ثم جاء في اليوم الثالث فقال: «**إذا أعطيت العفو والعافية في الدنيا والآخرة فقد أفلحت**». وعنه ﷺ: «**ما من دعوة يدعو بها العبد أفضل من اللهم نسألك المعافاة في الدنيا والآخرة**».

باب: التقوى وفعل الخيرات والكف عن المنكرات

قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠-٤١]، وقال علي - رضي الله عنه -: قال النبي ﷺ: «**من اتقى الله عاش قويًا وسار في بلاد الله آمنًا**»، وقال لقمان لابنه: أي الخصال خير؟ قال: الدين قال: فإن كانت اثنتين قال: «**الدين والمال**» قال: فإن كانت ثلاثًا قال: «**الدين والمال والحياء**» قال: فإن كانت أربعة فزاد حسن الخلق، قال: فإن كانت خمسًا فزاد السخاء قال: فإن كانت ستًّا فقال: يا نبي الله إذا اجتمعت فيه الخمس خصال فهو يُتَّقَى ولله ولي ومن الشيطان بري.

لطيفة: كان لقمان - عليه السلام - حكيمًا وأول حكمته أن قال: طول الجلوس على الخلاء ينتخع منه الكبد ويورث الناسور، وقال: ضرب الوالد لولده كالمطر للزرع وسيأتي على هذا زيادة واسم ابنه ثاران قاله النسفي، وقال البصري: ماثان وقيل: أنعم وأشكر، واقتصر البغوي على الآخرين والله أعلم، وقال النبي ﷺ: «**من ابتلى فصبر وأعطى فشكر وظلم فغفر وظلم فاستغفر**» قيل له: فما له يا رسول الله؟ قال: «**أولئك لهم الأمن وهم مهتدون**». وقال السري السقطي - رحمه الله - في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟﴾ [آل عمران: ٢٠٠]: أي على البلاء رجاء السلامة وصابروا على القتال في سبيل الله والاستقامة، ورابطوا لهوى النفس اللوامة واتقوا الله مما يعقب لكم من الندامة لعلكم تفلحون غدًا على بساط الكرامة، ورأيت في تفسير القشيري: اصبروا بنفوسكم وصابروا بقلوبكم ورابطوا بأسراركم.

حكاية: خرج موسى - عليه السلام - يرعى غنمه فانتهى إلى واد كثير الذئاب فأدركه التعب والنوم، فبقي متحيرًا إن اشتغل بالغنم عجز عن ذلك من غلبة النوم والتعب وإن نام غارت الذئاب على الغنم فرمق بطرفه إلى السماء، وقال: أحاذ علمك ونفذت إرادتك وسبق تقديرك ثم وضع رأسه ونام فلما استيقظ وجد ذئبًا واضعًا عصاه على عاتقه وهو يرعى الأغنام فتعجب من ذلك، فأوحى الله إليه: يا موسى كن لي كما أريد أكن لك كما تريد.

حكاية: سمعتها من والدي - رحمه الله تعالى - قال: ركب قوم سفينة في البحر فظهر لهم شخص على وجه الماء وقال: مني كلمة أبيعها بألف دينار، فقال أحدهم: هذه الألف دينار فقال: اطرحها في البحر فطرحها فقال قل: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا

يَحۡتَسِبُۚ﴾ [الطلاق: ٢-٣] ، فقالها فقال : احفظها جيدًا فلما حفظها انكسر المركب وبقى الرجل على لوح يقرأ هذه الآية فرماه الموج في جزيرة فوجد فيها امرأة جميلة فسألها عن أمرها فقالت : أنا من بلد كذا وكل يوم يطلع من البحر جني في وقت كذا فيراودني عن نفسي فيحفظني الله منه ، فقال : اجعليني في مكان أراه ولا يراني ففعلت فلما طلع الجني من البحر ورآه قرأ الآية فالتهب نارًا ففرحت المرأة بذلك ثم أخذت المرأة بيد الرجل إلى كهف فيه من الجواهر واللؤلؤ شيء كثير فمرت بهما سفينة فأشار إليها فقصدهما أهلها وأخذ كل واحد من الجواهر واللؤلؤ ما لا يعلمه إلا الله تعالى .

حكاية : رأيت في كتاب «**الفرج بعد الشدة**» : أن راهبًا اشتهر ببلاد مصر بالمكاشفة فقال عالم من المسلمين : لا بدّ من قتله خوفًا على المسلمين أن يفتنهم فقصده بسكين مسمومة ، فلما طرق بابه قال : اطرح السكين وادخل يا عالم المسلمين ، فطرحها ودخل فقال : من أين لك فور المكاشفة؟ قال : بمخالفة النفس ، فقال : هل لك في الإسلام قال : نعم أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله فقال : ما حملك على ذلك؟ قال : عرضت الإسلام على نفسي فأبت فخالفتها وقال النبي ﷺ - لقوم قدموا من الجهاد - : «**قدمتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر**» ، قيل : ما هو؟ قال : «**جهاد النفس**» ، قال بعض العلماء : سمي يحيى بن زكريا - عليهما السلام - بهذا الاسم دون غيره كما قال الله تعالى : ﴿لَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ مِن قَبۡلُ سَمِيّٗا﴾ [مريم :٧] ؛ لأنه أحيا نفسه بإتلافها يقال : موت النفس حياتها ؛ لأنه منعها من الشهوات ، فلذلك سماه الله تعالى حصورًا ، أي لا يأتي النساء مع القدرة . وقيل : يتباعد عن المعاصي فناسب أن يكون ذابحًا للموت في صورة كبش بين الجنة والنار فلما أحيا نفسه بترك الشهوات كان سببًا لحياة أهل الدارين ، وإنما جيء بالموت في صورة كبش ؛ لأن عزرائيل - عليه السلام - نزل على آدم في هذه الصورة كما ذكره في صلاح الأرواح ، قال ابن عيينة : أوحش ما يكون ابن آدم في ثلاث مواطن يوم ولادته ويوم موته ويوم يبعث ، فلذلك قال يحيى • عليه الصلاة والسلام • : ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا﴾ [مريم :٣٣] .

حكاية : قال بعضهم : رأيت امرأة لا تشبه نساء الدنيا فقلت : من أنت؟ فقالت : جوارك ، فقلت : زوجيني نفسك . قالت : اخطبني من سيدي وامهرني قال : وما مهرك فقالت : حبس النفس عن الشهوات . ذكره في الإحياء ، وقال المرعشي - رحمه الله تعالى - : كنت في مركب فكسر بنا فوقفت أنا وامرأة على لوح فعطشت المرأة ، فسألت الله أن يسقيها فنزلت علينا سلسلة فيها كوب ماء فنظرت إلى رجل في الهواء ، فقلت : كيف جلست في الهواء؟ فقال : تركت هواي لهواه فأجلسني في الهواء .

حكاية : قال ابن الجوزي - رأيت راهبًا ضعيفًا فقلت له : أنت عليل؟ قال : نعم ، قلت : منذ كم؟ قال : منذ عرفت نفسي ، قلت له : تداوى قال : أعياني الدواء ولكن عزمت على الكي ،

قلت: وما الكي. قال: مخالفة الهوى، وقال بعض المفسرين في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ﴾ [التوبة: ١١١]: ولم يقل: قلوبهم؛ لأن النفس معيوبة فاشتراها ليصلحها قال في عوارف المعارف: لما أهبط إبليس إلى الأرض خلق الله النفس من التراب الذي تحت أقدامه والقلب من التراب الذي بينهما.

فائدة: قال وهب: الإيمان عريان ولباسه التقوى وريشه الحياء ورأس ماله العفة، وقال السري السقطي - رضي الله عنه -: من تعبد لله زاده الله قوة ونشاطًا. وكان عمرو بن عطية يسبح كل يوم أربعمائة ألف تسبيحة. وكان الإمام أحمد بن حنبل يصلي الضحى ثلثمائة ركعة، وقال الإمام النووي - رضي الله عنه - في تهذيب الأسماء واللغات: مكث محمد بن جرير - من أصحاب الشافعي - أربعين سنة يكتب كل يوم أربعين ورقة، وكتب تفسيرًا على القرآن في ثلاثين ألف ورقة ثم أمر أصحابه بكتابته فقالوا: أنفني الأعمار قبل تمامه؟ فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون ماتت الهمم ثم اختصره في ثلاثة آلاف ورقة مات - رحمه الله تعالى - سنة عشر وثلثمائة، وقال ابن عباس - رضي الله عنهما- في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، أي أطيعوه حق طاعته وقال مجاهد: أي يطاع فلا يُعصى ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر؟ وزعم بعضهم أن الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، وخالفه الجمهور، قال الغزالي في منهاج العابدين: التقوى في القرآن ثلاثة: تقوى عن الشرك وتقوى عن المعاصي وتقوى عن البدعة فذلك قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟﴾ [المائدة: ٩٣].

وقال الرازي: قال الأكثرون: الأول: عمل الاتقاء والثاني: دوام الاتقاء والثالث: اتقاء الظلم للعباد مع الإحسان إليهم، والآية نزلت في تحريم شرب الخمر. فقالوا: يا رسول الله إن أقوامًا شربوها يوم أحد ثم قتلوا فبين الله تعالى أن لا إثم عليهم؛ لأنهم شربوها قبل التحريم، والطعام اسم مشترك يقع على المأكول والمشروب.

مسألة: من حلف لا يأكل فشرب ماء أو غيره أو لا يشرب فأكل طعامًا لم يحنث أو لا يأكل رمانًا أو عنبًا فشرب عصيرهما أو امتصهما ورمى التفل لم يحنث، وكذا لو حلف لا يأكل ثلجًا فشراب ذائبة لا يحنث ولا يحنث من حلف لا يشرب الماء فأكل الثلج.

حكاية: كان في بني إسرائيل رجل صالح له زوجة صالحة فأوحى الله إلى نبي زمانهما قل للعابد: إني قد قضيت أن نصف عمره يمضي في الغنى ونصفه في الفقر، فإن اختار الغنى في شبابه أغنيناه أو في كبره فعلناه فاختار الغنى في كبره، لئلا يشتغل بالكسب عن العبادة في آخر عمره واختارت الزوجة أن يكون الغنى في صغرها؛ لأنه أقوى لها عن العبادة والكبيرة لا يليق بها إلا الزهد والانقطاع إلى ربها فأوحى الله إلى النبي ﷺ قل لهما: لما آثرتما طاعتي واجتهدتما على

عبادتي قد قضيت أن جميع عمركما يكون في الغنى لتحصل لكما الدنيا والآخرة .

حكاية: كانت امرأة صالحة لها زوج يصوغ الحلى ولها رجل سقا يدخل عليها منذ ثلاثين سنة لا ينظر إليها فدخل يومًا وقبض على يدها شديدًا فلما جاء زوجها قالت له: هل وقع منك اليوم ذنب؟ قال: لا غير أن امرأة اشترت مني سوارًا فلما رأيت يدها أعجبتني، فقبضت على معصمها شديدًا، فقالت له: قد وقع القصاص في زوجتك كما فعلت في زوجة أخيك المسلم، فلما كان الغد جاء السقا معتذرًا، فقالت له: لا بأس عليك إنما الفساد من زوجي. ويؤيد ذلك قول النبي ﷺ: «**عفوا عن نساء الناس تعف الناس عن نسائكم**».

مواعظ:

الأولى: قال مكحول: يهب على أهل النار ريح كريهة فيقولون: يا ربنا ما وجدنا ريحًا أنتن من هذا فيقال لهم: هذا ريح الزناة وفي الحديث: «**من زنا أو شرب الخمر نزع الله منه الإيمان كما ينزع الإنسان القميص من رأسه**».

الثانية: قال ابن عباس وأبو هريرة - رضي الله عنهما - قال النبي ﷺ: من زنى بامرأة مسلمة - حرة أو أمة - فتح الله عليه في قبره ثلثمائة ألف باب من النار يخرج عليه منها حيات وعقارب، وشهب من النار فهو يعذب إلى يوم القيامة، وذكره في تحفة الحبيب.

لطيفة: قال رجل يا رسول الله: ائذن لي في الزنا فزجره الناس، فقال له النبي ﷺ: «**اجلس**» فقال له: «**أتحب الزنا لأمك؟**» قال: لا والله، قال: «**أتحبه لابنتك؟**» قال: لا والله، قال: «**أتحبه لأختك؟**» قال: لا والله، قال: «**أتحبه لعمتك؟**» قال: لا والله، قال: «**أتحبه لخالتك؟**» قال: لا والله، قال: فوضع يده عليه وقال: «**اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه وحصن فرجه**» فلم يلتفت الشاب إلى شيء بعد ذلك.

الثالثة: لما قصد موسى - عليه السلام - حرب الجبابرة، قال قوم بلعام بن باعوراء: إن موسى معه جنود كثيرة. فقال: أجملوا النساء وأعطوهن السلع ثم أرسلوهن في عسكره ليبعن وأمروهن أن لا تمنع امرأة نفسها فلو زنى واحد كفيتموهم ففعلوا، فأرسل الله الطاعون على قوم موسى فمات منهم في يوم سبعون ألفًا؛ لأن الفاحشة إذا فشت في قوم فشا فيهم الطاعون، وإذا نقصوا الكيل والميزان جاءهم القحط وجور السلطان، وإذا منعوا الزكاة حبس عنهم المطر. قال أبو هريرة - رضي الله عنه -: للزاني ست عقوبات ثلاث في الدنيا: قصر العمر وطول الفقر وذهاب نور الوجه، وثلاث في الآخرة: سخط الرب وشدة الحساب والخلود في النار، إي إن استحله أو يحمل الخلود على الزمان الطويل أو يخرج منها، ورأيت في صحيح البخاري عن عمرو بن ميمون قال: رأيت قردًا زنى بقردة فرجمهما القرود فرجمتهما معهم، قال الإمام النووي: إن عمرو بن ميمون أدرك جماعة من الصحابة وحج مائة حجة، مات سنة

خمس وسبعين ورأيت البرماوي في شرح البخاري أن قردًا نام وجعل تحت رأسه قرده فجاء قردًا آخر فأشار إليها فانسلت منه وجاءت إليه فزنى بها ثم جاءت تريد النوم معه فاستيقظ فشمها فعرف أنها زنت فصاح فاجتمعت القرود إليه فرجموها .

مسألتان: الأولى : لو مكنت امرأة من نفسها قردًا فعليها التعزير كرجل وطئ بهيمة إن شهد عليه أربعة بذلك أو أقر ثم إن كانت الدابة مأكولة وجب ذبحها وعليه التفاوت ما بين قيمتها مذبوحة وسليمة . مثاله إن كانت تساوي مائة فلما ذبحت صارت تساوي خمسين مثلاً فيلزمه خمسون وأكلها حلال .

الثانية: بيع صحيح وحكى القرطبي في سورة الأنعام وجهًا في مذهب الشافعي : إنه يحل أكله ولم أره فهو غريب منكر ، قال ابن عبد السلام : ولا أعلم بين علماء المسلمين خلافًا في أن القرد لا يؤكل .

فائدة: رأيت في قوله تعالى : ﴿لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ﴾ [يوسف :٢٤] ، قيل : إنه رأى شخصًا خرج من حائط فكتب بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً﴾ [الإسراء :٣٢] ، فتحول يوسف - عليه السلام - إلى الحائط الآخر وإذا بالقلم يكتب ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَـٰفِظِينَ ۝ كِرَامًا كَـٰتِبِينَ﴾ [الانفطار :١٠-١١] ، فتحول إلى الحائط فكتب ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ﴾ [غافر :١٩] ، فتحول إلى الحائط فكتب ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر :٣٨] ، فنظر إلى الأرض فكتب ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه :٤٦] ، فنظر إلى سقف البيت فرأى جبريل في صورة يعقوب عاضًا على إصبعه فوقع يوسف مغشيًا عليه من الحياء وقيل : رأى الجب الذي كان فيه فقيل له : يا يوسف أنسيت هذا؟ وقيل : رأى حوراء من الجنة فتعجب من حسنها فقال : لمن أنت؟ فقالت : لمن لا يزني . قال الرازي : قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ﴾ [يوسف :٢٤] ، هذه الآية من المهمات التي يجب البحث عن تحقيقها فيوسف - عليه السلام - هم بما يليق به من دفعها ومنعها عنه ، وهمت بما يليق بها من التوصل إلى مقصودها .
وقال غيره : همت به أن يصل إليها في الحرام وهم بها أن يصل إليها بالحلال والبرهان هو هربه منها وفيه فائدتان :

الأولى: «قد القميص من دبر» .

الثانية: لو دفعها عنه لتعلقت به ﴿وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ﴾ [يوسف :٢٥] الآية ، من قبل وربما قتلته ، ثم قال : وأجود ما يمكن من التأويل أن يقال : اشتهت من اشتهاها ؛ لأن المرأة الجميلة إذا تزينت للشاب مال طبعه إليها فتارة تقوى داعية الطبيعة والشهوة وتارة تقوى داعية العقل والحكمة ، والفرق بين السوء والفحشاء أن السوء مقدمات الزنا كالقبلة واللمس ، والفحشاء نفس الفعل وقيل : السوء فعله بجهالة في صغره والفحشاء في كبره فيوسف - عليه السلام - معصوم في صغره وكبره وقد شهد الله أنه من عباده المخلصين الذين استثناهم إبليس فيما حكى الله عنه

إلا عبادك منهم المخلصين فمن ظن في هذا الكريم ابن الكريم بما لا يليق بمنصب النبي، فقد خالف إبليس.

حكاية: قال بعض الصالحين: رأيت حدادًا يأخذ الحديد من النار بيده فلا يضره فسألته عن ذلك فقال: كان بجواري امرأة جميلة فتعلق بها قلبي، ولم أتمكن منها لورعها فحصل في بعض السنين قحط، فقالت المرأة: أطعمني شيئًا، فقلت: حتى تمكنيني من نفسك، فقالت: لا سبيل لي إلى المعصية، فلما كان اليوم الثاني، قالت: أطعمني شيئًا لله، فقلت لها: كالأول فامتنعت فلما كان اليوم الثالث قالت: أطعمني شيئًا لله فقد أضرني الجوع، فقلت لها مثل ذلك فدخلت إلى منزلي فجعلت الطعام بين يديها فبكت وقالت: تطعمني لله؟ فقلت: لا، فخرجت فلما كان اليوم الرابع، قالت: أطعمني شيئًا لله فقلت: لا فدخلت منزلي فقدمت لها الطعام فتداركني ربي بلطفه فقلت في نفسي: هذه امرأة تمتنع من المعصية وأنا لا أنتهي، اللهم إني أتوب إليك وقلت لها: كلي ولا تخافي فإنه لله تعالى، فقالت: اللهم إن كان صادقًا فحرمه على النار في الدنيا والآخرة، وقد أجاب الله دعاءها، وعن النبي ﷺ: من قدر على امرأة أو جارية حرامًا فتركها مخافة من الله أمنه الله من الفزع الأكبر وحرّم عليه النار وأدخله الجنة.

فائدة: رأيت في زاد المسافر كتابًا نافعًا في الطب إذا دعك الصمغ ووضع مع بياض البيض على حرق النار برأ أو دق الفحم ووضع في الشمس مع دهن الورد انتفع به.

فائدة: رأيت في زاد المسافر من أدوية الملسوع شرب عصارة ورق الآس الأخضر، ومن أدويته أيضًا شرب الماء البارد، فإن له خاصية في دفع السموم وأكل الثوم والبصل والكراث، والله أعلم.

فائدة: رأيت في كتاب العقائق في قوله تعالى حكاية عن زليخا: ﴿وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ﴾ [يوسف :٢٣]قيل: كان بابًا واحدًا فجمعه على سبيل التعظيم كقوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ﴾ [الأنبياء :٤٧]، وهو العدل فجمع الميزان للتعظيم أو باعتبار الموزون فإنه كثير، والميزان واحد بكفتين ولسان كل كفة تسع السموات والأرض، كفة من نور عن يمين العرش للحسنات وكفة من ظلمة عن شمال العرش للسيئات توضع فيها صحائف الأعمال من زمرد أخضر كل صحيفة طولها سبعون ذراعًا، ولما سأل داود - عليه السلام - ربه رؤيته ورآه وقع مغشيًا عليه فقال: يا رب من يستطيع أن يملأه من الحسنات فأوحى الله إليه إذا رضيت عن عبد من عبادي ملأته بثمرة واحدة، وقال النبي ﷺقال تعالى: يا محمد خمسة تثقل موازين أمتك يوم القيامة: شهادة أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله والصلوات الخمس وسبحان الله والحمد لله والله أكبر والرابع لا حول ولا قوة إلا بالله والخامس الاستغفار، يا محمد إني أجعل بكل حرف من هذه الحروف في الميزان أثقل من جبل أحد وقال رجل: يا رسول الله لا أزيد عن الصلوات الخمس ورمضان وليس لي مال أتصدق به ولا أحج أين أنا إذا مت؟ قال: في الجنة قال: معك؟ فتبسم

وقال: نعم إن حفظت قلبك من الحسد ولسانك من الكذب وعينك من النظر إلى محارم الله وأن لا تزدري بهما مسلمًا دخلت الجنة معي على راحتي هاتين، وعن النبي ﷺ قال: عائد المريض ومشيع الجنائز وحافر القبور يكونون يوم القيامة في زمرة الأنبياء، لا يحاسبهم الله ولا يحجبهم من الجنة. وقال موسى - عليه السلام -: يا رب خلقت الخلق وربيتهم بنعمتك ثم تجعلهم يوم القيامة في النار، فقال يا موسى: ازرع زرعًا، فزرعه وحصده ودرسه فأوحى الله إليه ما فعلت في زرعك؟ قال: رفعته، قال: هل تركت منه شيئًا قال: تركت ما لا خير فيه، قال: يا موسى كذلك أدخل النار من لا خير فيه.

فوائد: الأولى: عن أنس - رضي الله عنه - قال: يا رسول الله أرغيف أتصدق به أحب إليك أم مائة ركعة؟ قال: «**رغيف تتصدق به أحب إلي من مائتي ركعة تطوعًا**»، قال: يا رسول الله ترك لقمة من حرام أحب إليك أم ألف ركعة؟ قال: «**ترك لقمة من حرام أحب إلي من ألفي ركعة تطوعًا**»، قال: يا رسول الله ترك الغيبة أحب إليك أم ألف ركعة؟ قال: «**ترك الغيبة أحب إلي من عشرة آلاف ركعة تطوعًا**» قال: يا رسول الله قضاء حاجة الأرملة أحب إليك أم عشرة آلاف ركعة؟ قال: «**قضاء حاجة الأرملة أحب إلي من ثلاثين ألف ركعة تطوعًا**»، قال: يا رسول الله الجلوس مع العيال أفضل أم الجلوس في المسجد؟ قال: «**جلوس ساعة مع العيال أحب إلي من الاعتكاف في مسجدي هذا**»، قال: يا رسول الله النفقة على العيال أحب إليك أم النفقة في سبيل الله؟ قال: «**درهم تنفقه على العيال أحب إليَّ من دينار تنفقه في سبيل الله**»، قال: يا رسول الله بر الوالدين أحب إليك أم عبادة ألف عام؟ قال: «**يا أنس جاء الحق وزهق الباطل - أي هلك - إن الباطل كان زهوقًا، بر الوالدين أحب إليَّ وإلى الله من عبادة ألف عام**»، قال أبو ذر: يا رسول الله أوصني، قال: «**أوصيك بتقوى الله فإنه رأس الأمر كله**»، فقلت: يا رسول الله زدني، قال: «**إياك وكثرة الضحك فإنه يميت القلب ويذهب بنور الوجه**»، قلت: يا رسول الله زدني قال: «**قل الحق وإن كان مرًا، قلت: يا رسول الله زدني، قال: «لا تخف في الله لومة لائم**»، قلت: يا رسول الله زدني، قال: «**عليك بطول الصمت فإنه مطرد الشيطان وعون لك على أمر دينك**»، قلت: يا رسول الله زدني، قال: «**عليك بالجهاد فإنه رهبانية أمتي**»، قال بعضهم: الرهبانية: السياحة في الأرض وكان في الزمن الأول إذا قوى الخوف على أحدهم ساح في الأرض ولذا سمي عيسى - عليه السلام - مسيحًا لسياحته في الأرض، وقيل: إنه ما مسح ذا عاهة إلا شفاه الله وإن الدجال فهو مسيح؛ لأنه يمسح الأرض كلها إلا مكة والمدينة فلا يدخلهما سُمي دجالاً؛ لأن الدجل هو التمويه والتغطية يقال: رجل دجل وامرأة دجلة إذا موها ودجل الحق أي غطاه بالباطل. قلت: يا رسول الله زدني، قال: «**أحبب المساكين وجالسهم**»، وسيأتي بيانهم في باب الزكاة إن شاء الله تعالى، قلت: يا رسول الله زدني، قال: «**انظر إلى من هو تحتك ولا تنظر إلى من هو فوقك؛ فإنه أجدر أن لا تزدري نعمة الله عليك**»، قلت: يا

رسول الله زدني، قال: «ليردك عن الناس ما تعلمه في نفسك وكفى بك عيبًا أن تعرف من الناس ما تجهله من نفسك» رواه ابن حبان في صحيحه. وقال الحاكم: صحيح الإسناد.

الثانية: قال عبد الرحمن بن سمرة - رضي الله عنه-: خرج رسول الله ﷺ ذات يوم ونحن في المسجد فقال: إني رأيت البارحة رجلاً من أمتي جاءه ملك الموت لقبض روحه، فجاءه بر والديه فرده عنه، ورأيت رجلاً من أمتي قد بسط عليه عذاب القبر فجاءه وضوءه فاستنقذه من بين أيديهم، ورأيت رجلاً من أمتي احتوشته ملائكة العذاب فجاءته صلاته فاستنقذه من بين أيديهم ورأيت رجلاً من أمتي والنبيون حلقًا حلقًا كلما دنى من حلقة طرد فجاءه اغتساله من الجنابة وأخذ بيده وأقعده إلى جانبي، ورأيت رجلاً من أمتي انتهى إلى أبواب الجنة فغلقت الأبواب دونه فجاءته شهادة أن لا إله إلا الله ففتحت له الأبواب وأدخلته الجنة.

الثالثة: أن عبد الرحمن بن سمرة راوي الحديث، روى عن النبي ﷺ أربعة عشر حديثًا وأبوه صحابي أيضًا روى مائة وثلاثين حديثًا.

لطيفة: قال بعض الصالحين: كنت نائمًا عند قبر النبي ﷺ فرأيته قد خرج من قبره ومعه صاحباه، فدعا بقرطاس وكتب بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى الله كتبت ما أنت أعلم به مني إن أمتي قد قرءوا كتابك وذكروا اسمك وزاروا قبري رجاء أن تغفر لهم، اللهم اغفر لهم فطارت الصحيفة فبينما نحن كذلك وإذ بصحيفة أخرى قد أقبلت فيها بسم الله الرحمن الرحيم من العزيز الحكيم إلى محمد عبدي ورسولي كتبت إليَّ ما أنا أعلم به منك أن أمتك قد قرءوا كتابي وذكروا اسمي وزاروا قبرك رجاء أن أغفر لهم قد غفرت لهم.

باب: فضل الصلوات ليلاً ونهارًا ومتعلقاتها

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ﴾ [العنكبوت:٤٥]، قال أنس - رضي الله عنه - كان رجل يصلي خمس مع النبي ﷺ ثم لا يدع شيئًا من الفواحش إلا ارتكبه، فأخبروا النبي ﷺ بذلك فقال: إن صلاته تنهاه يومًا فلم يلبث أن تاب وحسن حاله، فقال: ألم أقل لكم إن صلاته تنهاه يومًا؟ ذكره الثعلبي.

مسألة: فرضت الصلاة بمكة ليلة المعراج. قاله في الروضة: وأجاب في الفتاوى بأنها فرضت قبل الإسراء، والصواب الأول. قال في شرح المهذب: من أراد الاستكثار من الصلوات أو الصوم فالصلوات أفضل وصوم يوم أفضل من صلاة ركعتين.

لطيفة: قال نجم الدين النسفي في تفسيره قالت عائشة - رضي الله عنها -: يا رسول الله أنت أحسن من يوسف أم هو أحسن منك؟ فقال: هو أحسن مني خَلْقًا وأنا أحسن منه خُلُقًا أي بضم الخاء، فنزل جبريل وقال: يا محمد أخبرني الكريم أن نورك ونور يوسف اقترنا في صلب آدم فصار الحسن والجمال ليوسف، والصلوات المكتوبة والزكاة المفروضة والسيادة والسعادة

والزهد والقناعة والرفعة والشفاعة لك يا محمد.

حكاية: رأيت في النزهة للنيسابوري: أن رجلاً راود امرأة عن نفسها فأخبرت زوجها بذلك، فقال: قولي له: صل خلف زوجي أربعين صباحًا حتى أطيعك فيما تريد، فقالت له ففعل، ثم دعته إلى نفسها، فقال: إني تبت إلى الله - عزّ وجل - فأخبرت زوجها فقال: صدق الله العظيم في قوله: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

لطيفة: قال العلائي في تفسير سورة العنكبوت: الصلاة عرش الموحدين فإنه يجتمع فيها ألوان العبادات، كما أن الفرس يجتمع فيه ألوان الطعامات، فإذا صلى العبد ركعتين يقول الله تعالى: عبدي مع ضعفك أتيت بألوان العبادة قيامًا وركوعًا وسجودًا وقراءة وتهليلاً وتحميدًا وتكبيرًا وسلامًا، فأنا مع جلالي لا يحصل مني أن أمنعك جنة فيها ألوان النعيم، أوجبت لك الجنة ونعيمها كما عبدتني بأنواع العبادة، وأكرمك برؤيتي كما عرفتني بالوحدانية، فإني لطيف أقبل عذرك وأقبل منك الخير برحمتي فإني أجد من أعذبه من الكفار وأنت لا تجد إلهًا غيري يغفر سيئاتك، عبدي لك بكل ركعة قصر في الجنة وحوراء وبكل سجدة نظرة إلى وجهي، وعن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن علي بن أبي طالب عن النبي ﷺ «**الصلاة مرضاة الرب وحب الملائكة وسنة الأنبياء ونور المعرفة وأصل الإيمان وإجابة الدعاء وقبول الأعمال وبركة في الرزق وسلاح في الأعداء، وكراهية للشيطان وشفيع بين صاحبها وبين ملك الموت ونور في قلبه وفراش تحت جنبه وجواب مع منكر ونكير، ومؤنس وزائر معه في قبره إلى يوم القيامة، فإذا كانت القيامة كانت الصلاة ظلًا فوقه وتاجًا على رأسه ولباسًا على بدنه، ونورًا يسعى بين يديه وسترًا بينه وبين النار وحجة للمؤمنين وبين يدي رب العالمين وثقلاً في الميزان وجوازًا على الصراط ومفتاحًا للجنة**»؛ لأن الصلاة تحميد، وتسبيح وتقديس وتعظيم وقراءة ودعاء وتمجيد ولأن أفضل الأعمال كلها الصلاة لوقتها.

فائدة: لما قالت الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ [البقرة: ٣٠]، غضب الله عليهم فأهلك بعضًا وتاب على بعض، منهم منكر ونكير، وأمرهم بالوضوء من عين تحت العرش فصلى بهم جبريل ركعتين فهذا أصل الوضوء وصلاة الجماعة وقال عثمان - رضي الله عنه -: سمعت النبي ﷺ يقول: «**لا يسبغ عبد الوضوء إلا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر**» رواه بإسناد حسن. وقال ﷺ: «**ما من مسلم يمضمض فاه إلا غفر له كل خطيئة أصابها بلسانه ذلك اليوم ولا يغسل يديه إلا غفر له ما قدمت يداه ذلك اليوم ولا يمسح برأسه إلا كان كيوم ولدته أمه**» رواه الطبراني. وقال ﷺ: «**إذا توضأ المسلم خرجت ذنوبه من سمعه وبصره ويديه ورجليه فإن قعد قعد مغفورًا له**» رواه الإمام أحمد والطبراني.

مسألة: يستحب أن يصلى بعد الوضوء ركعتين خفيفتين في أي وقت كان وينوي بهما سنة الوضوء، وقال النبي ﷺ: «**من توضأ نحو وضوئي هذا ثم ركع ركعتين لا يحدث نفسه فيهما إلا**

بخير، غفر له ما تقدم من ذنبه».

وأركان الوضوء: النية عند أول مغسول من الوجه كقوله: نويت فرض الوضوء بقلبه ومع اللسان أفضل، أو استباحة مفتقر إليه كصلاة العيد ولو في رجب مثلاً ثم غسل الوجه ثم غسل اليدين مع المرفقين ثم مسح القليل من الرأس أو غالبه مع الأذنين عند الإمام أحمد أو كله عند الإمام مالك وأربعة أو ثلاثة أصابع عند أبي حنيفة ثم غسل الرجلين مع الكعبين، ثم الترتيب، ويبطله ما خرج من السبيلين إلا النادر كحصاة عند الإمام مالك أو خرج من ثقبة منفتحة تحت معدة وهي المكان المنخفض تحت الصدر من فوقها والسبيلان منسدان خلفه، أما إذا انفتح فوقها وهما منسدان بعارض أو تحتها وهما منفتحان فلا يلمسها بباطن كفه فقط وبظاهره أيضًا عند أحمد، واشترط مالك الشهوة وقال أبو حنيفة: لا ينقض مطلقًا وبلمس أجنبية وإن لم تكن شهوة خلافًا لأحمد وقال مالك: إن قصد لمسها ووجد لذة انتقض بلا خلاف وإن فقد فلا خلاف وإن وجد أحدهما انتقض على الراجح. قال الإمام: من أكل لحم جزور انتقض وضوءه. وتجب التسمية أول الوضوء عند أحمد، لقوله ﷺ: **«لا وضوء لمن لم يسم الله عليه»** فإن تركها عمدًا بطل، وقال الأئمة الثلاثة باستحبابها، قال في التتارخانية للحنفية يقول: بسم الله العظيم الحمد لله على دين الإسلام. وفي الروضة: بسم الله الحمد لله الذي جعل الماء طهورًا. وفي طبقات ابن السبكي عن الأستاذ أبي منصور البغدادي: التسمية المسنونة عند غسل الكفين بسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله، وفي الإحياء بسم الله... إلخ، وفي شرح المهذب: لو قال بسم الله فقط جعل فضيلة التسمية بلا خلاف، والمضمضة والاستنشاق سنتان ولو بوضع الماء في الأنف والفم، وأوجبها الإمام أحمد في الوضوء والغسل ووافقه أبو حنيفة في الغسل فقط، ويجب إدخال المرفقين والكعبين في غسل اليدين والرجل خلافًا للإمام مالك وزفر صاحب أبي حنيفة، ويستحب أن يستقبل القبلة إذا توضأ وأن لا يتكلم بلا حاجة، لما ورد أن فيه تنزل عليه الرحمة إذا توضأ، فإذا تكلم ارتفعت، وقال ﷺ: **«من توضأ فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وبأن محمدًا عبده ورسوله»** - قبل أن يتكلم - **«غفر الله له ما بين الوضوءين»** وأن يقرأ بعده قل هو الله أحد؛ لأن النبي ﷺ أمر علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - بذلك، وقال: ينادي منادٍ مادح الرحمن قم فادخل الجنة وأن يقرأ أيضًا: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾ [القدر: ١]، عقب وضوئه غفر له ذنوب أربعين سنة.

فإن قيل: كيف خصت هذه الأعضاء الأربعة بالغسل في الوضوء، قيل: لأن آدم مشى إلى الشجرة برجليه ونظر إليها بعينيه وأخذ منها بيديه ولمس برأسه ورقها، وقيل: لأن العبد إذا غسل وجهه صار في الآخرة كوجه يوسف وإذا غسل يديه أخذ كتابه بيمينه كما أخذ موسى الألواح بيمينه، وكانت بشرة وجهه من زمردة خضراء ووجهه من ياقوتة حمراء، وقال مجاهد: كانت من زبرجدة خضراء. وقال النووي: الزمرذة بالذال المعجمة، قال القرطبي في قوله

تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ﴾ [الأعراف:١٤٥] ، أضاف الكتابة إليه سبحانه وتعالى تشريفًا، والكاتب جبريل بالقلم الذي كتب الذكر استمد من نهر النور وقوله تعالى: من كل شيء: مما يحتاج إليه من دينه. وقوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾ [الأعراف:١٤٥] ، قيل أحسنها: الفرائض، والفرائض أحسن من النوافل، وقيل: العفو أحسن من القصاص، وقيل: الصبر أحسن من الانتصار والله أعلم، وإذا مسح رأسه يوضع عليه تاج العزة كما وضع على سليمان وإذا غسل رجليه ركب النجائب كما ركب محمد البراق. فإن قيل: كيف كان الوضوء بغسل هذه الأعضاء الأربعة والتيمم بمسح الوجه واليدين؟

قيل: لأن وضع التراب على الرأس من علامات المعصية والعبد بامتثال أمر سيده من أهل السرور.

وقال البلقيني في الفوائد: على القواعد وفي اختصاص مسح الوجه واليدين بالتراب مناسبة من جهة أن الرجلين ملازمتان للتراب غالبًا، والرأس مستور عنه فلا يناسب مسح الرجلين بالتراب إذا كان يتراكم عليهما التراب فتجتمع الأوساخ بخلاف الوجه واليدين. . . اهـ.

وقيل: خص الوجه بالمسح؛ لأن الخوف عليه في الآخرة قال تعالى: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ﴾ [عبس:٤٠] ، وخص اليدين أيضًا حتى لا يأخذ كتابه بشماله. قال مؤلفه: فإن قيل: ويخاف أيضًا على الرجلين أن تزل على الصراط، فيقال: تطاير الصحف قبل المرور على الصراط فمن أخذ كتابه بيمينه فقد أمن أن تزل قدماه على الصراط، وقيل: إنما خص الوجه واليدين بالتراب؛ لأن الله تعالى نقل العبد من الثقيل إلى الخفيف وهو مسح عضوين فقط؛ ولأن الوضوء أصل والتيمم بدله والبدل يكون أخف من المبدل منه.

مسألة: يقوم مقام غسل الرجلين المسح على الخفين يومًا وليلة للمقيم، وثلاثة أيام بلياليها للمسافر سفرًا طويلاً في غير معصية، وقد يجب المسح لمن لبس الخف بشرطه فأحدث وعنده ماء يكفي المسح فقط، والمسح أفضل من الغسل لمن يتركه رغبة في السنة وكان شاكًّا في جوازه، وفي صحيح مسلم: «**من رغب عن سنتي فليس مني**» وقال ﷺ: «**من تمسك بسنتي عند فساد أمتي فله أجر مائة شهيد**» رواه البيهقي.

فائدة: يستحب أن يشرب من فضلة ماء وضوئه وفي زوائد الروضة شرب الماء قائمًا بلا عذر خلاف الأولى، وصرح في فتاويه بالكراهة وأن يحافظ على الوضوء لما روى في الخبر يقول الله تعالى: «**من أحدث ولم يتوضأ فقد جفاني ومن أحدث وتوضأ ولم يصل فقد جفاني ومن أحدث وتوضأ وصلى ولم يدعني فقد جفاني، ومن أحدث وتوضأ وصلى ركعتين ودعاني ولم أستجب له فقد جفوته ولست برب جاف**».

حكاية: أرسل عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - رسولاً إلى الشام فمر على دير راهب فطرق بابه ففتح له بعد ساعة فسأله عن ذلك فقال: أوحى الله إلى موسى - عليه السلام - إذا

خفت سلطانًا فتوضأ وأمر أهلك به فإن من توضأ كان في أمان مما يخاف فلم أفتح لك حتى توضأنا جميعًا. وفي طبقات ابن السبكي قال الله تعالى: يا موسى توضأ فإن أصابك شيء وأنت على غير وضوء فلا تلومن إلا نفسك، وقال النبي ﷺ: **«يا أنس إذا استطعت أن تكون أبدًا على وضوء فافعل، فإن ملك الموت إذا قبض روح عبد وهو على وضوء كتبت له شهادة»**، وقال ﷺ: **«ما من مسلم يتوضأ فيسبغ الوضوء ثم يقوم في صلاته فيعلم ما يقول إلا خرج كيوم ولدته أمه»** رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد.

حكاية: كان في زمن عيسى - عليه السلام - امرأة صالحة فجعلت العجين في التنور وأحرمت بالصلاة فجاءها الشيطان في صورة امرأة، وقال: احترق العجين فلم تلتفت إليه، فأخذ ولدها وجعله في التنور فلم تلتفت إليه فدخل زوجها فوجد الولد في التنور يلعب بالجمر وقد جعله الله عقيقًا أحمر فأخبر عيسى بذلك، فقال: ادعها إليَّ فدعاها فسألها عن عملها، فقلت: يا روح الله ما أحدثت إلا توضأت وما توضأت إلا صليت ولا طلب مني أحد حاجة ترضى الله إلا قضيتها له، وأتحمل الأذى من الأحياء كما يتحمل الأموات منهم.

فوائد:

الأولى: جاء جبريل - عليه السلام -إلى النبي ﷺومعه سرير من ذهب قوائمه من فضة مفضضة بالياقوت واللؤلؤ والزبرجد مفروش بالسندس والإستبرق فاستوى على الأرض ببطحاء مكة، فسلم على النبي ﷺوأقعده على السرير ومعه سبعون ألف ملك فضرب بجناحه الأرض فنبعت عين ماء فتوضأ جبريل وغسل أعضاءه ثلاثًا وتمضمض ثلاثًا واستنشق ثلاثًا ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنك محمد رسول الله بعثك بالحق يا محمد قم وافعل كما فعلت ففعل النبي ﷺمثله، فقال يا محمد: قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، ويغفر الله لمن صنع مثل ما صنعت ذنوبه حديثها وقديمها سرها وعلانيتها عمدها وخطأها وحرم لحمه ودمه على النار.

الثانية: يستحب فيه السواك لما في صحيح البخاري: **«لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل وضوء»** ويسن أيضًا للصلاة لقول النبي ﷺ: **«ركعتان بسواك تعدل أربعمائة صلاة بغير سواك، وكأنما أعتق رقبة من ولد إسماعيل ويخرج من ذنوبه كما تخرج الشعرة من العجين»** ذكره في تحفة الحبيب، ويسن أيضًا عند تغير الفم والتلاوة وعند الاستيقاظ من النوم ودخول بيته ويبدأ بالجانب الأيمن وينوي به سنة الوضوء، قائلاً: نويت سنته، وينوي به سنة السواك فيما تقدم غير الوضوء.

الثالثة: رأيت في الطب النبوي لابن طرحان عن ابن عباس عن النبي ﷺ: في السواك عشر خصال يطيب الفم ويشد اللثة وهي لحم الأسنان ويذهب البلغم ويجلو البصر ويزيل الحفر ويصلح المعدة ويوافق السنة ويفرح الملائكة ويرضي الرب ويزيد في الحسنات، ورأيت في

«الإحياء» عن النبي ﷺ قال: «**إن أفواهكم طرق القرآن فطيبوها بالسواك**» وكان ﷺ يأمر بالسواك حتى ظننا أنه ينزل عليه فيه شيء، ورأيت في صحيح البخاري قال النبي ﷺ: «**لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة**» وقال ﷺ: «**إن العبد إذا تسوك ثم قام يصلي قام الملك خلفه يستمع لقراءته فيدنو حتى يضع فاه على فيه**» رواه البزار.

قال مؤلفه - رحمه الله تعالى: ومن لا أسنان له يمر بالسواك على موضعهما برفق قياسًا على استحباب إمرار الموس على رأس محرم لا شعر به.

الرابعة: لا تكره الإعانة على الوضوء بإحضار الماء ولا بالصب عند الحاجة بل قد يجب فلو غسل بنفسه بدأ من رءوس الأصابع وإن صب عليه غيره بدأ من المرفق، قال في الروضة: لكنه اختار في شرح المهذب البدء من الأصابع مطلقًا ونقله عن الإمام والأكثرين، وقال في المهمات: إن الفتوى عليه وتخليل أصابعه بالتشبيك وتخليل الرجلين بخنصر يده اليسرى ويبدأ بخنصر رجله اليمنى ويختم بخنصر رجله اليسرى، وقال النبي ﷺ: «**من لم يخلل أصابعه بالماء خللها الله يوم القيامة بالنار**» رواه الطبراني، ويستحب أن تخلل لحيته إلا المحرم، قال في شرح المهذب: التشبيك نهى عنه في الصلاة والمسجد وفي طريقه، وقال القرطبي: في أول البقرة قال النبي ﷺ: «**إذا توضأت فعمدت إلى المسجد فلا تشبكن بين أصابعك فإنك في صلاة**» ثم قال: حديث صحيح، وصحح في زوائد الروضة: أن الرقبة لا تمسح، واستحبها أبو حنيفة وقال النبي ﷺ: مسح الرقبة أمان من الغل يوم القيامة.

الخامسة: جاء في الحديث عن النبي ﷺ من قال حين يفرغ من وضوئه: «**اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين واغفر لي إنك على كل شيء قدير، وجبت له الجنة، وغفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر**».

السادسة: لو أكره على ترك الوضوء فتيمم نقل الروياني عن والده أنه لا قضاء عليه.

السابعة: خلق الله ملكًا تحت العرش له أربعة أوجه بين الوجه والوجه ألف عام الأول ينظر به إلى الجنة ويقول: طوبى لمن دخلك والثاني ينظر به إلى النار، ويقول: ويل لمن دخلك والثالث ينظر به إلى العرش، ويقول: سبحانك ما أعظم شأنك والرابع يخر به ساجدًا، ويقول: سبحان ربي الأعلى، وله خمس حركات في اليوم والليلة عند أوقات الصلاة، فيقال له: اسكن، فيقول: كيف أسكن وقد جاء وقت فريضتك على أمة محمد ﷺ؟ فقيل: اسكن قد غفرت لمن توضأ وصلى من أمة محمد ﷺ. قال ابن عطاء الله: إذا صلى المؤمن صلاة وتقبلها الله منه خلق من صلاته صورة في الملكوت يركع ويسجد إلى يوم القيامة ويكون ثواب ذلك لمن صلى.

الثامنة: وجه اختصاصها بهذه الأوقات: أن في الظهر تسعر جهنم فمن صلاها في وقتها خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه، وفي وقت العصر أكل آدم من الشجرة فمن صلاها في وقتها

حرم الله جسده على النار، وفي وقت المغرب تاب الله على آدم فمن صلاها في وقتها لم يسأل الله إلا أعطاه، ووقت العشاء يشبه ظلمة القبر وظلمة يوم القيامة، فمن صلاها في وقتها أو مشى إليها رزقه الله نورًا في قبره وفي القيامة، ومن صلى الفجر في وقتها أعطاه الله براءتين من النار والنفاق.

التاسعة: مرّ عيسى - عليه السلام - على شاطئ البحر فرأى طيرًا من نور انغمس في الطين ثم خرج فاغتسل فعاد إلى حسنه، ثم انغمس في الطين ثم خرج فاغتسل فعاد إلى حسنه، وهكذا خمس مرات فتعجب من ذلك، فقال جبريل: يا عيسى إن الطير جعله الله مثلاً لمن صلى الخمس من أمة محمد ﷺ فالطين كالذنوب والاغتسال في البحر كفعل الصلوات الخمس.

مواعظ:

أنزل الله تعالى في بعض كتبه: تارك الصلاة ملعون وجاره إن رضي ملعون ولولا أني حكم عدل لقلت كل من يخرج من ظهره ملعون إلى يوم القيامة، وفي الحديث: «**إن جبريل وميكائيل قالا: إن الله تعالى قال**: «**من ترك الصلاة فهو ملعون في التوراة والإنجيل والزبور والفرقان**» وفي حاوي القلوب الطاهرة ذكر النبي ﷺ الصلاة يومًا فقال: «**من حافظ عليها كانت له نورًا وبرهانًا ونجاة يوم القيامة ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نورًا ولا برهانًا ولا نجاة وكان يوم القيامة مع فرعون وهامان وقارون وأبي بن خلف في أسفل الدركات**» رواه الإمام أحمد، وإنما خص هؤلاء الأربعة بالذكر؛ لأنهم رءوس الكفر فمن ترك الصلاة لتجارته فهو مع أبي بن خلف ومن تركها لماله فهو مع قارون ومن شغلته عنها رياسة فهو مع هامان.

وفي السمرقندي قال رجل في الزمن الأول لإبليس: أحب أن أكون مثلك قال: اترك الصلاة ولا تحلف صادقًا، ورأيت في التتارخانية للحنفية: إن من له زوجة لا تصلي فليطلقها وإن عجز عن صداقها، فإنه إذا لقي الله وفي ذمته مهرها أحب من أن يطأ امرأة لا تصلي، ورأيت في طبقات ابن السبكي أن ابن البارزي أفتى بوجوب ضرب الرجل زوجته على ترك الصلاة، وقال في الروضة: يجب على الآباء والأمهات أن يعلموا الصبي الطهارة والشرائع لسبع سنين والضرب لعشر سنين.

مسألة: حلف رجل بالطلاق أنه لا يدخل على زوجته إلا في يوم مشئوم فسأل جماعة من العلماء عن ذلك فأجابوه بوقوع الطلاق؛ لأن الأيام كلها مباركة، ثم سأل الشيخ عبد العزيز الديريني فقال: هل صليت اليوم الصبح؟ قال: لا، قال: فادخل عليها فإنه يوم مشئوم عليك.

فائدة: قال بعض المفسرين في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]، على صلاة الصبح ﴿وَصَابِرُواْ﴾ [آل عمران: ٢٠٠] على صلاة الظهر ﴿وَرَابِطُواْ﴾ [آل عمران: ٢٠٠] على

صلاة العصر ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ [البقرة :١٨٩] في صلاة المغرب ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [البقرة :١٨٩] ، بصلاة العشاء، وفي الحديث تقول الملائكة لتارك صلاة الفجر : يا فاجر، ولتارك صلاة الظهر : يا خاسر ولتارك صلاة العصر : يا عاصي، ولتارك صلاة المغرب : يا كافر، ولتارك صلاة العشاء : يا مضيع ضيعك الله.

فائدة: رأيت في النزهة للنيسابوري - رحمه الله -: إن آدم - عليه السلام - هبط ليلاً فلما طلع الفجر ركع ركعتين شكرًا لله تعالى على خروجه من الظلمة إلى النور وإبراهيم - عليه السلام - اجتمع عليه أربع هموم: الذبح وهم الفداء وأداء الأمر والغربة فلما أنقذه الله من ذلك ركع أربع ركعات بعد الزوال شكرًا لله، ويونس - عليه السلام - اجتمع عليه أربع ظلمات: ظلمة الغضب منه على قومه وظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت، وقيل: إن الحوت كان في بطن حوت آخر فلما أخرجه الله من ذلك وقت العصر ركع أربع ركعات، وعيسى - عليه السلام - ركع ركعتين شكرًا لله تعالى على نفي الألوهية عنه، وأمه ركعت ركعة شكرًا لله على إثباتها لله تعالى، وموسى - عليه السلام -: صلى أربع ركعات شكرًا لله تعالى على خروجه من أربع هموم: هم الضلالة عن الطريق، وهم غنمه لما هربت، وهم السفر، وهم زوجته لما أخذها الطلق.

مسألة: لو صلى ثم أخبره جمع كثير بأنه صلى ناقصًا لم تجب عليه الإعادة ولو طاف فأخبره بأنه ما كمل طوافه رجع إلى قولهم؛ لأن الزيادة في الطواف لا تبطله، قال الرافعي في الحج: فإن قيل: كيف أعاد النبي ﷺ الصلاة لما أخبره ذو اليدين بأنه صلى ناقصًا؟ فالجواب: أنه ﷺ تذكر بعدما أخبره.

موعظة: رأيت في النزهة للنيسابوري أيضًا: أن بعض الأكابر ركب البحر فرأى السمك يأكل بعضه بعضًا فتوهم أن القحط وقع في البحر فهتف به هاتف أنه قد شرب من البحر المالح تارك الصلاة، فلما علم ملوحته قذفه من فمه.

حكاية: مرّ عيسى - عليه السلام - على قرية كثيرة الأشجار والأنهار فأكرمه أهلها فتعجب من حسن طاعتهم، ثم مرّ عليها بعد ذلك بثلاث سنين فرأى الأشجار يابسة والأنهار ناشفة وهي خاوية على عروشها فتعجب من ذلك فأوحى الله إليه: قد مرّ على القرية رجل تارك للصلاة فغسل وجهه من عينها فنشفت العين ويبست الأشجار وخرجت القرية، يا عيسى لما كان ترك الصلاة سببًا لهدم الدين كان سببًا لخراب الدنيا.

لطائف:

الأولى: أول من سجد لآدم سجود تحية إسرافيل. قاله القرطبي في التذكرة واسمه بالعربية عبد الرحمن فأكرمه الله تعالى بأن كتب القرآن بين عينيه فهذا بسجدة واحدة لمخلوق فكيف

بمن يسجد لله تعالى سجدات عبادة أفلا تكتب المعرفة والإيمان في قلبه؟ فإذا سجد يقول الشيطان: يا ويلاه أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت بالسجود فلم أسجد فلي النار.

الثانية: قوله تعالى: ﴿ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ﴾ [البقرة:٣٥]، أظهر الضمير ليصح عطف آخر عليه وهو زوجك؛ لأن المعطوف لا بدّ له من معطوف عليه فلا يجوز أن تقول اسكن وزوجك، نظيره: ﴿فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ﴾ [المائدة: ٢٤] مع أن الفاعل مستتر وجوبًا بعد فعل الأمر المفرد المذكور فإظهار الضمير هنا للمعنى الذي تقدم، قال النووي في باب إبليس في «**تهذيب الأسماء واللغات**»: واختلف العلماء في أنه من الملائكة أم ليس من الملائكة؟ والصحيح أنه من الملائكة؛ لأنه لم ينقل أن غير الملائكة أمر بالسجود لآدم، والأصل في المستثنى أن يكون من جنس المستثنى منه، وأما إنظاره إلى يوم الدين فزيادة في عقوبته وتكثير معاصيه اهـ كلام النووي، وقال الكشاف: إنظاره اختبار للعناد بمخالفته فإن فيها أعظم الثواب، قال الرازي: قوله تعالى: ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ﴾ [الكهف:٥٠]، وهم طائفة من الملائكة يحجبون عن أبصار الملائكة وقيل: الملائكة كلهم سموا بذلك لاجتنانهم أي لاستتارهم، قال تعالى: ﴿وَجَعَلُواْ بَيۡنَهُۥ وَبَيۡنَ ٱلۡجِنَّةِ﴾ [الصافات:١٥٨]، وهم الملائكة: ﴿نَسَبٗاۚ﴾ والأكثرون أن جميع الملائكة أمروا بالسجود قال بعضهم: ملائكة الأرض فقط، قال في الكشاف: لما أكل آدم وحواء من الشجرة بدت لهما سوآتهما وكانا لا يريانها قبل الأكل وبعد الأكل لم يرها أحد غيرهما، قال وهب: كان لبسهما قبل الأكل نور. قال ابن جبير: كان من أحسن الأظفار.

الثالثة: لما طأطأ ابن آدم رأسه بالسجود أكرمه الله تعالى بأن رفع الطعام إليه بخلاف البهائم.

الرابعة: الحكمة في أن السجود مرتان والركوع مرة واحدة قيل: لأن الملائكة لما سجدوا لآدم رفعوا رؤوسهم وجدوا إبليس لم يسجد فعلموا أن الله خذله فسجدوا مرة أخرى شكرًا لله إذ لم يخذلهم، وقيل: لأن النبي ﷺ كان مؤتمًّا بجبريل فرفع رأسه من السجود فرأى جبريل بعد في السجود فسجد ثانيًا.

مسألة: لو زاد في صلاته ركوعًا أو سجودًا عمدًا بطلت إن كان منفردًا، وأما المأموم إذا رفع رأسه ولو عمدًا من الركوع أو السجود قبل إمامه فيستحب له العود، وقيل: لأن السجود أحب إلى الله قال النبي ﷺ: ما تقرب العبد إلى الله بشيء أفضل من سجود خفي وقال النبي ﷺ: «**ما من مسلم يسجد لله سجدة إلا رفعه الله بها درجة وحط عنه بها خطيئة**» وقيل: لأن الانحطاط بعد الرفع من الركوع أيضًا ليزول الإشكال ويرتفع السؤال.

الخامسة: إذا قال العبد في سجوده: سبحان ربي الأعلى فيقول الله تعالى: وأنت الأعلى يا عبدي قال الله تعالى: ﴿وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ﴾ [آل عمران:١٣٩].

السادسة: من فضائل السجود أنه يعدل عبادة مائة ألف وعشرين ألف عام، وذلك؛ لأن

إبليس عبد الله تعالى وهو خازن الجنة أربعين ألف عام وكان يعلم الملائكة أربعين ألف عام وجاهد في الأرض أربعين ألف عام فلما ترك سجدة واحدة لآدم ردّ الله عليه عبادته، وقال رجل: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني من أهل شفاعتك ويرزقني مرافقتك في الجنة قال: **«عليك بكثرة السجود»**، وقال ﷺ: **«من صلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشيء من الدنيا غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر»**، وفي رواية: **«لم يسأل الله شيئًا إلا أعطاه»**.

السابعة: إذا كان يوم القيامة يبعث الناس من قبورهم فتأتي الملائكة إلى المؤمنين فيمسحون التراب عن رؤوسهم فيبقى على جباههم فتمسحه الملائكة فلا يذهب فينادى مناد دعوه فإنه تراب محاريبهم لا تراب قبورهم ليعرفوا في الجنة أنهم خدامي.

مسألة: يكره مسح التراب عن جبهة المصلى لقول النبي ﷺ لغلام كان إذا سجد مسح التراب: **«ترب الله وجهك»** نعم رأيت في المنتخب من الحلية عن أنس - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ كان إذا سلم من صلاته مسح جبهته بيده اليمنى، ويقول: **«بسم الله الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم اللهم أذهب عني الهم والحزن»**.

بشارة: إذا كان يوم القيامة يأتي قوم فيقفون على الصراط يبكون فيقال لهم: جوزوا على الصراط فيقولون: نخاف من النار فيقول جبريل - عليه السلام -: وكيف كنتم تمرون على البحر؟ فيقولون: بالسفن فيؤتى بمساجد كان يصلون فيها كالسفن فيركبونها ويمرون على الصراط وعن أنس - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: تحشر مساجد الدنيا كأنها بخت بيض قوائمها من العنبر وأعناقها من الزعفران رؤوسها من المسك وأزمتها من الزبرجد والمؤذنون يقودونها والأئمة يسوقونها والمحافظون على الصلاة يتبعونها فيرتعون في عرصات القيامة، فتقول أهلها: هؤلاء ملائكة مقربون أو أنبياء مرسلون؟ فيقال: هؤلاء الذين حافظوا على صلاة الجماعة من أمة محمد ﷺ.

فائدة: جاء في الخبر أن المؤذنين إذا أتوا الصراط يجدون عليه نجائب من نور مسرجة من الياقوت والزبرجد فتطير بهم على الصراط ويشفع كل واحد في أربعين ألفًا ويمر في نور المؤذن ألف رجل وألف امرأة، وسيأتي إن شاء الله تعالى حديث عظيم في فضل الأذان في باب فضل الأئمة، وفي الحديث: لو يعلم الناس ما في التأذين لاقتتلوا عليه بالسيوف، قال ابن حجر - رحمه الله -: الخبر والحديث مترادفان أي بمعنى واحد. وقيل: الحديث ما كان عن النبي ﷺ والخبر ما كان عن غيره.

وعن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ قال: **«المؤذنون المحتسبون يخرجون من قبورهم وهم يؤذنون وأول من يكسى يوم القيامة من كسوة الجنة محمد ثم الخليل ثم الرسل ثم الأنبياء ثم المؤذنون المحتسبون فتتلقاهم الملائكة بنجائب من ياقوت أحمر يشيع كل واحد سبعون ألف ملك من قبره إلى المحشر»**، وقال النبي ﷺ: **«يد الرحمن فوق رأس المؤذن وإنه ليغفر له مدى صوته**

أين بلغ» رواه الطبراني، وعن النبي ﷺ: «**إذا قال المؤذن: الله أكبر فتحت له أبواب السماء، فإذا قال: أشهد أن لا إله إلا الله تزينت له أبكار الجنة، فإذا قال: أشهد أن محمدًا رسول الله، قالت الملائكة: ارفع حاجتك إلى الله تعالى فإن الله تعالى يقضي لك الحوائج**».

لطيفة: من أذن في منامه وقت الحج حج أو غير وقت الصلاة يخشى عليه الخصومة، وإذا أذنت المرأة مرضت، وقال رجل لابن سيرين: رأيت في المنام كأني أختم على أفواه الرجال وفرج النساء قال: أنت المؤذن في رمضان قبل الفجر وتمنع الناس من الأكل والجماع.

فائدة: كان لرسول الله ﷺ أربعة من المؤذنين بلال بن رباح واسم أمه حمامة، وهو أول من أذن في الإسلام، مات بدمشق سنة عشرين، وأما بلال بن الحارث الصحابي مات بالبصرة سنة ستين. الثاني: ابن أم مكتوم وعمه عمر وعند الأكثرين كان يؤذن بالمدينة. الثالث: سعد بن عائذ بالذال المعجمة وكان مولى عمار بن ياسر، ويقال: سعد بن القرظ - بفتح القاف الذي يدبغ به الجلود؛ لأنه كان كلما اتجر في شيء خسر فيه فلازم التجارة فيه، كان يؤذن بقباء. الرابع: أبو محذورة، قيل: اسمه سليمان، وقيل: جابر، وقيل: سمرة بن معير بميم مكسورة ثم عين مهملة ساكنة ومثناة تحتية مفتوحة ثم راء، والله أعلم.

مسائل:

الأولى: لو أذن الكافر حكم بإسلامه إن لم يكن عيسويًا وهم طائفة من اليهود ينتسبون إلى عيسى بن يعقوب اليهودي يعتقدون أن النبي ﷺ أرسل إلى العرب فقط، ورسالته ﷺ إلى كل مكلف، فلا يصح الإسلام إلا باعتقاد عموم رسالته إلى كل مكلف قال الله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١﴾ [الفرقان: ١].

الثانية: يستحب الأذان في أذن المولود اليمنى والإقامة في اليسرى، وعند انتشار الجن ويعرف ذلك بكثرة الصرع ولا يستحب للنساء، فإن أذنت لم تزد في رفع صوتها على سماع صاحبها أو سماع نفسها فإن زادت حرم، وقيل: لا يحرم كالتلبية، نعم لا يستحب لها الجهر بها ولا الخنثى أيضًا وتستحب الإقامة لهن وللواحدة أيضًا والأذان حتى للوقت فلا يصح في غيره إلا الصبح فمن نصف الليل. وشرط المؤذن: الإسلام والتمييز والذكورة، ويكره للمحدث الشروع فيه فلو أحدث فيها أتمه بلا كراهة.

الثالثة: لو كبر المبلغ بقصد التبليغ قال الرافعي والثوري: بطلت صلاته، والصواب وهو حاصل كلام الحاوي الصغير أنها لا تبطل، وجزم الحموي في شرح الوسيط: ويستحب الجمع بين الأذان بالإقامة بأن يكون المؤذن إمامًا، قاله الماوردي: فإن اقتصر على أحدهما، فالأذان أفضل، ورأيت في شرح المهذب لو رفع الإمام صوته بالتكبير ليسمع المأمومين صحت صلاته بلا خلاف.

فوائد، الأولى: في الترغيب والترهيب أن النبي ﷺ قام بين الرجال والنساء وقال: «**يا معشر النساء إذا سمعتم أذان هذا الحبشي وإقامته فقلن مثل ما يقول، فإن لكن بكل حرف ألف ألف درجة**»، فقال عمر - رضي الله عنه -: هذا للنساء فما للرجال؟ قال: «**ضعفان يا عمر**». ويستحب أن يجيب على كل كلمة على حدة بعد الفراغ منها بمثلها إلا في قوله: حي على الصلاة حي على الفلاح أي هلموا إلى الصلاة تفلحوا، فإنه يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم كما في صحيح مسلم.

الثانية: قال النبي ﷺ: «**من سمع المنادي بالصلاة فقال: مرحبًا بالقائلين عدلاً مرحبًا بالصلاة أهلاً وسهلاً كتب الله له ألفي حسنة ومحا عنه ألفي ألف سيئة ورفع له ألف درجة**»، قال المحب الطبري: قوله مرحبًا أي أتيت سعة والرحب المكان الواسع وأهلاً أي فلا تستوحشوا.

الثالثة: قال جابر بن عبد الله: قال النبي ﷺ: «**من قال حين ينادي المنادي: اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة صل على محمد وارض عني رضا لا سخط بعده استجاب الله دعاءه**»، وقال أنس - رضي الله عنه -: قال النبي ﷺ: «**إذا أذن المؤذن تزينت الحور العين فإذا قام وقال: قد قامت الصلاة فقال العبد: اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة صل على محمد وآل محمد وزوجني من الحور العين قلن: آمين، وإذا لم يقل قال بعضهن لبعض: ارجعن فليس له فينا حاجة**».

الرابعة: إذا كان يوم القيامة أمر بطبقات المصلين إلى الجنة فيأتي أول زمرة كالشمس فتقول الملائكة: من أنتم؟ قالوا: نحن المحافظون على الصلاة، قالوا: كيف كانت محافظتكم على الصلاة قالوا: كنا نسمع الأذان ونحن في المسجد، ثم تأتي زمرة أخرى كالقمر ليلة البدر، فتقول الملائكة: من أنتم؟ قالوا: نحن المحافظون على الصلاة قالوا: كيف كانت محافظتكم على الصلاة؟ قالوا: كنا نتوضأ قبل الوقت ثم نحضر مع سماع الأذان، ثم تأتي زمرة أخرى كالكواكب فتقول الملائكة: من أنتم؟ قالوا: نحن المحافظون على الصلاة قالوا: كيف كانت محافظتكم على الصلاة؟ قالوا: كنا نتوضأ بعد الأذان.

الخامسة: اعلم أن الأذان والإقامة سنتان، وقيل: فرض كفاية، وقال الأوزاعي وعطاء ومجاهد: الإقامة واجبة فمن تركها بطلت صلاته وعليه الإعادة حكاه القرطبي في تفسير أول سورة البقرة، وقال أحمد بن بشار من أصحاب الوجوه من أصحاب الشافعي بوجوب الأذان في الجمعة فقط، كما قاله ابن خيران والإصطخري وفي طبقات ابن السبكي: من أذن وأقام الصلاة في فضاء الأرض ثم حلف أنه صلى في جماعة لم يحنث لقول النبي ﷺ: «**إن الملائكة تصلي خلفه**»؛ ووافقه الوالد، يعني العلامة تقي الدين السبكي - رضي الله عنه -.

السادسة: عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «**المشاءون إلى المساجد في الظلم أولئك الخواضون في رحمة الله تعالى**» وقيل في قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾

[فاطر :٣٢] ، هو الذي يدخل بعد قيام الصلاة والمقتصد من يدخل بعد الأذان والسابق من يدخل قبله، وقال عمر بن عبد العزيز في قوله تعالى: ﴿أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [مريم :٥٩] ، أي أضاعوا مواقيتها، وقال النبي ﷺ: «**أول الوقت رضوان الله ووسط الوقت رحمة الله وآخر الوقت عفو الله**»، وعنه ﷺ: «**لا تسلموا على يهود أمتي**» قيل: من هم؟ قال: «**من يسمع الأذان ولا يحضر**». قال كعب الأحبار في قوله تعالى: ﴿كَانُواْ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ﴾ [القلم :٤٣] ، أي من المرض فنزلت في الذين يتركون صلاة الجمعة.

السابعة: قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: من دخل المسجد أو موضعًا يريد الصلاة فيه فقدم رجله اليمنى فقال: بسم الله والصلاة والسّلام على رسول الله ﷺ والسلام على ملائكة الله ولا حول ولا قوة إلا بالله كتب الله له عبادة ألف رجل يعيش ألف عام، وفي الحديث: أنه ﷺ كان إذا دخل المسجد قال: «**أعوذ بالله العظيم ووجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم، وقال: فإذا قال قال الشيطان: عصم مني سائر اليوم**». قال ﷺ: «**إن أحدكم إذا أراد أن يخرج من المسجد تداعت جنود إبليس اللعين واجتمعت كما يجتمع النحل على يعسوبها فإذا قام أحدكم من المسجد فليقل: اللهم إني أعوذ بك من إبليس، فإنه إذا قالها لم يضره**» قاله في الأذكار. ويعسوب النحل: ذكوره وكان النبي ﷺ إذا دخل المسجد قال: «**بسم الله اللهم صل على محمد وإذا خرج قال: بسم الله اللهم صل على محمد**». قاله في الأذكار أيضًا.

الثامنة: قال الزبير بن العوام - رضي الله عنه - وعن أمه - صفية بنت عبد المطلب - قال النبي ﷺ: «**ما من رجل يدعو بهذا الدعاء في أول ليله أو نهاره إلا عصمه الله من إبليس وجنوده: بسم الله ذي الشأن، عظيم البرهان شديد السلطان، ما شاء الله كان أعوذ بالله من الشيطان**»، وتقدم دعاء ولده عروة - رضي الله عنهما - في أذكار الصباح والمساء.

التاسعة: الزبير بن العوام هو أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأول من سل سيفًا في سبيل الله، أسلم قديمًا في أوائل الإسلام وهو ابن خمس عشرة سنة، وقيل: ابن ثمان سنين، وولده عروة أحد الفقهاء السبعة الآتي ذكرهم في باب فضل العلم، قال ابن شهاب: كان عروة بَحْرًا لا يدرك، وكان من أعيان التابعين، مات سنة تسع وتسعين.

العاشرة: قال ابن عباس - رضي الله عنهما - كان النبي ﷺ إذا دخل المسجد قدم رجله اليمنى وقال: «﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ۝١٨﴾ [الجن: ١٨]، اللهم إني عبدك وزائرك وعلى كل مزور حق وأنت خير مزور أسألك برحمتك أن تفك رقبتي من النار» وإذا خرج قدم رجله اليسرى وقال: «**اللهم صب علي الخير صبًا ولا تنزع عني صالح ما أعطيتني ولا تجعل لي الدنيا كدرًا**» رواه القرطبي في سورة الجن.

الحادية عشرة: عن أبي ذر عن النبي ﷺ قال: «**يا أبا ذر إن الله يعطيك ما دمت جالسًا في**

المسجد لكل نفس تتنفس فيه درجة في الجنة وتصلي عليك الملائكة، ويكتب لك بكل نفس تتنفس فيه عشر حسنات وتمحى عنك عشر سيئات» قال ابن بطال في شرح البخاري: والحدث في المسجد خطيئة يحرم بها المحدث استغفار الملائكة ودعاؤهم المرجو بركته وهو عقاب له بما آذاهم من الرائحة الخبيثة بخلاف النخامة فإنها - وإن كانت حرامًا - فلها كفارة وهي دفنها فمن أراد الفضيلة التامة فليمكث في المسجد متطهرًا، وإن جوز العلماء - رضي الله عنهم - اعتكاف المحدث.

الثانية عشرة: تحية المسجد سنة مؤكدة، وإن كان الخطيب على المنبر يوم الجمعة؛ لأن سُلَيكًا - بضم السين المهملة وفتح اللام - دخل المسجد والنبي ﷺ على المنبر فجلس فقال: **«يا سليك قم فاركع ركعتين وتجوز فيهما»** أي خففهما، تقرأ في الأولى ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [الكافرون :١] وفي الثانية الإخلاص، وإن دخل المسجد بعد العصر بغير قصد التحية فليصلها وفي الأوقات المكروهة بعد الصبح حتى تطلع الشمس وعند طلوعها حتى ترتفع قدر رمح وعند الاستواء إلا في يوم الجمعة وبعد العصر.

الثالثة عشرة: عن ابن عمر: أن رجلاً قال: يا نبي الله أي البقاع خير وأي البقاع شر؛ قال: **«لا أدري حتى أسأل جبريل»** فسأله فقال: لا أدري حتى أسأل ميكائيل، فجاء فقال: **«خير البقاع المساجد وشر البقاع الأسواق»**، وقال النبي ﷺ لجبريل: **«أي البقاع خير؟»** قال: لا أدري، قال: **«فاسأل ربك عن ذلك»** فبكى، وقال: يا محمد ولنا أن نسأله هو الذي يخبرنا بما يشاء فعرج إلى السماء ثم أتاه، فقال: خير البقاع بيوت الله في الأرض فقال: أي البقاع شر؟ فعرج إلى السماء ثم أتاه فقال: شر البقاع الأسواق.

رأيت في المصابيح للبغوي: قال جبريل: إني دنوت من الله دنوًا ما دنوت منه قط، قال: **«كيف؟»** قال: كان بيني وبينه سبعون ألف حجاب من نور؟ فقال: شر البقاع أسواقها وخير البقاع مساجدها.

الرابعة عشرة: كان النبي ﷺ يخرج إلى الأسواق ويشتري لعياله حاجتهم فسئل عن ذلك، فقال: أخبرني جبريل أن من سعى على عياله ليكفيهم عن الناس فهو في سبيل الله وأراد رجل أن يحمل معه فقال ﷺ: **«صاحب الشيء أحق بحمله»** وقال ﷺ: **«الأسواق موائد الله»** وذكر في الإحياء: لا تكن أول من يدخل السوق ولا آخر من يخرج منه، وقال علي - رضي الله عنه -: قال النبي ﷺ: **«إذا دخلت السوق فقل: بسم الله وبالله، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله، يقول الله تعالى: عبدي هذا ذكرني والناس غافلون أشهدكم أني قد غفرت له»**. قال النبي ﷺ: **«ذاكر الله في السوق له بكل شعرة نور يوم القيامة»** وقد تقدم في فضل الذكر زيادة. وقال النبي ﷺ لرجل: **«إذا دخلت السوق فقل: اللهم إني أسألك خير هذه السوق وخير ما فيها وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها»**. وقال ﷺ: **«السوق دار سهو وغفلة فمن سبح الله فيها تسبيحة**

كتب الله له بها ألف ألف حسنة».

الخامسة عشرة: عن ابن عباس - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ قال: «**إن الله إذا أحب عبدًا جعله قيم مسجد وإذا أبغض عبدًا جعله قيم حمام**» وعن أنس عن النبي ﷺ قال: «**من أحب الله فليحبني ومن أحبني فليحب أصحابي ومن أحب أصحابي فليحب القرآن ومن أحب القرآن فليحب المساجد**» فإن المساجد أفنية الله تعالى وأبنيته، أذن الله برفعها وتطهيرها وبارك فيها فهي ميمونة ميمون أهلها محبوبة محبوب أهلها فهم في صلاتهم والله في حاجتهم وهم في مساجدهم والله في نجح مقاصدهم. قوله ﷺ: «**أذن الله برفعها**»، قيل: في البنيان، وقيل: يرفع شأنهم بالتعظيم والاحترام، وقيل: بغلقها آخر الصلاة.

مسألة: لو وضع حنطة في المسجد مثلًا لزمه أجرة البقعة التي فيها الحنطة فإن أغلقه لزمه أجرة المسجد ثم تصرف في مصالحه.

السادسة عشرة: عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «**الضحك في المسجد ظلمة في القبر**» وعنه ﷺ: «**لكل شيء قمامة وقمامة المسجد لا والله وبلى والله، ومن أخرج من المسجد كفًا من تراب كان ثوابه في الميزان كجبل أحد**» وفي حديث آخر: «**من أخرج من المسجد أذى بني الله له بيتًا في الجنة**»، قال في الإحياء: قال النبي ﷺ: «**الحديث في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش**».

السابعة عشرة: رأيت في تفسير القرطبي في سورة النور عن النبي ﷺ: «**من أسرج في المسجد سراجًا لم تزل الملائكة وحملة العرش يصلون عليه ويستغفرون له ما دام ذلك الضوء فيه، وإن نقد أي مهر الحور العين كنس غبار المسجد**»، وقال النبي ﷺ لتميم الداري لما علق القناديل في المسجد: «**نورت الإسلام نور الله عليك في الدنيا والآخرة لو كانت لي بنت لزوجتكها**»، فقال رجل: يا رسول الله أنا أزوجه ابنتي فزوجه إياها. قال النووي: وهو أول من قص على الناس وأول من أسرج في المسجد وروى ثمانية عشر حديثًا.

الثامنة عشرة: يجوز الجلوس فيه لأكل وشرب ونوم وحجامة في إناء ومريد إسماع ذكر، ويكره بيع فيه وشراء. قال الإمام أحمد لرجل يبيع في المسجد: اذهب إلى أسواق الدنيا فهذا سوق الآخرة، قال ابن العماد: والأكل في المسجد جازت إباحته ما لم يلوث أو يأكل من البصل. وسئل النبي ﷺ عن الدنيا فقال: «**سوق الآخرة**» حكاه الرازي في تفسيره أول سورة البقرة، ويكره أيضًا قضاء الدين في المسجد وسؤال وإنشاد ضالة، ويمنع السكران من دخوله لا كافر عند أبي حنيفة ووافقه الشافعي إلا في المسجد الحرام، ويحرم بول فيه ولو في إناء.

وقال ﷺ: «**من بني لله مسجدًا بني الله له بيتًا في الجنة**» ولم يقل: عشرًا؛ لأن الحسنة بعشر أمثالها.

فالجواب: أن الحسنات بعضها أعظم من بعض وهذا البيت أعظم من عشر بيوت في الدنيا.

قاله ابن العماد في كشف الأسرار، وقال أيضًا في تسهيل المقاصد له: إن الله تعالى بنى لكل واحد من الشركاء في المسجد بيتًا في الجنة كما إذا اشتركوا في عتق رقبة يعتقون من النار.

حكاية: كان في بني إسرائيل امرأة صالحة محافظة على الصلاة في وقتها ولها زوج كافر فنهاها عن ذلك فلم تطعه فأودعها مالاً ثم سرقه وألقاه في البحر فابتلعته سمكة فأخذها صياد وباعها لزوج المرأة فأخذتها لتصلحها فوجدت الصرة التي فيها المال في جوفها فوضعتها في مكانها، ثم طلب منها المال فدفعته إليه فتعجب من ذلك فأوقدت المرأة تنورًا لتخبز فيه العجين فرماها الكافر فيه، فقالت: يا واحد يا أحد ليس لي على النار جلد فخمدت النار - بإذن الله - وسيأتي حكم من اشترى سمكة فوجد فيها جوهرة هل تكون للبائع أو له في باب بر الوالدين.

حكاية: ذكر السمرقندي: أن إبليس صاح عند نزول الصلاة فاجتمع إليه جنوده فأخبرهم بذلك فقالوا: ما الحيلة قال: اشغلوهم عن مواقيتها فإن الرحمة تنزل أول وقتها قالوا: فإن لم نستطع، قال: إذا دخل أحدهم في الصلاة فليقم حوله أربعة منكم واحد عن يمينه فيقول: انظر إلى يمينك وواحد عن شماله فيقول: انظر إلى شمالك وآخر فوقه فيقول: انظر فوقك وآخر تحته فيقول: انظر تحتك عجل هجل، فإن لم يفعل كتبت له هذه الصلاة أربعمائة صلاة.

فائدة: عن عيسى - عليه السلام -: طول القيام يعني في الصلاة أمان على الصراط، وطول السجود أمان من عذاب القبر، وعن النبي ﷺ: **«من طوّل القيام خفف الله عنه القيام»** وفي بعض الآثار: طول القيام في الصلاة يهون سكرات الموت وعنه ﷺ: **«أطيلوا السجود بين يدي الله، فإن الله يحب أن يرى عبده ساجدًا بين يديه»**، وسئل ابن عباس عن ثواب طول السجدة فقال: الخلود في الجنة كما أن من سجد لصنم سجدة يكون مخلدًا في النار.

حكاية: خرج بعض العباد بالبصرة يشتري حطبًا فوجد صرة مكتوبًا عليها فيها مائة دينار فسمع إقامة الصلاة فبادر إلى الجامع وترك الصرة فخرج إلى السوق فاشترى حزمة حطب، فلما نفضها في داره وجد الصرة فيها فقال: اللهم كما لم تنس عبدك من رزقك فلا تجعله ينساك في أوقات الصلاة، ذكره اليافعي في رياض الرياحين.

فائدة: لم يحتلم نبي قط، وأما قول من قال: إن آدم - عليه السلام - احتلم فوقعت جنابته على أرض فخلق الله منها يأجوج ومأجوج فقد ضعفه القرطبي في التذكرة، وقال النووي - رحمه الله - في الفتاوى: يأجوج ومأجوج من أولاد آدم وحواء عند جماهير العلماء، والله أعلم.

فوائد: الأولى: عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ: **«من توضأ فأحسن وضوءه ثم راح إلى المسجد فوجد الناس قد صلوا أعطاه الله مثل أجر من صلاها وحضرها لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا»** رواه أبو داود والنسائي والحاكم.

الثانية: قالت عائشة – رضي الله عنها – قال النبي ﷺ: «**إن الله وملائكته يصلون على ميامن الصفوف**» رواه أبو داود وابن ماجه. وعنه ﷺ: «**إن الله وملائكته يصلون على الصف الأول**» قيل: يا رسول الله وعلى الثاني؟ قال: «**وعلى الثاني**». وقال ﷺ: «**لا يزال قوم يتأخرون عن الصف الأول حتى يؤخرهم الله تعالى في النار**» رواه أبو داود، وقال ﷺ: «**من وصل صفًا وصله الله ومن قطع صفًا قطعه الله**».

الثالثة: رأيت في شرح المهذب: لو دخل الجامع والإمام في الصلاة وعلم أنه إن مشى إلى الصف الأول فاتته ركعة وإن صلى في آخر المسجد أدرك الصلاة بكمالها قال النووي: لم أر في المسألة نقص، والظاهر أنه يمشي إلى الصف الأول إلا أن يخاف فوات الركعة الأخيرة.

الرابعة: ورد في الصحيحين من حديث ابن عمر – رضي الله عنهما –: «**صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة**» وفيهما من حديث أبي هريرة: «**بخمس وعشرين**»، قال البرماوي في شرح البخاري: أما رواية السبع والعشرين؛ لأن فرائض اليوم والليلة سبع عشرة ركعة، والرواتب عشرة وهي ركعتان قبل الصبح وركعتان قبل الظهر وركعتان بعدها وركعتان بعد المغرب وركعتان بعد العشاء فضوعف أجر الجماعة بهذا الاعتبار ورواية الخمس والعشرين؛ لأن الفرائض خمس فتضربها في نفسها فبلغ خمسة وعشرين.

الخامسة: قال رجل: يا رسول الله رأيت في المنام كأن في إحدى يدي عشرين دينارًا وفي الأخرى أربعة فسقطت العشرون من يدي وزلفت الأربعة، فقال: هل صليت العشاء في الجماعة؟ قال: لا، قال: «**الساقطة من يدك فضل الجماعة وقد فاتتك والأربعة التي صليت في بيتك لم تقبل منك**» ذكره النسفي في كتابه «**زهرة الرياض**» وعند الإمام أحمد: من صلى واحدة مع القدرة على الجماعة تصح صلاته ويحرم عليه، وفي قول: لا تصح.

السادسة: من فوائد صلاة الجماعة أن المياه القليلة، إذا اجتمعت لا تحمل نجاسة كما في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾ [الجمعة: ٥]، أي لم يقبلوا حكمها، والماء الكثير قلتان وهما مائة وثمانين أرطال بالدمشقي وثلث عند الرافعي، وعند النووي مائة وسبعة أرطال وسبع رطل وهو المراد بقول النبي ﷺ: «**إذا بلغ الماء قلتين لم يحمل الخبث**» أي فلا يتنجس إلا بالتغير من طعم أو لون أو ريح فإن كان وقع فيه نجس فيقدر مخالفًا للماء في أغلظ الصفات، مثاله: وقع في ماء كثير قطرة بول فيقدر اللون بالحبر والطعم بالخل مثلاً وفي الرائحة بالمسك، ويكتفى بذلك بأدنى تغير.

السابعة: جاء في الحديث عن النبي ﷺ قال: «**خلق الله مدينة في الجنة يقال لها: مدينة الجلال، وفيها قصر يقال له: قصر العظمة، وفيه بيت يقال له: بيت الرحمة، وفيه أربعة آلاف سرير وأربعة آلاف حوراء، وفيه ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر**» قيل: يا رسول الله لمن هذا؟ قال: «**لمن صلى الصلوات الخمس في الجماعة**».

الثامنة: قال النبي ﷺ: «**ألا أدلكم على قوم أفضل غنيمة وأسرع رجعة؟ قوم شهدوا الصبح ثم جلسوا يذكرون الله تعالى حتى طلعت الشمس أولئك أسرع غنيمة**» وقال النيسابوري: التكبيرة الأولى من صلاة الصبح مع الجماعة خير من الدنيا وما فيها وفي الطبراني عن النبي ﷺ: «**من توضأ ثم أتى المسجد وصلى ركعتين قبل الفجر ثم جلس حتى يصلي الفجر كتبت صلاته يومئذ في صلاة الأبرار وكتب في وفد الرحمن**» وقال ابن عباس - رضي الله عنهما -: خلق الله تعالى نهرًا في الجنة يقال له: الأفيح، حافتاه اللؤلؤ والجوهر عليه حوريات خلقن من الزعفران يُسبحن الله تعالى بسبعين ألف صوت طيب، ويقلن: نحن لمن صلى الفجر في الجماعة.

التاسعة: الجماعة في الصبح أفضل ثم العشاء ثم العصر، قاله في الروضة، أما الصبح والعشاء فكما ورد في الحديث: «**من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل، ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما قام الليل**» أي مع النصف الذي حصل له بصلاة العشاء، وأما العصر فقد ذكر الغزالي: أن من صلاها في جماعة كان له ثواب حجة، ومن صلى المغرب فله ثواب عمرة.

قال مؤلفه: إنما قوبلت صلاة العصر بثواب حجة والله أعلم؛ لأن فاعلها لم تنته متعلقاته من الدنيا لبقاء النهار فإعراضه عن الدنيا وإقباله على الصلاة أمر اختياري منه فقوبل بثواب حجة.

العاشرة: كان النبي ﷺ يقول في سنة الصبح وهو جالس: «**اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل ومحمد** ﷺ أعوذ بك من النار»، وقالت أم سلمة - رضي الله عنها -: كان النبي ﷺ يقول: «**إذا صليت الصبح تقول ثلاثًا: سبحان الله العظيم وبحمده تعافى من العمى والجذام والفالج**» رواه الإمام أحمد.

الحادية عشرة: لو كانت الجماعة في بيت أكثر من المسجد فالمسجد أولى. قاله الماوردي وهذا تقدم، وخالفه القاضي أبو الطيب، ولو دخل جماعة المسجد فوجد الإمام في التشهد الأخير قال الرافعي: يصلون جماعة؛ لأنفسهم، وقال القاضي حسين: يقتدون به؛ لأنهم يصيرون أكثر جمعًا، والظاهر أنه المعتمد، قال في الروضة: الصلاة في بيته جماعة أفضل من صلاته وحده في المسجد. وسيأتي أن فاعلها في أول الوقت في جمع قليل أفضل من فعلها آخر الوقت في جمع كثير.

حكاية: أخذ اللصوص لأبي بكر الصديق - رضي الله عنه - أربعمائة بعير وأربعين عبدًا فدخل النبي ﷺ فرآه حزينًا فسأله فأخبره فقال: «**ظننت أنه فاتتك تكبيرة الإحرام**»، فقال: يا رسول الله وفواتها أشد؟ قال: «**ومن ملء الأرض جمالاً**»، وفي الخبر: «**من فاته تكبيره الإحرام فقد فاتته تسعمائة وتسع وتسعون نعجة في الجنة قرونها من ذهب**» ذكره النيسابوري.

قال مؤلفه: والحكمة في تخصيص هذا العدد - والله أعلم - أن الجلالة أربعة أحرف ولفظة

أكبر، كذلك والنقطة التي تحت الباء أقيمت بحرف لما فيها من السر؛ لأنه ورد كل ما في الكتب فهو في القرآن وكل ما في القرآن فهو في الفاتحة وكل ما في الفاتحة فهو في البسملة وكل ما في البسملة فهو في الباء وكل ما في الباء فهو في النقطة التي تحت الباء، قاله نجم الدين النسفي: معاني الكتب في القرآن ومعاني القرآن في الفاتحة والبسملة ومعاني البسملة في الباء ومعناها بي كان ما كان، وبي يكون ما يكون فصارت الجملة تسعة أحرف لكل حرف مائة تبقى تسعة وتسعون لكل حرف أيضًا أحد عشر، وحروف الجلالة بالبسط أحد عشر، قال محمد بن الحسن أبي حنيفة عن حماد عن إبراهيم النخعي عن علقمة عن ابن مسعود عن النبي ﷺ: «**ما من أحد تفوته تكبيرة الإحرام عن صلاة الجماعة إلا قدم يوم القيامة وندامته تكون عليه أشد منهم الموت أربعين ألف مرة ومن فزع القيامة أربعين ألف مرة لما يرى من الكرامة لمن حافظ عليها**».

مسألة: تنعقد الصلاة عند أبي حنيفة بكل اسم يدل على التعظيم أو الأعظم بغير أكبر.

فائدة: قال عيسى - عليه السّلام - لإبليس: أقسمت عليك بالحي القيوم ما الذي يقصم ظهرك؟ فضرب بنفسه الأرض وقال: لولا الحي القيوم لما أخبرتك: صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة.

حكاية: قال إبراهيم بن أدهم: يا رب أرني رفيقي في الجنة، فقيل له في منامه: إنها امرأة سوداء اسمها سلامة في مكان كذا ترعى الغنم فهي زوجتك في الجنة، فلما سار إليها سلم عليها قالت: وعليك السلام يا إبراهيم، قال: من أخبرك أني إبراهيم؟ قالت له: الذي أخبرك أني زوجتك في الجنة، فقال: يا سلامة عظيني. قالت: عليك بقيام الليل فإنه يوصل العبد إلى ربه وإن كنت تدعي محبته فالنوم عليك حرام، وقيل: أوحى إلى داود كذب من ادعى محبتي حتى إذا جن الليل نام عني وإذا جن الليل بظلامه يقول الله تعالى: «**يا جبريل حرك أشجار المعاملة فإذا حركها قامت القلوب على باب المحبوب**» ولقد أحسن القائل:

ببابك عبد من عبيدك مذنب ... كثير الخطايا جاء يسألك العفوا

فأنزل عليه الصبر يا من بفضله ... على قوم موسى أنزل المن والسلوى

وقال الفضيل بن عياض: إذا لم تقدر على قيام الليل وصيام النهار فاعلم أنك محروم قد كثرت خطاياك، وقال الحسن - رضي الله عنه -: إن الرجل ليحرم قيام الليل بذنب وقع منه، وقال سفيان الثوري: حرمت قيام الليل خمسة أشهر بذنب واحد، قيل: ما هو؟ قال: رأيت رجلًا يبكي فقلت: هذا مراء، ولقد أحسن القائل حيث قال:

أراني بعيد الدار لا أقرب الحمى ... وقد نصبت للساهرين خيام

علامة طردي طول ليلي نائم ... وغيري يرى أن المنام حرام

فائدة: أوحى الله إلى بعض الصديقين: إن لي عبادًا يحبوني وأحبهم ويشتاقون إلي وأشتاق

إليهم ويذكروني وأذكرهم، قال: يا رب ما علامتهم؟ قال: يراعون الظلام بالنهار كما يراعى الراعي غنمه ويحنون إلى غروب الشمس كما تحن الطير إلى أوكارها، فإذا أجنهم الليل يعني سترهم واختلط الظلام وفرشت الفرش وخلا كل حبيب بحبيبه نصبوا إلى أقدامهم وافترشوا إلى وجوههم وناجوني بكلامي وتملقوا إلي بإنعامي، فمنهم صارخ وباك ومتأوه وشاك، ومنهم قائم وقاعد وراكع وساجد، فأول ما أعطيهم ثلاث خصال:

الأولى: أن أقذف في قلوبهم من نوري.

الثانية: لو كانت السموات والأرض في موازينهم لاستقللتها لهم.

الثالثة: أقبل بوجهي الكريم عليهم؛ أفترى من أقبلت عليه بوجهي ما يعلم أحد ما أريد أن أعطيه؟.

وقال بعض العارفين: إن الله يطلع على قلوب المستيقظين وقت السحر فيملأها نورًا فترد الفوائد على قلوبهم فتستنير ثم تنشر من قلوبهم إلى قلوب الغافلين، قال أبو يزيد البسطامي: قمت ليلة أصلي فتذكرت أهل الغفلة من النائمين فكوشفت بأن الرحمة تنزل عليهم كالقائمين فتعجبت من ذلك فهتف بي هاتف: يا أبا يزيد هؤلاء ذكروا عذابي فقاموا وهؤلاء طمعوا في رحمتي فناموا. ولما كان صغيرًا في المكتب وصل إلى سورة المزمل قال لأبيه: من هذا الذي أمره الله بقيام الليل؟ فقال: يا بني هو محمد ﷺ قال: فلم لا نفعل كما فعل محمد ﷺ؟ قال: ذلك أمر شرف الله به محمدًا فلما قرأ: ﴿وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ﴾ [المزمل: ٢٠]، قال: يا أبت من هؤلاء؟ قال: أصحاب محمد فقال: يا أبت ولم لا نفعل كما فعل أصحابه؟، فقال: يا بني قواهم الله على قيام الليل، فقال: يا أبت لا خير فيمن لا يقتدي بمحمد وأصحابه فصار أبوه يصلي الليل، فقال: يا أبت علمني صلاة الليل. قال: يا بني أنت صغير، فقال: إذا جمع الله الخلائق يوم القيامة وأمر بأصحاب قيام الليل إلى الجنة أقول: يا رب أردت الصلاة بالليل فمنعني أبي؟ قال: يا بني قم الليل.

لطيفة: ذكر نجم الدين النسفي في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ [المدثر: ١] أمره في هذه السورة بالقيام بالنهار يدعو الناس للعبادة وفي سورة المزمل أمره بقيام الليل كأنه تعالى يقول: اجعل نهارك في الشفقة على الخلق، واجعل ليلك في خدمة الحق، فقم النهار منذرًا ليقبل المدبرون بدعوتك، وقم بالليل مصليًا لينجو المذنبون بشفاعتك.

فائدة: قال ابن عباس: من صلى ركعتين أو أكثر بعد العشاء فقد بات ساجدًا لله وقائمًا. وعن عكرمة عن ابن عباس عن النبي ﷺ: «**من انتبه من منامه، فقال: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر نظر الله إليه، فإن توضأ غفر له، فإن صلى أربع ركعات يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسي مرة و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]، إحدى عشرة مرة غفر الله له ألبتة**»، قال عكرمة: والله الذي لا إله إلا هو لقد سمعته من ابن عباس، وقال: والله الذي لا

إله إلا هو لقد سمعته من رسول الله ﷺ وقال: **«والله الذي لا إله إلا هو سمعته من جبريل»** وقال جبريل: والله الذي لا إله إلا هو لقد قال الله ذلك.

وعن النبي ﷺ: **«ومن أحب أن يحفظ الله إيمانه يوم القيامة فليصل كل ليلة ركعتين بعد سنة المغرب يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله أحد ست مرات والمعوذتين مرة»**، قال كعب الأحبار: إن الله يباهي الملائكة بمن يصلي بين المغرب والعشاء؛ وفي الإحياء: إذا صلى العبد ركعتين عجبت منه عشرة صفوف من الملائكة كل صف عشرة آلاف ملك؛ لأن الراكعين منهم لا يسجدون إلى يوم القيامة والساجدين لا يرفعون والقائمين لا يركعون إلى يوم القيامة، وعن أبي بكر - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ: **«من صلى ركعتين بعد المغرب قبل أن يتكلم أسكنه الله حظيرة القدس»**، قلت: فإن صلى أربعًا قال: كمن حج حجة، قلت: فإن صلى ستًا، قال: يغفر الله له ذنوب خمسين سنة.

فائدة: ذكر في عوارف المعارف: أن النبي ﷺ سئل عن قوله تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾[السجدة:١٦]، فقال: هي الصلاة بين العشاءين، وقال النبي ﷺ: **«من صلى بعد المغرب ست ركعات غفرت ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر»** رواه الطبراني، وقال ﷺ: **«من عكف نفسه بين المغرب والعشاء في مسجد جماعة لم يتكلم إلا بصلاة أو قرآن كان حقًا على الله أن يبني له قصرين في الجنة، مسيرة كل قصر منهما مائة عام، ويغرس له بينهما غراسًا لو طافه أهل الدنيا لوسعهم»**.

حكاية: قال عبد الواحد بن زيد - رضي الله عنه -: كنت في مركب فطرحتنا الريح إلى جزيرة فرأينا رجلاً يعبد صنمًا فقلنا له: ما هذا؟ إله يعبد وعندنا من يصنع مثله؟ قال: فأنتم من تعبدون؟ قلنا: إلهًا في السماء عرشه وفي الأرض بطشه، قال: من أخبركم به؟ قلنا: أرسل إلينا رسولاً فأخبرنا به، قال: فما فعل الرسول؟ قلنا: قبضه بعد ذلك، قال: فهل ترك عندكم من علامة؟ قلنا: ترك عندنا كتاب الملك، قال: فائتوني به، فأتيناه بالمصحف وقرأنا عليه سورة الرحمن، فلم يزل يبكي حتى ختمنا السورة، وقال: ما ينبغي لصاحب هذا الكلام أن يُعْصَى، فأسلم وحسن إسلامه وعلمناه شرائع الإسلام فلما كان الليل صلينا العشاء وأخذنا مضاجعنا، فقال: يا قوم هذا الإله الذي دللتموني عليه أينام؟ قلنا: هو حي قيوم لا ينام، قال: بئس العبيد أنتم تنامون ومولاكم لا ينام فلما خرجنا من البحر ودخلنا عبادان أردنا أن نعطيه دراهم فقال: لا إله إلا الله دللتموني على طريق ولم تسلكوها أنا كنت أعبد غيره فلا يضيعني، فكيف يضيعني وأنا الآن أعرفه؟ فلما كان بعد ثلاثة أيام قيل: إنه في النزع فدخلت عليه وقلت: هل من حاجة؟ قال: قضى حوائجي الذي أخرجني من الجزيرة؛ فنمت عنده فرأيت جارية في قبة روضة خضراء وهي تقول: الله عجلوا به فقد طال شوقي إليه، فاستيقظت وقد مات فدفنته فرأيته في المنام في تلك القبة وهو يقرأ قوله تعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا

صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ [الرعد: ٢٣-٢٤].

حكاية: كان بعض الصالحين يقوم الليل فنام ليلة، فقيل له: قم فصل أما علمت مفاتيح الجنة مع أصحاب الليل وهم خزنتها.

فائدة: في الترغيب والترهيب: عن النبي ﷺ: «**صلاة في مسجدي هذا تعدل بعشرة آلاف صلاة، وصلاة في المسجد الحرام تعدل بمائة ألف صلاة، وصلاة بأرض الرباط بألفي ألف صلاة، وأكثر من ذلك كله ركعتان يركعهما العبد في جوف الليل لا يريد بهما إلا ما عند الله**»، وعن أبي مسعود عن النبي ﷺ من قرأ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [آل عمران: ١٨]، الآية في التطوع بعد العشاء يقول الله تعالى يوم القيامة: يا ملائكتي إن لعبدي عندي عهدًا أنا أولى بوفاء العهد أدخلوه الجنة فنعم الأمين رب العزة، قال في الإحياء: يستحب أن يقول بعد التسليم من الوتر: سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح جللت السموات والأرض بالعظمة والجبروت تعززت بالعزة والبقاء وقهرت العباد بالموت، وسيأتي في مناقب فاطمة أن من سجد سجدتين بعد الوتر لم يرفع رأسه حتى يغفر الله له إن شاء الله تعالى.

قال في فردوس العارفين: قال ابن سيرين: لو خيرت بين الجنة وبين ركعتين لاخترت الركعتين؛ لأن فيهما محبة الله ورضاه وفي الجنة محبة النفس ورضاها. قال النبي ﷺ: «**من توضأ ثم أتى المسجد وصلى ركعتين قبل الفجر ثم جلس حتى يصلي الفجر كتبت صلاته في صلاة الأبرار وكتب في وفد الرحمن**»، وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «**إن الله يبغض كل جعظري خواض صخاب في الأسواق جيفة بالليل حمار بالنهار، عالم بأمر الدنيا جاهل بأمر الآخرة**» قال أهل اللغة: الجعظري: الغليظ الشديد، والخواض: الأكول والصخاب: العياط، وقالت أم سليمان - عليه السلام -: يا نبي الله لا تكثر من النوم بالليل فإن كثرة النوم بالليل تترك الرجل فقيرًا يوم القيامة، وقال ﷺ: «**عليكم بصلاة الليل ولو ركعتين**».

مسألة: الصلاة في نصف الليل الثاني أفضل من الأول، والثالث الأوسط أفضل من الأول والآخر، ويسن التهجد ويكره قيام كل الليل دائمًا قال في العوارف: أوحى الله تعالى إلى داود - عليه السلام -: «**لا تقم أول الليل ولا آخره ولكن قم وسطه حتى تخلو بي وأخلو بك**».

فائدة: قال النبي ﷺ: «**عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم وقربة إلى ربكم ومكفر السيئات ومنهاة عن الإثم ومطردة للداء عن الجسد**» وسأل داود جبريل - عليهما السلام - أي الليل أفضل؟ قال: لا أدري؛ لأن العرش يهتز وقت السحر أي وهو ما بين الفجر الكاذب والصادق، وقال أبو ذر: يستبشر الله تعالى بمن قام من الليل وترك فراشه ثم توضأ فأحسن الوضوء، ثم قام إلى الصلاة فيقول الله تعالى: ما حمل عبدي على ما صنع؟ فيقولون: ربنا أنت أعلم، فيقول: أنا أعلم ولكن أخبروني فيقولون: رجوته فرجاك وخوفته شيئًا فخافه، فيقول أشهدكم أني قد أمنته مما يخاف وأوجبت له ما رجاه.

قال مؤلفه: فمن شق عليه قيام الليل فليفعل ما رواه أنس بن مالك - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ: «**من صلى صلاة المغرب في جماعة وصلى بعدها ركعتين من غير أن يتكلم في شيء من الدنيا يقرأ الفاتحة مرة وآية الكرسي مرة وقل هو الله أحد خمس عشرة مرة بنى الله له ألف مدينة من الدر والياقوت في جنات عدن**» قال الإمام النووي في الأذكار: اعلم أنه ينبغي لمن بلغه شيء من فضائل الأعمال أن يعمل به ولو مرة ليكون من أهله، وفي الحديث: «**ركعتان يركعهما العبد في جوف الليل خير من الدنيا وما فيها**» وفي حديث آخر: «**إذا قام العبد يصلي في آخر الليل يقول الله تعالى: أليس قد جعلت لكم الليل لباسًا والنوم سباتًا؟** أي راحة، **فقام عبدي يصلي يعلم أن له ربًا انظروا ماذا يطلب عبدي فيقولون: يطلب رضاك ومغفرتك فيقول: أشهدكم أني غفرت له**».

فوائد:

الأولى: عن معروف الكرخي بسنده إلى ابن عباس من قال عند منامه: اللهم لا تأمنا مكرك ولا تنسنا ذكرك ولا تكشف عنا سترك ولا تجعلنا من الغافلين، اللهم أيقظنا في أحب الساعات إليك حتى نذكرك فتذكرنا ونسألك لتعطينا وندعوك فتستجيب لنا ونستغفرك فتغفر لنا، بعث الله إليه ملكًا في أحب الساعات إليه فيوقظه، فإن لم يقم كتب الله له ثواب أولئك الملائكة، وإن قام ودعا استجيب له، قال في العوارف: فإن لم يقم تعبدت الملائكة في الهواء ويكتب له ثواب عبادتهم، وقال معروف الكرخي: من قال حين يستيقظ من الليل: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أستغفر الله، اللهم إني أسألك من فضلك ورحمتك فإنهما بيدك ولا يملكهما أحد سواك، قال الله تعالى لجبريل - وهو موكل بقضاء حوائج العباد -: يا جبريل اقض حاجة عبدي.

الثانية: قال النبي ﷺ: «**من قال - إذا أوى إلى فراشه -: الحمد لله الذي علا فقهر وبطن فجبر وملك فقدر، الحمد لله الذي يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه**» رواه الطبراني وقال النبي ﷺ: «**من قال - إذا أوى إلى فراشه -: الحمد لله الذي كفاني وآواني، الحمد لله الذي من على فأفضل فقد حمد الله بجميع محامد الخلق كلهم**» وقدمنا أذكار الصباح والمساء.

الرابعة: قال رجل: شكوت إلى النبي ﷺ اليرقان فقال: «**قل: اللهم غارت النجوم وهدأت العيون وأنت الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم، يا حي يا قيوم اهد لي ليلى وأنم عيني**» فقلتها فأذهب الله عني ما أجد، وشكا رجل كثرة النوم إلى النبي ﷺ فقال: احمد الله على العافية.

الخامسة: قال الأطباء: النوم يغور الروح إلى داخل البدن فتبرد الظاهر فلذلك يحتاج النائم إلى غطاء، ونور النهار مضر للبدن ويفسد اللون ويكسل ويورث الأمراض، إلا في الهاجرة. قال في الإحياء: وهو لمن يقوم الليل كالسحور للصائم، وقالت عائشة - رضي الله عنها -:

من نام بعد العصر فزال عقله فلا يلومن إلا نفسه .

السادسة : رأيت في التتارخانية للحنفية ، النائم كاليقظان في مسائل فأردت التنبيه على ما وافقه الشافعي فيها أو خالفه .

منها : لو نام في الصلاة وتكلم فسدت صلاته ، وخالفه الشافعي إن كان ممكنًا مقعدته من الأرض بأن نام في التشهد ولا تبطل بكلام اليقظان الناسي إذا كان الكلام يسيرًا حتى لو قال رجل : بعتك مثلاً يا فلان دابتي بكذا ، فقال : وهو في الصلاة قبلت أو اشتريت صح البيع والصلاة .

ومنها : لو قرأ آية سجدة فسمعه يقظان لزمه أن يسجد ويلزمه إن أخبره بها ، وخالفه الشافعي فلا يشرع السجود عنده في قراءة اليقظان في مسائل كالجنب ، وإن سقط الحنث على من حلف أن قرأ فقرأ جنبًا وكالسكران والمجنون ولا من قرأ آية سجدة في صلاة الجنازة أو غيرها في غير محل القراءة ويسجد لقراءة الكافر والصبي والمرأة .

ومنها : إذا نام من أول النهار إلى آخره يلزمه قضاء الصلاة ، ووافقه الشافعي .

ومنها : إذا تيمم ومر على ماء وهو نائم بطل تيممه ، وخالفه الشافعي .

ومنها : إذا وقع في فم الصائم النائم ثلج مثلاً بطل صومه ، وخالفه الشافعي وزفر أيضًا .

ومنها : لو نام في عرفات أدرك الحج ، ووافقه الشافعي .

ومنها : إذا نام المحرم وحلق رجل رأسه فعلى النائم الفدية ، وخالفه الشافعي بل تكون على الحالق .

ومنها : إذا نامت المحرمة وجامعها زوجها لزمتها الكفارة ، وخالفه الشافعي كما لو أكرهها وكفارة الجماع ولو بهيمة بعير دخل في السنة الثانية يذبحه بالحرم الشريف ويفرقه على مساكينه ، ولو لثلاثة لا اثنان مع القدرة على ثالث وسيأتي في الحج زيادة .

ومنها : لو خلا بامرأة عند نائم لم تصح الخلوة بمعنى أنه لا يلزمه مهرها وإن خلت به وهو نائم صحت الخلوة ويلزمه الصداق ، قال الشافعي : لا يجب الصداق إلا بوطء أو موت .

ومنها : لو حلف لا يكلمه فرآه نائمًا فقال : قم يا نائم حنث على الصحيح ووافقه الشافعي ، إلا إذا علق طلاقها بكلامها فكلمته نائمًا تطلق .

ومنها : لو طلقها رجعيًّا ثم لمسها أو لمسته بشهوة والملموس نائم حصلت الرجعة وخالفه الشافعي فلا يكتفى باللمس ولا الوطء في اليقظة أيضًا ، كما سيأتي في مناقب حفصة - رضي الله عنه- .

ومنها : لو حمل رجل نائمًا فوضعه تحت جدار يسقط عليه ضمان ، ووافقه الشافعي إلا أن يكون النائم عبدًا فيضمنه بالاستيلاء

ومنها: لو انقلب النائم على مال فأتلفه ضمنه، ووافقه الشافعي، وقال في الروضة: لو أدخلت المطلقة ثلاثًا ذكر نائم حصل التحليل، ولو رضعت زوجته الصغيرة من زوجته الكبيرة وهي نائمة فلا غرم عليها ولا مهر للصغيرة وينفسخ، ولو حلف ألا يدخل دارًا فانقلب إليها وهو نائم لم يحنث، ولا تحل زكاة نائم ولو قلب السارق نائمًا عن ثوبه فأخذه لم يقطع، ولو لمست يد نائم فرج آدمي أو أجنبية بطل وضوؤه، وسيأتي في باب أن اللامس والملموس ينتقض وضوؤهما بخلاف الماس، فإنه ينتقض وضوؤه دون الملموس، وفي قواعد الزركشي: النائم يعطى حكم المستيقظ في صور.

منها: بقاؤها على الولاية بخلاف المجذوم والمغمى عليه.

ومنها: صحة وضوئه ولو استغرق جميع النهار.

ومنها: أنه لا يسقط قضاء الصلاة بخلاف الإغماء، ولو رأى نائمًا أو من يريد النوم وقد جاء وقت الصلاة وهو لا يعلم فينبغي أن يعلمه لئلا يفوته فإن لم يعلمه حتى نام فخرج الوقت فلا حرج؛ لأن الصلاة تفوت ولا يأثم به لقوله ﷺ: «**لا تفريط في النوم، وإنما التفريط في اليقظة**»، قال النووي: إذا نام قبل الوقت واستمر حتى خاف خروجه استحب إيقاظه، قال الزركشي: وأما النوم بعد دخول الوقت فإنه يجوز إذا علم أنه يستيقظ قبل خروجه، والله أعلم.

السابعة: جاء رجل يشكو الوحشة للنبي ﷺ فقال: «**أكثر من قول سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح جللت السموات والأرض بالعزة والجبروت**» فقالها الرجل فذهب عنه الوحشة. وأخبر خالد بن الوليد - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ بأهاويل يراها في الليل، فقال له: ألا أعلمك كلمات تقولهن ثلاث مرات حتى يذهب الله عنك ذلك؟ قال: بلى، قال: «**قل أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه وشر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون**» فقالت عائشة - رضي الله عنها -: فبعد ثلاث ليال قال خالد: يا رسول الله ما أقسمت بكلماتي ثلاث مرات حتى أذهب الله عني ما أجد فلا أبالي إن دخلت عليَّ الأسد بليل.

الثامنة: أوحى الله تعالى إلى موسى: أتحب أن تدعو لك الجبال الراسية؟ قال: نعم، قال: لا تدع صلاة الضحى. وعن أنس - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «**من صلى ركعتي الضحى يقرأ في الركعة الأولى الفاتحة وآية الكرسي عشر مرات، وفي الثانية الفاتحة وقل هو الله أحد إحدى عشرة مرة استوجب رضوان الله الأكبر**» وذكر الشيخ عبد القادر الكيلاني في الفتية عن النبي ﷺ: «**صلوا الضحى بالشمس وضحاها وسورة الضحى**».

لطيفة: قيل: الضحى الجنة والليل جهنم، وقيل: الضحى اليوم الذي كلم الله فيه موسى والليل ليلة المعراج، ومعنى قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾ [الضحى: ٧]، أي وجدك ضالاً عن النبوة فهداك إليها، قاله الطبري، وقيل: وجدك ضالاً عن الهجرة فهداك إليها، وقيل: وجد قومك ضلالاً فهداك إلى إرشادهم، وقيل: ضالاً ضائعًا في قوم يكذبونك فهدى منهم من

سبقت له السعادة ببركتك؛ فلهذا قال: فهدى، وقيل: ضالاً ناسيًا فهدى أي ذكرك بعد النسيان، وقيل: كان يرعى غنم خديجة - رضي الله عنها - فضلت بين الجبال عن طرق مكة فهداه الله إليها والله أعلم.

ورأيت في كتاب «**النورين في إصلاح الدارين**» عن النبي ﷺ: «**صلاة الضحى تجلب الرزق وتنفي الفقر**»، وقال شقيق البلخي: طلبنا خمسًا فوجدناها في خمس طلبنا النور فوجدناه في قيام الليل، وطلبنا جواب منكر ونكير فوجدناه في قراءة القرآن، وطلبنا الجواز على الصراط فوجدناه في الصدقة، وطلبنا الري يوم القيامة فوجدناه في صيام النهار، وطلبنا البركة في الرزق فوجدناه في صلاة الضحى، وقال ﷺ: «**إن في الجنة بابًا يقال له: باب الضحى، فإذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الذين كانوا يديمون على صلاة الضحى؟ هذا بابكم فادخلوه برحمة الله**» رواه الطبراني. وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن رسول الله ﷺ: «**من صلى الضحى اثنتي عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسي وقل هو الله أحد ثلاث مرات، نزل من كل سماء سبعون ألف ملك معهم قراطيس بيض وأقلام من نور يكتبون له الحسنات إلى يوم ينفخ في الصور، فإذا كان يوم القيامة أتته الملائكة مع كل ملك حلة وهدية فيقومون على قبره ويقولون: يا صاحب القبر قم بإذن الله تعالى فإنك من الآمنين**» وقال ﷺ: «**من صلى الضحى ركعتين لم يكتب من الغافلين، ومن صلى أربعًا كتب من العابدين، ومن صلى ستًا كفي ذلك اليوم، ومن صلى ثمانية كتب من القانتين، ومن صلى اثنتي عشر بنى الله له بيتًا في الجنة**» وعن النبي ﷺ: «**يكتب للرجل في ركعتي الضحى ألف ألف حسنة**» ورأيت في القنية للشيخ عبد القادر الكيلاني عن الحسن بن علي - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ: «**من صلى الغداة ثم جلس يذكر الله إلى أن تطلع الشمس فإذا طلعت الشمس حمد الله وقام يصلي أعطاه الله بكل ركعة ألف ألف قصر في الجنة في كل قصر ألف ألف حوراء، مع كل حوراء ألف ألف خادم، وكان عند الله من الأولين، قيل: هم الذين يصلون الضحى، وقيل: يصلون بين المغرب والعشاء**»، وسيأتي في حديث آخر باب الجمعة وسيأتي أيضًا باب النوافل بعد الفرائض في باب ذكر أشياء من فعلها حرمه الله على النار.

مسألتان:

الأولى: قال في الروضة: أفضل الضحى ثماني ركعات وأكثرها اثنتا عشرة ركعة، ونقله الرافعي عن الروياني لكن ضعفه النووي في التحقيق، وحكى في شرح المهذب عن الأكثرين أن أكثرها ثمان ووقتها من طلوع الشمس إلى الاستواء. قاله في الروضة، قال الأذرعي في القوت: وهو غريب أو سبق قلم، وقال الماوردي: وقتها المختار إلى مضي ربع النهار ويستحب قضاؤها ليلاً ونهارًا ولو بعد العصر، وكان الإمام أحمد بن محمد بن حنبل يصليها ثلثمائة ركعة أي كان يصلي الضحى ويزيد عليه تطوعًا إلى أن تكمل ثلثمائة.

الثانية: من حلف لا يأكل ضحوة أو لا يكلمه ضحوة حنث من طلوع الشمس إلى نصف النهار، والغدوة من طلوع الفجر إلى نصف النهار، والصباح من طلوع الفجر إلى ارتفاع الضحى، ولو حلف لا يتغدى حنث بالأكل من طلوع الفجر إلى الزوال أو لا يتعشى فمن الزوال إلا نصف الليل أو لا يتسحر فمن نصف الليل إلى طلوع الفجر، والله أعلم.

لطائف:

الأولى: عدد ركعات الفرض والسنة في الليلة الواحدة أربعة عشرة ركعة فريضة المغرب ثلاثة، وركعتان قبلها وركعتان بعدها وفريضة العشاء أربع وركعتان بعدها وواحدة الوتر والإشارة ذلك إلى أن القمر ليلة أربعة عشر يضيء من أول الليل إلى آخره فكذلك هؤلاء الركعات يضئن على المؤمن من دفنه إلى قيام الساعة.

الثانية: قال إمام الحرمين - رحمه الله تعالى - لو استأجر رجل دابة لحمل مائة رطل مثلاً فجاء آخر ووضع عليها زيادة فالضمان عليه، كذلك يقول الله تعالى يوم القيامة: يا محمد أنا وضعت على عبادي الفرائض وأنت وضعت النوافل فالضمان علينا وعليك فمنك الشفاعة ومني الرحمة، قاله النسفي في زهرة الرياض. قال الغلامي في قواعده: لو استأجر دابة لحمل أربعين رطلاً مثلاً فحملها خمسين فتلفت الدابة لزمه نصف قيمتها على قول: لأن التلف حصل من جائز، وغيره على الصحيح يضمن قسط القدر الزائد فيضمن في هذه الصورة خمس القيمة.

الثالثة: من صلى الفجر في منامه ينجز له في الوعد لقوله تعالى: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ [هود:٨١]، والمراد قوم لوط - عليه السلام - كما سيأتي في قصتهم في باب الأمانة إن شاء الله تعالى، أو الظهر انتصر على أعدائه أو العصر وهي الوسطى سهل الله أمره بعد عسر، أو المغرب فهو في أمر قد قارب النهاية أو العشاء فكذلك، وإن صلى في مسجد فهو يؤلف بين الناس، قال النبي ﷺ: «**من أصلح بين الناس أصلح الله أمره**»، وقال أنس عن النبي ﷺ: «**من أصلح بين اثنين أعطاه الله بكل كلمة عتق رقبة**» وسيأتي زيادة في زكاة الأعضاء، وإن صلى على ظهر الكعبة فهو على معصية، وكذا إن صلى إلى جهة الشرق أو الشمال وإن صلى إلى جهة المغرب حج ومن أدرك ركعة من الصلاة في الوقت فقد أدركها حاضرة وإلا فتكون قضاء، ومن أدرك الإمام في الصلاة قبل السلام فقد أدرك فضل الجماعة، نعم لو قال: إن أدركت الظهر مثلاً مع الإمام فأنت طالق فأدركه في الركعة الثانية لم تطلق، فانظر يا أخي إلى كرم الله حيث أعطى عبده فضل الجماعة بإدراك جزء مع الإمام ودفع عنه الطلاق مع إدراك معظمها.

مسألة: من شروط الصلاة الخشوع عند الغزالي: وهو سكون القلب والجوارح بأن لا يميل إلى شيء مذموم، وقال علي - رضي الله عنه -: يا رسول الله أنا أصلي ركعتين من غير وسوسة فقال: إن صليت أعطيك إحدى الناقتين فأحرم بهما فخطر على قلبه أى الناقتين يعطيني فأخبر النبي ﷺ بذلك وإنما خطر على قلبه ذلك حتى لا يغلب كلام الولاية على كلام النبوة.

فإن قيل: لما سئل خرج السهم من رجله ولم يعلم به ولما جاءه السائل أشار إليه بخاتمه فأين الخشوع الآخر.

فالجواب: أن حضور القلب في عمل الخضوع الذي أثنى الله على أهله في سورة هود - عليه السلام - بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ [هود:٢٣]، أي خضعوا وخشعوا له لا ينافي الخشوع وكان عمر - رضي الله عنه - يجهز جيشه وهو في الصلاة. وقال إبراهيم النخعي: كل صلاة لا وسوسة فيها لا تقبل؛ لأن اليهود والنصارى لا وسوسة في صلاتهم، وما قاله النخعي ضعيف قال علي - رضي الله عنه -: لأنهم وافقوا إبليس والمؤمن يخالفه. قال في الأذكار: لا يقصد الشيطان بيتًا خرابًا وقال الشبلي: لو نظر قلبي إلى الدنيا لاغتسلت أو إلى الآخرة توضأت.

فائدة: يستحب أن يديم نظره إلى موضع سجوده إلا عند الكعبة فينظر إليها، كما جزم الماوردي والروياني ورأيت في التتارخافية للحنفية: ينظر المصلي في قيامه إلى موضع السجود وفي ركوعه إلى موضع رجليه وفي سجوده إلى أرنبة أنفه وفي قعوده إلى محجره.

موعظة: تفكرت رابعة العدوية في سجودها هل اختمر العجين، فرأت في منامها قصرها في الجنة قد سقط شبرًا، فإنه قال في الإحياء: صلى رجل في بستان له فأعجبه ثمره فلم يدركم صلى فجعله صدقة في سبيل الله فباعه عثمان بن عفان بخمسين ألفًا، قال في العوارف: فمن أدى الصلاة بلا حضور قلب فهو مصل لاه. قال عبد الله بن عمر: صلينا مع النبي ﷺ فقال رجل: الله أكبر كبيرًا والحمد لله كثيرًا وسبحان الله بكرة وأصيلاً، فقال النبي ﷺ: **«من القائل لهذه الكلمات؟»** فقال رجل: أنا يا رسول الله فقال: **«عجبت لها تفتحت لها أبواب السماء»**.

فائدة: أكل القرنفل يقطع سلس البول والنقطة ونصف درهم منه سحوقًا مع حليب يشد القلب وجميع الأعضاء الباطنية شربًا، وأكل القرنفل يعين على هضم الطعام ويطرد الأرياح المتولدة من فضول الأغذية ويطيب النفس ويقوي المعدة ويقتل الدود ورائحته تنفع الدموع الباردة ويزيد في نور البصر ويجلو الغشاوة وينفع من السبل اكتحالاً، ولو أرادت امرأة حملاً شربت منه وزن درهم كل طهر أو عدمه بلعت كل يوم زهرة واحدة، وسحق قشور الجوز التركي ولعقه بالعسل فيه منفعة عظيمة للنقطة والله أعلم.

وأما صلاة النافلة فتجوز قاعدًا والقيام أفضل.

فائدة: قال النبي ﷺ: **«من دعا بهؤلاء الدعوات دبر كل صلاة مكتوبة حلت له الشفاعة مني يوم القيامة، اللهم أعط محمدًا الوسيلة واجعل في المصطفين محبته وفي العالمين درجته وفي المقربين داره»** رواه الطبراني، وقال أبو بكر الصديق - رضي الله عنه -: يا رسول الله علمني دعاء أدعو به في صلاتي قال: **«قل اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم»** قال النووي في الأذكار: معظم الروايات

«ظلمًا كثيرًا» بالثاء المثلثة وفي بعض روايات مسلم «كبيرًا» بالباء الموحدة وكلاهما حسن.

وقال أبو هريرة: قال النبي ﷺ: «**من قال دبر كل صلاة**: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ [الإسراء: ١١١] الآية، كان له في الأجر مثل السموات السبع والأرضين السبع وما فيهن وما تحتهن»، وقال ﷺ: «**من قال دبر كل صلاة**: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الصافات: ١٨٠]»، فقد اكتال بالجزيل الأوفى من الأجر. وقال ﷺ: «**ما من عبد صلى الفريضة واستغفر الله عشر مرات لم يقم من مقامه حتى يغفر الله له ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر وجبال تهامة**».

فوائد: الأولى: في العوارف عن النبي ﷺ: «**إذا قام العبد إلى الصلاة المكتوبة مقبلاً على الله بقلبه وسمعه وبصره انصرف من صلاته وقد خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه**».

الثانية: ليحذر كل الحذر من مسابقة الإمام في ركوع وقيام وسجود فإنه معصية قبيحة يخشى على فاعلها من أن يجعل الله رأسه رأس حمار، فإن فعله عمدًا حرم، أو سهوًا فلا، ويستحب العود وموافقة الإمام ولا تبطل الصلاة بهذه الزيادة كما تقدم في هذا الباب، ويستحب لمن رأى من يسابق الإمام أن يسجد سجدة ليشكر، فإنها مستحبة عند رؤية مجاهر بالمعصية، وأما عند رؤية مبتلى غير معذور كمقطوع سرقة فلا يسجد من رآه، وتستحب أيضًا عند قدوم غائب وشفاء مريض وحدوث ولد قال في الروضة: ويقال في سجود السهو: سبحان من لا ينام ولا يسهو.

الثالثة: ليحذر كل الحذر من الدخول في الصلاة قبل وقتها فلو ظن دخوله فصلى ثم بان بأنه صادفه أو أخبره ثقة عن علم أنه صلاها قبل الوقت وجبت الإعادة، كما أن الحاكم إذا حكم بغير علم فحكمه باطل، ومثله إذا سقى أباه أو ولده المريض دواء وهو جاهل بالطب في تلك العلة ومات لم يرث منه شيئًا.

الرابعة: ليحذر من تأخيرها عن وقتها عمدًا؛ لأنها لا تسقط بالقضاء عند ابن بنت.

الشافعي وداود الظاهري: ونظيره فطر يوم من رمضان عمدًا فلا يقضى بصوم الدهر كما سيأتي في الصوم.

مسألة: قال الرازي في تفسير آل عمران: لو وجدت المرأة جماعة نساء وجماعة رجال فالأفضل لها أن تصلي مع الرجال لقوله تعالى: ﴿وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [آل عمران: ٤٣]، ولم يقل: مع الراكعات.

لطيفة: أوحى الله إلى موسى - عليه السلام -: إني أجعل لأمتك الأرض مسجدًا وطهورًا وأجعل لهم أن يقرأوا التوراة عن ظهر قلوبهم، وأقبل صلاة الرجل وحده فأخبر موسى قومه بذلك فقالوا: لا نصلي إلا جماعة ولا نصلي إلا بوضوء ولا نصلي إلا في كنائسنا ولا نقرأ التوراة إلا نظرًا فجعل الله تعالى ذلك كله لهذه الأمة وهو قوله تعالى: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦] الآية، وسيأتي في باب فضل الأمة إن شاء الله تعالى.

باب: في فضل الجمعة ويومها وليلتها وكرمها

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الجمعة :٩] الآية، وسيأتي أن وقت التبكير إلى يوم الجمعة من الفجر قال في الروض الآنف: أول من جمع العروبة كعب بن لؤي، وقيل: هو أول من سماها الجمعة كانت قريش تجتمع في هذا اليوم فيخطبهم ويذكر لهم بعث النبي ﷺ ويعلمهم بأنه من ولده ويأمرهم بالإيمان به.

فوائد:

الأولى: عن أنس عن النبي ﷺ قال: «**إن يوم الجمعة وليلتها أربع وعشرون ساعة ليس منها ساعة إلا ولله فيها ستمائة عتيق من النار**» وعن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «**إن الله تعالى يبعث الأيام يوم القيامة على هيئتها، ويبعث الجمعة زهراء منيرة أهلها يحفون بها كالعروس تهدى إلى كريمها تضيء لهم يمشون في ضوئها، ألوانها كالثلج بياضًا وريحهم يسطع كالمسك يخوضون في جبال الكافور وينظر إليهم الثقلان يطوفون حتى يدخلوا الجنة**» قال في الزهر الفاتح: جبال الكافور بالخاء المهملة وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ: «**لا يغفر الله ليلة الجمعة لأهل الإسلام أجمعين**»، وعن الشيخ عبد القادر الكيلاني - رضي الله عنه - في الغنية: رجح جماعة من العلماء تفضيل ليلة الجمعة على القدر؛ لأنه تتكرر فثوابها أكثر. قال ابن المتقن في الحقائق: وهذه الرواية عن الإمام أحمد، وقال النبي ﷺ: «**ألا أبشركم بثلاث بشارات بشرني بهن جبريل؟**» قالوا: بشرنا قال: «**بشرني سبعين ألفًا يعتقهم الله من النار كل ليلة جمعة**».

الثانية: بشرني بتسع وتسعين نظرة ينظر الله إلى أمتي في كل ليلة جمعة من نظر الله إليه لم يعذبه، وقال علي - رضي الله عنه - كان النبي ﷺ إذا كانت ليلة الجمعة يقول: «**مرحبًا بليلة العتق والمغفرة طوبى لمن عمل فيك خيرًا وويل لمن عمل فيك شرًا، وإن الله تعالى يعتق لي كل ليلة جمعة مائة ألف عتيق من النار كلهم استوجبوا العذاب**» رواه الطبراني. وعن النبي ﷺ: «**إذا سلمت الجمعة سلمت الأيام**» وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ: «**إن الله خلق الأيام واختار منها يوم الجمعة وفضل أمتي على سائر الأمم وجعل لهم يوم الجمعة فكل عمل يعمله الإنسان يوم الجمعة يكتب له بسبعين حسنة، فإذا مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ويخرج من الدنيا مغفورًا له**» رواه الطبراني، قال جابر بن عبد الله عن رسول الله ﷺ: من مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة أجير من عذاب الله يوم القيامة وطبع عليه بطابع الشهداء.

لطيفة: قال الروياني: يتأكد استحباب الصلاة على من مات يوم الجمعة أو ليلتها وحضور دفنه ويوم عرفة وعاشوراء والعيد كذلك، حكاه ابن الملقن في العمدة، وقال عمر - رضي الله

عنه - قال النبي ﷺ : «يا عمر عليك بصلاة الجمعة فإنه تهدم الخطايا كما يهدم أحدكم التراب من داره، يا عمر ما من عبد اغتسل يوم الجمعة للصلاة إلا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه، يا عمر ما من عبد خرج من بيته لصلاة الجمعة إلا شهد له كل حجر ومدر ويستغفر له كل حجر ومدر وكل تراب يمشي عليه إلى الجمعة، يا عمر ما من رجل لبس ثيابه الطاهرة وخرج لصلاة الجمعة إلا نظر الله إليه وقضى له كل حاجة يريدها من أمر دنياه وآخرته، يا عمر إن الله تعالى ينزل ملائكته يوم الجمعة إلى دار الدنيا فيسعون في تلك البلدة حتى يؤذن المؤذن فإذا أذن المؤذن ابتدروا المسجد فيدخلون من أبواب المسجد وينظرون من دخل فيه قبل الأذان، فإذا رأوه راكعًا أو ساجدًا قالوا: اللهم اعف عنه وتقبل منه، ويقفون على أبواب المساجد يعدون من يدخل ويصافحونه ويستغفرون له وإذا وقف الخطيب على المنبر جلسوا بين الصفوف فينظرون إلى وجوه الخلق ويستغفرون لهم، فإذا دخلوا في الصلاة دخلوا معهم حتى ينالوا بركة الجمعة، فإذا سلم الإمام ودعا قالوا: في جملة الجماعة آمين فيغفر لهم ببركة الملائكة، فإذا انصرفوا طوت الملائكة صحفًا من صلاتهم وتسبيحهم واستغفارهم ثم يصعدون بها إلى السماء حتى يقفوا تحت العرش فيقولون: ربنا هذه صلاة تلك الجماعة في البلدة الفلانية فيقول الله: اذهبوا بصلاتهم إلى جبريل وقولوا له: إن الله يأمرك أن تذهب بهذه الصلاة إلى الخزانة الفلانية التي فيها كتب تلك الجماعة، فيذهب بها جبريل إلى الخزانة فيعطيها إياها فتكون في خيمة إلى يوم القيامة».

فوائد:

الأولى: عن النبي ﷺ : «إن أهل الجنة ينظرون إلى ربهم في كل جمعة على كثيب من كافور فيه نهر جار حافتاه المسك عليه حور يقرأن القرآن بأحسن أصوات يسمعها الأولون والآخرون، فإذا انصرفوا إلى منازلهم أخذ كل رجل منهم بيد من شاء منهن ثم يمرون على قناطر من لؤلؤ إلى منازلهم فلولا أن الله يهديهم إلى منازلهم لما اهتدوا إليها لما يجدون لهم في كل جمعة».

الثانية: عن أنس - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ : «من صلى يوم الجمعة أربع ركعات يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسي مرة وقل هو الله أحد خمس عشرة مرة بنى الله له في جنات عدن عشرة آلاف مدينة من الذهب، في كل مدينة عشرة آلاف بيت من الياقوت الأحمر واللؤلؤ الأبيض، في كل بيت عشرة آلاف سرير، على كل سرير قباب من الجوهر واللؤلؤ» وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ : «من صلى ركعتين ليلة الجمعة بعد الغروب يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة و ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ﴾[الزلزلة :١] ، خمس عشرة مرة هوّن الله عليه سكرات الموت، ووقاه عذاب القبر وعدلت له عبادة سبعين عامًا» ورأيت في تهذيب الأذكار عن النبي ﷺ : «من قال ليلة الجمعة عشرة مرات: يا دائم الفضل على البرية، يا باسط اليدين بالعطية، يا صاحب المواهب السنية، صل على محمد خير الورى بالسجية، واغفر لي يا ذا العلى هذه العشية كتب الله له ألف ألف حسنة».

الثالثة: عن ابن عباس - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ: «**من صلى يوم الجمعة بين الظهر والعصر ركعتين يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وآية الكرسي مرة وقال**: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١]، خمسين مرة وفي الركعة الثانية فاتحة الكتاب و ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ١]، خمسًا وعشرين مرة لم يخرج من الدنيا حتى يرى ربَّه في المنام ويرى مكانه في الجنة».

الرابعة: عن ابن عباس - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ: «**من صلى يوم الجمعة عشر ركعات قبل خروج الإمام يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب و**﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]، عشرة مرات ثم يقول على أثر ذلك: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم لم يسأل الله شيئًا إلا أعطاه» وفي الحديث: «**ما من الصلوات صلاة أفضل من صلاة الفجر يوم الجمعة في الجماعة، ولا أحسب من يشهدها إلا مغفورًا له**». رواه الطبراني في معجمه الأوسط والكبير.

الخامسة: عن علي - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ: «**من صلى الضحى يوم الجمعة ركعتين كتب الله له مائة حسنة ومحا عنه مائة سيئة، ومن صلى أربع ركعات رفع الله له أربعمائة درجة، ومن صلى ثمان ركعات رفع الله له ثمانمائة درجة في الجنة وغفر له ذنوبه كلها، ومن صلى اثنتي عشرة ركعة كتب له ألفًا ومائتي حسنة ورفع له ألفًا ومائتي درجة**» وعن ابن عباس عن النبي ﷺ: «**من قال بعد ما تقضى الجمعة: سبحان الله العظيم وبحمده مائة مرة غفر الله له مائة ألف ذنب ولوالديه أربعة وعشرين ألف ذنب**».

السادسة: عن أنس عن النبي ﷺ: «**من قرأ إذا سلم الإمام يوم الجمعة قبل أن يثني رجله فاتحة الكتاب و**﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١]، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ١]، سبعًا سبعًا غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وأعطي من الأجر بعدد من آمن بالله واليوم الآخر، وفي رواية: «**حفظ الله له دينه ودنياه وأهله وولده**».

السابعة: قال ابن مسعود - رضي الله عنه - من قال بعد قراءة ما تقدم من ذلك: اللهم إني أسألك يا غني يا حميد يا مبدئ يا معيد يا رحيم يا ودود أغنني بفضلك عمن سواك، وبحلالك عن حرامك، أغناه الله تعالى ورزقه من حيث لا يحتسب، وقال أنس - رضي الله عنه - من قال يوم الجمعة سبعين مرة: اللهم أغنني بفضلك عمن سواك، وبحلالك عن حرامك، لم يمر عليه جمعتان حتى يغنيه الله تعالى.

الثامنة: قال بعض السلف: من أطعم مسكينًا يوم الجمعة ثم غدا إلى الجامع مبكرًا وقال حين يسلم الإمام: بسم الله الرحمن الرحيم الحي القيوم أسألك أن تغفر لي وترحمني وأن تعافيني من النار، ثم دعا بما بدا له استجيب له. وعن النبي ﷺ «**من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أعطى نورًا من حيث يقرأ إلى مكة وغفر له إلى الجمعة الأخرى، وصلى عليه سبعون ألف**

ملك وعوفي من الداء وذات الجنب والبرص والجذام وفتنة الدجال»، وقال النبي ﷺ: **«من قرأ سورة الكهف فهو معصوم ثمانية أيام من كل فتنة»** وفي صحيح مسلم: **«ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة ما خلق فتنة أكبر من الدجال»**.

التاسعة: قال أبو أمامة - رضي الله عنه -: خطبنا رسول الله ﷺ: فلما ذكر الدجال قال: **«لم يكن في الأرض منذ ذكر الله ذرية آدم أعظم من فتنة الدجال»**، قال أبو سعيد الخدري - رضي الله عنه -: معه امرأة يقال لها: طيبة، لا يقدم قرية إلا سبقته إليها، وتقول: هذا الدجال فاحذروا من صفاته القبيحة، إنه من بني آدم، ولكن إبليس شارك أباه في وطء أمه فجاءت فيه مواد خبيثة إبليسية ومواد إنسية لكنها خبيثة لا تشبه طبائع بني آدم؛ فلذلك لا يهزم طول السنين، فهو موثوق بالحديد في جزيرة، وقد وكل به جني يأتيه برزقه، قيل: فعل به ذلك ذو القرنين، وقيل سليمان - عليه السلام -: وهو ضخم الجسم طوله ثمانون ذراعًا، ما بين منكبيه ثلاثون، وقيل: طول جبهته ذراعان فيها قرن مكسور الطرف يخرج منه الحيات، وشعر رأسه كأنه أغصان شجرة وليس له لحية بل شاربان، على رأسه تاج من ذهب يخرج من أصبهان وقيل: من خراسان، على حمار أبتر بين أذنيه سبعون ذراعًا وقيل: أربعون ذراعًا من حافره إلى حافره أربعة أميال، وسيأتي أن الميل أربعة آلاف خطوة وكل خطوة من خطاه ثلاثة أيام، وتطوى له الأرض حتى يسبق الشمس إذا طلعت إلى مغربها يخوض البحر بحماره إلى ركبتيه ويتناول الحساب بيديه، وإذا نزل أردن بضم الهمزة والدال ونون مشددة بالقرب من مدينة صفد دعا الجودي وجبل الطور حتى يتناطحا كما يتناطح الثوران، ثم يقول لهما: عودا إلى مكانكم وأكثر أتباعه اليهود والنساء وأولاد الزنا وفي الحديث: **«أن معه جنة ونارًا فناره جنة وجنته نار فمن ابتلى بناره فليستغث بالله ويقرأ فواتح الكهف، فتكون عليه بردًا وسلامًا»**، وقد بسطنا الكلام في صلاح الأرواح على الدجال أعاذنا الله منه، ورأيت في العمدة لابن الملقن عن النبي ﷺ: **«من قرأ السورة التي يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تغيب الشمس»** رواه الطبراني.

قال مؤلفه - رحمه الله تعالى -: عن بعض شيوخه: **«من قرأ آل عمران يوم الجمعة غربت الشمس بذنوبه»** وقال وهب: من قرأ البقرة وآل عمران يوم الجمعة كانتا له نورًا يملأ ما بين عرين وجرين، قال في الوجوه المسفرة: عرين الأرض السابعة وجرين السماء السابعة.

فوائد:

الأولى: خلق الله ملكًا تحت العرش له ألف قرن بين القرن والقرن ألف عام، على كل قرن أربعون صفًا من الملائكة في وجهه شمس وفي ظهره قمر، وعلى صدغيه كواكب، فإذا كان يوم الجمعة يسجد لله تعالى، ويقول: اللهم اغفر لمن صلى الجمعة من أمة محمد ﷺ.

الثانية: وجد موسى - عليه السلام - قومًا من أمته يعبدون ربهم في بيت المقدس، لباس

الصبر على أبدانهم، وعمائم الشكر على رؤوسهم، وعصا التوكل بأيديهم، ونعال الخشية في أرجلهم، ففرح موسى بذلك فأوحى الله إليه: يا موسى لأمة محمد ﷺ يوم ركعتان فيه خير من هذا؟ فقال: يا رب أي يوم هذا؟ قال: يوم الجمعة، السبت لك والأحد لعيسى والإثنين لإبراهيم والثلاثاء لزكريا والأربعاء ليحيى والخميس لآدم والجمعة لمحمد ﷺ.

الثالثة: رأيت في عيون المجالس لأبي طاهر الحداد - رحمه الله - تعالى عن النبي ﷺ: «**في الجنة درة مطبقة ما رآها نبي مرسل ولا ملك مقرب فإذا كان يوم الجمعة أوحى الله إليها أيتها الدرة انطقي، فتقول: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: ١]**، من أمة محمد ﷺ ثم يبعث ملكًا إلى قبري، فيقول يا محمد: إن الله يقرئك السلام ويقول: قر عينًا في أمتك فإن لي في يوم الجمعة ثلاث نظرات أعتق في كل نظرة منها ستين ألفًا».

الرابعة: جاء في الحديث: «**إذا كان يوم الجمعة يأمر الله تعالى الملائكة فيأتون البيت المعمور في السماء الرابعة أركانه ركن من ياقوت أحمر، وركن من زبرجد أخضر، وركن من ذهب أحمر، وركن من فضة بيضاء، فيصعد جبريل منارة من فضة وينادي بالأذان وهو أول من أذن، قال الإصطخري وغيره من أصحاب الشافعي: بوجوب الأذان للجمعة فقط، ثم يصعد ميكائيل على منبر من ياقوت أحمر فيخطب عليه ثم ينزل ويصلي الجمعة، ويقول جبريل: يا ملائكة ربي أشهدكم أني قد جعلت ثواب هذا الأذان لأمة محمد ﷺ فيقول الله تعالى: أتتكرمون علي وأنا معدن الكرم أشهدكم أني قد غفرت لهم أي لأمة محمد ﷺ**»، وعن النبي ﷺ: «**إذا كان ليلة الجمعة أمر الله تعالى الملائكة بفتح أبواب السماء فيشرف على عباده فيرى فيهم القائم والنائم فيقول: سأجازي القوم على قيامهم والنوام على قدر نومهم، فإذا كان آخر الليل أشرف المرة الثانية فيراهم كذلك فيقول سبحانه وتعالى، ما البخل شأني أشهدكم يا ملائكتي أني وهبت النائمين للقائمين**» وتقدم نظيره عن أبي يزيد البسطامي في قيام الليل.

الخامسة: إذا صار أهل الجنة فيها نادى بهم يوم السبت: احضروا ضيافة آدم في جنة الخلد، ثم ينادى يوم الأحد احضروا ضيافة نوح في جنة النعيم، ثم ينادى بهم في يوم الإثنين: احضروا ضيافة إبراهيم في جنة الفردوس، ثم ينادى بهم يوم الثلاثاء: احضروا ضيافة موسى في جنة المأوى، ثم ينادى بهم يوم الأربعاء: احضروا ضيافة عيسى في جنة عدن، ثم ينادى بهم يوم الخميس: احضروا ضيافة محمد ﷺ تحت شجرة طوبى، وهي شجرة عظيمة أصلها في دار النبي ﷺ لو سقط منها ورقة لأظلت الأخبار، ثمرها فيه من كل طعم ولون إلا السواد، ولها ثمر يخرج منه الحلي والحلل قال كعب الأحبار: والذي أنزل التوراة على موسى والإنجيل على عيسى والفرقان على محمد ﷺ لو رجل على ناقة ودار بأصلها ما قطعها حتى يموت هرمًا وقال النسفي: لو طار طائر من أسفلها إلى أعلاها لم يبلغه حتى يموت هرمًا، ثمرها يخرج منه لقوم خيل مسرجة ملجمة، ولقوم إبل برحالها، ولقوم حلي وحلل، ولقوم

الفاكهة، ثم ينادى بهم يوم الجمعة: احضروا ضيافة رب العالمين فيضيفهم رضاه فذلك قوله تعالى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾[التوبة:٧٢] ، وسيأتي إن شاء الله تعالى زيادة في آخر الكتاب.

السادسة: خلق الله السموات والأرض والنجوم والبحار السبعة والأيام السبعة في يوم الأحد، وهو أول الأسبوع كما قال أهل اللغة، ووافقهم النووي في شرح المهذب في صوم التطوع، وجزم الرافعي بأن أوله السبت، ووافقه في الروضة، وصوبه الأسنوي، فيستحب فيه البناء.

السابعة: خلق الله السموات والأرض ورفع إدريس وذهب موسى إلى الطور وولد النبي ﷺ ومات، وتعرض عليه أعمال أمته، ونزل دليل وحدانية الله وتفتح أبواب الجنة يوم الإثنين، فيستحب فيه الصوم والسفر، وأن يكون السفر في زيادة الهلال لا في نقصانه؛ لأن النبي ﷺ قال لتاجر أراد أن يخرج في نقصان الهلال: «**أتريد أن يمحق الله تجارتك؟ استقبل الهلال بالخروج**»، ورأيت في عجائب المخلوقات للقزويني: من مرض أول الشهر له قوة في دفع المرض أقوى من المريض آخره، والبطيخ والقثاء والخيار وغير ذلك من الزرع يكبر في أول الشهر أكثر من آخره، والغراس في أول الشهر أسرع نباتًا وحملاً من آخره، ولبن الحيوان يكثر في أول الشهر أكثر من آخره، والفواكه التي أصابها ضوء القمر في زيادة أحسن من الفاكهة التي يصيبها ضوؤه في نقصانه.

الثامنة: خلق الله الوحش والطير والبهائم وأنزل الحديد وحاضت حواء وقتل ابن آدم قابيل أخاه هابيل، قال الزهري وغيره: وولدتهما حواء مع أختيهما في الجنة، حكاه النووي في تهذيب الأسماء واللغات، وقتل يحيى بن زكريا وسحرة فرعون وامرأته آسية وبقرة بني إسرائيل وجرجيس النبي ﷺ سبعين قتلة بأمشاط الحديد وطبخ على النار، فعل ذلك به ملك فلسطين ثم أسلمت امرأته فقتلها ثم حبسه في بيت عجوز فدعا لابنها وكان أصم أبكم أعمى فعافاه الله تعالى فأسلما، فقال جرجيس: يا رب ارزقني الشهادة وعذبهم فقتلوه فأنزل الله عليهم نارًا يوم الثلاثاء فيستحب فيه الحجامة والفصادة، وقال النبي ﷺ: «**احتجموا على بركة الله يوم الخميس والإثنين والثلاثاء**» وقال ﷺ: «**الحجامة في الرأس شفاء من الجنون سبع والجذام والبرص ووجع الأضراس وظلمة العينين والصداع**» قال ﷺ: «**من احتجم يوم الثلاثاء لسبع عشر كان دواء لداء السنة**» وقد حجمه ﷺ أبو طيبة وهي على الريق أنفع وتزيد في العقل، ويستحب أن يقرأ عند الحجامة آية الكرسي. قاله النووي في شرح المهذب، وقاله في الأذكار: قال النبي ﷺ: من قرأ آية الكرسي عند الحجامة كانت منفعة حجامته، ولا يأكل بعدها لبنًا ولا شيئًا منه كالجبن بل يأكل الحلو والخل ولا يقرب النساء بعدها ولا قبلها بيوم. وفي كتاب البركة: الجبن داء والجوز داء وإذا اجتمعا صارا شفاء، ورفعه إلى النبي ﷺ. والجبن الطري يخصب البدن، ويلين الطبيعة والجبن العتيق كثير الضرر.

التاسعة: خلق الله الأنهار وأهلك جماعة من الكفار منهم عوج بن عنق وفرعون وقارون والنمروذ وقوم لوط بن قاران أخي إبراهيم، وقد أهلك زوجة لوط واسمها واعلة، قال النووي في تهذيب الأسماء واللغات، وشداد بن عاد وقوم هود وقوم صالح لما عقروا الناقة في يوم الأربعاء، وما أنزل الله بلاء إلا فيه فيستحب فيه شرب الدواء، قال القزويني: في عجائب المخلوقات أربعاء آخر الشهر نحس مستمر محمود فيه الاغتسال.

العاشرة: خلق الله الجنة والنار، زاد ابن العماد والدواب أيضًا واستدل على أن الدجاجة خلقت قبل البيضة والنخلة قبل النواة، ودخل النبي ﷺ مكة يوم الفتح واجتمع يعقوب بيوسف في مصر ودخلها إبراهيم وأعطاه ملكها جارية وهي هاجر ودخلها إخوة يوسف أولاً وثانيًا يوم الخميس فيستحب السفر أوله؛ لقول النبي ﷺ: **«اللهم بارك لأمتي في بكورها يوم الخميس»** وأما السفر في آخره فيأتي قريبًا وعنه ﷺ: **«من أراد أن يأمن شكاية العين والفقر والرجى والجنون فليقص أظافره يوم الخميس بعد العصر»**.

الحادية العشرة: خلق الله آدم وحواء وزوجها به، فقال بعد أن تزينت الجنة واجتمعت الملائكة تحت شجرة طوبى: الحمد ثنائي والعظمة إزاري والكبرياء ردائي الخلق كلهم عبيدي وإمائي، خلقت الأشياء كلها زوجين على أنهم يوحدوني، أشهدكم أني قد زوجت آدم بحواء، على أن يصدقها عشر صلوات على النبيِّ محمد ﷺ وتزوج سليمان بلقيس، قال النووي: في تهذيب الأسماء واللغات: كان تحت يدها اثنا عشر ألف ملك تحت يد كل ملك مائة ألف وتزوج يوسف بزليخا وموسى بصفوريا بنت شعيب، ومحمد ﷺ بعائشة - رضي الله عنها - وتزوج علي بفاطمة كل ذلك يوم الجمعة. ذكر ابن الملقن في الحدائق: من حضر يوم الجمعة عرس مسلم فكأنما صام يومًا في سبيل الله اليوم بسبعمائة يوم.

الثانية عشرة: ذكر الثعلبي عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ: **«خلق الله الأرض يوم السبت»** وذكر غيره أنه لم يكن فيه خلق فلذلك اتخذته اليهود يوم بطالة وزعموا - قبحهم الله - أن الله استراح يوم السبت، وعن النبي ﷺ: **«من بكر يوم السبت في طلب حاجة فأنا ضامن له بقضائها»**، وذكر الهداني في كتاب السبعيات أن النبي ﷺ سمى السبت يوم مكر وخديعة؛ لأن قريش مكرت به ﷺ فيه وكذلك قوم موسى وقوم نوح وقوم صالح وإخوة يوسف وقوم عيسى وبنو إسرائيل مكروا يوم السبت فأخذوا حبالاً وربطوا فيها الحيتان يوم السبت وأكلوها يوم الأحد، فظنوا جواز ذلك فمسخهم الله تعالى.

قال قتادة: مسخ الشيوخ خنازير والشباب قردة ونقل العملائي - رضي الله عنه - أن الله خلق السموات قبل الأرض والظلمة قبل النور والجنة قبل النار، وقدم الله ذكر الظلمة في أول سورة الأنعام؛ لأن الله تعالى خلق الخلق في الظلمة ثم ألقى عليهم من نوره فمن أصابه من ذلك النور شيء اهتدى، فالظلمة مقدمة على النور، كما قاله قتادة، وقيل: إنما جمع الظلمات

ووحد النور؛ لأن طرق الضلال كثيرة وطريق الحق واحد.

الثالثة عشرة: كان قتادة بن دعامة، - بكسر الدال المهملة - أحفظ أهل البصرة صحب أنس بن مالك، ما سمع شيئًا إلا حفظه، له اليد في التفسير وغيره مع أنه ولد أعمى، وأما قتادة بن النعمان فصحابي، قلعت عينه يوم أحد فردها النبي ﷺ، روى سبعة أحاديث ومات بالمدينة سنة ثلاث وعشرين.

الرابعة عشرة: خلق الله تعالى مدينة في الهواء حيطانها كقشور البيض لها سبعون ألف باب، فيها من الملائكة ما لا يعلم عدده إلا الله تعالى، فإن كان يوم القيامة يقولون: «**اللهم اغفر لمن اغتسل يوم الجمعة**» وقال ابن عباس - رضي الله عنهما -: إذا اغتسل الرجل وزوجته خلق الله من كل قطرة من مائهما ملك يستغفر لصاحبه إلى يوم القيامة.

الخامسة عشرة: مرّ عيسى ابن مريم - عليه السلام - بصياد قد صاد ظبية، فقالت: يا روح الله استأذن لي الصياد أرضع أولادي وأعود إليه فأخبره بذلك، فقال الصياد: إنها لا تعود، فقالت: يا رسول الله إن لم أعد فأكون ممن وجد الماء يوم الجمعة ولم يغتسل فأطلقها فأرضعتهم ثم رجعت فأخذ عيسى لبنة من ذهب ليدفعها إلى الصياد عوضًا عن الظبية فوجده قد ذبحها فدعا عليه برفع البركة، فصارت دعوته في الصيادين إلى يوم القيامة، وقال الشافعي - رضي الله عنه -: ما تركت غسل الجمعة حضرًا ولا سفرًا، وعن ابن عمر وأنس بن مالك - رضي الله عنهم - قالا: قال رسول الله ﷺ: إن تحت العرش مدينة، وقال القرطبي: في تفسير سبعين مدينة مثل الدنيا سبعين مرة مملوءة من الملائكة كلهم يقولون: اللهم اغفر لمن اغتسل يوم الجمعة وأتى الجمعة، وقال ﷺ: «**إن الغسل يوم الجمعة ليغسل الخطايا من أصول الشعر استلالاً**» رواه الطبراني في الكبير، ورواته ثقات.

وفي الكبير والأوسط: من اغتسل يوم الجمعة كفرت عنه ذنوبه وخطاياه فإذا أخذ في المشي كتب له بكل خطوة عشرون حسنة، فإذا انصرف من صلاته أجزي بعمل مائتي سنة، واعلم أنه لو اغتسل الجمعة والجنابة فتقديم نية الجنابة أولى، قال ابن العماد: ويجب غسل الجنابة على الفور في ثلاث صور: الزاني ومن خاف فوات الوقت أو كان في المسجد، والجنب وعنده ماء ولم يتمكن من الخروج ولو نوى غسل الجنابة حصل بلا خوف وفي حصول غسل الجمعة قولان: أصحهما عند البغوي يحصل، وبه قال الإمام أحمد أيضًا.

السادسة عشرة: رأيت في كتاب «**النورين في صلاح الدارين**» عن النبي ﷺ: «**من قلم أظفاره يوم الجمعة حفظ من الجمعة إلى الجمعة**» وسيأتي حديث جامع لأيام الأسبوع في تقليم الأظفار في فضل هذه الأمة في ذكر إبراهيم - عليه السلام - وعن ابن عمر - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ: «**من أخذ شاربه يوم الجمعة، ومس من طيب امرأته إن كان لها، ولبس من صالح ثيابه، ولم يتخط رقاب الناس ولم يلغ عند المواعظ كان كفارة لما بينهما، ومن تخطى رقاب الناس ولغا**

كانت له طهرًا»، وفي الحديث المشهور: «**إذا قلت لصاحبك: أنصت فقد لغوت**» أي خبت من الأجر وقيل: أخطأت، وقيل: بطلت فضيلة جمعتك.

السابعة عشرة: قال في الروضة: ويتطيب يعني يوم الجمعة بأطيب ما عنده ويستحب أن يتطيب بما خفى لونه، وظهرت رائحته، فلهذا قال النبي ﷺ: «**حبب إلى من دنياكم ثلاث: الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلاة**» فالصلاة لتعظيم قدرة الله والطيب لحق الله فحبه ﷺ الطيب لا لنفسه بل وفاء لحقوق الملائكة؛ لأنه ﷺ غنى عن الطيب. وأمر علي بن أبي طالب أن يحمل ثلث مهر ابنته فاطمة للطيب وكان مهرها أربعمائة درهم وثمانين درهمًا. تقدم في باب الإخلاص أن النبي ﷺ كان يستعمل المسك كثيرًا. وقال النبي ﷺ: «**أطيب الطيب المسك**»، فيتطيب به الرجل يوم الجمعة؛ لأنه تظهر رائحته ويخفى لونه ولا يختص الطيب والتزين بيوم الجمعة بل في كل جمع من مجامع المسلمين غير الاستسقاء لكن الجمعة آكد وغلسها آكد الاغتسال المسنونة وقال النبي ﷺ: «**ليس من أعياد أمتي عيد أفضل من يوم الجمعة**».

الثامنة عشرة: أفضل الثياب يوم الجمعة البيض؛ لقوله ﷺ: «البسوا من ثيابكم البيض فإنها أطيب وأطهر وكفنوا فيها موتاكم» رواه الترمذي. قال في الإحياء: لبس السواد ليس من السنة بل كره جماعة النظر إليه، قال في شرح المذهب: يجوز لبس الثوب الأبيض والأحمر والأصفر والأخضر وغير ذلك من الألوان ولا كراهة في شيء منه، وقال في الروضة: ويستحب للقاضي إذا دخل البلد أن يدخلها يوم الإثنين فإن تعذر فالخميس وإلا فالسبت، وتكون عمامته سوداء وأول من أحدث السواد بنو العباس في خلافتهم؛ لأن العباس كانت رايته يوم فتح مكة سوداء وراية الأنصار صفراء حكاه في شرح المهذب.

التاسعة عشرة: تستحب العمامة يوم الجمعة؛ لقول النبي ﷺ: «**إن الله وملائكته يصلون على أصحاب العمائم يوم الجمعة**» وفي حديث آخر رأيته في الذريعة لابن العماد بخطه: «**صلاة بعمامة أفضل من خمس وعشرين بغير عمامة**» وجمعة بعمامة أفضل من سبعين بغير عمامة، ورأيت في سيرة ابن هشام قال علي - رضي الله عنه -: العمائم تيجان العرب وكانت عمائم الملائكة يوم بدر بيضاء ويوم حنين حمراء، وبدر مكان معروف بين مكة والمدينة، فيه بئر حفره رجل اسمه بدر فنسب إليه، وحنين واد بالطائف.

العشرون: قال النبي ﷺ: «**من لبس ثوبًا جديدًا فقال: الحمد لله الذي كساني ما أواري به عورتي، وأتجمل به في حياتي ثم عمد إلى الثوب الذي خلق فتصدق به كان في كنف الله تعالى، وفي حفظ الله، وفي ستر الله حيًا وميتًا**» رواه الترمذي، وقال الإمام مالك - رضي الله عنه -:

حسن ثيابك ما استطعت فإنها ... زين الرجال بها تعز وتكرم
ودع التخشن في الثياب تواضعًا ... فالله يعلم ما تكن وتكتم

فرثاث ثوبك لا يزيدك رفعة عند الإله وأنت عبد مجرم
وجديد ثوبك لا يضرك بعد أن تطع الإله وتتقي ما يجرم

الحادية والعشرون: لبس الكتان يقوي البدن ويصلح الأمزجة الحارة ويأكل العفونة من البدن والقطن حار رطب لبسه أنفع شيء لمن مزاجه بارد، وعصارة ورقه ينفع من إسهال الأطفال، وشجر القطن معروف لكنه في بلاد الهند يكبر حتى يكون كشجرة المشمش ويبقى في الأرض عشرين سنة.

الثانية والعشرون: قال القرطبي في تفسير سورة الجمعة عن ابن سيرين: كانوا يكرهون النوم والإمام يخطب ويقولون فيه قولاً شديدًا، وعن النبي ﷺ: «**إذا نعس أحدكم فليتحول إلى مقعد صاحبه وليتحول صاحبه إلى مقعده ويحرم عليه أن يقيم أخاه مجلسه ويجلس مكانه بغير رضاه**».

الثالثة والعشرون: قال كعب الأحبار - رضي الله عنه -: كان داود - عليه السلام - يصوم يومًا ويفطر يومًا فإذا وافق صومه يوم الجمعة أعظم فيه من الصدقة، ويقول: إن صيامه يعدل صيام خمسين ألف سنة كطول يوم القيامة، نعم إفراده بصوم مكروه وتخصيص ليلته بقيام مكروه، وقول داود - عليه السلام -: كطول يوم القيامة هذا في حق الكافر أما في حق المؤمن فيكون كالصلاة المكتوبة.

الرابعة والعشرون: نقل ابن العماد عن بعضهم عن الأكثرين: إن ساعة الإجابة عند غروب الشمس، وقال ﷺ: «**فالتمسوها آخر ساعة بعد العصر**» رواه أبو داود والنسائي بإسناد صحيح حكاه في شرح المهذب، لكنه قال في الروضة: الصواب أن ساعة الإجابة ما ثبت في صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال: «**هي ما بين أن يجلس الخطيب على المنبر إلى أن تقضى الصلاة**»، وكان المتعبدون يستحبون قراءة: قل هو الله أحد يوم الجمعة ألف مرة، يقال: قراءتها في عشر ركعات أو عشرين أفضل من ختمة، وفي فضائل الأعمال للبيهقي عن النبي ﷺ: «**من قرأ قل هو الله أحد ألف مرة لم يمت حتى يرى مكانه في الجنة أو يرى له**».

الخامسة والعشرون: قال النبي ﷺ: «**من صلى عليّ يوم الجمعة ثمانين مرة غفر الله له ذنوب ثمانين سنة، قيل: يا رسول الله كيف الصلاة عليك؟ قال: «تقولون: اللهم صلِّ على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الأمي وتعقد واحدة فإن قلت: اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد صلاة تكون لك رضاء ولحقه أداء وأعطه الوسيلة والمقام المحمود الذي وعدته، واجزه عنا أفضل ما جازيت نبيًا على أمته وصل على جميع إخوانه من النبيين والصالحين يا أرحم الراحمين، تقول هذه سبع مرات**» وقد قيل: من قالها سبع جمع في كل جمعة سبع مرات وجبت له شفاعته ﷺ. ذكره في الإحياء وعن ابن أبي أوفى عن النبي ﷺ: «**من أراد أن يموت في السماء الرابعة فليقل كل يوم ثلاث مرات: اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الأمي وعلى آل محمد**». وعن

النبي ﷺ: «**من قرأ سورة يس ليلة الجمعة غفر له ومن قرأ حم الدخان يوم الجمعة أو ليلتها بنى الله له بيتًا في الجنة**».

مسائل:

الأولى: لو قال لزوجته: أنت طالق في أفضل أيام الأسبوع طلقت يوم الجمعة أو في أفضل أيام الدنيا طلقت يوم عرفة، إن صادف يوم الجمعة حكاه الغزالي - رحمه الله تعالى - في الإحياء عن بعض السلف أو في أفضل ساعة في اليوم طلقت بأوله؛ لأن أفضل ساعاته من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، أو في أفضل الساعات يوم الجمعة فيحتمل أن تطلق بأوله لما تقدم ويحتمل أن تطلق في ساعة الإجابة فلا يتحقق وقوع الطلاق إلا بغروب الشمس، وكانت فاطمة - رضي الله عنها - ترسل من يخبرها بغروب الشمس وترى أن ذلك وقت إجابة، وبه قال كعب الأحبار واستشكله أبو هريرة؛ لقوله ﷺ: «**لا يوافقها عبد يصلي إلا استجيب له**».

الثانية: يحرم السفر على من لزمته الجمعة بعد الفجر إلا أن تمكنه وقال: الجمعة في طريقه أو يتضرر أو يستوحش بتخلفه عن الرفقة بل قال إبراهيم النخعي - رحمه الله تعالى -: لا يجوز السفر بعد دخول وقت العشاء. وقال المحب الطبري عن بعضهم: يكره السفر ليلة الجمعة، ووقت التبكير من الفجر لما في الصحيحين: «**من اغتسل غسل الجمعة ثم راح في الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة - وهي ذكر أو أنثى من الإبل - ومن راح في الثانية فكأنما قرب بقرة**» قال في شرح المهذب: وتقع على الذكر والأنثى وسميت بقرة؛ لأنها تبقر الأرض أي تشقها، «**ومن راح في الثالثة فكأنما قرب كبشًا أقرن**» وصفه بذلك؛ لأنه أحسن وأكمل في الصورة، «**ومن راح في الرابعة فكأنما قرب دجاجة**» بفتح الدال وكسرها، ويقع على الذكر والأنثى، «**ومن راح في الخامسة فكأنما قرب بيضة**» وفي رواية النسائي: ست ساعات، في الأول بدنة والثانية بقرة والثالثة كبش والرابعة بطة والخامسة دجاجة والسادسة بيضة.

الثالثة: غسل الجمعة سنة لمن حضرها لقول، النبي ﷺ: «**من جاء منكم الجمعة فليغتسل**» أي إذا أراد المجيء نظيره ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ [النحل :٩٨] أي إذا أردت القراءة وفي حديث آخر: «**من شهد الجمعة من الرجال والنساء فليغتسل**» بخلاف غسل العيد فإنه مستحب لكل أحد، والفرق: أن الجمعة لا تصح من المنفرد إلا في مسألة واحدة وهي إذا أحدث الإمام في الركعة الثانية ولم يستخلف فأتم كل واحد صلاته صحت جمعتهم، فإذا لم تجب عليه لا يستحب له الغسل، وأيضًا غسل الجمعة سنة للصلاة لا اليوم على الأظهر فهو لإزالة الرائحة الكريهة، لئلا يتأذى به الحاضرون فاختص بمن يحضرها، وغسل العيد للزينة، وغسل الجمعة وقته من الفجر وغسل العيد من نصف الليل.

الرابعة: قال في شرح المهذب عن صاحب الحاوي: إذا جلس على المنبر الإمام حرم على من في المسجد أن يبتدئ صلاة نافلة، فإن دخل في آخر الخطبة وخاف إن اشتغل بالتحية فاتته

تكبيرة الإحرام انتظر قائمًا ولا يجلس بلا تحية، وإن أمكنه مع التحية إدراك تكبيرة الإحرام صلاها، ويستحب للإمام أن يزيد في الخطبة قدرًا يمكنه الصلاة؛ لقول النبي ﷺ: **«والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه»**.

الخامسة: لو حلف بالطلاق أنه لا يصلي خلف زيد فتولى زيد إمامة الجماعة فهل تسقط عنه الجمعة بهذه اليمين فلو نشزت زوجته فاشتغل بردها إلى الطاعة، فإن الجمعة تسقط عنه، قال بذلك ابن العماد في **«كتاب اللمعة في فضل الجمعة»**: إن أمكنته المخالفة فعل وإلا فيرفع أمره للحاكم ويسأله أن يلزمه بصلاة الجمعة ليتخلص من الحنث، ثم قال: ويحتمل تحريمه على الخلاف فيما حلف أن يطأ زوجته في هذه الليلة فحاضت فإنه لا يلزمه شيء والجامع بين المسألتين: أن إيجاب الجمعة منزل منزلة الإكراه الشرعي أي فيصلي الجمعة ولا حنث كما أن تحريم الوطء في الحيض منزل منزلة الإكراه الشرعي، أي فلا يطأ ولا يحنث وصورة المسألة: إذا يمكنه الجمعة في بلد قريب من بلده.

السادسة: يستحب أن يقرأ في الركعة الأولى من صبح الجمعة **«الم السجدة»** وفي الثانية ﴿هَلْ أَتَىٰ﴾ [الإنسان: ١]، والحكمة في ذلك لما في السورتين من مبدأ خلق الإنسان وذكر القيامة فإن آدم خلق يوم الجمعة وفيه تقوم الساعة ولو قرأ في الأولى غير السجدة قرأهما معًا في الثانية، وكراهة تطويل قراءة الثانية على الأولى لا يقاوم فضيلة السورتين كما لو ترك **«الجمعة»** في الركعة الأولى من صلاة الجمعة فإنه يقرأها مع **«المنافقون»** في الثانية، ويسن أيضًا أن يقرأ: **«سبح اسم ربك الأعلى»** و**«الغاشية»** في صلاة الجمعة على الصواب، وذكر في الإحياء أن النبي ﷺ: كان يقرأ في صلاة المغرب من ليلة الجمعة أيضًا: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [الكافرون: ١]، و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١].

السابعة: قال النبي ﷺ: **«من سمع النداء يوم الجمعة فلم يأتها ثم سمعها فلم يأتها طبع الله على قلبه وجعل قلبه قلب منافق»**، ولو سمع واحد من قرية لا جمعة عليهم النداء من بلد تلزمهم الجمعة وجب على جميع أهل القرية السعي إلى صلاة الجمعة فلو لازم أهل الخيام موضعًا فسمع واحد منهم لزمته الجمعة ولو سمع النداء من بلدين فالأولى أكثرهم جماعة وعن النبي ﷺ: **«إن الله فرض عليكم الجمعة في يومكم هذا في شهركم هذا في سنتكم هذه فمن تركها استخفافًا بها، ألا فلا صلاة له ألا فلا صوم له ألا فلا زكاة له ألا فلا حج له ألا فلا جمع الله شمله ولا بارك في عمره فمن تاب تاب الله عليه»**، وعنه ﷺ: **«من ترك الجمعة ثلاثًا من غير عذر فقد نبذ الإسلام وراء ظهره»**، وقال الماوردي: يستحب لمن ترك الجمعة أن يتصدق بدينار أو بنصفه إذا كان غير معذور.

الثامنة: اختلفوا في وقت فريضة الجمعة، فقال النووي في سورة الأعراف: فرضت بالمدينة وفي شرح المهذب عن أبي حامد: أنها فرضت بمكة.

التاسعة: قال البغوي والقاضي حسين: لا يصح إحرام من لا جمعة عليه كالعبد والمرأة والغريب، إلا بعد إحرام أربعين من أهل الكمال وهم الأحرار الذكور البالغون المكلفون المستوطنون، وعند أبي حنيفة تصح بدون الأربعين؛ لأن الصحابة انفضوا والنبي ﷺ على المنبر، لما جاء دحية بالتجارة إلا اثني عشر رجلاً وهم العشرة وجابر بن عبد الله وعمار بن ياسر فقال النبي ﷺ: «**والذي نفسي بيده لو خرجوا جميعًا لأضرم الله عليهم الوادي نارًا**» وتصح الجمعة من العبد والمسافر والمرأة ولا تنعقد بهم وتلزم السكران المعتدي والمرتد ولا تصح بهم ولا تنعقد بهم ولا بدّ من القضاء والإعادة؛ لأن السكران ينتقض وضوؤه وأما المرتد فلا ينتقض وضوؤه بالردة كما تقدم في أن الصلاة تصح من المريض ولا تلزمه وتنعقد به، وجمعة تجب على قاتل أو قاذف يرجو العفو وتجب على الزاني وكل عذر أسقط الجماعة أسقط الجمعة. والله أعلم

باب: فضل الزكاة

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ﴾ [التوبة: ٦٠]، وسيأتي الفرق بين الفقير والمسكين في باب الصدقة، وأما فضل الفريقين فأذكر يسيرًا منه، قال النبي ﷺ: «**اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء، واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء**» ورواه البخاري ومسلم في رواية الإمام أحمد بإسناد جيد، «**فرأيت أكثر أهلها الأغنياء**»، وقال ﷺ: «**التقى مؤمنان على باب الجنة مؤمن غني ومؤمن فقير كان في الدنيا فأدخل الفقير الجنة وحبس الغني ما شاء الله أن يحبس ثم أدخل الجنة فلقي الفقير، فقال: يا أخي ماذا حبسك؟ والله لقد خشيت حتى خفت عليك فقال: يا أخي إني حبست بعدك حبسًا فظيعًا كريهًا ما وصلت إليك حتى سال مني العرق ما لو ورده ألف بعير لصدرت عنه**» رواه الإمام أحمد بإسناد جيد قوي، وسيأتي على هذا زيادة في مناقب النبي ﷺ. وقال النبي ﷺ: «**اللهم أحيني مسكينًا وأمتني مسكينًا واحشرني في زمرة المساكين يوم القيامة**» قالت عائشة: ولِمَ يا رسول الله؟ قال: «**لأنهم يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بأربعين خريفًا، يا عائشة لا تردي مسكينًا ولو بشق تمرة، يا عائشة أحبي المساكين وقربيهم فإن الله يقربك يوم القيامة**» رواه الترمذي. قال القرطبي: المراد بالمساكين: أهل التواضع.

موعظة: قال النبي ﷺ: «**ويل للأغنياء من الفقراء يقولون: ربنا ظلمونا حقوقنا التي فرضت لنا فيقول: وعزتي وجلالي لأدنينكم ولأبعدنهم**».

مسألة: لو امتنع مستحق الزكاة من أخذها أثم بخلاف ما لو امتنع المنذور له من قبول النذر فإنه لا يأثم، والفرق: أن الناذر هو الذي ألزم نفسه بذلك بخلاف رب المال فإن الشارع ﷺ أوجب عليه الزكاة، وفي الامتناع من أخذها تعطيل أحد أركان الإسلام، ونظيره يجوز الفطر لمن سافر في رمضان، ولا يجوز الفطر في صيام نذره. قال النووي في الفتاوى: ولا يجوز

دفع الزكاة لمن بلغ تاركًا للصلاة؛ لأنه سفيه لا يصح قبضه بل يقبضها له وليه، هذا إذا استمر تاركًا للصلاة إلى حين دفع الزكاة فإن بلغ مصليًّا ثم تركها بعد ذلك ولم يحجر عليه جاز دفعها إليه وصح قبضه.

فائدتان:

الأولى: قال بعض المفسرين في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾ [التوبة: ٣٤-٣٥]، إنما خص هذه الأعضاء بذكرها دون غيرها؛ لأن السائل إذا جاء إلى رب المال تغير وجهه فيسأل ثانيًا فينحرف بجنبه فيسأل ثالثًا فيوليه ظهره، قال الإمام فخر الدين الرازي: ظاهر الآية أنهم يكوون بجميع المال لا بقدر الزكاة فقط لتعلقها بجميع المال.

الثانية: أفرد الله في قوله تعالى: ﴿وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٤]، لأن الفضة أكثر من الذهب كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا﴾ [الجمعة: ١١]، لأن التجارة أكثر من اللهو وقوله تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [البقرة: ٤٥]؛ لأن الصلاة أكثر من الصوم على تفسير مجاهد الصبر بالصوم، وقيل: أفرده؛ لأن كلًّا منهما داخل في الآخر.

حكاية: كان في زمن ابن عباس - رضي الله عنهما - رجل كثير المال فلما مات حفروا قبره فوجدوا فيه ثعبانًا عظيمًا، فأخبروا ابن عباس بذلك فقال: احفروا غيره فحفروا فوجدوا الثعبان فيه حتى حفروا سبع قبور فسأل ابن عباس أهله عن حاله فقالوا: إنه كان يمنع الزكاة فأمرهم بدفنه معه.

قال مؤلفه: حكى من أثق به حول الكعبة أن رجلاً أودع رجلاً مائتي دينار ثم مات فجاء ولده وطلب الوديعة فدفعها إليه فادعى الولد الزيادة على ذلك فترافعا إلى الحاكم فقال: احفروا قبر الميت فوجدوا فيه مائتي كية بالنار، فقال الحاكم: إن الكيات على قدر الوديعة، ولو كانت أكثر لكانت الكيات على قدرها؛ لأنه كان يمنع الزكاة، وهذا يؤيد ما تقدم عن الرازي عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ: «**إذا أراد الله بعبده خيرًا بعث إليه ملكًا من خزان الجنة فيمسح ظهره فتسخو نفسه بالزكاة**».

حكاية: كان في زمن النبي ﷺ رجل يقال له: ثعلبة فشكا فقره إلى النبي ﷺ فجمع له مالاً ودعا له بالبركة فكثر ماله، فطلب منه النبي ﷺ الزكاة فقال: إن الجزية تؤخذ من اليهود والنصارى لا من قريش، فطلب منه ثانيًا، وقال ﷺ: «**إما الزكاة وإما السيف**» فأرسل إليه غنمًا ضعافًا فنزل جبريل وقال: يا محمد إن الله تعالى قد نزع لباس الإيمان من قلبه وألبسه لباس الكفر، فذلك قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ﴾ [التوبة: ٧٥]، الآية

حكاه الرازي عن غير ثعلبة، ثم إنه جاء بالصدقة فلم يقلبها النبي ﷺ منه.

فإن قيل: كيف جاز للنبي ﷺ أن لا يقبلها وقد أمره تعالى بأخذها قال: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً﴾ [التوبة:١٠٣].

قال الرازي: لا يبعد أن الله تعالى منعه من قبولها؛ لئلا يمتنع غيره من أدائها ويحتمل أنه أتى بها على وجه الرياء.

موعظة: قال النبي ﷺ: «**ما من رجل لا يؤدي زكاة ماله إلا جاءه يوم القيامة شجاع من نار فتكوى بها جبهته وجنبه وظهره في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة**» وذكر في الحديث الإبل والبقر والغنم إذا لم يؤد زكاتها تنطحه بقرونها وتطأه بأظلافها كلما مر أولاها رد عليه أخراها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، وقال ﷺ: «**ما تلف مال في بر ولا بحر إلا بحبس الزكاة**»، وقال - عليه السلام -: «**الزكاة قنطرة الإسلام**» رواه الطبراني.

لطيفة: الكافر يحرم دمه وماله بأخذ الجزية منه، كذلك المؤمن يحرم لحمه ودمه على النار في الآخرة إذا أخرج الزكاة بطيب نفس.

فصل: في زكاة الأعضاء وهي كفها عن المحرمات

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]، قال الغزالي: ضرر الكلام الذي يقع في الأذن أشد من ضرر الطعام الذي في البطن، فإن الإنسان يتغوطه والكلام قد يبقى جميع العمر والمستمع شريك المتكلم. وفي الحديث: «**من سمع حديث قوم وهو يكرهون، صب في أذنيه الآنك**» وهو بالمد الرصاص المذاب، وقال ﷺ: «**كل عين باكية يوم القيامة إلا عين غضت عن محارم الله، وعين سهرت في سبيل الله، وعين خرج منها مثل رأس الذباب من خشية الله، وعين بكت من خشية الله، وعين كفت عن محارم الله**» وقال النبي ﷺ: «**ما من صباح إلا وملكان يناديان ويل للرجال من النساء وويل للنساء من الرجال**».

حكاية: قال بعض الصالحين: رأيت رجلاً في الطواف وهو يقول: اللهم إني أعوذ بك من سهم غائر، فسألته عن ذلك، فقال: كنت طائفًا فنظرت بعيني الواحدة إلى غلام حسن الوجه فأصابني سهم من الهواء فأخرجته من عيني فرأيت عليه متكوبًا: نظرت إلى الحرام بعينك الواحدة للعبرة فرميناك بسهم الأدب، ولو نظرت بعين الشهوة لرميناك بسهم القطيعة على قلبك حتى تنكر معرفتنا. والغائر: هو الذي لا يعلم راميه.

مسألة: يحرم النظر إلى الأمرد الحسن بشهوة وغيرها ويحرم على الرجل أن ينظر إلى أمه أو أخته أو عمته مثلاً بشهوة حتى إلى جاريته قبل الاستبراء وهو حيضة كاملة أو شهر إن لم تحض إلا أن تكون مسبية فيحل نظره إليها لا وطؤها حتى تستبرئ، والله أعلم.

لطيفة: يوسف - عليه السلام - لما حفظ عينيه سلم من البلاء، وزليخا مدت عينيها فوقعت

في البلاء، وآدم نظر إلى الشجرة فهبط من الجنة، وقابيل لما نظر إلى أخت هابيل وقع في العذاب وإبراهيم لما نظر إلى ولده إسماعيل أمر بذبحه؛ فلذلك قيل لمحمد ﷺ: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ﴾ [الحجر:٨٨].

لطيفة: دخل رجل الجامع وفيه الإمامان الشافعي وأحمد فقال الشافعي: أتفرس في هذا الرجل أنه نجار، فقال الإمام أحمد: أتفرس فيه أنه حداد وكان الرجل يصلي فلما فرغ دعاه الشافعي فسأله عن حرفته فقال: كنت في العام الماضي نجارًا وأنا في هذا العام حدادٌ. قال مؤلفه: فراسة الشافعي أبلغ لخفاء حرفة النجار وبعد المسافة، بخلاف الحداد فإن صنعته تظهر غالبًا.

حكاية: قال في الإحياء: كان أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - يضع في فمه حجرًا يمنع نفسه عن الكلام يشير إلى لسانه ويقول: هذا الذي أوردني الموارد، قال ابن مسعود: والله الذي لا إله إلا هو ما من شيء أحوج إلى طول السجن من اللسان. وقال غيره: من خطر اللسان جعل الله عليه ما بين الأسنان والشفتين، وقال ﷺ: «**أكثر خطايا ابن آدم في لسانه ومن كف لسانه ستر الله عورته**»، وقال ﷺ: «**رحم الله من قال خيرًا فغنم أو سكت فسلم**» وقال ﷺ: «**من كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه ومن كثرت ذنوبه كانت النار أولى به**» وقال عيسى - عليه السلام -: العبادة عشرة أجزاء تسعة منها في الصمت وجزء في الفرار من الناس، وقيل للقمان: اذبح هذه الشاة وأطعمنا أطيب ما فيها فجاء بقلبها ولسانها ثم قيل له: اذبح شاة وأطعمنا أخبث ما فيها فجاء بقلبها ولسانها فسئل عن ذلك، فقال: ليس في الجسد مضغتان أخبث منهما إذا خبثا ولا أطيب منهما إذا طابا.

مسألة: إذا حلف لا يأكل لحمًا فأكل لسانه حنث أو قلبًا أو كرشًا أو كبدًا أو طحالاً أو عينًا أو أمعاء أو دمًا أو سمكًا أو ميتة فلا. ولو حلف لا يأكل حرامًا فأكل ميتة مضطرًا حنث.

قال العلامة في قواعده عن فتاوى القاضي حسين: قال في المنهاج: والإلية والسنام ليسا لحمًا ولا شحمًا أي فلا يحنث من حلف أن لا يأكل لحمًا أو شحمًا فأكلها.

فوائد:

قال إمامنا الشافعي - رضي الله عنه -: من أراد أن ينور الله قلبه فليترك الكلام فيما لا يعنيه، وقال أيضًا - ثلاثة تزيد في العقل: مجالسة العلماء ومجالسة الصالحين، وترك الكلام فيما لا يعنيه، وقال معروف الكرخي: الكلام فيما لا يعنيه خذلان من الله. وقال مالك بن دينار: وإذا رأيت قسوة في قلبك وحرمانًا في رزقك فاعلم أنك قد تكلمت فيما لا يعنيك، وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ: «**أكثر الناس ذنوبًا أكثرهم كلامًا فيما لا يعنيهم**».

ورأيت في فردوس العارفين: التقوى ألف جزء أيسرها ترك ما لا يعنيه. ورأيت في حادي

القلوب الطاهرة أن سليمان - عليه السلام - بعث بعض عفاريته وبعث نفرًا ينظرون ما يقول العفريت ويخبرونه، قال: فأخبره أنه مر على السوق فرفع رأسه إلى السماء وهزَّ رأسه فسأله سليمان عن ذلك فقال: عجبت من الملائكة على رءوس الناس ما أسرع ما يكتبون، وعجبت من الذين أسفل منهم ما أسرع ما يملون، أي عجبت من الناس فإنهم لا يتركون الكلام والملائكة يكتبون كلامهم.

حكاية: دخل لقمان على داود - عليه السلام - وهو يصنع الدروع فجعل يتعجب من ذلك وأراد أن يسأله فمنعته حكمته من الكلام فيما لا يعنيه، فلما فرغ داود قال: نعم الدرع أنت للحرب، فقال لقمان: الصمت حكمة وقليل فاعله، وقال سليمان - عليه السلام -: إن كان الكلام من فضة يكون السكوت من ذهب. ولقد أحسن القائل حيث قال:

وكم ساكت نال المنى بسكوته وكم ناطق يجني عليه لسانه

فوائد:

الأولى: يستحب في الصلاة الجهرية للإمام خمس سكتات لطيفة الأولى عقب تكبيرة الإحرام، وقال أبو هريرة: يا رسول الله إسكاتك بين التكبير والقراءة ما تقول؟ قال: «**أقول: اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب اللهم نقني من الذنوب والخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، اللهم اغسل خطاياي بالماء والثلج والبرد**»، والثانية عقب دعاء الافتتاح، والثالثة عقب الضالين. والرابعة عقب آمين. والخامسة عقب السورة قبل الركوع.

الثانية: قال الشافعي: لا ينسب إلى ساكت قول إلا في مسائل منها: البكر إذا زوجها وليها المجبر واستأذنها فيكفي سكوتها ولو بغير كفء، ولا يكفي سكوتها لغير الأب بدون مهر المثل والقول قولها في البكارة والثيوبة ولو خلقت بلا بكارة أو زالت بلا وطء فحكمها حكم الأبكار، ولو اشترى جارية بشرط الثيوبة فخرجت بكرًا فلا خيار له، أو تزوجها بشرط الثيوبة فكانت بكرًا فكذلك وشرط البكارة فخرجت ثيبًا فله الخيار على الفور ولا يحتاج إلى حاكم، فإن قالت: زالت البكارة عندك فأنكره فالقول قولها بيمينها، فإن حلفت لم ينفسخ النكاح، وإن قالت: كنت بكرًا فافتضني فأنكر الزوج فالقول قولها في البكارة لدفع الفسخ، وقوله بيمينه لدفع كمال المهر ولا ينفسخ النكاح بل إن طلقها قبل الدخول لزمه نصف مهرها، ومنها لو حلف لا يدخل الدار فحمل وأدخل إليها وهو ساكت قادر على الدفع لم يحنث على الأصح.

لطيفة: القطا طير معروف يقول في صياحه: من سكت سلم وأكل لحمه ينفع من الاستسقاء وضعف الكبد لكنه عسر الهضم ويورث السوداء، وإذا طبخ بالخل ودهن بالسيرج زال ضرره، وإذا أحرقت عظامه ودقت ثم جعلت في زبد لأصحابه ودهن به الأقرع رأسه نبت شعره -

بإذن الله تعالى - قال ابن مسعود - رضي الله عنه -: يا رسول الله أي الأعمال أفضل؟ قال: «**الصلاة على ميقاتها، قلت: ثم ماذا يا رسول الله، قال: أن يسلم الناس من لسانك**» وقال النبي ﷺ لأصحابه: «**أي الأعمال أحب إلى الله؟**» فسكتوا قال: «**هو حفظ اللسان**»، وقال ﷺ: «**كل كلام ابن آدم عليه لا له إلا أمرًا بمعروف أو نهيًا عن منكر أو ذكر الله تعالى**».

مسألة: قال: إن سكت عن طلاقك فأنت طالق ولم يطلقها في حال وقع طلقة وإن طلقها ثم سكت وقع طلقة أخرى وانحلت اليمين، قاله في الروضة.

حكاية: قال أنس بن مالك - رضي الله عنه -: قتل شاب من المسلمين يوم أحد فقالت أمه: هنيئًا له الجنة، فقال النبي ﷺ: «**لعله كان لم يتكلم فيما لا يعنيه**»، وقال عيسى - عليه السلام - من كثر كذبه ذهب جماله ومن ذهب جماله ساء خلقه ومن ساء خلقه عذب نفسه، وقال - رضي الله عنه -: أعظم الخطايا عند الله اللسان الكذوب. وقال النبي ﷺ: «**إذا كذب العبد تباعد الملك عنه ميلاً من نتن ما جاء به**» قال في الروضة: الميل أربعة آلاف خطوة والخطوة ثلاثة أقدام، وقال ابن الرفعة: أربعة آلاف خطوة بخطوة البعير المحمل وقال في شرح المهذب: الميل ستة آلاف ذراع والذراع أربعة وعشرون أصبعًا معترضة معتدلة والمراد بالذراع: ذراع الآدمي وهو شبران. وقال ﷺ: «**كل الكذب يكتب على ابن آدم إلا رجل كذب بين رجلين يصلح بينهما**»، وقال النبي ﷺ: «**من أصلح بين الناس أصلح الله أمره وأعطاه بكل كلمة تكلم بها عتق رقبة ورجع مغفورًا له ما تقدم من ذنبه**» وقال النبي ﷺ: «**يا أيوب ألا أدلك على صدقة يحبها الله ورسوله؟ قال: بلى، قال: تصلح بين الناس إذا تباغضوا وتفاسدوا**» قال ﷺ: «**الكذب ينقص الرزق**». وقال النبي ﷺ في مبايعته لأصحابه: «**ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم**» قال البرماوي في شرح البخاري: البهتان هو الكذب، وإنما قال: بين أيديكم وأرجلكم؛ لأنه نشأ من القلب وهو في الجنب الأيسر فهو بين اليدين والرجلين.

فائدة: قال في الرسالة القشيرية: الصدق عماد الدين وبه تمامه وفيه نظامه وهو ثاني درجة النبوة، وقال النبي ﷺ: «**عليكم بالصدق فإنه مع البر وهما في الجنة وإياكم والكذب فإنه مع الفجور وهما في النار**» وفي حديث آخر: «**عليكم بالصدق فإنه يهدي إلى البر، والبر يهدي إلى الجنة**» ورأيت في بستان العارفين للنووي عن ذي النون المصري: الصدق سيف فما وضع على شيء إلا قطعه، وقال النبي ﷺ: «**والذي نفسي بيده لا يكذب رجل على مثل جناح بعوضة إلا كانت كية في قلبه يوم القيامة**» وسيأتي حكم اليمين الغموس وكفارتها في النبوة. وقال النبي ﷺ: «**إذا رأى أحدكم رؤيا يحبها فإنما هي من الله فليحمد الله عليها أو ليحدث بما رأى، وإذا رأى غير ذلك مما يكره فإنما هي من الشيطان فليستعذ بالله من شرها ولا يذكرها لأحد فإنها لا تضره**» وقال الترمذي: حديث صحيح وفي مسلم: «**فليستعذ بالله من الشيطان ثلاثًا وليتحول عن جنبه الذي كان عليه**»، وقال ﷺ: «**أصدقكم رؤيا أصدقكم حديثًا**» حكاه القرطبي.

لطيفة: قال الذهبي في الطب النبوي: أكل الأرز يورث أحلامًا حسنة وعكسه الفول ومن جعل في فراشه الرجلة وهي البقلة لم ير في منامه ما يكره، وقال النبي ﷺ في حقها: «**بارك الله فيك انبتي حيث شئت**».

حكاية: كان لسليمان - عليهما لسلام - ستون امرأة وقيل: أكثر فطاف عليهن في ليلة واحدة لتأتي كل امرأة بولد فولد له ولد برجل واحدة ويد واحدة وعين واحدة فشق ذلك عليه، فقال له وزيره آصف: نجتمع أنا وأنت وأم الولد يصدق كل واحد منا في شيء، فقال: أما أنا فقد ملكت المشرق والمغرب ومع ذلك أحب الهدية، وقال آصف: وأنا أقول: لا أريد الوزارة وقلبي يحبها، وقالت المرأة: لو كنت يا سليمان مع سواد لحيتك فقيرًا لكان أحب إلي من بياضها مع الملك، ثم دعوا فرد الله الصبي كاملًا ببركته، قال النبي ﷺ: «**من أطاع الله فقد ذكر الله وإن قلت صلاته وصيامه وتلاوة القرآن**» رواه الطبراني.

لطيفة: قال الرازي في تفسيره: لا تكون المعصية إلا من الأعضاء السبعة وهي الأذنان والعينان واللسان واليدان والبطن والفرج والرجلان، وأبواب جهنم سبعة ولا إله إلا الله محمد رسول الله سبع كلمات كل كلمة تكفر معصية عضو وتسد بابًا من أبواب جهنم بفضل الله، وقيل للقاضي أبي الطيب: قد كبر سنك ولم تتغير أعضاؤك، فقال: حفظتها في صغري فحفظها الله في كبري.

حكاية: قال الشيخ عبد القادر الكيلاني - رضي الله عنه -: بنيت أمري على الصدق وذلك أني خرجت من مكة إلى بغداد أطلب العلم فأعطتني أمي أربعين دينارًا وعاهدتني على الصدق فلما وصلنا أرض همدان خرج علينا عرب فأخذوا القافلة فمر واحد منهم، وقال: ما معك؟ قلت: أربعون دينارًا فظن أني أهزأ به فتركني فرآني رجل آخر فقال: ما معك؟ فأخبرته فأخذني إلى كبيرهم فسألني فأخبرته، فقال: ما حملك على الصدق؟ قلت: عاهدتني أمي على الصدق فأخاف أن أخون عهدها فصاح ومزق ثيابه وقال: أنت تخاف عهد أمك وأنا لا أخاف أن أخون عهد الله ثم أمر برد ما أخذوه من القافلة، وقال: أنا تائب لله على يديك، فقال من معه: أنت كبيرنا في قطع الطريق وأنت اليوم كبيرنا في التوبة فتابوا جميعًا ببركة الصدق.



باب: في ذم الكبر

قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾ [القصص :٨٣] ، أي تكبرًا. وقال النبي ﷺ: «**لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر**» أي لا يدخل الكبر مع صاحبه الجنة بل يخرج منه في عرصات القيامة بما يحصل للعبد من الأهوال والتوبيخ في ذلك اليوم إذا أوثرت جهنم بالمتكبرين والمتجبرين والمتكبر: هو المتعاظم بما ليس فيه، والمتجبر: الذي لا يتوصل إليه وأوثرت الجنة بالضعفاء وهم من يتبرأ من حوله وقوته ويتمسك بحول الله وقوته، ودخل رجل على النبي ﷺ فارتعد الرجل من هيبته ﷺ فقال له: «**هون عليك فإنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد**» قال الماوردي في أدب الدنيا والدين: أراد النبي ﷺ بذلك حسم مواد التكبر وقطع ذراع الإعجاب. وقال النبي ﷺ: «**إن العجب يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب**».

لطيفة: رأيت في كتاب شرف المصطفى: أن النبي ﷺ أمر أصحابه في سفر بذبح شاة فقال رجل: عليَّ ذبحها»، وقال آخر: عليَّ سلخها وقال آخر: عليَّ طبخها، فقال النبي ﷺ: «**وعليَّ أنا أجمع لكم الحطب**».

موعظة: ارتفع سليمان – عليه السلام – يومًا بجنده في الهواء حتى سمع تسبيح الملائكة ثم نزل حتى أصاب بقدميه البحر فسمع صوتًا يقول: لو في قلب صاحبكم مثقال ذرة من الكبر لخسف به، وركب يومًا على سرير ملكه مع جنده في الهواء فأعجبه نفسه فأراد السرير أن ينقلب به فقال سليمان: استقم قال: حتى تستقيم أنت، وكان سريره من ذهب وحرير نسجه الجن فرسخًا في فرسخ وعليه ثلاثة آلاف كرسي من ذهب وفضة فجلس الأنبياء معه على كرسي الذهب والعلماء على كراسي الفضة.

حكاية: قال الشيخ القدوة عبد الرحمن الطفسونجي – رضي الله عنه – ويتكلم على الكرسي: أنا بين الأولياء كالكركي بين الطيور وأطولهم عنقًا فوثب إليه رجل، وقال: دعني أصارعك فنظر إليه الشيخ نظرة ثم أطرق برأسه ثم قال: نظرت إليه فوجدت تحت كل شعرة في جسده قنطارًا من عناية الله، قال الهمداني في كتاب السبعيات: خلق الله الآدمي مائة ألف شعرة وأربعًا وعشرين ألف شعرة ثم قال الشيخ للرجل: من أين أنت؟ قال: من بغداد من أصحاب الشيخ عبد القادر الكيلاني، فقال الشيخ عبد الرحمن: ما أسمع بذكر الشيخ عبد القادر الكيلاني إلا في الأرض، وقد مكثت أربعين سنة على باب القدرة ما رأيت الشيخ عبد القادر لا داخلًا ولا خارجًا، وكان الشيخ عبد القادر في تلك الساعة يتكلم مع أصحابه، فقال: يا فلان يا فلان اذهبا إلى طفسونج وقولا للشيخ عبد الرحمن: عبد القادر يسلم عليك، ويقول لك: أتيت على الباب وهو في الحضرة ومن على الباب لا يرى من في الحضرة والعلامة على ذلك خروج خلعة لك جديدة بيضاء طرازها قل هو الله أحد خرجت لك على يدي بشهادة اثنى

عشر ألف ولي فلما ذهبا وجدا أصحاب الشيخ عبد الرحمن في الطريق فردهما فلما دخلوا على الشيخ عبد الرحمن قالا: إن الشيخ عبد القادر الكيلاني يسلم عليك ويقول كذا فقال: صدق الشيخ عبد القادر -رضي الله عنهما-.

حكاية: قال بعض الصالحين: رأيت رجلاً في الطواف ومعه خدم يمنعون الناس من الطواف لأجله ثم رأيته بعد ذلك على جسر بغداد يسأل الناس فسألته عن ذلك فقال: تكبرت في موضع تتواضع الناس فيه فأهانني في موضع يتكبر الناس فيه، وقال موسى أيضًا: يا رب احبس عني ألسنة الناس، فقال: هذا شيء ما اصطفيته لنفسي فكيف أصطفيه لك. وفي صحيح مسلم: «**وما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًا وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله تعالى**». وقال ﷺ: «**من تواضع لله درجة يرفعه الله درجة حتى يجعله في أعلى عليين ومن تكبر على الله درجة يضعه الله درجة حتى يجعله في أسفل سافلين**».

حكاية: قال أنس - رضي الله عنه -: لما ركب نوح السفينة تعلق بها إبليس فقال له نوح: من أنت؟ قال: إبليس، قال: ما الذي تريد؟ قال: اطلب لي من ربك التوبة فأوحى الله إليه توبته أن يأتي قبر آدم فيسجد له فأخبره بذلك فقال: أنا ما سجدت له حيًّا فكيف أسجد له ميتًا؟.

عجيبة: ذكر النسفي - رحمه الله تعالى - أن إبليس لعنه الله يمكث في جهنم مائة ألف عام ثم يخرجه الله منها ويخرج آدم من الجنة ثم يقول: يا إبليس هذا آدم أدخلتك النار بسببه فاسجد له فيقول: عصيته أولاً فلا أطيعه آخرًا، قال ابن عيينة: إذا كانت معصية العبد من الشهوة ترجى منه التوبة كآدم وإن كانت من الكبر فلا كإبليس.

لطيفة: نظر يوسف في المرآة فأعجبته نفسه وقال: لو كنت مملوكًا لساويت مالاً عظيمًا فباعه إخوته وكانوا أحد عشر باثنين وعشرين درهمًا لكل درهمان، إلا يهوذا فإنه لم يأخذ شيئًا.

فائدة: قال ابن عباس - رضي الله عنه - كان النبي ﷺ إذا نظر في المرآة يقول: «**الحمد لله رب العالمين الذي أحسن خلقي وسوى خلقي وجعلني بشرًا سويًا ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم**» قال ابن عباس: ما تركتها منذ سمعتها منه ﷺ وكان يقول: لا يمس وجه من قالها سوء أبدًا، وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «**لا ينظر في المرآة بالليل فإنه يورث حول العينين**».

حكاية: دخل إبليس على فرعون فقال: أنت تدعي الربوبية؟ قال: نعم، قال: بأي حجة قال: بألف ساحر، فقال: اجمعهم لي فجمعهم فألقوا سحرهم فتنفس إبليس فصار سحرهم هباء منثورًا، وتنفس ثانيًا فظهر سحره أكثر من سحرهم فقال: يا فرعون سحرهم أقوى أم سحري؟ فقال: بل سحرك، فقال: يا فرعون أنا مع هذا لا يرضاني الله تعالى أن أكون عبده فكيف يرضاك مع عجزك أن تكون شريكه؟.

حكاية: قالت آسية - رضي الله عنها - لفرعون: أريد منك اللعب من غلب يخرج عريانًا

إلى باب القصر فأجابها إلى ذلك فكانت هي الغالبة فقالت: أوف بالعهد واخرج عريانًا فقال: اصفحي عني ولك خزانة لؤلؤ فقالت: إن كنت إلهًا فأوف بالشروط فإن الوفاء بالعهد من شروط الألوهية فتجرد من ثيابه فلما رأته الجواري كفرن به لقبح صورته وآمن بالله، وكانت آسية قبل ذلك تعرض عليهن الإسلام فلا يطعنها.

مسألة: لو حلف لا تخرج إلى العرس فخرجت له ولم تصل إليه لم يحنث؛ لأن الغاية لم توجد، بخلاف قوله: إن خرجت للعرس فخرجت فإنه يحنث وإن لم تصل إليه.

موعظة: لما خلق الله العرش على ثلثمائة وستين قائمة كل قائمة قدر الدنيا، بين القائمة والقائمة خمسمائة عام وله ألف ألف وستمائة ألف رأس وفي كل رأس مثلها وفي كل فم مثلها ألسنة وعلق فيها مائة ألف قنديل كل قنديل يسع الدنيا، قال: لم يخلق الله خلقًا أعظم مني واهتز تعاظمًا فطوقه الله بحية رأسها من لؤلؤ بيضاء وعيناها ياقوتة حمراء وأسنانها من زمردة خضراء وبدنها من ذهب أحمر، طولها سبعمائة ألف عام، لها سبعون ألف جناح في كل جناح سبعون ألف ريشة، في كل ريشة سبعون ألف وجه، في كل وجه سبعون ألف لسان يخرج من أفواهها من التسبيح بعدد قطر المطر وورق الشجر وعدد أيام الدنيا فلما رآها العرش قال: يا رب لم خلقت هذه؟ قال: حتى تنسى عظمتك وتنظر إلى عظمتي. ولما خلق الله تعالى الشمس خلقها على قدر الدنيا بمائة وستين مرة وهي في السماء الرابعة أيام الصيف وفي السماء السابعة أيام الشتاء عند عرش الرحمن، قال ابن عمر - رضي الله عنهما - حكاه القرطبي في سورة نوح: ولها محراب تحت العرش وهي مخلوقة من نوره فتسجد تحته وتسبح الله حتى تصبح فإذا أصبحت استعفت من الطلوع؛ لأنهم يعبدونها من دون الله فيقال لها: اخرجي فليس عليك من ذلك شيء فتطلع ووجهها إلى فوق وهي على عجلة من نور لها ثلثمائة وستون عروة كل عروة بيد ملك يجذبونها، فإذا أراد الله أن يخوف عباده وقعت عن العجلة في بحر الفلك فيكسف بعضها أو كلها فتنادي: يا عظيم العظماء الغوث فتعيدها الملائكة على العجلة بإذن الله فيسيرون بها في يوم واحد من المشرق إلى المغرب. وسأل النبي ﷺ جبريل «**هل زالت الشمس؟**» قال: لا نعم فسأله عن ذلك فقال: بين قولي لا ونعم سارت الشمس خمسمائة فرسخ، ووكل بها سبعون ألف ملك يضربونها بالثلج عند طلوعها ولولا ذلك لحرقت الأرض ومن عليها فتكبرت فقهرها بالسحاب يستر ضوءها فعرفت عجزها ثم خلق القمر على قدر الدنيا بمائة وعشرين مرة، قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: وجهه يضيء لأهل الدنيا وظهره يضيء لأهل السماء حكاه القرطبي في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ [نوح: ١٦]، ثم ذكر في سورة يس أنه في غلاف من ماء فكل ليلة يظهر منه شيء حتى يتكامل بدره، ثم يعود في الغلاف قليلاً قليلاً حتى يعود كالعرجون القديم، وهو جريد النخل، فيقطع الفلك في ثمان وعشرين ليلة ثم يختفي ثم يطلع هلال وهو مخلوق من نور الكرسي وهو في سماء الدنيا. وقال

القزويني في عجائب المخلوقات: الإكثار من النوم والجلوس في ضوء القمر يضعف البدن ويهيج الزكام والصداع وقدره أربعمائة وأربعة وأربعون ميلاً، وزاد غيره أن القمر يؤنس الخلان وينحل الأبدان ويبلي الكتان له فوائد تقدم بعضها في باب الجمعة، قال القزويني: وجميع فوائد القمر من فوائد الشمس وهو يستمد النور من نورها فتكبر فابتلاه الله بالنقصان فعرف عجزه. ولما خلق الله الجنة قالت: أنا الطيبة فأدخل فيها آدم فخالف أمره نسيانًا فعرفت عجزها ثم خلق آدم فنظر إلى نفسه لما سجدت له الملائكة فابتلاه الله بأكله من شجرة الحنطة، ولما خلق الله الأرض تكبرت فقهرها بالجبال الراسية، أعظمها جبل قاف خلقه الله من زمردة خضراء. قال النووي: الزمردة بالزاي المعجمة: طوله خمسمائة عام وخضرة السماء منه وخلق خلفه سبعين أرضًا من المسك ثم سبعين أرضًا من الكافور ثم سبعين أرضًا من العنبر ثم سبعين أرضًا من المسك ثم سبعين أرضًا من الذهب ثم سبعين أرضًا من الحديد، وأحاط هذه الأرضين بحية رأسها عند ذنبها فتبارك الملك القادر على ما يريد ويختار، فتكبرت الجبال فقهرها بالحديد يقطع صخورها فتكبر الحديد فقهره بالنار فتكبرت النار فقهرها بالماء فتكبر الماء فقهره بالسحاب يفرقه يمينًا وشمالاً، فتكبر السحاب فقهره بالريح يسير به شرقًا وغربًا، فتكبر الريح فقهره بالآدمي يبني له البيوت تمنعه من الرياح فتكبر الآدمي فقهره بالنوم فتكبر النوم فقهره بالمرض فتكبر المرض فقهره بالموت، فتكبر الموت فقهره بالذبح يوم القيامة بين الجنة والنار يذبحه يحيى - عليه السلام - وقيل: جبريل.

لطيفة: رؤيا العرش والكرسي في المنام دليل على حسن العمل، ومن رأى الشمس قد طلعت مضيئة إن كان حاكمًا نال قوة وإلا نال رزقًا حلالاً، وإن كانت امرأة رأت من زوجها خيرًا ومن تبعها في منامه حتى غابت قرب أجله، قال رجل لابن سيرين: رأيت كأني أخذت من الشمس أربعة أرغفة، قال: تموت بعد أربعة أيام، والمريض والمسافر إذا رأيا الشمس قد طلعت من مغربها فهو دليل على السلامة وغيرها بضده ومن رأى القمر على الأرض ماتت أمه أو في بيته قدم له غائب، ورؤياه للمريض مكروه ومن رأى كوكبًا سقط من مكان حدث فيه مصيبة وإن اجتمعت فيه فخير ومن أخذ كوكبًا رزق ولدًا صالحًا، قال الغزالي: وأصغر كوكب في السماء على قدر الدنيا ثمان مرات. قال في العرائس: بعضها معلق كالقناديل في المسجد وبعضها مركب كتركيب الفص على الخاتم. وقال القرطبي في سورة الحجر: الكوكب إذا أحرق الشيطان عاد إلى مكانه، ثم قال الأكثرون: إن الرمي بالنجوم كان قبل بعثة النبي ﷺ وقال الزجاج: كان بعده ثم قال القرطبي: ولا يبعد أن يقال: انقضاض الكواكب كان قبل النبي ﷺ ثم صارت رجومًا للشياطين بعده، قال في شرح المهذب: يقال عند انقضاض الكواكب: ما شاء الله لا قوة إلا بالله.

فائدة: خلق الله الكرسي بعد العرش بألفي عام من لؤلؤة بيضاء وجعل بين حملة العرش

والكرسي سبعين حجابًا من ظلمة وسبعين حجابًا من نور، غلظ كل حجاب خمسمائة عام، ولولا ذلك لاحترق حملة الكرسي من نور حملة العرش والأرض والسموات والكرسي كحلقة بأرض فلاة وهو وهنَّ في العرش كحلقة بأرض فلاة وذكر في العرش يكسى كل يوم سبعين ألف لون من النور وفي غيره أن حملة العرش أربعة، أقدامهم تحت الأرض السابعة، ولكل واحد أربعة أوجه.

لطيفة: حصل لموسى - عليه السلام - مرض شديد فشكا إلى الله تعالى فأوحى الله إلى جبريل: خذ قميص العافية وألبسه لموسى ففعل فما مرض بعدها إلا مرض الموت، فلما مات قال جبريل: يا رب وما أصنع بقميص العافية؟ فقال: شيء آخرجناه من خزائن كرمنا لا نعود فيه فقال: يا رب وما أصنع به؟ فقال: ألبسه للشمس ففعل، ولا جرم أن الأمراض تثور بالليل، فإذا طلعت الشمس توجد الراحة وترى الدواب تستقبل الشمس بوجوهها والأزهار تدور معها كيف دارت، وعنه ﷺ قال: «**يا علي استدبر الشمس ولا تستقبلها فإن استقبالها داء واستدبارها شفاء**»، ورأيت في بستان العارفين للنووي عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -: عليكم بالشمس فإنها حمام العرب، قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ﴾ [طه :١١٨]، أي لا يصيبك يا آدم في الجنة عطش ولا حر شمس.

حكاية: قال ملك من الملائكة يا رب ائذن لي أن أطير حتى أرى جميع عرشك قال: إنك لا تقدر على ذلك قال: فأعني عليه فأذن له فطار عشرين ألف عام ثم نظر فإذا العرش كما هو، فقال: يا رب قوني فزاده الله أجنحة كل جناح كما بين المشرق والمغرب فطار سبعين ألف عام ثم قال: يا رب كم قطعت من عرشك؟ قال: نصف ساعة فقال: سبحان ربي الأعلى فقال الله تعالى: أنا العظيم فوق كل عظيم ارجع إلى مقامك فرجع وقد احترقت أجنحته من الهيبة، فلما كانت ليلة المعراج قال: يا محمد اشفع لي عند ربك فشفع له فرد الله أجنحته عليه.

فائدة: قال جابر بن عبد الله: قال النبي ﷺ: «**ما أنعم الله على عبده نعمة فقال: الحمد لله، إلا أدى شكرها فإن قالها ثانيًا جدد الله ثوابها فإن قالها ثالثًا غفر الله له ذنوبه**» وقال ﷺ: «**ما أنعم الله على عبد نعمة فحمد الله عليها إلا كان ذلك أفضل من تلك النعمة وإن عظمت**» وقال النبي ﷺ: «**إذا أنعم الله على عبد نعمة فأراد بقاءها فليكثر من لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم**» رواه الطبراني.



باب: في ذم الغيبة والنميمة

قال الله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [الهمزة:١] ، قال ابن عباس -رضي الله عنهما -: هما المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الأحبة وقيل: الهمزة الغيبة في الوجه واللمزة: الغيبة في القفا، وقال أيضًا في قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [التوبة:٥٨] ، أي يغتابك، وقيل: يعيب عليك لأعدائك، وقيل: الهمزة تكون بالعين واللمزة تكون باللسان، ومثل الهمزة هماز وهو الوليد بن المغيرة واللماز هو أبي بن خلف. وقال مقاتل: الأول كان كثير الحلف مهينًا ضعيفًا حقيرًا أثيمًا فاجرًا ثم عتل سيء الخلق بعد ذلك أي مع هذه الصفات زنيم أي ليس من القوم، وقيل: أبو جهل قال لأمه: هذه الصفات كلها إلا في قوله زنيم هل أنا من أبي؟ قالت: لا بل مكنت عبدًا مني فأنت منه فصار الزنيم هو ولد الزنا، وقال ابن عباس - رضي الله عنهما - وغيره في قوله تعالى: ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ﴾ [المسد:٤] ، أنها كانت تمشي بالنميمة، وقيل: كانت تطرح الشوك ليلًا على طريق محمد ﷺ فيكون تحت أقدامه كالحرير.

فائدة: قال النبي ﷺ: «**من أخرج من طريق المسلمين شيئًا يؤذيهم كتب الله له ألف حسنة، ومن كتب الله له عنده حسنة أدخله الجنة**» وعن النبي ﷺ: «**من أرشد إلى طريق أو إلى منزل من يسأل كتب الله له ألف ألف حسنة وحط عنه ألف ألف خطيئة ورفع له ألف ألف درجة**».

موعظة: قال يحيى بن أكثم بالثاء المثلثة - رضي الله عنه -: النمام شر من الساحر فإنه يعمل في يوم ما لا يعمله الساحر في شهر وعدها في الروضة من الكبائر، والغيبة من الصغائر، وقال ﷺ: «**لا يدخل الجنة نمام**» وأوحى الله تعالى إلى موسى - عليه السلام -: من مات تائبًا من الغيبة فهو آخر من يدخل الجنة ومن مات مصرًّا عليها فهو أول من يدخل النار، وقال النبي ﷺ: «**من كف لسانه عن أعراض الناس أقال الله عثرته يوم القيامة**» قال أبو عمر: إن الغيبة فاكهة الفقراء وضيافة الفساق وبساتين الملوك ومراتع النساء ومزابل الأتقياء وإدام كلاب الناس. وقيل: كلاب أهل النار، وقال النبي ﷺ: «**مررت ليلة أسري بي على قوم يخمشون وجوههم بأظافرهم وهي من نحاس فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يغتابون الناس ويقعون في أعراضهم**».

مسألة: ضابط الغيبة: أن تذكر أخاك بما يكره وإن كان فيه، ولو بقلبك نعم غيبة الذمي محرم أيضًا، وقال النبي ﷺ: «**أيما رجل أشاع على رجل كلمة وهو منها برئ ليشينه في الدنيا كان حقًّا على الله أن يرميه بها في النار يوم القيامة**» قال الرازي في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [النساء:١١٢] ، قيل: الخطيئة: الصغيرة والإثم: الكبيرة، وقيل: الخطيئة: الذنب الذي يختص به الإنسان، والإثم: الذنب المتعدي كالظلم والقتل وقيل: الخطيئة: كل ما لا ينبغي فعله سواء كان عمدًا أو سهوًا والإثم: ما حصل بالعمد فقد احتمل بهتانًا أي ذمًّا في الدنيا وإثما مبينًا أي عذابًا في الآخرة لصاحب هذا الفعل مذموم في الدنيا ومعاقب في الآخرة، ولا فرق في تحريم الغيبة بين أن تكون لفظًا أو خطًّا أو

إشارة وضابط كل ما أفهمت به غيرك نقصًا في مسلم فهو غيبة وكما أن الغيبة تحرم يحرم استماعها أيضًا ويجب إنكارها إن لم يخف ضرر، وإلا فيفارق ذلك المجلس، وإن لم يقدر على المفارقة اشتغل بذكر أو غيره فلا يضره بعد ذلك السماع من غير استماع. وقال النبي ﷺ: **«من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة»**، وقال ﷺ: **«من حمى عن عرض أخيه في الدنيا بعث الله ملكًا يحميه عن النار يوم القيامة»**، وقال ﷺ: **«من اغتيب عنده أخوه فاستطاع نصرته فنصره نصره الله في الدنيا والآخرة، ومن لم ينصره أذله الله في الدنيا والآخرة»**.

واعلم أن الغيبة تباح في ست مسائل:

الأولى: التظلم كأن يقول من هو قادر على إنصافه: ظلمني فلان بكذا.

الثانية: الاستعانة على تغيير المنكر فيقول لمن يرجو قدرته على إزالته: فلان يعمل كذا، ويكون قصده إزالة المنكر وإلا حرم.

الثالثة: الاستفتاء فيقول المفتي: ما تقول في رجل أو شخص من غير تعيين؟ وإن كان ذلك جائزًا يفعل كذا فهل له ذلك؟.

الرابعة: التحذير بأن يراه يأخذ العلم من مبتدع أو فاسق فيخبر الطالب بحال المعلم على قصد النصيحة أو يراه يخطب امرأة فاسقة فيبين له ما يعلمه من حالها إن لم يندفع إلا بذلك.

الخامسة: أن يكون مجاهرًا بفسقه كتارك الصلاة فتحل غيبته. ورأيت في المهذب عن النبي ﷺ: **«اذكر الفاسق بما فيه يحذره الناس»**.

السادسة: التعريف كفلان الأعرج.

لطيفة: سواد بلال - رضي الله عنه - يجعله الله شامات في وجوه الحور العين يوم القيامة، وفي الحديث خير السود ثلاثة بلال ولقمان، ومهجع عبد عمر - رضي الله عنه - وهو أول قتيل في الإسلام.

حكاية: مر داود الطائي - رحمه الله تعالى -: يومًا بموضع فوقع مغشيًا عليه فحمل إلى منزله فلما أفاق سئل عن ذلك فقال: ذكرت أني اغتبت رجلًا في هذا الموضع فذكرت مطالبته لي بين يدي الله تعالى.

حكاية: قيل للحسن البصري - رضي الله عنه -: إن فلانًا اغتابك فأرسل إليه طبقًا فيه رطب قال: بلغني أنك أهديت إلي من حسناتك فأحببت أن أكافئك، وقال حاتم الأصم: المغتاب والنمام قرد أهل النار والكذاب كلب أهل النار والحاسد خنزير أهل النار.

حكاية: رأى عيسى - عليه السلام - إبليس في إحدى يديه عسل وفي الأخرى رماد فسأله عن ذلك فقال: العسل أجعله في شفاه المغتابين والرماد أجعله في وجوه الأيتام حتى يرمدوا فيستقذرهم الناس فلا يفعلوا بهم خيرًا.

باب: في الإحسان لليتيم

قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ [الضحى:٩-١٠]، وقال تعالى: ﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ [الماعون:٢-٣]، أي يقهره ويزجره ويدفعه عن حقه، والدع: الدفع قاله الثعلبي، وقال النبي ﷺ: «**والذي بعثني بالحق نبيًا لا يعذب الله يوم القيامة من رحم اليتيم وألان له الكلام ورحم يتمه وضعفه**» قال ﷺ: «**إن أحب البيوت إلى الله بيت فيه يتيم يكرم**»، وقال النبي ﷺ: «**خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه**»، وعن أبي الدرداء - رضي الله عنه - شكا قسوة قلبه إلى النبي ﷺ فقال له: ارحم اليتيم وامسح رأسه وأطعمه من طعامك يلن قلبك وتدرك حاجتك. وعنه ﷺ: «**من مسح رأس يتيم لم يمسحه إلا لله كان له بكل شعرة مرت عليها يده عشر حسنات ومن أحسن إلى يتيمة أو يتيم عنده كنت أنا وهو كهاتين في الجنة**» وفرق بين السبابة والوسطى.

حكاية: كان رجل كثير المعاصي فوجد يتيمًا فكساه ثوبًا فلما كان تلك الليلة رأى في منامه كأن القيامة قد قامت وقد أمر به إلى النار، فلما قرب منها إذا باليتيم يقول: خلوا عنه فإنه كساني ثوبًا، فقالوا: لم نؤمر بهذا، فخر النداء من قبل الله تعالى: خلوا عنه كرامة لليتيم.

مسألة: قال في الروضة: لو نذر أن يكسو يتيمًا لم يكف يتيم ذمي واليتيم صغير لا أب له، واليتيم من الدواب: من لا أم له، ويحرم التفريق بين البهيمة وولدها بغير ذبح قبل أن يستغنى عن لبنها وبين الآدمي وأمه قبل أن يميز بغير عتق ووصية والجد عند فقد الأم كالأم، وكذا الأب في الأصح، ويجوز بيعه مع أمه لا مع أبيه وإن رضيت الأم والله أعلم.

وعن النبي ﷺ قال: «**إذا بكى اليتيم اهتز عرش الرحمن، فيقول: يا ملائكتي من الذي أبكى هذا اليتيم الذي غيبت أباه في التراب؟ فيقول الملائكة: ربنا أنت أعلم، فيقول الله تعالى: يا ملائكتي اشهدوا أن من أسكته وأرضاه أرضيه يوم القيامة**» وعنه ﷺ قال: «**إياكم وبكاء اليتيم فإنه يسري بالليل والناس نيام**» وقال السدي - رضي الله عنه - في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ [النساء:١٠]، تخرج النار من جميع منافذ بدنهم يوم القيامة وسيأتي أن للآدمي اثنى عشر منفذًا في باب الأمانة وعن النبي ﷺ قال: «**يبعث يوم القيامة قومًا من قبورهم تتأجج النار من أفواههم**» فقيل: يا رسول الله من هم؟ فقرأ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا﴾ [النساء:١٠].

لطيفة: قال بعضهم: كتبت ستين مصحفًا فكل لفظة يقع عليها الذباب إلا قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ﴾ [الأنعام:١٥٢]، وقال النبي ﷺ: «**إن للجنة بابًا لا يدخله إلا من عفا عمن ظلمه**».

حكاية: ذكر النسفي - رحمه الله تعالى - أن يوسف - عليه السلام - لما ألقى في الجب

ذكر الله بأسمائه الحسنى فسمعه جبريل، فقال: يا رب أسمع صوتًا، فقال عز وجل: ألستم قلتم أتجعل فيها من يفسد فيها؟ وكذلك إذا اجتمع المؤمنون للذكر تقول الملائكة: ربنا ائذن لنا أن نكون معهم، فيقول: يا ملائكتي من استعاب أحدًا أخذ من حسناته وقد فعلتم ذلك فاجعلوا طاعتكم لأمة محمد ﷺ. قال مؤلفه: ولعل هذا من خصائص هذه الأمة لشرف نبيها؛ لأن قول الملائكة كان عامًا.

حكاية: كان عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يطوف بالمدينة ليلة فنظر من خلال الباب فإذا بشيخ يشرب خمرًا فصعد إلى جدار البيت ونزل منه، فقال: يا أمير المؤمنين: أنا عصيت الله في واحدة وأنت في ثلاث قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ [الحجرات:١٢]، وأنت تجسست علينا، وقال تعالى: ﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ [البقرة:١٨٩]، وأنت صعدت من الجدار ونزلت منه وقال تعالى: ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [النور:٢٧]، وأنت لم تفعل ذلك فعفا عنه، وخرج وهو يقول: ويل لعمر إن لم يغفر الله له وكان الرجل يختفي من جاره والآن يقول: رآني عمر.

فائدة: قال النبي ﷺ: «**لا يرى مؤمن من أخيه عورة فيسترها عليه إلا أدخله الله بها الجنة ومن ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة**»، وقال ﷺ: «**من ستر عورة أخيه المسلم ستر الله عورته يوم القيامة ومن كشف عورة أخيه المؤمن كشف الله عورته حتى يفتضح بها في بيته**».

مسألة: قال العلماء - رضي الله عنهم - يجب على من حمل إليه نميمة أن لا يصدقه؛ لأنه فاسق وخبره غير مقبول إلا في عشر مسائل:

إذا كان إمامًا وقال لمن خلفه: أتموا فأنا مسافر وإذا غابت المعتدة ثم قالت: انقضت عدتي بالأشهر أو وضع الحمل إلا إذا علق طلاقها به فلا بد من البينة على الوضع أو أنها استحلت أو ذبح هذه البهيمة أو بإسلام كافر فيصلي عليه أو بالتوقان وجب على الابن إعفافه وأن ما يأخذ من النفقة لا يكفيه أو كان خنثى وأخبر بميل طبعه إلى الرجال والنساء أو أخبر الولد المتشبه بميل طبعه إلى أحد الواطئين أو أقر على نفسه بالزنا أو قصاص أو مال حكاه ابن العماد في القول التام في موقف المأموم والإمام وزاد الأسنوي في التمهيد.

حكاية: قال رجل لعمر بن عبد العزيز كلامًا فقال: إن كنت كاذبًا فأنت من أهل هذه الآية: ﴿إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ﴾ [الحجرات:٦]، وإن كنت صادقًا فأنت من أهل هذه الآية: ﴿هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾ [القلم:١١]، فقال الرجل: أتوب إلى الله يا أمير المؤمنين، ورأى موسى - عليه السلام - رجلًا في ظل العرش فسأل ربه عنه فقال: كان لا يحسد الناس ولا يعق والديه ولا يمشي بالنميمة.

موعظة: قال النبي ﷺ: «**إياكم والحسد فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب**» وقال ﷺ: «**لا يزال الناس بخير ما لم يتحاسدوا**».

ورأيت في حادي القلوب الطاهرة: أن الحاسد لا ينال في المجالس إلا مذمة ولا ينال من الملائكة إلا لعنة ولا ينال من الخلائق إلا جزعًا ولا ينال عند النزع إلا شدة ولا ينال في القيامة إلا فضيحة.

فائدة: قال النبي ﷺ: «**من قال إذا أمسى: أمسينا وأمسى الملك لله والحمد لله أعوذ بالله الذي يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه من شر ما خلق وذرأ وبرأ ومن شر الشيطان وشركه، عصم من كل ساحر وشيطان وكاهن وحاسد**».

فائدة: النمام من بني آدم مذموم عند الله وعند عباده.

موعظة: قال أبو هريرة - رضي الله عنه -: كنا نمشي مع رسول الله ﷺ فمررنا بقبرين فأقام وأقمنا معه فجعل لونه يتغير حتى ارتعد كم قميصه فقلنا: ما لك يا رسول الله؟ قال: «**هذان رجلان يعذبان في قبورهما عذابًا شديدًا بذنب هين كان أحدهما لا يستبرئ من البول، وكان الآخر يؤذي الناس بلسانه ويمشي بالنميمة فدعا بجريدتين رطبتين فغرزهما عليهما**» وقوله ﷺ: «**هين**» أي هين عندهما، وقيل: هين؛ لأنه لا مشقة في ترك النميمة وفي النظافة من البول، وقال النبي ﷺ: «**أكثر عذاب القبر من البول**»، وقال ﷺ: «**اتقوا البول فإنه أول ما يحاسب به العبد في القبر**».

مسائل:

الأولى: يجب الاستنجاء بماء أو حجر وجمعهما أفضل وخصه الأسنوي في ألغازه بالغائط، فإن اقتصر على أحدهما فالماء أفضل والأنثى في ذلك كالذكر والخنثى كذلك إلا في البول فلا يكفيه الحجر وسيأتي حكم الحائض في الاستنجاء بالحجر في باب الكرم. ويسن للمستنجي بالماء أن يبتدئ بقبله، وفي معنى الحجر كل جامد ولو من ذهب وجوهر قالع للنجاسة إلا بزجاج وقصب غير مختوم كعظم ولا يقضي حاجته تحت شجرة مثمرة ولا في ظل الناس أيام الصيف ولا مشتمسهم أيام الشتاء ولا في طريقهم. وصرح في الروضة بكراهة البول في الطريق، وأما الغائط فحكي في كتاب الشهادات عن صاحب العدة أنه حرام ومتحدث الناس كالطريق، وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ: «**من لم يستقبل القبلة ولم يستدبرها في الغائط كتب الله له حسنة ومحا عنه سيئة**» رواه الطبراني.

الثانية: قال ابن العماد: يجب إزالة النجاسة على الفور في صور منها: المسجد ومنها: إذا نجس ثوب غيره أو خرجت من ميت بعد الغسل أو تعدى بتنجيس بدنه أو لم يتعد لكن ضاق وقت الصلاة، وكذا الوشام إذا تعدى به في بدنه.

الثالثة: قال في الروضة: ويستبرئ من البول بتنحنح وبنثر ذكره برفق ولا بأس بمشي وأكثره سبعون خطوة.

لطيفة: لما اجتمع يوسف بيعقوب - عليهما السلام - وجاءه الذئب مهنئًا فقال: هل كنت تعلم بيوسف؟ قال: نعم، قال: فلم لا أخبرتني؟ قال: خشيت النميمة. قال في كتاب العقائب: لما وصل الذئب إلى يعقوب قال: أنت أكلت يوسف؟ قال: لا، قال: فأخبر أولادي، قال: لا، قال: ولم؟ قال: لأن كلام الذئب كرامة العاصي ليس من أهلها وقيل: إنه قال له: أيها الذئب من أين أنت؟ قال: من مصر جئت أطلب أخًا لي بأرض الشام وأخبرني الذئب أنه صاده الملك ويريد ذبحه غدًا ولي سبعة عشر يومًا لم آكل شيئًا. فقال يعقوب: أيها الذئب أعندك خبر عن يوسف؟ قال: نعم، قال: أخبرني به. قال: النمام لا يدخل الجنة. قال: فأنا أشفع في أخيك عند الملك، قال: وأنا أسأل ربك أن يجمع بينك وبين يوسف.

فائدة: من جلس على جلد الذئب أمن من القولنج، وإذا شرب من روثه من به قولنج قلعه ومن به حمى عتقية إذا دهن جسده بمرارته صار مكرمًا عند الناس، ولحمه حلال عند مالك - رضي الله عنه - مع الكراهة.

حكاية: رأيت في تفسير نجم الدين النسفي أن أبا يوسف أخذ ذئبًا فقال له: أنت أكلت يوسف؟ فقال: أنا لا أدور حول غنمك فكيف آكل ولدك؟ قال: أهو حي؟ قال: نعم، قال: أين هو؟ قال: سل جبريل، قال: إنه لا يخبرني، قال: إن لم يخبرك فكيف أخبرك أنا؟ فلما أخذته السيارة وهم ثلثمائة وثلاثة عشر رجلًا كبيرهم مالك وهو الذي اشترى يوسف ودخلوا مصر وأرادوا بيعه لعزيز مصر، قال له يوسف: لا تأخذ لي ثمنًا فإني حر وأخبره بخبره، فقال مالك للعزيز: أريد منك رأس مالي وهو عشرون درهمًا فلما باعه مالك للعزيز قال ليوسف: قد فعلت ما أمرتني به فلم آخذ غير رأس مالي ولي إليك حاجة، قال: ما هي؟ قال: اسأل ربك أن يرزقني أولادًا فنظر يوسف إلى جبريل فقال: كيف أدعو؟ قال: قل يا من يضع ويرفع ويعطي ويمنع ويا من يعز ويذل ويا من هو على كل شيء قدير ارزق الشيخ الكبير أولادًا ذكورًا، وكان لمالك اثنتي عشرة جارية فطاف عليهن تلك الليلة فحملت كل جارية بذكرين.

حكاية: قال كعب الأحبار - رضي الله عنه -: خرج موسى - عليه السلام - يستسقى لبني إسرائيل فأوحى الله إليه: لا أستجيب لكم؛ لأن فيكم رجلًا نمامًا فقال: يا رب بينه لنا فقال: يا موسى أنهاكم عن النميمة وأكون نمامًا فتابوا فنزل المطر بإذن الله تعالى فخرج الزرع بلا سنبل فشكا الناس ذلك إلى الله تعالى فقال الله: يا موسى إنهم سألوني المطر وما سألوني الرزق يا موسى أوقد تنورًا وألق فيه النذر ففعل، فإذا بالحنطة قد نبتت وسنبلت في وسط النار فقال: انظر يا موسى فإن من قدرتي أن أنبت الزرع في النار ولا أنبتها في وسط الماء.



باب: فضل رجب وصومه

قال الشيخ عبد القادر الكيلاني - رضي الله عنه - في الغنية: يقال في أول ليلة من رجب: إلهي تعرض إليك في هذه الليلة المتعرضون وقصدك القاصدون وأمل معروفك وفضلك الطالبون، ولك في هذه الليلة نفحات ومواهب وعطايا تمن بها على من تشاء من عبادك وتمنعها عمن لم تسبق له منك عناية، وها أنا عبدك الفقير إليك، المؤمل فضلك ومعروفك فجد علي بفضلك ومعروفك، يا رب العالمين، وعد في الروضة من الليالي التي يستجاب فيها الدعاء أول ليلة من رجب. وذكر السبكي في طبقاته عن بعض الأعيان أنه سأل الله تعالى الوفاة أول ليلة من رجب. ورأيت في كتاب البركة عن النبي ﷺ: «**من صام أول خميس من رجب كان حقًا على الله أن يدخله الجنة**».

فوائد:

الأولى: عن النبي ﷺ: «**من قال كل يوم من العشر الأول من رجب: سبحان الحي القيوم مائة وكل يوم من العشر الثاني مائة مرة: سبحان الله الأحد الصمد ومن العشر الثالث مائة مرة: سبحان الرؤوف لم يصف الواصفون ما يعطى من الثواب**».

الثانية: عن النبي ﷺ: «**ألا إن رجب شهر الله وشعبان شهري ورمضان شهر أمتي فمن صام يومًا إيمانًا واحتسابًا استوجب رضوان الله الأكبر وأسكن الفردوس الأعلى، ومن صام منه يومين فله من الأجر ضعفان كل ضعف مثل جبال الدنيا ومن صام منه ثلاثة أيام جعل الله بينه وبين النار خندقًا طوله مسيرة سنة، ومن صام منه أربعة أيام عوفي من البلاء والجنون والجذام والبرص ومن فتنة المسيح الدجال ومن صام منه خمسة أيام أمن من عذاب القبر، ومن صام ستة أيام خرج من القبر وجهه أضوأ من القمر ليلة البدر، ومن صام منه سبعة أيام تغلق عنه أبواب جهنم السبعة، ومن صام منه ثمانية أيام - وإن للجنة ثمانية أبواب - يفتح له بكل صوم يوم باب من أبوابها ومن صام تسعة أيام خرج من قبره وهو ينادي لا إله إلا الله ولا يرد دون الجنة، ومن صام منه عشرة أيام جعل الله له على كل ميل من الصراط فراشًا يستريح عليه**» وقدمنا أن الميل: أربعة آلاف خطوة «**ومن صام منه أحد عشر يومًا لم ير في القيامة أفضل منه إلا من صام مثله أو زاد عليه، ومن صام منه اثنا عشر يومًا كساه الله حلتين الحلة الواحدة خير من الدنيا، ومن صام منه ثلاثة عشر يومًا توضع له مائدة تحت العرش فيأكل منها والناس في شدة، ومن صام منه أربعة عشر يومًا أعطاه الله ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ومن صام منه خمسة عشر يومًا يوقفه الله يوم القيامة موقف الآمنين، ومن صام منه ستة عشر يومًا كان في أول من يزور الرحمن وينظر إليه ويسمع كلامه، ومن صام منه سبعة عشر يومًا نصب له على الصراط مستراح يستريح عليه، ومن صام منه ثمانية عشر يومًا زاحم إبراهيم في قبته، ومن صام منه تسعة عشر يومًا بنى الله له قصرًا بإزاء قصر إبراهيم وآدم - عليهما السلام -**».

وقال مؤلفه - رحمه الله تعالى -: ولعل هذا يفسر ما قبله من المزاحمة والله أعلم، **«ومن صام منه عشرين يومًا نادى منادٍ من السماء: يا عبد الله أما ما مضى فقد غفر الله لك فاستأنف العمل فيما بقي»** ذكره كله الشيخ محيي الدين عبد القادر الكيلاني - رضي الله عنه - في الغنية. وتقدم من أذكار النووي أنه يستحب العمل بالحديث الضعيف.

الثالثة: عن النبي ﷺ: **«من صام يومين من رجب لم يصف الواصفون من أهل السماء والأرض ما له عند الله من الكرامة»**، وعنه ﷺ: **«أكرموا رجب يكرمكم الله بألف كرامة يوم القيامة، ومن اغتسل أول رجب وأوسطه وآخره خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه»**، وقال علي - رضي الله عنه -: صوم ثالث عشر رجب كصيام ثلاثة آلاف سنة، وصوم رابع عشر رجب كصيام عشرة آلاف سنة، وصوم عشرين كصيام مائة ألف عام. وسيأتي نظيره في الأيام البيض وعن النبي ﷺ: **«فضل رجب على سائر الشهور كفضل القرآن على سائر الكلام»**، وعنه ﷺ: **«من صام يومًا من رجب فكأنه صام أربعين سنة»**، وعنه ﷺ: **«من صام عشرة أيام من رجب جعل الله له جناحين موشحين بالدر والياقوت يطير بهما كالبرق اللامع على الصراط»** وعنه أيضًا: **«إن في الجنة قصرًا لا يدخله إلا صائم رجب»**، وعنه أيضًا: **«إن في الجنة نهرًا يقال له: رجب أشد بياضًا من اللبن وأبرد من الثلج وأحلى من العسل من صام يومًا من رجب سقاه الله من ذلك النهر»** وعن أبي الدرداء عن النبي ﷺ: **«من صام يومًا من رجب فكأنه عبد الله عمره صائمًا قائمًا، فإذا صام رجب نودي من السماء: أبشر يا ولي الله بالكرامة العظمى، وسقاه عند موته شربة فيموت ريانًا ويدخل قبره ريانًا ويخرج منه ريانًا ويرد الجنة ريانًا»** قال أبو الدرداء - رضي الله عنه -: عندي الكرامة العظمى هي النظر إلى وجهه الكريم.

الرابعة: عن ثوبان - رضي الله عنه -: أن النبي ﷺ مر على قبور فبكى فقال: **«يا ثوبان هؤلاء يعذبون في قبورهم فدعوت الله أن يخفف عنهم، يا ثوبان لو صام هؤلاء يومًا من رجب وقاموا ليلة ما عذبوا»**، فقلت: يا رسول الله بصوم يوم وقيام ليلة يمنع عذاب القبر قال: **«نعم، والذي نفسي بيده ما من مسلم ولا مسلمة يصوم يومًا من رجب ويقوم ليلة إلا كتب الله له عبادة سنة صوم نهارها وقيام ليلتها»**، وعنه ﷺ: **«ينادى مناد من قبل الله تعالى: يا صوامي رجب ادخلوا الجنة في جوار الله تعالى»**، ورأيت في طبقات ابن السبكي أن البهي ضعف حديث النهي عن صوم رجب، ثم حكى الشافعي في القديم أنه قال: أكره أن يتخذ الرجل صوم شهر كامل غير رمضان؛ لئلا يظن الجاهل وجوبه وإن فعل فحسن، وقال الشيخ عز الدين ابن عبد السلام - رضي الله عنه -: من نهى عن صوم رجب فهو جاهل والمنقول استحباب صيام الأشهر الحرم وهي رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وهو أفضلها ووقع في زيادة الروضة عن البحر أن أفضلها رجب وليس كذلك بل الذي في البحر أن أفضلها المحرم، ولو قال: أنت طالق في أول الأشهر الحرم وهو في شوال وقع الطلاق بأول المحرم عند الكوفيين، وعند الجمهور بأول ذي القعدة.

الخامسة: إذا كان يوم القيامة يقال: أين الرجبيون؟ فيخرج نور من الحجاب فيتبعه جبريل وميكائيل وإسرافيل حتى يتم الرجبيون بذلك النور فيبلغون الموضع الذي أعد لهم فيقال:

ارفعوا رؤوسكم فقد قضيتم ذلك في الدنيا وارتحلوا إلى منازل عزكم، وعن النبي ﷺ: **«رجب شهر الله»**، فقيل: ما معناه؟ قال: لأنه مخصوص بالمغفرة وفيه تحقن الدماء وفيه تاب الله على أنبيائه وأنقذ أوليائه من أعدائه ومن صامه استوجب على الله ثلاثة أشياء: مغفرة لجميع ما سلف وعصمة لما بقي من عمره والثالثة: يأمن العطش يوم العرض الأكبر، فقال رجل: أنا ضعيف عن صيامه كله قال: صم أوله وأوسطه وآخره فإنك تعطى ثواب من صامه كله.

السادسة: سُئل النبي ﷺ عمن عجز عن صيام رجب ما يصنع؟ قال: يتصدق كل يوم برغيف. قيل: فإن لم يجده، قال: يقول: سبحان من لا ينبغي التسبيح إلا له سبحان الأعز الأكرم سبحان من له العز وهو له أهل، وعنه ﷺ: **«إذا كان أول ليلة من رجب اطلع الله - عز وجل - فيها على أمتي فيغفر للمذنبين ويكرم التائبين ويقرب الذاكرين ويواصل المجتهدين، فمن قام تلك الليلة أصبح مغفورًا له ومن صام ذلك الشهر كله ناداه الله تعالى: عبدي قد وجب حقك على فاسألني وعزتي وجلالي لا رددت لك دعاء وأنت جاري تحت عرشي، وأنت حبيبي من خلقي وأنت الكريم على أبشر فلا حجاب بيني وبينك»**

حكاية في روض الأفكار عن كتاب النور: قال أبو سعيد: دخلت على النبي ﷺ في أول يوم من رجب فقال: **«يا أبا سعيد أي يوم ما أكثر خيره وأي يوم ما أعظم بركته؟ قلت: وما ذاك يا نبي الله؟ قال: «أخبرني جبريل إذا كان أول ليلة من رجب أمر الله ملكًا ينادي: ألا إن شهر التوبة قد استهل فطوبى لمن استغفر الله فيه»**، وعنه ﷺ: **«من صام أول يوم من رجب تباعدت عنه جهنم بقدر ما بين السماء والأرض»**، وعن ابن مسعود - رضي الله عنه -: من صام ثلاثة أيام من رجب وقام ليلها فله من الأجر كمن صام ثلاثة آلاف سنة وقام ليلها، يغفر الله له بكل يوم سبعين كبيرة ويقضي له سبعين حاجة عند النزع وسبعين حاجة في قبره وسبعين حاجة عند تطاير الصحف وسبعين حاجة عند الميزان وسبعين حاجة عند الصراط».

السابعة: رأيت في الغنية للشيخ عبد القادر الكيلاني - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: **«إن شهر رجب شهر عظيم من صام منه يومًا كتب له صوم ثلاثة آلاف سنة»**، وعن سهل بن سعد عن النبي ﷺ: **«ألا إن رجب من الأشهر الحرم وفيه حمل الله نوحًا في السفينة فصامه وأمر من كان معه بصيامه فأنجاه الله من الغرق، وطهر الله الأرض من الكفر والطغيان»**، وعنه ﷺ: **«من تصدق في رجب باعده الله من النار كمقدار غراب طار فرخًا حتى مات هرمًا»**، وعن سلمان الفارسي عن النبي ﷺ: **«من صام يومًا من رجب فكأنما صام ألف سنة، وكأنما أعتق ألف رقبة، ومن تصدق فيه بصدقة فكأنما تصدق بألف دينار، وكتب الله له بكل شعرة على جسده ألف حسنة، ورفع له ألف درجة ومحا عنه ألف سيئة، وكتب الله له بكل يوم يصومه وبكل صدقة يتصدق بها ألف حجة، وألف عمرة وبنى له في الجنة ألف قصر»**.

الثامنة: قال آدم - عليه السلام -: **«يا رب أخبرني بأحب الأوقات إليك وأحب الأيام إليك قال:**

أحب الأيام إلي النصف من رجب فمن تقرب إلي يوم النصف من رجب بصيام وصلاة وصدقة فلا يسألني شيئًا إلا أعطيته ولا استغفرني إلا غفرت له، يا آدم من أصبح يوم النصف من رجب صائمًا ذاكرًا حافظًا لفرجه متصدقًا من ماله لم يكن له جزاء إلا الجنة» وعن النبي ﷺ: **«من صام النصف من رجب عدل له بصيام ثلاثين سنة»**، وقال في عيون المجالس: ليلة النصف من رجب هي التي كلم الله فيها موسى، ورفع إدريس فيها إلى السماء، ويقول الله تعالى في هذه الليلة للملائكة الموكلين بدواوين العباد: انظروا إلى دواوينهم فكل سيئة امحوها واجعلوا مكانها حسنة.

التاسعة: قال مقاتل - رضي الله عنه -: **«خلق الله تعالى خلف جبل قاف أرضًا بيضاء مملوءة من الملائكة مع كل ملك لواء مكتوب عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله، يجتمعون كل ليلة من رجب ويستغفرون لأمة محمد ﷺ»**، وعنه ﷺ: **«رجب من الأشهر الحرم وأيامه مكتوبة على أبواب السماء السادسة، فإذا صام الرجل منه يومًا أتم صيامه بتقوى الله فغلق الباب، فقال: يا رب اغفر لعبدك، وإذا لم يتم صومه بتقوى الله لم يستغفر له، وقال: خدعتك نفسك»**.

العاشرة: قال وهب بن منبه: قرأت في بعض كتب الله عز وجل أن من استغفر الله بالغداة والعشي في رجب سبعين مرة حرم جسده على النار، وقال علي - رضي الله عنه -: قال النبي ﷺ: **«أكثروا من الاستغفار في شهر رجب فإن لله تعالى في كل ساعة منه عتقاء من النار وإن لله مدائن لا يدخلها إلا من صام رجب»**، وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ: **«من قال في رجب وشعبان ورمضان فيما بين الظهر والعصر: أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه توبة عبد ظالم لا يملك لنفسه ضرًا ولا نفعًا ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا، أوحى الله تعالى إلى الملكين: احرقوا كتاب سيئاته من ديوان صحيفته»**، وفي الخبر يقول الله تعالى في كل ليلة من رجب: **«رجب شهري والعبد عبدي والرحمة رحمتي، والفضل بيدي وأنا غافر لمن استغفرني في هذا الشهر ومعط من سألني فيه»**، ورأيت في عيون المجالس: رجب شهر التهليل وشعبان شهر التسبيح ورمضان شهر التحميد.

الحادية عشرة: عن النبي ﷺ: **«من صام يوم السابع والعشرين من رجب كتب الله له ثواب ستين شهرًا»**، وعن أبي هريرة وسلمان الفارسي - رضي الله عنهما - قالا: قال النبي ﷺ: **«إن في رجب يومًا وليلة من صام ذلك اليوم وقام تلك الليلة كان له من الأجر كمن صام مائة عام وقامها، وهي لثلاث بقين من رجب»** حكاه الشيخ عبد القادر الكيلاني في الغنية، ورأيت في الجامع الشافعي في الوعظ الكافي: من صام يوم السابع والعشرين من رجب وتصدق فيه كتب الله له بصيامه ألف حسنة وعتق ألف رقبة، وجاء في الخبر مرفوعًا: **«من صلى ليلة السابع والعشرين من رجب ركعتين يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد عشرين مرة، فإذا فرغ صلّى على النبي ﷺ** عشر مرات ثم يقول: اللهم إني أسألك بمشاهدة أسرار المحبين، وبالخلوة التي خصصت بها سيد المرسلين حين أسريت به ليلة السابع والعشرين أن ترحم قلبي الحزين وتجيب دعوتي يا أكرم الأكرمين

فإن الله يجيب دعاءه ويرجو نداءه ويحيي قلبه يوم تموت القلوب»، وقال النبي ﷺ: «ما من مؤمن ولا مؤمنة يصلي في هذا الشهر ثلاثين ركعة يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب «وقل هو الله أحد» ثلاث مرات، «وقل يا أيها الكافرون» ثلاث مرات إلا محا الله عنه ذنوبه وأعطاه من الأجر كمن صام الشهر كله وكان من المصلين إلى السنة المقبلة، ورفع له كل يوم عمل شهيد، فإن صام الشهر كله وصلى هذه الصلاة أنجاه الله من النار وأوجب له الجنة».

الثانية عشرة: عن النبي ﷺ: «لا تغفلوا عن ليلة أول جمعة من رجب فإنها ليلة تسميها الملائكة ليلة الرغائب، وذلك؛ لأنه إذا مضى ثلث الليل لا يبقى ملك في السموات والأرضين إلا ويجتمعون في الكعبة وحولها فيطلع الله تعالى عليهم فيقول: يا ملائكتي سلوني ما شئتم، فيقولون: ربنا حاجتنا إليك أن تغفر لصوام رجب فيقول الله: قد فعلت ذلك»، وعن أنس قال: لقيت معاذًا فقلت له: من أين؟ قال: من عند النبي ﷺ، فقلت: ما قال؟ قال: سمعته يقول: «من صام يومًا من رجب يبتغي به وجه الله تعالى دخل الجنة» فدخلت على النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله حدّثني معاذ عنك بكذا فقال: «صدق أنا قلت ذلك أنا قلت ذلك أنا قلت ذلك»، وعن النبي ﷺ: «من فرج عن مؤمن كربة في رجب أعطاه الله في الفردوس قصرًا مد بصره».

الثالثة عشرة: مر عيسى - عليه السلام - على جبل يتلألأ نورًا فقال: يا رب أنطق لي هذا الجبل، فقال: يا روح الله ما الذي تريد؟ قال: أخبرني بخبرك قال: في جوفي رجل، قال عيسى: يا رب أخرجه، فانفلق الجبل عن شيخ حسن الوجه، وقال: يا عيسى أنا من قوم موسى سألت الحياة إلى زمن محمد ﷺ؛ لأكون من أمته ولي ستمائة عام أعبد الله تعالى في هذا الجبل فقال عيسى: يا رب هل على وجه الأرض أكرم عليك من هذا؟ فقال: يا عيسى من صام من أمة محمد يومًا من رجب فهو أكرم علي من هذا.

لطائف: الأولى: رجب ثلاثة أحرف راء وجيم وباء فالراء رحمة الله والجيم جوده والباء بره.

الثانية: رجب اسمه الأصب؛ لأن الرحمة تصب فيه صبًا، واسمه أيضًا الأصم؛ لأن الحروب ترفع فيه فلا يسمع فيه للسلاح صلصلة، وقيل: لأنه يرفع إلى الله إذا انقضى فيسأله الله تعالى عن عمل عباده فيسكت ثم يسأله ثانيًا فيسكت ثم يسأله ثالثًا فيسكت ثم يقول: يا رب أنت أمرت عبادك أن يستر بعضهم بعضًا وسماني نبيك محمد ﷺ الأصم فأنا الأصم سمعت طاعتك دون معاصيهم، واسمه أيضًا رجب واشتقاقه من الرجيب وهو التعظيم يقال: رجبت الشيء: إذا عظمته واسمه أيضًا رجم بالميم؛ لأن الشياطين ترجم فيه لئلا يؤذوا المؤمنين.

الثالثة: رجب لاستغفار الذنوب وشعبان لستر العيوب ورمضان لتنوير القلوب، وقيل: رجب خص بالمغفرة من الله وشعبان بالشفاعة ورمضان بتضعيف الحسنات، وقيل: رجب شهر التوبة وشعبان شهر المحبة، ورمضان شهر القربة. والله أعلم.

باب: فضل شعبان وفضل صلاة التسابيح

عن النبي ﷺ: «من صلى أول ليلة من شعبان اثنتي عشرة ركعة، يقرأ في الركعة الأولى فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله أحد خمس مرات، أعطاه الله تعالى ثواب اثني عشر ألف شهيد وخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه، ولا يكتب عليه خطيئة إلى ثمانين يومًا»، ورأيت في كتاب البركة عن النبي ﷺ: «من صام أول خميس من شعبان وآخر خميس منه كان حقًا على الله أن يدخله الجنة» وآخر خميس محمول على من له عادة وقالت عائشة - رضي الله عنها -: كان أحب الشهور إلى النبي ﷺ شعبان. وقال ﷺ: «شعبان جُنة النار فمن أراد أن يلقاني فليصمه ولو بثلاثة أيام»، قال بعض العلماء: الجنة بضم الجيم: هي ما يجنك أي يسترك ويقيك ما تخاف، وعن النبي ﷺ: «شعبان شهري ورمضان شهر أمتي»، شعبان هو المكفر ورمضان هو المطهر، وعن أسامه بن زيد قال: قلت: يا رسول الله رأيتك تصوم من شعبان صومًا لا تصومه في شهر من الشهور إلا في شهر رمضان قال: «ذلك شهر يغفل عنه الناس بين رجب ورمضان وترفع فيه أعمال الناس فأحب أن يرفع عملي وأنا صائم»، وعن أنس - رضي الله عنه - سُئِلَ النبي ﷺ عن أفضل الصيام فقال: «صيام شعبان تعظيمًا لرمضان» وعنه أيضًا: «نقوا أبدانكم بصوم شعبان لصيام شهر رمضان فما من عبد يصوم ثلاثة أيام من شعبان ثم يصلي على مرارًا قبل إفطاره إلا غفر الله له ما تقدم من ذنبه» «وأخبرني جبريل أن الله تعالى يفتح في هذا الشهر ثلثمائة باب من الرحمة» وعنه أيضًا قال: «أتدرون لم سمي شعبان؟» قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: «لأنه يتشعب فيه خير كثير».

وعن أنس - رضي الله عنه - سُئِلَ النبي ﷺ أي الصيام أفضل بعد رمضان؟ قال: «شعبان»، وعن النبي ﷺ: «فضل رجب على سائر الشهور كفضل القرآن على الكلام وفضل شعبان على سائر الشهور كفضلي على سائر الأنبياء، وفضل رمضان على الشهور كفضل الله على خلقه»، وعنه أيضًا: «من صام من شعبان يومًا حرم الله جسده على النار، وكان رفيق يوسف في الجنان وأعطاه الله ثواب أيوب وداود، فإن أتم الشهر كله هون الله عليه سكرات الموت، ودفع عنه ظلمة القبر وهو منكر ونكير وستر الله عورته يوم القيامة»، وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «جاءني جبريل ليلة النصف من شعبان وقال: يا محمد ارفع رأسك إلى السماء، فقلت: ما هذه الليلة؟ قال: هذه ليلة يفتح الله فيها ثلثمائة باب من أبواب الرحمة، يغفر الله لجميع من لا يشرك به شيئًا، إلا أن يكون ساحرًا أو كاهنًا أو مصرًا على الزنا أو مدمن خمر»، وعنه ﷺ قال: «يطلع الله على خلقه ليلة النصف من شعبان فيغفر لجميع خلقه إلا المشرك والمشاحن يعني: المصارم لأخيه المسلم»، وعن النبي ﷺ: «إذا كان ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها فإن الله تعالى يقول: ألا من مستغفر فأغفر له؟ ألا من مبتل فأعافيه؟ ألا من مسترزق فأرزقه؟ ألا كذا ألا كذا حتى يطلع الفجر».

وفي كتاب البركة: إن الجن والطيور والسباع وحيتان البحر يصومون يوم النصف من شعبان. وعن النبي ﷺ: «من أحيا ليلة العيد وليلة النصف من شعبان لم يمت قلبه يوم تموت القلوب».

وذكر في الإقناع: أن جبريل نزل على النبي ﷺ ليلة البراءة وقال: يا محمد اجتهد في هذه الليلة فإن فيها تقضى الحاجة، فاجتهد النبي ﷺ قائمًا فأتاه جبريل مرة ثانية فقال: يا محمد بشر أمتك فإن الله تعالى غفر لجميع أمتك من لا يشرك به شيئًا ثم قال: ارفع رأسك فرفع رأسه فإذا أبواب الجنة. وفي رواية: أبواب السماء مفتحة، وعلى الباب الأول ملك ينادي: طوبى لمن ركع في هذه الليلة وعلى الباب الثاني ملك ينادي طوبى لمن سجد في هذه الليلة، وعلى الباب الثالث ملك ينادي: طوبى لمن دعا في هذه الليلة وعلى الباب الرابع ملك ينادي: طوبى لمن بكى من خشية الله في هذه الليلة، وعلى الباب الخامس ملك ينادي: طوبى لمن عمل خيرًا في هذه الليلة وعلى الباب السادس ملك ينادي: هل من سائل فيعطى سؤاله؟ وعلى الباب السابع ملك ينادي: هل من مستغفر فيغفر له؟ فقلت: «**يا جبريل إلى متى تكون هذه الأبواب مفتحة؟**» قال: إلى طلوع الفجر، ثم قال: إن لله تعالى فيها عتقاء من النار بعدد شعر غنم بني كلب.

حكاية: قال في روض الأفكار: مر عيسى ابن مريم - عليه السلام - على جبل فرأى فيه صخرة بيضاء، فطاف بها عيسى وتعجب منها فأوحى الله إليه: أتريد أن أبين لك أعجب مما رأيت؟ قال: نعم، فانفلقت الصخرة عن رجل بيده عكازة خضراء وعنده شجرة عنب فقال: هذا رزقي كل يوم فقال: كم تعبد الله في هذا الحجر؟ فقال: منذ أربعمائة سنة فقال عيسى: يا رب ما أظنك خلقت خلقًا أفضل منه؟ فقال: من صلى ليلة النصف من شعبان من أمة محمد ﷺ ركعتين فهو أفضل من عبادته أربعمائة عام، قال عيسى: ليتني من أمة محمد ﷺ.

فائدة: قال الشيخ عبد العزيز الدريني - رضي الله عنه -: ومما كان الصالحون يحافظون عليه صلاة التسبيح، قال في روض الأفكار: ينبغي أن يصليها بعد الزوال قبل الظهر، وكيفيتها ما رواه عكرمة عن ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال للعباس - رضي الله عنه -: «**يا عماه ألا أمنحك ألا أعطيك ألا أفعل بك عشر خصال إذا أنت فعلت ذلك غفر الله ذنبك أوله وآخره وقديمه وحديثه وعمده وخطأه وسره وعلانيته، أن تصلي أربع ركعات تقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة الإخلاص أربع مرات**»، قال في روض الأفكار: ينبغي أن تكون في المسبحات، الحديد أو الحشر أو الصف أو الجمعة أو التغابن، «**فإذا فرغت من القراءة فقل: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، خمس عشرة مرة ثم تركع فتقولها وأنت راكع عشرًا ثم ترفع رأسك فتقولها عشرًا ثم تسجد فتقولها عشرًا ثم ترفع رأسك من السجود فتقولها عشرًا، ثم تسجد ثانيًا فتقولها عشرًا ثم ترفع رأسك من السجود فتقولها عشرًا قبل القيام، فذلك خمس وسبعون تسبيحة في كل ركعة**». قال في الترغيب والترهيب: إن من صلاها ليلاً سلم من كل ركعتين، وإن من صلاها نهارًا فهو مخير إن شاء صلاها بتسليمتين أو تسليمة، نعم رأيت في شرح المهذب أن الأفضل في صلاة الليل والنهار أن يسلم من كل ركعتين وبه قال مالك وأحمد؛ لقول النبي ﷺ: «**صلاة الليل والنهار مثنى مثنى**» رواه أبو داود بإسناد صحيح.

وفي كتاب البركة: عن النبي ﷺ: «**من صلى ليلة النصف من شعبان اثنتي عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد عشر مرات محيت عنه سيئاته وبورك له في عمره**».

لطيفة: أظهر الله تعالى البراءة؛ لأنها ليلة القضاء والحكم، فيه تنسخ الآجال وترفع الأعمال وقال ﷺ: «**يسح الله الخير سحًا في أربع ليال ليلة النصف من شعبان وليلة الفطر والأضحى وعرفة**» وأخفى ليلة القدر؛ لأنها ليلة الرحمة والعتق من النيران فأخفاها لئلا يتكلوا، وقال النسفي - رحمه الله تعالى -: أخفى ليلة القدر حتى يجتهد في الشهر كله، وكذلك ساعة الإجابة من يوم الجمعة، وأخفى اسمه الأعظم من أسمائه الحسنى حتى ندعوه بها كلها، وأخفى الولي حتى لا تحتقر أحدًا من المؤمنين. وعنه ﷺ: «**أخفى الله تعالى ثلاثًا في ثلاث رضاه في طاعته فلا تحتقرن من الطاعة شيئًا وغضبه في معصيته فلا تحتقرن من المعصية شيئًا وأخفى وليه في خلقه فلا تحتقرن منهم أحدًا**».

قال كعب الأحبار - رضي الله عنه-: يبعث الله ليلة النصف من شعبان جبريل إلى الجنة فيأمرها أن تتزين ويقول: إن الله تعالى قد أعتق في ليلتك هذه عدد نجوم السماء وعدد أيام الدنيا ولياليها، قال عطاء بن يسار: ما بعد ليلة القدر أفضل من ليلة النصف من شعبان، وهي من الليالي التي يستجاب فيها الدعاء.

لطيفة: شعبان خمسة أحرف (ش ع ب ا ن) فالشين من الشرف والعين من العلو والباء من البر والألف من الألفة والنون من النور، فهذه العطايا من الله تعالى لعبده المؤمن في هذا الشهر.

مسألة: يحرم الصيام بعد النصف من شعبان لمن لا عادة له لما صححه الترمذي عن النبي ﷺ: «**إذا انتصف شعبان فلا تصوموا حتى يأتي رمضان**»، وقال الإمام مالك - رضي الله عنه -: بالاستحباب.

فإن قيل: في البخاري من رواية عائشة - رضي الله عنها - ما رأيت النبي ﷺ استكمل شهرًا إلا رمضان وما رأيته أكثر صيامًا منه في شعبان، وفي الصحيح أيضًا قالت عائشة - رضي الله عنها -: كان يصوم شعبان كله. فالجمع بين الروايتين أن المراد بالكل الغالب.

فائدة: مكتوب في التوراة من قال في شعبان: لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون كتب الله له عبادة ألف سنة ومحا عنه ذنوب ألف سنة وخرج من قبره ووجهه كالقمر ليلة البدر وكتب عند الله صديقًا، والله أعلم.



باب: فضل رمضان والترغيب في العمل الصالح فيه

وما فيه من الفضل وفيه فائدتان

الأولى: رأيت في عجائب المخلوقات للقزويني - رحمه الله تعالى - عن جعفر الصادق - رضي الله عنه - خامس رمضان الماضي أول رمضان الآتي وقد امتحنوا ذلك خمسين سنة فوجدوه صحيحًا.

الثانية: عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ: «**ما من عبد مؤمن رأى الهلال فحمد الله وأثنى عليه ثم قرأ الفاتحة سبع مرات إلا عافاه الله تعالى من شكاية العين ذلك الشهر**»، وقال علي - رضي الله عنه -: قال النبي ﷺ: «**إذا رأيت الهلال أو الشهر فقل: الله أكبر ثلاثًا، الحمد لله الذي خلقني وخلقك وقدر لك منازل وجعلك آية للعالمين، يباهي الله بك الملائكة ويقول: يا ملائكتي اشهدوا أني قد أعتقت هذا العبد من النار**».

وفي الأذكار للنووي - رضي الله عنه - كان النبي ﷺ إذا رأى الهلال قال: «**اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام ربي وربك الله**» رواه الترمذي، وكان النبي ﷺ إذا رأى الهلال يقول: «**هلال خير ورشد آمنت بالذي خلقك ثلاث مرات**».

وفي ربيع الأبرار للزمخشري: يقال عند رؤية الشمس: سبحان من صورك ودورك ونورك ولو شاء لكورك.

قال مؤلفه: إنما ذكرت هذه الفائدة الثانية هنا؛ لأن الناس يهتمون برؤية هلال رمضان أكثر من غيره.

مسائل:

الأولى: لو قال: أنت طالق إن رأيت الهلال فأخبرها غيره به أو تم العدد وقع الطلاق، فإن قال: أردت المعاينة قبلنا قوله باطنًا وكذا ظاهرًا على الصحيح، إن كانت بصيرة ولو قال: إن رأيت - بضم التاء - الهلال فأنت طالق فالحكم كذلك إن كان بصيرًا ورؤية الهلال في الليلة الثانية كالأولى والعبرة برؤيته قبل الغروب.

الثانية: نية صوم رمضان واجبة كل ليلة ووقته من الغروب إلى الفجر عند الإمامين وعند أبي حنيفة من الغروب إلى الزوال كنية النفل عند الشافعي وفي قول يصح صومه النفل بنية بعد الزوال أيضًا، وقال مالك: تكفيه واحدة من أول رمضان عن كل ليلة.

الثالثة: لو نوى أول ليلة من رمضان صوم الشهر كله فهل يصح صوم اليوم الأول؟ فيه خلاف، صحح في الروضة الصحة، ولو شك هل نوى أم لا؟ فإن تذكر قبل الغروب أو بعده صح صومه، وإن لم يتذكر وجب القضاء ولو شك هل نوى قبل الفجر أو بعده، وجب

القضاء، والنية بالقلب، والصبي كالبالغ في وجوب النية قبل الفجر قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [البقرة:١٨٣]، قال علي - رضي الله عنه -: كتب الصيام على آدم فمن بعده ثم زاد فيه النصارى، وقيل: إنهم نقلوه من أيام الصيف إلى الشتاء، وقال النبي ﷺ: **«للصائم فرحتان فرحة عند الإفطار وفرحة عند لقاء ربه»**، وقال النبي ﷺ: **«من حضر مجلسًا من مجالس الذكر في رمضان كتب الله له بكل قدم عبادة، ويكون يوم القيامة معي تحت العرش، ومن داوم على الجماعة في رمضان أعطاه الله بكل ركعة مدينة من نور، ومن بر والديه بما تنال يده نظر الله إليه بالرأفة والرحمة وأنا كفيله، وما من امرأة تطلب رضا زوجها في رمضان إلا كان لها عند الله ثواب مريم وآسية، ومن قضى حاجة مسلم في رمضان قضى الله له ألف ألف حاجة، ومن تصدق فيه بصدقة إلى فقير ذي عيال كتب الله له ألف ألف حسنة ومحا عنه ألف ألف سيئة ورفع له ألف ألف درجة»**، وعن أنس عن النبي ﷺ قال: **«من مشى في حاجة أخيه المسلم كتب الله له بكل خطوة سبعين حسنة ومحا عنه سبعين سيئة إلى أن يرجع من حيث فارقه»** وقال ﷺ: **«إن لله خلقًا خلقهم لحوائج الناس يفزع الناس إليهم في حوائجهم وهم الآمنون من عذاب الله»** رواه الطبراني، **«ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى يقضيها له ثبت الله قدميه يوم تزل الأقدام»**، وقال النبي ﷺ: **«لا يزال الله في حاجة العبد ما دام العبد في حاجة أخيه»** رواه الطبراني.

لطيفة: حلف رجل بالطلاق أن يطأ زوجته في رمضان نهارًا فسأل جماعة من العلماء فعجزوا عن خلاصه، فقال أبو حنيفة: يسافر بها ويجامعها في السفر فلا شيء عليه.

قال مؤلفه: وهذا الحكم عند الشافعي إن فارق العمران قبل الفجر وإلا فيلزمه الإمساك والقضاء وعتق رقبة، فإن لم يجد فإطعام ستين مسكينًا كل مسكين مد طعام من غالب قوت البلد، فإن لم يجد فصيام شهرين متتابعين وتكون كفارة على الزوج والزوجة وفي قول: عليها كفارة أخرى.

مسائل:

الأولى: لو قال: أنت طالق بالمشرق وهما بالمغرب وقع الطلاق في الحال قياسًا على قوله في الروضة: أنت طالق بمكة وهما في مصر مثلاً وقع الطلاق في الحال.

قال الأسنوي في طبقات العباد: إنها لا تطلق حتى تدخل مكة وكذا لو قال: أنت طالق في الشمس وهما في الظل بخلاف ما لو قال: أنت طالق في الشتاء وهما في الصيف فلا تطلق حتى يجيء الشتاء.

الثانية: ذكر في مجمع الأحباب عن عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ أنه كان يقول إذا دخل رمضان: **«اللهم سلمني لرمضان وسلم رمضان لي وتسلمه مني متقبلاً»**، وفي رواية: **«اللهم سلمنا**

من رمضان وسلمه منا»، وقال النبي ﷺ: «رمضان قلب السنة إذا سلم سلمت السنة كلها»، ورأيت في كتاب البركة عن المسعودي، من قرأ سورة الفتح أول ليلة من رمضان حفظ في ذلك العام، وفي الخبر: إذا صعد الملك بالصوم إلى الله تعالى فيقول: أكرمك عبدي وعظمك؟ فيقول الصوم: نعم يا رب أنزلني في أشرف المواضع من نفسه ووضعني على مائدة الصلاة والتراويح، وقام يخدمني وحفظ عينيه عن الحرام وسمعه عن الباطل، فيقول الله تعالى: اليوم أنزله في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

الرابعة: خلق الله تعالى ملكًا تحت سدرة المنتهى طوله ألف عام وله ألف رأس في كل رأس ألف وجه في كل وجه ألف فم في كل فم ألف لسان على كل لسان ألف ذؤابة في كل ذؤابة ألف لؤلؤة في كل لؤلؤة ألف بحر من نور في كل بحر حيتان من نور طول كل حوت مائة عام، مكتوب على ظهورهم لا إله إلا الله محمد رسول الله، فإذا سبح الملك اهتز العرش لحسن صوته خلقه الله قبل آدم بألفي عام فلما رآه النبي ﷺ ليلة المعراج سلم عليه فلم يسمع سلامه لاشتغاله بالتسبيح، فقال له جبريل: هذا محمد يسلم عليك، فبسط جناحين أخضرين حتى ملأ السموات والأرض وقبل النبي ﷺ بين عينيه وقال: أبشر يا محمد فقد غفر الله لك ولأمتك ببركة شهر رمضان. ورأى ﷺ بين يديه صندوقين على كل صندوق ألف قفل من نور فسأله عنهما فقال: فيهما براءة لصائمي رمضان من أمتك وأنا شهيد عليها. حكاه النسفي.

الخامسة: قال النبي ﷺ: «إن أبواب السماء وأبواب الأرض لتفتح لأول ليلة من رمضان فلا تغلق لآخر ليلة منه وليس من عبد يصلي في ليلة منه إلا كتب الله له بكل سجدة ألفًا وسبعمائة، وبنى له بيتًا في الجنة فإذا صام أول يوم من رمضان غفر الله له كل ذنب إلى آخر يوم من شهره، وكان كفارة إلى مثله وكان له بكل يوم منه يصومه قصر في الجنة وكان له بكل سجدة سجدها من ليل أو نهار شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها».

السادسة: قال النبي ﷺ: «فضل الجمعة في رمضان على أيامه كفضل رمضان على سائر الشهور»، وفي حديث آخر: «إذا كان يوم القيامة أوحى الله إلى رضوان: إني أخرجت الصائمين من قبورهم جائعين عطاشى فاستقبلهم بطعام وشراب من الجنة فيصيح رضوان: أيها الغلمان والولدان عليكم بأطباق من نور فتجتمع عنده أكثر من الكواكب بالفاكهة والأشربة اللذيذة، فيستقبلون الصائمين والصائمات ويقال لهم: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة: ٢٤]، وهي أيام الصوم كما تقدم.

السابعة: خلق الله تعالى ملكًا له أربعة أوجه بين الوجه والوجه أربعة آلاف عام فالأول ساجد لله، والثاني ينظر به إلى العرش ويقول: يا رب اغفر وارحم لصائمي رمضان من أمة محمد ﷺ، والثالث ينظر به إلى الجنة ويقول: طوبى لمن دخلك، والرابع ينظر به إلى جهنم ويقول: ويل لمن دخلك، ذكره النسفي - رحمه الله تعالى -.

الثامن: خلق الله تعالى ملكًا نصفه من ظلمة ونصفه من نور، وملكًا نصفه من نار ونصفه من ثلج، وملكًا نصفه ذهب ونصفه فضه، وملكًا نصفه ريح ونصفه تراب يبكون على المذنبين من أمة محمد ﷺ فيقول الله: تبكون عليهم وهم يعملون كذا وكذا؟ فيقولون: أما أعطيتهم رمضان؟ فيقول: صدقتم، رحمتي لهم في رمضان كل يوم خمس مرات. وقال علي- رضي الله عنه -: لو أراد الله أن يعذب أمة محمد ﷺ ما أعطاهم رمضان وقل هو الله أحد.

التاسعة: قال موسى - عليه السلام -: يا رب أكرمتني بالتكليم فهل أعطيت أحدًا مثل ذلك؟ فأوحى الله تعالى إليه: يا موسى إن لي عبادًا أخرجهم في آخر الزمان وأكرمهم بشهر رمضان فأكون أقرب لأحدهم منك؛ لأنك كلمتني وبيني وبينك سبعون ألف حجاب، فإذا صامت أمة محمد حتى ابيضت شفاههم واصفرت ألوانهم أرفع الحجب بيني وبينهم وقت إفطارهم، يا موسى طوبى لمن عطش كبده وأجاع بطنه في رمضان. وقال كعب الأحبار: أوحى الله إلى موسى: إني كتبت على نفسي أن لا أرد دعوة صائم رمضان.

موعظة: يؤتى يوم القيامة بعبد والملائكة يضربونه فيتعلق بالنبي ﷺ فيقول: ما ذنبه؟ فيقولون: أدرك شهر رمضان فعصى الله تعالى فيه، فيريد النبي ﷺ أن يشفع فيه، فيقال: يا محمد إن خصمه رمضان، فيقول النبي ﷺ: «**أنا بريء ممن خصمه رمضان**».

لطيفة: قال ابن الجوزي - رحمه الله تعالى - في بستان الواعظين: مثل الشهور الاثنى عشر كمثل أولاد يعقوب، فكما أن يوسف أحب أولاد يعقوب إليه، كذلك رمضان أحب الشهور إلى الله فيغفر الله لهم بدعوة واحد منهم وهو يوسف، كذلك يغفر الله ذنوب أحد عشر شهرًا ببركة رمضان.

ورأيت في طبقات عيون المجالس: في قوله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ﴾ [الأنعام:١٦٠]، أن صيام رمضان بعشرة أشهر، يبقى شهران فيغفر الله ذنوب شهر برحمته وذنوب شهر بشفاعة محمد ﷺ.

حكاية: رأي مجوسي ابنه يأكل في رمضان بحضرة المسلمين فضربه وقال: لم لم تحفظ حرمة المسلمين في رمضان؟ فمات في ذلك الأسبوع فرآه عالم البلد في النوم وهو في الجنة فقال: ألست كنت مجوسيًّا قال: بلى، ولكن لما حضرت وفاتي أكرمني الله بالإسلام لاحترامي شهر رمضان.

مسألة: تقضي الحائض الصوم لا الصلاة؛ لكثرتها بخلاف الصوم، قال في شرح المهذب: سقوط الصلاة عن الحائض عزيمة لا رخصة؛ لأنها مأمورة بالترك، وأما الصوم فللشرع زيادة اعتناء به، فأوجب قضاءه ثم فرق بين العزيمة والرخصة بأن العزيمة هي الحكم الثابت على وفق الدليل، والرخصة هي الحكم الثابت على خلاف الدليل، وقال في التتارخانية للحنفية: إنما وجب قضاء الصوم على الحائض دون الصلاة؛ لأن حواء حاضت في الصلاة فسألت آدم عن

ذلك فلم يعلم حتى جاءه جبريل فسأله فلم يعلم فأمره ربه أن يأمرها بتركها، فلما حاضت وهي صائمة سألت آدم عن ذلك فأمرها بتركها قياسًا على الصلاة، فأمره الله أن يأمرها بالقضاء فقال آدم: يا رب كل من الصلاة والصوم عبادة فكيف أمرتها بقضاء الصوم دون الصلاة؟ فأوحي الله إليه: لأنك في الصلاة رجعت إلينا وفي الصوم حكمت برأيك.

وفي تهذيب الأسماء واللغات للنووي: جعل الله الحيض لحواء وبناتها كفارة وطهورًا. وفي تفسير القرطبي أن حواء لما أكلت من شجرة الحنطة وأصابها ما أصابها كسرتها فشكت الشجرة ذلك إلى ربها، فقال: وعزتي لأدمينها وبناتها إلى يوم القيامة.

فائدة: ذكر ولى الله تقي الدين الحصني في كتاب تنزيه السالك عن النبي ﷺ: «**اشتد غضب الله على من أتى امرأة في حيضها أو نفاسها، اشتد غضب الله علي على من عمل عمل قوم لوط، اشتد غضب الله على من أتى بهيمة**».

مسائل مهمة: تدعو الحاجة إليها:

الأولى: امرأة رأت الدم أول حيضها على لونين فأكثر: كأسود وأحمر وأصفر فالقوى حيض والضعيف استحاضة، بشروط ثلاثة: أن لا ينقص القوي عن يوم وليلة متصلة، الثاني: ألا يزيد على خمسة عشر يومًا، الثالث: أن لا ينقص الضعيف عن أقل الطهور وهو خمسة عشر يومًا متصلة، فإن فقد شرط من هذه الثلاثة فحيضها يوم وليلة فقط وتعتبر القوة باللون، فالأسود أقوى ثم الأحمر ثم الأصفر، وتعتبر الرائحة أيضًا فكراهة الرائحة أقوى، والتخين أقوى من الرقيق، فإن استوى الدم في الصفات فتعتبر الكثرة فالكثيرة أقوى، والقليل ضعيف، فإن تساوى الدم في الكثرة رجع بالسبق فما خرج أولاً فهو الحيض فهذه مبتدأة مميزة.

الثانية: امرأة رأت الدم أول حيضها على لون واحد من أول رمضان مثلًا، فإن صامت شيئًا منه غير اليوم الذي رأت فيه الدم يحسب لها ثم تقضي ذلك اليوم فهذه مبتدأة غير مميزة.

الثالثة: امرأة رأت الدم على لون واحد ثلاث سنين مثلًا متوالية وعادتها قبل ذلك من كل شهر خمسة أيام مثلاً، فترد إلى عادتها قدرًا ووقتًا فتأكل من رمضان أيام عادتها وتصوم الباقي فهذه معتادة غير مميزة.

الرابعة: امرأة لها عادة ولكنها ترى الدم على لونين فأكثر فهذه معتادة مميزة فالقوي حيض والضعيف استحاضة بالشروط السابقة.

الخامسة: امرأة مستحاضة وهي التي ترى الدم دائمًا فتغسل فرجها وجوبًا قبل الوضوء أو التيمم ويجب عليها حشو فرجها بقطن ونحوه إلا في نهار رمضان ثم تعصبه إن لم تتأذى بالدم، ثم تتوضأ وقت الصلاة وتبادر بها، فإن أخرتها لمصلحة الصلاة مثل انتظار جماعة لم يضر، وإن أخرتها لغير ذلك وجب إعادة ما تقدم من الوضوء أو غيره فلوم انقطع الدم بعد الوضوء أو

في أثنائه أو بعد التيمم ولم تعتد انقطاعه وعوده أو اعتادت ووسع زمن الانقطاع الوضوء والصلاة التي توضأت لها وجب إعادة الوضوء، لاحتمال الشفاء من هذه العلة، والأصل عدم عودها ولا مكان إيقاع الصلاة على الكمال في وقتها.

السادسة: امرأة جاوز نفاسها ستين يومًا فترجع إلى عادتها، إن كان لها عادة بأن ولدت قبل ذلك، مثاله: عادة نفاسها عشرة أيام مثلاً فوضعت في أول رجب واستمر بها الدم إلى آخر رمضان فنفاسها منها عشرة أيام، وإن كان أول نفاسها ورأت الدم على ألوان فالأقوى نفاس بشرط أن لا يزيد على ستين يومًا، والضعيف استحاضة ولا ضبط للضعيف بخلاف الحيض فإن ضعفه مضبوط بأقل الطهر وهو خمسة عشر يومًا، وإن جاوز النفاس ستين يومًا فنفاسها لحظة واحدة في الأظهر، ومن نسيت عادتها فهي متحيرة وقد عرفت حكمها مما تقدم، والله أعلم.

لطيفة: رأيت في عيون المجالس في قوله تعالى: ﴿ٱلسَّٰٓئِحُونَ﴾ [التوبة:١١٢]، قيل: هم الصائمون؛ لأن السائح كلما رأى بلدة طيبة توجه إليها والصائم كلما رأى في الجنة مكانًا طيبًا توجه إليه.

موعظة: قال البلقيني في الفوائد على القواعد نقلاً عن الأوزاعي: إنه يجب في قضاء رمضان ثلاثة آلاف يوم اهـ قال سعيد بن المسيب: يجب عن كل يوم صوم شهر وهذا محمول على ما إذا أفطر عنادًا، وإلا فلا شيء سوى قضاء ذلك اليوم إن ثبت في أثنائه ولا يجب الإمساك من أول يوم الشك احتياطًا في الثبوت في أثنائه بل محرم فيه الصوم فلا إنكار على من أكل من عاقل؛ إذ لا ينكر إلا المجمع على إنكاره أو ما اعتقد الفاعل تحريمه.

فائدتان:

الأولى: جاء في الحديث عن النبي ﷺ: «**إذا استيقظ المؤمن في شهر رمضان وتقلب من جنب إلى جنب وذكر الله تعالى يقول له الملك: قم يرحمك الله فإذا قام يدعو له الفراش: اللهم أعطه الفرش المرفوعة في الجنة، وإذا لبس ثوبه يدعو له: اللهم أعطه حلل الجنة، وإذا لبس نعله يدعو له: اللهم ثبت قدمه على الصراط، وإذا تناول الإناء يدعو له: اللهم أعطه أكواب الجنة، وإذا توضأ يدعو له الماء: اللهم طهره من الذنوب والخطايا، وإن قام بين يدي الله تعالى يدعو له البيت: اللهم نور لحده ووسع عليه قبره، وينظر الله إليه ويقول: عبدي منك الدعاء ومنا الإجابة. وتقدم أن سائل الله في رمضان لا يخيب**»، وعن النبي ﷺ: «**نوم الصائم عبادة، ونفسه تسبيح، ودعاؤه مستجاب، وذنبه مغفور وعمله مضاعف**»، وقال النبي ﷺ: «**من صام رمضان إيمانًا - أي تصديقًا - واحتسابًا - أي خالصًا - غفر له ما تقدم من ذنبه**» قال العلماء: المراد بقيام رمضان: صلاة التراويح ويقال لها: الصلاة الجامعة إن صلاها في جماعة، وهي عشرون ركعة يسلم في كل ركعتين وينوي بها سنة التراويح أو من قيام رمضان ويدخل وقتها بفراغ العشاء.

الثانية: لو أحرم بالعشاء خلف من يصلي التراويح فلما سلم من ركعتين قام يكمل العشاء أن فله يأتم بمن يصلي التراويح أيضًا على الصحيح. قال في شرح المهذب: قال في الروضة: والأولى أن يصلي العشاء منفردًا، ولو صلى أربع ركعات من التراويح بتسليمه لم يصح نقله في الروضة عن فتاوى القاضي حسين قال الشعبي - رحمه الله تعالى -: خلق الله تعالى بُرجًا تحت العرش فيه ملائكة لا ينزلون إلى الأرض إلا في ليالي رمضان يدعون لمن يصلي التراويح.

مسائل:

الأولى: التيمم رخصة من الله تعالى لهذه الأمة دون غيرهم من الأمم، وله سببان أحدهما: فَقْدُ الماء ولو في سفر قصير أو مقيم بموضع يغلب فيه الماء.

الثاني: أن يحتاج إليه لعطش له أو لرفيقه أو لحيوان محترم ولو مآلاً.

الثانية: من تيمم لبرد قضى أو لمرض يمنع الماء مطلقًا كالجدري إذا عم البدن أو أعضاء التيمم وهو الوجه واليدان وجب القضاء.

الثالثة: التيمم ضربتان ضربة للوجه وضربة لليدين على تراب أو شيء فيه غبار طاهر، ولو على ظهر كلب قائلاً عند الضربة: نويت استباحة فرض الصلاة ثم يمسح وجهه، وضربة لليدين، ويجب فيه نزع خاتمه.

فوائد: الأولى: قال النبي ﷺ: «**قال تعالى: إن أحب عبادي إلى أعجلهم فطرًا**» وقال النبي ﷺ: «**ثلاثة يحبها الله: تعجيل الفطر وتأخير السحور ووضع اليدين إحداهما على الأخرى في الصلاة**» وقال النبي ﷺ: «**لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر**» زاد الإمام أحمد: «**وأخروا السحور**»، وما صلى النبي ﷺ قط صلاة المغرب حتى يفطر، واليهود والنصارى يؤخرون فطورهم ولا يتسحرون.

الثانية: يسن أن يقول عند الفطر: اللهم لك صمت وعلى رزقك أفطرت. وروى النسائي أن النبي ﷺ كان يقول: «**ذهب الظمأ وابتلت العروق وثبت الأجر إن شاء الله تعالى**».

الثالثة: قال النبي ﷺ: «**إذا أفطر أحدكم فليفطر على تمر فإنه بركة فإن لم يجد فالماء، فإنه طهور**» قال الروياني: من أفطر على تمر زيد في صلاته أربعمائة صلاة، وقال: إنه وجد فيه حديثًا صحيحًا بإسناد صحيح عن النبي ﷺ: «**فإن لم يجد تمرًا فحلاوة**».

الرابعة: قال النبي ﷺ: «**تسحروا فإن في السحور بركة**». وقال أيضًا: «**إن الله وملائكته يصلون على المتسحرين**» وقال ﷺ: «**السحور كله بركة فلا تدعوه ولو أن يجرع أحدكم جرعة ماء**» وقال أيضًا: «**يرحم الله المتسحرين**».

الخامسة: رمضان خمسة أحرف فالراء رضوان الله، والميم مغفرة الله للعاصين، والضاد

ضمان الله للطائفين، والألف ألفة الله للمتوكلين، والنون نوال الله للصادقين. وقيل: جبريل أمان أهل السماء ومحمد أمان أهل الأرض ورمضان أمان لأمته وسمي رمضان؛ لأنه يرمض الذنوب أي يحرقها مأخوذ من الرمضاء وهو شدة الحر.

السادسة: فإن قيل: كيف كان رمضان ثلاثين يومًا؟

فالجواب: أن اليهود سألوا النبي ﷺ عن ذلك فقال: «**لأن آدم لما أكل من الشجرة بقى الطعام في بطنه ثلاثين يومًا**» ذكره أبو الليث السمرقندي.

السابعة: من شرف الصوم أن الله تعالى أضافه إليه فقال: الصوم لي وأنا أجزي به؛ لأن الصوم لا يتعبد به لغير الله، وقال النبي ﷺ: «**أتاكم شهر رمضان، شهر مبارك فرض الله عليكم صيامه، تفتح فيه أبواب السماء وتغلق فيه أبواب جهنم**».

الثامنة: قال ﷺ: «**شهر رمضان معلق بين السماء والأرض لا يرفع إلا بزكاة الفطر**» وهي صاع من غالب قوت البلد، والصاع: أربع حفنات بكفي رجل معتدل الكفين. حكاه ابن الملقن عن جماعة من العلماء، ولو من دقيق، وقال أبو حنيفة: من لم يملك نصابًا لا فطر عليه، والله أعلم.

فصل: في ليلة القدر وبيان فضلها

قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدر: ١]، يعني القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا فوضع في بيت العز، ثم نزل به جبريل مفرقًا في ثلاث وعشرين سنة أوله: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ [العلق: ١]، وآخره: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾ [البقرة: ٢٨١] قال القرطبي: ورأيت في شرح البخاري ابن أبي جمرة عن بعضهم. أول ما نزل من القرآن: اقرأ، وقال بعضهم: المدثر. والجمع بينهما أن أول ما نزل من التنزيل اقرأ وأول ما نزل من الأمر بالإنذار المدثر.

فإن قيل: كيف قال: قم فأنذر وما ذكر البشارة وهو ﷺ بشير ونذير؟، فالجواب: أن البشارة لمن دخل في الإسلام ووقت نزول هذه السور لم يكن ثم من دخل في الإسلام والله أعلم. قال القرطبي: نزلت التوراة لست مضين من رمضان والإنجيل لثلاث عشرة منه وصحف إبراهيم في أوله. قال ابن العماد: يستدل بهذه الآية على أن الليل أفضل من النهار. واختلفوا في معنى تفضيلها على ألف شهر وهي ثلاث وثمانون سنة وأربعة أشهر وذلك ثلاثون ألف حسنة في غيرها، قال ابن مسعود: ينبغي أن ينوي قيامها من أول ليلة المحرم إلى آخر السنة فيكون قد صادفها قطعًا، وقال مسعود: ينبغي أن ينوي قيامها من أول ليلة المحرم إلى آخر السنة فيكون قد صادفها قطعًا، وقال النووي: ولا ينال فضلها إلا من أطلعه الله عليها. قال الماوردي: يستحب كتمانها لمن رآها. وقال كثير من المفسرين: العمل فيها خير من العمل في

ألف شهر ليس فيها ليلة القدر، قال كعب الأحبار - رضي الله عنه -: كان في بني إسرائيل ملك صالح فأوحى الله تعالى إلى نبيهم: قل له: يتمنى فقال: أتمنى أن أجاهد في سبيل الله بمالي وولدي فرزقه الله تعالى ألف ولد فصار يجهز الولد فيجاهد حتى يقتل شهيدًا، ثم يجهز الآخر فيقتل شهيدًا وهكذا حتى قتلوا في ألف شهر، ثم جاهد الملك فقتل، فقال الناس: لا يدرك فضيلته أحد فأنزل الله تعالى هذه السورة.

قال الواقدي: وهي أول سورة نزلت بالمدينة، وقال نجم الدين النسفي: نزل بمكة خمس وثمانون سورة أولهن الفاتحة وآخرهن ويل للمطففين، ونزل بالمدينة تسع وعشرون أولهن البقرة وآخرهن المائدة، وقال أبو بكر الوراق: كان ملك سليمان - عليه السلام - خمسمائة شهر، وملك ذي القرنين خمسمائة شهر فجعل الله العمل في هذه الليلة خيرًا من ملكهما. ورأيت في روض الأفكار: أن النبي ﷺ ذكر يومًا أربعة من بني إسرائيل عبدوا الله ثمانين عامًا لم يعصوه طرفة عين فعجب أصحابه من ذلك فجاءه جبريل بهذه السورة فسُرّ النبي ﷺ وأصحابه بذلك. واختلفوا في تعيينها فالأكثرون على أنها في السابع والعشرين من رمضان، ومن صلى هذه الليلة أربع ركعات يقرأ الفاتحة والتكاثر مرة وقل هو الله أحد ثلاث مرات هوَّن الله عليه سكرات الموت، ورفع عنه عذاب القبر، وأعطاه أربع عواميد من نور كل عمود ألف قصر.

وقال الشافعي: - رضي الله عنه -: أقوى الروايات عندي أنها في الحادي والعشرين، وقال صاحب التنبيه: لا تنحصر في العشر الأخير. وأنكرها الرافعي ا هـ. والذي رأيته عن صاحب التنبيه - رضي الله عنه - أنه قال: حروف ليلة القدر تسعة قد ذكرها الله تعالى ثلاث مرات، فتضرب ثلاث في تسع تبلغ سبعة وعشرين، فدل على أنها في السابعة والعشرين وبه قال ابن عباس أيضًا: واحتج بأن الله خلق السموات سبعًا والأرض سبعًا والبحار سبعًا والأيام سبعًا، وخلقنا من سبع ورزقنا من سبع وهي قوله تعالى: ﴿فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا﴾ [عبس :٢٧] وهي الحنطة والشعير وسيأتي فضلها في باب الأمانة ﴿وَعِنَبًا﴾ [عبس :٢٨] وسيأتي أيضًا ﴿وَقَضْبًا﴾ [عبس :٢٨] وهو القصب ﴿وَحَدَآئِقَ غُلْبًا﴾ [عبس :٣٠] بساتين عظامًا شجرها فاكه كالتين، ﴿وَأَبًّا﴾ [عبس :٣١] وهو ما تأكله البهائم من العشب، وأمرنا بالسجود على سبع وسيأتي هذا كله في باب الأمانة.

فوائد:

الأولى: سلم الله على نوح في العالمين فأورثه الظفر على الكفرة بعد أن مكث فيهم ألف سنة إلا خمسين عامًا، قال مقاتل: أرسله الله وهو ابن مائة عام وعاش بعد الطوفان ستين عامًا، وسلّم الله على موسى فأورثه السلامة في البحر، وسلم الله على عيسى فأورثه إحياء الموتى، وسلم الله على إبراهيم فأورثه النجاة من النار، وسلم على محمد ﷺ فأورثه الشفاعة، وسلم على أمته ليلة القدر فأورثهم الرحمة.

الثانية: يقول الله تعالى ليلة القدر: يا جبريل الطاهر، ويا ميكائيل الذاكر، ويا إسرافيل الراكع اختاروا من الملائكة أرحمهم واقصدوا زيارة العصاة فينزلون مع كل ملك منهم سبعون ألف ومعهم أربعة ألوية: لواء الحمد ولواء المغفرة ولواء الكرم ولواء الرحمة فيسمع أهل كل سماء حتى الحور العين في الجنان فيقلن: يا رضوان ما هذه الليلة؟ فيقول: ليلة العرض تعرض أزواجكن، فيرفع الحجاب حتى ينظرون أزواجهن فتنزل الملائكة فينصبون لواء المغفرة على قبر محمد ﷺ وينصب لواء الرحمة فوق الكعبة، ولواء الكرامة فوق الصخرة، ولواء الحمد بين السماء والأرض، فلا يبقى بيت فيه مؤمن ولا مؤمنة إلا دخله ملك فمن كان جالسًا سلم عليه الملك ومن كان ذاكرًا سلم عليه جبريل، ومن كان مصليًا سلم عليه الرب سبحانه وتعالى.

الثالثة: رأيت في عيون المجالس: خطر على قلب محمد ﷺ ما يفعل الله بأمته؟ فأوحى الله إليه: يا محمد إلى كم تقاسي غم الأمة؟ لا أخرجهم من الدنيا حتى أعطيهم درجات الأنبياء في الدنيا؛ لأن درجات الأنبياء نزول الملائكة عليهم بالوحي والسلام منى فكذلك أمتك، تنزل عليهم الملائكة ليلة القدر بالرحمة والسلام منى، قال كعب الأحبار: من قال: لا إله إلا الله صادقًا ليلة القدر ثلاث مرات غفر الله له بواحدة، ونجاه الله من النار بواحدة، ودخل الجنة بواحدة.

الرابعة: عن على - رضي الله عنه -: من قرأ ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾ [القدر: ١] بعد العشاء سبع مرات عافاه الله من كل بلاء، ودعا له سبعون ملك بالجنة، ومن قرأها يوم الجمعة قبل الصلاة ثلاث مرات كتب الله له من الحسنات بعدد من صلى الجمعة في ذلك اليوم، وتقدم فضل قراءتها بعد الوضوء، ومن كتبها لامرأة معوقة سهل الله عليها الولادة، ومن قرأها عقب صلاة مفروضة أعطاه الله نورًا في قبره ونورًا عند الميزان ونورًا عند الصراط.

الخامسة: قال مؤلفه - رحمه الله تعالى -: رأيت بخط الوالد عن الشيخ أبي الحسن قال: منذ بلغت ما فاتني رؤيا ليلة القدر، فإن كان أول رمضان الأحد فهي في تسعة وعشرين - بتقديم المثناة - أو الإثنين فهي في إحدى وعشرين، أو الثلاثاء ففي سبع وعشرين أو الأربعاء ففي تسعة وعشرين أيضًا كالأحد، أو الخميس ففي خمس وعشرين أو الجمعة ففي سبع وعشرين - بتقديم السين - كالثلاثاء أو السبت ففي ثلاث وعشرين، والله أعلم.

السادسة: لو نذر أن يصلى ليلة القدر لزمه أن يصلى كل ليلة من العشر الأخير، فإن لم يفعل لم يقضها إلا في مثله. قال الماوردي: قال الروياني: وهو حسن صحيح، ولو قال: أنت طالق ليلة القدر وقع الطلاق بمضي العشر الأخير من رمضان.

السابعة: عن ابن عمر - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ: «**من صام رمضان وأتبعه ستًا من شوال خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه**» رواه الطبراني، وفي رواية: «**كان كصيام الدهر**» وتتابعها عند الشافعي أفضل خلافًا لمالك وأبي حنيفة وفي رواية عن مالك: أنها لا تستحب مطلقًا.

باب: فضل عرفة والعيدين والتكبير والأضحية

قال الله تعالى في عرفة: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ﴾ [المائدة: ٣]، فلما نزلت هذه الآية فرحت الصحابة غير أبي بكر الصديق؛ لأنه ما بعد الكمال إلا النقصان، وعاش النبي ﷺ بعدها ثمانين يومًا.

فإن قيل: ما الفرق بين التمام والكمال؟ فالجواب: أن الكمال لا يقتضى الزيادة والتمام يقتضى الزيادة فنعمه سبحانه وتعالى في زيادة ولا نهاية لها فله الحمد، وفرائضه لا زيادة فيها إلا لمن شاء زيادة تطوع فله الحمد، وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ: **«من صام يوم عرفة كتب الله له بعدد من صام ذلك اليوم وبعدد من يصومه من المسلمين ثوابًا، ويتبعه سبعون ألف ملك إلى الموقف وعند نصب الميزان من الموقف إلى الصراط، ومن الصراط إلى الجنة، ويبشرونه بكل خطوة يخطوها مركوبه ببشارة جديدة،** وعن النبي ﷺ: **«من صام يوم التروية أعطاه الله ثواب أيوب – عليه السلام – على بلائه، ومن صام يوم عرفة أعطاه ثوابًا مثل ثواب عيسى –عليه السلام–»** ورأيت في حادي القلوب الطاهرة: **«من صام يوم عرفة غفر الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر»**، قال الرازي: اليوم الثامن من ذي الحجة يسمى يوم التروية. قال النسفي: لأن الناس يملأون رواياهم فيه؛ لأجل صعود عرفة، وقيل: لأن إبراهيم – عليه السلام – روى فيه الرؤيا التي رآها بذبح ولده من الله. وقال أنس – رضي الله عنه –: صوم كل يوم من أيام العشر بألف يوم، ويوم عرفة بعشرة آلاف. وعن النبي ﷺ: **«إذا كان يوم عرفة نشر الله رحمته فليس من يوم أكثر عتقًا منه، ومن سأل الله تعالى في يوم عرفة حاجة من حوائج الدنيا والآخرة قضاها له، وصوم يوم عرفة يكفر سنة ماضية وسنة مستقبلة»** والحكمة في ذلك أنه بين عيدين وهما يوما سرور للمؤمن، ولا سرور للمؤمن أكثر من غفران ذنوبه، ويوم عاشوراء بعد العيدين فهو كفارة سنة واحدة؛ لأنه لموسى – عليه السلام – وكرامة النبي ﷺ تتضاعف على غيره، قال الروياني: ليس لنا عبادة تكفر ما بعدها غير صوم عرفة. قال الزركشي في قواعده: وليس كما قال ففي الحديث: **«الجمعة إلى الجمعة كفارة لما بينهما وزيادة ثلاثة أيام»** وزكاة الفطر طهارة للصائم ويجوز تقديمها من أول رمضان وإن تأخرت كانت رافعة، وإن تقدمت كانت دافعة؛ أي تدفع عن الصائم الوقوع في الإثم. ويقع السؤال عن هذا التكفير هل هو ممن عليه ذنب أم هو عام؟ فيقال: إن كان عليه ذنوب فيكفرها وإلا فيعطى من الثواب بقدر ما يكفر ذلك القدر لو كان عليه ذنب، وعن عائشة – رضي الله عنها – عن النبي ﷺ قال: **«إن في الجنة قصورًا من در وياقوت وزبرجد وذهب وفضة»** قلت: يا رسول الله لمن هي؟ قال: **«لمن صام يوم عرفة يا عائشة، من أصبح صائمًا يوم عرفة فتح الله عليه ثلاثين بابًا من الخير، وأغلق عنه ثلاثين بابًا من الشر، فإذا أفطر وشرب الماء استغفر له كل عرق في جسده»**.

وعن أم سلمة قالت: نعم اليوم يوم عرفة يوم خير وبركة، ويوم رحمة ومغفرة، فمن صامه

جعل الله له نصيبًا في ثواب من حضر الموقف، وباعده الله من النار سبعين خريفًا. وعن الفضل بن العباس - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «**من حفظ لسانه وسمعه وبصره يوم عرفة غفر له إلى يوم عرفة**». وقال عمر: قال النبي ﷺ: «**لا يبقى أحد يوم عرفة في قلبه مثقال ذرة من الإيمان إلا غفر له**» فقال رجل: لأهل عرفة يا رسول الله أم للناس عامة؟ قال: بل للناس عامة.

حكاية: قال ابن جارود: خرجت أنا وصاحب لي في طلب العلم فمررنا عشية عرفة على مدينة قوم لوط فقلت لصاحبي: ندخل هذه المدينة ونشكر الله على ما عافانا مما ابتلاهم به، فبينما نحن نطوف إذ رأيت رجلًا كوسجًا أغبر الوجه فقلت له: من أنت؟ فتغافل عنا، فقلنا له: لعلك إبليس، قال: نعم، فقلنا له: من أين أقبلت: قال: هذا وجهي من عرفات، كنت أشفيت صدري من قوم أذنبوا منذ خمسين سنة فنزلت الرحمة عليهم في هذا اليوم فجعلت التراب على رأسي، وجئت أنظر هؤلاء المعذبين حتى يسكن غضبي.

لطيفة: الكوسج: من قلَّ شعر وجهه وانحصر عن عارضيه. وقال في الروضة: الكوسج عند أبي حنيفة: من عدد أسنانه ثمانية وعشرون وهي مذكورة في باب الأمانة.

حكاية: قال العباس بن مرداس - رضي الله عنه -: دعا النبي ﷺ عشية عرفة لأمته فأجيب بأني غفرت لهم ما خلا الظالم فإني آخذ للمظلوم حقه، فقال: «**أي رب إن شئت أعطيت المظلوم من الجنة وغفرت للظالم**» فلم يجبه عشية عرفة، فلما أصبح بالمزدلفة أعاد الدعاء فأجيب إلى ما سأل، فضحك النبي ﷺ فسأله أبو بكر وعمر - رضي الله عنهما - عن ذلك فقال: إن عدو الله إبليس لما علم أن الله تعالى قد استجاب دعائي وغفر لأمتي أخذ التراب وجعل يحثوه على رأسه ويدعو بالويل والثبور، فأضحكني ما رأيت من جزعه.

حكاية: قال ابن عباس - رضي الله عنهما - نزل جبريل على النبي ﷺ يوم عرفة وله أربعة وعشرون ألف جناح مكللة بالدر والياقوت، منسوجة بألوان الجواهر، وقال: يا محمد ربك يقرئك السلام ويقول لك: اذهب إلى الطائف فإن فيها ألفًا وخمسمائة صنم تعبد من دون الله، فخرج النبي ﷺ ودعاهم إلى التوحيد فأعرضوا وأرسلوا له جارية فقالت: من أنت؟ فقال: «**محمد رسول الله**» فسألته عن مسائل فأجابها فقالت: اكشف عن ظهرك فلما رأت خاتم النبوة قبلته وأسلمت، فلما رجعت إلى أبيها وأخبرته بإسلامها أخذ أوتادًا من حديد محمية على النار وعذبها فقالت: هذا لمن يطلب الفردوس قليل، فلما ماتت طرحوها إلى النبي ﷺ فكفنها وصلى عليها ثم قال: «**والذي نفسي بيده ما ماتت حتى رأت منزلها في الجنة**»، ثم جاء جبريل وقال: يا محمد إن القوم قد اجتمعوا على قتلك بكلاب ضارية فلما أقبل النبي ﷺ أرسلوا الكلاب وقالوا: عليكم بمحمد، فقال النبي ﷺ: «**اللهم بحق يوم عرفة اصرف عني هذه الكلاب فخصت له فقال: عليك بأصحابك فوثبت الكلاب عليهم فرموها بالأحجار فوقع حجر في وجه**

النبي فنزل خمسة من الملائكة وقال كل منهم: إن ربك يأمرني أن أطيعك فيما تريد، فبكى وقال: «إن الله تعالى أرسلني رحمة ولم يبعثني عذابًا - ثم قال: اللهم بحق آدم وإبراهيم ورمضان ويوم عرفة ارزقهم الإيمان» قال ابن عباس: فوالله لقد صلينا الظهر والقوم أجمعون خلف النبي ﷺ.

حكاية: قال بعض الصالحين: رأيت رجلاً بمكة يقول: اللهم بحق صائمي عرفة لا تحرمني ثواب عرفة، فقلت له في ذلك، فقال: كان والدي يدعو بهذا الدعاء فلما رأيته في المنام، فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي بهذا الدعاء، ولما وضعت في قبري جاءني نور فقيل لي: هذا ثواب عرفة قد أكرمناك به.

فائدة: أكرم الله هذه الأمة بصيام عرفة وأكرم فيه أربعة من الأنبياء أكرم فيه آدم بالتوبة، وموسى بالتكليم، ومحمد بالحج وإكمال الدين، وإبراهيم بفداء الذبيح وهو إسماعيل كما تقدم في باب المحبة.

قال النيسابوري في تفسيره: هربت هاجر من سيدتها سارة فقال ملك: إلى أين؟ قالت: أهرب من سيدتي. قال: ارجعي واخضعي لها؛ فإن الله تعالى يكثر ذريتك وستحبلين وتلدين ولدًا اسمه إسماعيل يكون عين الناس، فلما أمر إبراهيم بذبحه في المنام؛ لأن منام الأنبياء وحي، وقيل: إن الله تعالى أمر جبريل بذلك فقال: يا رب بيني وبينه صداقة وهو شيخ كبير وما بشرته إلا بخير فلا أبشره بهذا، فحوله الله تعالى في المنام ليلة عرفة فلما أصبح ذبح مائة من الغنم، فجاءت نار فأكلتها فظن أنه وفى، فقيل له ليلة الأضحى: خليلَ الرحمنِ قرب ولدك إسماعيل، فلما أصبح قال لأمه: اغسلي رأسه وادهنيه ففعلت، فلما خرج جاء الشيطان وقال: يا هاجر إن إبراهيم يريد ذبح إسماعيل قالت: ولم؟ قال: زعم أن الله تعالى أمره فقالت: سلمنا الأمر لله، فلحق إسماعيل وقال له كما قال لأمه فرد عليه كما ردت عليه أمه ثم قال: يا إبراهيم تريد ذبح ولدك؟ قال: نعم قال: جاءك شيطان في المنام فقال: إليك عني يا عدو الله فلما وصل إلى الجبل قال: يا بني إني أريد أن أذبحك فانظر ماذا ترى؟ قال: يا أبت افعل ما تؤمر، ولكن إذا أضجعتني فشد وثاقي؛ لئلا يصيبك من دمي وكن على البلاء صابرًا، وادفع قميصي إلى أمي؛ ليكون لها تذكرة وأقرأها السلام مني، وإن سألتك عني فقل: تركته عند من هو خير منك ومني، فقال إبراهيم: يا رب ارحم ضعفي وكبر سني، فإن لم ترحمني فارحم هذا الولد الصبي الصغير الذي لا ذنب له وكان عمره سبع سنين، وقيل: ثلاثة عشر فضجت الملائكة بالبكاء وفتحت أبواب السماء فصرعه على وجهه ووضع السكين على أوداجه فلم تقطع شيئًا، وقيل: أوحى الله تعالى إلى جبريل: أدركه إن قطعت السكين منه شيئًا لأمحونك من ديوان الملائكة.

قال النسفي - رحمه الله تعالى -: إن إبراهيم ألقى السكين مغضبًا فقالت - أي السكين -: لم تغضب؟ قال: لأنك لم تقطعي شيئًا، فقالت له: كيف النار لم تحرق منك شيئًا؟ قال: خرج

النداء من قبل الله: يا نار كوني بردًا وسلامًا على إبراهيم فقالت: وأنا خرج لي سبعين مرة لا تقطعي شيئًا، وأن إسماعيل قال لأبيه: حل وثاقي لئلا يقول الناس: ذبحه قهرًا ولا يعلمون أني أبذلك روحي طائعًا مختارًا، ثم قال: يا أبت أنا أكرم منك أم أنت أكرم مني؟ فقال إبراهيم: أنا تكرمت بولدي. فقال: وأنا تكرمت بروحي ولا أملك غيرها، وقيل: إن إبراهيم أكرم؛ لأن ألم الفرقة يدوم بالموت وألم الذبح يزول بالموت. فلما قال ذلك، قال الله تعالى: أنا أكرم منكما فأرسل جبريل بالكبش الذي قربه هابيل فذهب إبراهيم ليأخذه فهرب منه، فقال جبريل: ألا أحبسه لك؟ قال: لا قال: ولم؟ قال: لأني ما استعنت بك في الهواء حين طرحوني في النار فكيف أستعين بك وأنا على وجه الأرض؟ فلما نظر إسماعيل إلى الكبش بكى فقيل: في ساعة السرور؟ فقال: وكيف لا يبكي من أبعده الحبيب، ولم يرضه للتقريب؟ فقال جبريل: يا إبراهيم إن الله قد أعطاك بصبرك دعوة لك مستجابة ادع بها ما سألت فقال: اللهم لا تعذب أحدًا من أمة محمد ﷺ، فقال جبريل: الله أكبر الله أكبر الله أكبر، فقال إسماعيل: لا إله إلا الله والله أكبر، فقال إبراهيم: ولله الحمد.

لطيفة: قال الهمداني - رحمه الله تعالى -: كان الله تعالى يقول: ربيت الكبش في الفردوس أربعة آلاف سنة؛ ليكون فداء لإسماعيل من الذبح، وكذلك ربينا فرعون أربعمائة سنة ليكون فداءً لموسى من الغرق وربينا أشنوع اليهودي خمسين سنة؛ ليكون فداء لعيسى من القتل، وذلك أن اليهود أدخلوا رجلًا منهم على عيسى ليقتله فرفع الله عيسى وألقى شبهه على اليهود، فدخل اليهود البيت فقتلوا صاحبهم ظنًّا منهم أنه عيسى فذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ۝١٥٧ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِ﴾ [النساء: ١٥٧-١٥٨]، وفي آية أخرى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمۡ﴾ [النساء: ١٥٧] تقدم في باب الدعاء أن جبريل - عليه السلام - علمه دعاء فلما دعا به رفعه الله إليه وكذلك ربى الله اليهود والنصارى برزقه؛ ليكونوا فداء لأمة محمد ﷺ من النار يوم القيامة.

فوائد: الأولى: عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «**زينوا أعيادكم بالتكبير**» وفي رواية أنس: «**زينوا العيدين بالتهليل والتقديس والتحميد والتكبير**» ذكرها في المنتخب عن حلية أبي نعيم، قال النبي ﷺ: «**أكثروا من التكبير ليلة عيد النحر إلى آخر أيام التشريق خلف الصلاة ثلاثًا فإنه يهدم الذنوب هدمًا**» قالت فاطمة - رضي الله عنها - قال النبي ﷺ: «**إذا رأيت الحريق فكبرى فإنه يطفئ النار**»، قال في الروضة: تكبيرة ليلة الفطر آكد من تكبير الأضحى، وصلاة العيدين أفضل من صلاة النافلة، ويكبر خلف الفائتة والنافلة والجنازة من صبح عرفة إلى عصر آخر أيام التشريق، وللفطر من ليلته إلى أن يحرم بصلاة العيد.

الثانية: سمي العيد عيدًا؛ لأن فيه عوائد الإحسان وفوائد الامتنان من الله إلى عبيده،

وقيل: لأنه يعدو كل سنة بفرح جديد، ذكره الرازي في المائدة التي نزلت على عيسى وقومه في سفرة حمراء بين غمامتين، إحداهما فوقها والأخرى تحتها، مغطاة بمنديل من حرير الجنة، فكشفه عيسى وقال: بسم الله خير الرازقين، فإذا فيها سمكة مشوية عند رأسها ملح وعند ذنبها خل وحولها أنواع البقول غير الكرات، وحولها خمسة أرغفة على واحد زيتون، وعلى الثاني عسل، وعلى الثالث سمن، وعلى الرابع جبن، وعلى الخامس دقيق، فقال شمعون كبير الحواريين: يا روح الله هذا من طعام الآخرة أم من طعام الدنيا؟ فقال: ليس منهما بل هو من طعام اخترعته القدرة فقال: يا روح الله لو أريتنا من هذه الآية آية أخرى فقال: يا سمكة احيي - بإذن الله تعالى - فقامت على ذنبها وفتحت فاها ثم عادت مشوية كما كانت فأكلوا حتى شبعوا، ثم طارت ولم تنقص، فصار يوم نزولها يوم عيد النصارى إلى يوم القيامة وهو يوم الأحد، فإن قيل: قول الحواريين، هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء؟ ذلك شك في قدرة الله تعالى وهم مؤمنون فكيف يليق ذلك بهم؟

فالجواب: قول عيسى ﴿اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ١١٢]، دليل على نقصان إيمانهم؛ فلذلك طلبوا هذه المعجزة السماوية وهي المائدة.

وجواب آخر: لعل المراد بالرب جبريل؛ لأنه الذي رباه وأعانه في جميع أحواله، وهو من النعم التي عددها تعالى عليه حيث قال: إذ أيدتك بروح القدس، فيكون المعنى: هل يقدر جبريل على إنزال مائدة من السماء، قال القرطبي - رحمه الله تعالى -: نزلت المائدة عليهم أربعين يومًا من وقت الضحى إلى أن يفيء الفيء ثم ترفع، فيأكل سبعة آلاف ثم أمر الله تعالى عيسى أن يخص بها الفقراء دون الأغنياء وأمر أن لا يدخروا شيئًا فخالفوا فمسخهم الله قردة وخنازير، وقيل: سمي العيد عيدًا؛ لأن المؤمنين عادوا من طاعة الله تعالى وهي صيام رمضان إلى طاعة رسوله وهي صيام ستة أيام من شوال، وهي لا تجوز عند الإمام أحمد في رواية وهي المذهب عند أصحابه، وقدمها في المحور والرعاية، ورأيت في كتاب الدرر واللآلئ في فضائل الأيام والليالي عن النبي ﷺ: «**من ضحى أضحيته فإذا خرج من قبره وجده قائمًا على رأس القبر، فإذا شعره من قضبان الذهب، وعينه من ياقوت، وقرناه من ذهب، فيقول: من أنت فما رأيت شيئًا أحسن منك؟ فيقول: أنا قربانك الذي قربتني في الدنيا، اركب على ظهري فيركب عليه ويذهب بين السماء والأرض إلى ظل العرش**، وقال علي - رضي الله عنه -: **إذا ضرب العبد قربانه بالأرض فذبحه كان أول قطرة من دمه كفارة لذنبه وله بكل شعرة حسنة**. وفي الغنية للشيخ عبد القادر الكيلاني، قال داود - عليه السلام -: **إلهي ما ثواب من ضحى من أمة محمد** ﷺ قال: ثوابه أن أعطيه بكل شعرة على جسده عشر حسنات وأمحو عنه عشر سيئات، وعن النبي ﷺ: «**ألا إن الأضحية هي تنجي صاحبها من شر الدنيا والآخرة**» وقال علي - رضي الله عنه -: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾ [مريم: ٨٥]، أي ركبانًا على نجائبهم، ونجائبهم: ضحاياهم وعن النبي ﷺ: «**عظموا ضحاياكم فإنها على**

الصراط مطاياكم»، وعن النبي ﷺ: «**من قال: سبحان الله وبحمده يوم العيد ثلاثمائة مرة وأهداها لأموات المسلمين دخل في كل قبر ألف نور ويجعل الله في قبره إذا مات ألف نور**» وقال أنس عن النبي ﷺ: «**من قال في كل واحد من العيدين: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت، بيده الخير وهو على كل شيء قدير، أربعمائة مرة قبل صلاة العيد زوجه الله أربعمائة حوراء، وكأنما أعتق أربعمائة رقبة، ووكل الله به ملائكة يبنون له المدائن ويغرسون له الأشجار يوم القيامة**».

قال الزهري: ما تركتها منذ سمعتها من أنس، وقال أنس: ما تركتها منذ سمعتها من رسول الله ﷺ وقال أيضًا: خلق الله تعالى الجنة يوم الفطر، وغرس شجرة طوبي يوم الفطر، واصطفى جبريل للوحي يوم الفطر، وصلاة العيد تستحب للنساء في بيوتهن ويؤمن إحداهن أو محرم أو صبي يميز، وقال النبي ﷺ: «**أفضل أيام الدنيا أيام العشر**» يعني عشر ذي الحجة كما سيأتي قريبًا. وفي رواية البزار: «**من أحيا الليالي الخمس وجبت له الجنة: ليلة التروية وليلة عرفة وليلة النحر وليلة الفطر وليلة النصف من شعبان**»، وعنه ﷺ: «**في أول ليلة من ذي الحجة ولد إبراهيم** ﷺ فمن صام ذلك اليوم كان كفارة ثمانين سنة»، وعن النبي ﷺ: «**ما من أيام الدنيا أحب إلى الله أن يتعبد له فيها من أيام العشر، وإن صيام يوم منها ليعدل صيام سنة**»، وقال علي - رضي الله عنه: قال النبي ﷺ في أول ليلة من ذي الحجة: «**يعدل صيام كل يوم منها بقيام ليلة القدر**» رواه الترمذي وابن ماجه والبيهقي.

مسألة: لو قال: أنت طالق في أفضل الأيام طلقت يوم عرفة، وليس للزوج منع زوجته من صيامه ولا من صيام عاشوراء، وسمى عرفة؛ لأن آدم - عليه السلام - عرف فيه أركان الحج، وقيل تعارف هو وحواء. وتقدم في باب الدعاء دعاء الخضر وإلياس - عليهما السلام - في يوم عرفة وصوم يوم عرفة في عرفات مكروه.

فائدتان:

الأولى: عن ابن عباس - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ: «**من صام آخر يوم من ذي الحجة وأول يوم من المحرم فقد ختم السنة الماضية بصوم واستقبل القابلة بصوم جعل الله له كفارة خمسين سنة**».

الثانية: من قال آخر ذي الحجة: اللهم ما عملته هذه السنة مما نهيتني عنه ولم ترضه، ونسيته ولم تنسه، وحلمت على بعد قدرتك على عقوبتي ودعوتني إلى التوبة منه بعد جراءتي على معصيتك، اللهم فإني أستغفرك منه فاغفر لي، وما عملت فيه من عمل ترضاه وعدتني عليه الثواب فأسألك اللهم يا كريم يا ذا الجلال والإكرام أن تقبله مني ولا تقطع رجائي منك، يا كريم وصلي الله علي سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، قال الشيطان: تعبنا منه طول سنته فأفسده في ساعة واحدة.

باب: فضل صيام عاشوراء، وصيام الأيام البيض والسود أيضًا

فائدة: من قال أول المحرم: اللهم أنت الأبدي القديم وهذه سنة جديدة أسألك فيها العصمة من الشيطان وأوليائه والعون على هذه النفس الأمارة بالسوء، والاشتغال بما يقربني إليك يا كريم. قال الشيطان: أيسنا من نفسه، ويوكل الله به ملكين يحرسانه تلك السنة، وعن أنس - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ: **«من صام أول جمعة غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن صام ثلاثة أيام من المحرم الخميس والجمعة والسبت كتب الله له من المحرم عبادة تسعمائة عام»**، وسيأتي في باب فضل هذه الأمة أن هذه الرواية وردت في الأشهر الحرم من غير تقييد بالمحرم، وفي رواية الطبراني: **«من صام يومًا من المحرم كان له بكل يوم ثلاثون يومًا»**، قالت عائشة - رضي الله عنها -: قال النبي ﷺ: **«من صام أيام العشر إلى عاشوراء أورث الفردوس الأعلى»** وعن النبي ﷺ: **«من صام يوم عاشوراء كتب الله له ألف حجة وألف عمرة وأعطي ثواب ألف شهيد وكتب له أجر ما بين المشرق والمغرب وكان كمن أعتق ألف نسمة من ولد إسماعيل، ويكتب له سبعون ألف قصر في الجنة وحرم الله جسده على النار»** وفي حديث آخر: **«من صام يوم عاشوراء أعطي ثواب عشرة آلاف ملك، ومن قرأ قل هو الله أحد ألف مرة يوم عاشوراء نظر الله إليه بعين رحمته وكتب من الصديقين»**، ومعنى عاشوراء: من حفظ حرمته عاش نورًا أي في النور فأسقطت النون تخفيفًا وفيه تقلب أهل الكهف من جنب إلى جنب.

فائدة: سمي عاشوراء: لأن الله أكرم فيه جماعة من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام اصطفى آدم ورفع إدريس واستوت سفينة نوح على الجودي يوم عاشوراء بعد أن مكث الماء على الأرض مائة وخمسين يومًا ونزل الماء في أربعين يومًا بلياليها فكان ماء العيون أصفر، وماء السماء أحمر وأنطق الله السفينة فقالت: لا إله إلا الله، إله الأولين والآخرين أنا السفينة التي من ركبني نجا ومن تخلف عني غرق ولا يدخلني إلا أهل الإخلاص فنادى نوح على سطح داره: أيتها الوحوش الراعية والسباع الضارية والطيور الطائرة هلموا للسفينة المنجية، قال الرازي: الكلام في طولها وقدرها فضول لا فائدة فيه، وقال مقاتل: طولها ألف ذراع فغطى الماء منها ثمانمائة ذراع فركبها يوم الأربعاء ثاني عشر رجب، وقيل في مستهله: قال الهمداني: لما أمر الله نوحًا بالسفينة اتخذها من مائة ألف لوح وأربعة وعشرين ألفًا على ظهر كل لوح نبي وعلى ظهر آخرها اسم محمد ﷺ فلما تمت السفينة احتاج إلى أربعة ألواح أخرى فلما اتخذها ظهر على كل لوح اسم واحد من الخلفاء الأربعة تقول: لما أظهر محمد ﷺ واسم أصحابه نجت السفينة من الغرق وكذلك أظهرت حبه وحب أصحابه في قلوب الموحدين نجاة لهم في الآخرة من النار واتخذ الله إبراهيم خليلًا يوم عاشوراء، وغفر الله لداود يوم عاشوراء، ورد الله على سليمان ملكه فيه، والسبب في ذلك أنه - عليه السلام - غزا ملكًا فقتله وتزوج ابنته وكانت جميلة فصارت تبكي ليلًا ونهارًا على أبيها، فأمرته أن يأمر الشيطان

بأن يتمثل صورة أبيها ففعل، فسجدت لأبيها أربعين يومًا وهو لا يعلم فتوضأ في بعض الأيام ونزع خاتمه ودفعه إلى بعض أزواجه فجاء الشيطان في صورة سليمان - عليه السلام - وطلب الخاتم فلما لبسه عكف عليه الطير وجلس للحكم، فجاء سليمان وطلبه فقالت: إن سليمان أخذه وجلس للحكم فخرج إلى البحر وأقام عند صياد أربعين يومًا وكان حكم الجني أنه أباح وطء الحائض فأنكر الناس ذلك وقالوا: ليس هذا حكم سليمان؛ لأنه كبيرة، وأما بعد انقطاعه وقبل غسلها أو تيممها فجوزه أبو حنيفة وحرمه الشافعي -، فطار الشيطان وألقى الخاتم في جوفها، فعكف الطير عليه وعاد إلى حال الأول، فأخبر جبريل بأن في بيته من يعبد غير الله منذ أربعين يومًا فعاقب المرأة وكسر الصورة، حكاه القرطبي وغيره لكن منع القاضي عياض صحته، وكشف الضر عن أيوب، وخرج يونس من بطن الحوت بعد أربعين يومًا، واجتمع يعقوب بيوسف بعد أربعين سنة، وقيل: بعد ثمانين سنة، وولد عيسى ورفع إلى السماء وتزوج النبي ﷺ خديجة وخلق الله السموات والأرض والقلم وآدم وحواء كل ذلك يوم عاشوراء، وفيه تقوم الساعة، وقال القرطبي: إنها تقوم يوم الجمعة في آخر ساعة منه وهي التي خلق الله فيها آدم في النصف من رمضان.

فائدة: مكتوب في التوراة: من صام يوم عاشوراء فكأنما صام الدهر كله، ومن مسح فيه على رأس يتيم أعطاه الله بكل شعرة شجرة في الجنة عليها من الحلي والحلل ما لا يعلمه إلا الله تعالى، ومن تصدق فيه فكأنما لم يترك سائلًا إلا أعطاه ومن أرشد فيه ضالاً ملأ الله قلبه نورًا ومن كظم فيه غيظًا كتبه الله من الراضين، ومن أكرم فيه مسكينًا أكرمه الله يوم يوضع في قبره، وقال النبي ﷺ: «**من وسع على عياله وأهله يوم عاشوراء وسع الله عليه سائر سنته**» رواه البيهقي، وعنه ﷺ: «**من صلى يوم عاشوراء أربع ركعات يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد إحدى عشرة مرة غفر الله له ذنوب خمسين عامًا وبني له منبرًا من نور، ومن اغتسل فيه لم يمرض تلك السنة إلا مرض الموت، ومن اكتحل فيه لم يرمد تلك السنة**»، قال النسفي: أي لم ترمد عينا قلبه.

فائدة: الاكتحال بماء الفجل يقوى البصر ويزيل الرطوبة من العينين، وتقدم في باب الدعاء منافع كثيرة في الفجل. وسيأتي في مناقب عثمان أن العسل يقوى البصر أكلًا واكتحالاً، وأكل الزعتر أيضًا وشرب ماء الورد وشمه وشم النرجس يقوي الدماغ وأكل البندق والإكثار من لبن الضأن يقوى الدماغ البارد وأكل الخس والزيتون الأسود يضعفان البصر، والاكتحال بالفلفل الأسود ينفع من ظلمة البصر ومن الدمعة، وعن حذيفة عن النبي ﷺ قال: «**التكحل في العينين يحد البصر والسواك يثبت الأضراس**»، وعن النبي ﷺ: «**يا علي كل الزيت وادهن به فإن من ادهن الزيت لم يقربه الشيطان أربعين ليلة**» ذكره في تحفة الحبيب، وعنه ﷺ: «**كلوا الزيت وادهنوا به فإن فيه شفاء من سبعين داء منها الجذام**».

حكاية: كان بمصر رجل لا يمسك إلا ثوبًا واحدًا، فصلى الصبح يوم عاشوراء في جامع

عمرو بن العاص - رضي الله عنه - ومن عادة هذا الجامع لا يدخله النساء إلا في يوم عاشوراء؛ لأجل الدعاء فقالت له امرأة: أعطني شيئًا لله أستعين به على أولادي قال: نعم، فرجع إلى بيته وائتزر ودفع ثوبه لها من شق الباب فقالت له: ألبسك الله من حلل الجنة فرأى تلك الليلة في المنام حوراء جميلة ومعها تفاحة لها رائحة طيبة فكسرها فوجد فيها حلة، فقال: من أنت؟ قالت: أنا عاشوراء زوجتك في الجنة فاستيقظ فوجد البيت قد فاح فيه ريح طيبة فتوضأ وصلى ركعتين، وقال: اللهم إن كانت زوجتي حقًّا في الجنة فاقبضني إليك فاستجاب الله دعاءه ومات في الحال.

حكاية: رأيت في الكتاب المذكور في صيام أيام البيض وغيرهما أن رجلاً سأل ابن عباس - رضي الله عنهما - عن الصيام فقال: ألا أحدثك بحديث كان عندي؟ فقال له: إن كنت تريد صيام داود فإنه كان يصوم يومًا ويفطر يومًا وإن كنت تريد صيام سليمان فإنه كان يصوم ثلاثة أيام من أول الشهر وثلاثة من وسطه وثلاثة من آخره، وإن كنت تريد صيام عيسى - عليه السلام - فإنه كان يصوم الدهر ويلبس الشعر وحيثما أدركه الليل صف قدميه وصلى حتى تطلع الشمس، وإن كنت تريد صيام أمه فكانت تصوم يومين وتفطر يومًا وإن كنت تريد صوم خير البرية ﷺ فإنه كان يصوم الأيام البيض من كل شهر ثالث عشر ورابع عشر وخامس عشر حضرًا وسفرًا.

قال السهروردي في عوارف المعارف: سميت أيام البيض؛ لأن آدم - عليه السلام - لما هبط إلى الأرض اسوّد بدنه من أثر المعصية، وقال الشيخ عبد القادر الكيلاني - رضي الله عنه -: سئل علي - رضي الله عنه -: لأي شيء سميت أيام البيض؟ فأجاب بأن آدم - عليه السلام - لما هبط من الجنة إلى الأرض واسود بدنه من حر الشمس جاء جبريل وأمره بصيام أيام البيض فابيض في اليوم الأول ثلث بدنه وفي اليوم الثاني ثلثاه وفي اليوم الثالث جميعه، قال في العقائد: لما اسود بدن آدم أمره الله أن يبني بيتًا ويطوف به حتى يتوب عليه فبنى الكعبة فجاءه جبريل بالحجر الأسود وكان درة بيضاء فلما رآه آدم بكى فقال الحجر: يا آدم أنت الذي فعلت بنفسك حيث أكلت من الشجرة، فقال: يا رب عيرني كل شيء حتى الحجر فنقل الله بياض الحجر إلى جسد آدم ونقل سواد جسد آدم إلى الحجر، وقيل: سميت أيام البيض لبيض لياليها بالقمر إذا انشق أي تم ضوؤه ونوره واجتمع ذلك في هذه الليالي كما أن الليل يجمع ما انتشر في النهار من الدواب وغيرهما كما قال: ﴿وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ﴾ [الانشقاق: ١٧]، أي إذا جاء الليل آوى كل شيء إلى مأواه فهما يحولان من نور إلى ظلمة كذلك الأحوال تتبدل في الدنيا والآخرة قال تعالى: ﴿لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ﴾ [الانشقاق: ١٩]، أي حالاً بعد حال من الحياة إلى الموت، ومن الموت إلى الحياة، وعن بمعنى بعد.

موعظة: عن النبي ﷺ: «**لا تظهر الشماتة لأخيك فيرحمه الله ويبتليك**» رواه الترمذي، ومن عير أخاه بذنب لم يمت حتى يعمله.

فائدتان:

الأولى: رأيت في تحفة الحبيب عن الحسن بن على عن النبي ﷺ: «**صوم أيام البيض أول يوم يعدل ثلاثة آلاف سنة، والثاني يعدل عشرة آلاف سنة، والثالث يعدل ثمانية عشر ألف سنة**»، وفي حديث آخر: «**رأيت في الغنية**» للشيخ عبد القادر الكيلاني قال على - رضي الله عنه -: كان النبي ﷺ في الحج فسلمت عليه فقال: «**يا على هذا جبريل يقرئك السلام**» فقلت: عليك و عليه السلام ثم قال: «**يا على يقول لك جبريل: صم من كل شهر ثلاثة أيام يكتب لك بأول يوم عشرة آلاف سنة وباليوم الثاني ثلاثون وباليوم الثالث مائة**»، فقلت: يا رسول الله هذا لي خاصة؟ فقال: «**يعطيك الله هذا الثواب ولمن يعمل مثل عملك**».

الثانية: قال الماوردى: يستحب صيام أيام السود أيضًا وهي: ثامن عشرين وتاسع عشرين ويوم الثلاثين، قال ابن العماد: ويدل عليه في الحديث: «**صمت من سواد هذا الشهر صيام شيث**» والسود بفتح السين المهملة: هي الثلاثة أيام آخر الشهر ثم قال: ولو صام ثلاثة أيام غير الأيام البيض حصلت السنة، لقول أبي هريرة - رضي الله عنه -: أوصاني خليلي بثلاثة لا أدعهن، أمرني بصيام ثلاثة أيام من كل شهر . . . ، وقال في الروضة: يسن صيام آخر يوم من كل شهر.

حكاية: قال الشلبي - رضي الله عنه -: كنت في قافلة فطلع علينا العرب فأخذوا القافلة ثم مررت عليهم وهم يأكلون شيئًا من طعام القافلة فرأيت كبيرهم صائمًا، فقلت له: تصوم وتقطع الطريق فقال: أترك للصلح موضعًا، ثم بعد مدة رأيته في الطواف فقال: يا شلبي انظر إلى الصيام كيف أصلح بيني وبينه. وقال أبو موسى الأشعرى - رضي الله عنه -: كنت في مركب والريح طيبة فهتف بنا هاتف سبع مرات: يا أهل السفينة قفوا حتى أخبركم فقلت: أخبرنا قال: ألا أخبركم بقضاء الله على نفسه؟ قلت: بلى قال: إن الله تعالى قضى على نفسه أن من أعطش نفسه في يوم حار كان حقًّا على الله أن يرويه يوم القيامة، وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «**لو أن رجلاً صام يومًا تطوعًا ثم أعطى ملء الأرض ذهبًا لم يستوف ثوابه دون يوم القيامة**» وفي حديث آخر: «**من صام يومًا في سبيل الله كأنه جعل بينه وبين النار خندقًا كما بين السماء والأرض**».

لطيفة: من رأى في منامه كأنه صائم نال عزًّا وعملاً صالحًا، وإن صام في السفرة قرب أجله.

فائدة: رأيت في تنبيه الغافلين: دخل بلال - رضي الله عنه - والنبي ﷺ يأكل فقال: «**يا بلال الطعام**» قال: يا رسول الله إني صائم فقال: «**نأكل رزقنا، ورزق بلال في الجنة إن الصائم إذا كان عند قوم يأكلون تسبح أعضاؤه وتصلي عليه الملائكة وتقول: اللهم ارحمه ما دام في مجلسه**»، والله أعلم.

باب: فضل الجوع وآفات الشبع

قال الله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف:٣١].

مسألة: التبسط في المآكل والملابس جائز إلا للمكاتب فلا يحل له ذلك، قال أبو محمد الجويني رضي الله عنه: والمكاتب: هو عبد مكلف قال له سيده المكلف: كاتبتك على ألف مثلاً مقسط خمسة أقسام مثلاً في كل شهر قسطان، إذا أديته فأنت حر، ويقول العبد: قبلت ولا بد أن يكون العبد والسيد رشيدين ويجب على السيد أن يحط على العبد جزءًا من المال ولو درهما واحدًا، والله أعلم، وعن النبي ﷺ: «**جاهدوا أنفسكم بالجوع والعطش فإن الأجر في ذلك كأجر المجاهدين في سبيل الله**»، وقال أبو هريرة - رضي الله عنه -: دخلت على النبي ﷺ فوجدته يصلى جالسًا فسألته عن ذلك فقال: «**من الجوع**» فبكيت فقال: «**لا تبك فإن شدة القيامة لا تصيب الجائع إذا احتسبه**» وقال ﷺ: «**أفضلكم منزلة عند الله أطولكم جوعًا وتفكراً، وأبغضكم إلى الله كل نوام أكول شروب**» وقال ﷺ: «**الأكل في اليوم مرتين من الإسراف والله لا يحب المسرفين**» رواه البيهقي. وقال ﷺ: «**سيكون رجال من أمتي يأكلون ألوان الطعام ويشربون ألوان الأشربة، ويلبسون ألوان الثياب، ويتشدقون في الكلام، أولئك شرار أمتي**» رواه الطبراني. وقال ﷺ: «**أكثر الناس شبعًا في الدنيا أطولهم جوعًا في الآخرة**» رواه ابن ماجه. وذكر الغزالي - رضي الله عنه - في الإحياء: أن الأكل على الشبع يورث البرص ورأيت في زاد المسافر - وهو كتاب حسن في الطب - أن التخمة من كثرة الأكل وذلك من أعظم المضرات للبدن فإن تغير الأكل إلى البلغم كان الجشاء حامضًا وإلى الحرارة كان الجشاء دخانيًا وهذا التغير له أسباب كثيرة: الأول: كثرة الأكل بحيث تعجز عنه نار المعدة فإن النار اليسيرة تنطفئ بكثرة الحطب. الثاني: بحسب طبع الإنسان فإنه قد يأكل شيئًا لا تقبله المعدة. الثالث: بحسب قوة الأعضاء، فإن تصدع الرأس أو ثقل علمنا بذلك ضعف الرأس وحده وإن حصل حمى واقشعر بدنه أو تثاءب كثيرًا علمنا ضعف جميع البدن فيجب عليه القيء، فإن شق عليه فليشرب ماء حارًا فإنه يسهل القيء، وسيأتي في باب الصدقة: أن شرب اليسير من الماء الحار على الريق فيه منفعة عظيمة ورأيت في تحفة الحبيب فيما زاد على الترغيب أن رجلاً قال: يا رسول الله إني رجل مسقام لا يستقيم بدني على طعام ولا شراب فادع الله لي بالصحة فقال: «**إذا أكلت أو شربت فقل: بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء يا حي يا قيوم، لم يصبك منه داء ولو كان فيه سم**» وقال ﷺ: «**نوروا قلوبكم بالجوع وخشن الثياب**».

فوائد:

الأولى: قال النبي ﷺ: «**من أكل طعامًا ثم قال: الحمد لله الذي أطعمني هذا الطعام ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر**» رواه أبو داود والترمذي وابن

ماجه. وقال ﷺ: «**كلوا ولا تفرقوا فإن البركة مع الجماعة**» وقال النبي ﷺ: «**طعام الواحد يكفي الاثنين وطعام الاثنين يكفي الأربعة وطعام الأربعة يكفي الثمانية**» رواه مسلم.

الثانية: قال في عوارف المعارف: يستحب أن يقول عند أول لقمة: بسم الله وفي الثانية: بسم الله الرحمن وفي الثالثة: بسم الله الرحمن الرحيم.

الثالثة: قال الحليمي - رضي الله عنه -: أكل العدس بالزيت طعام الصالحين؛ لأن البدن لا يثقل به فيخفف للعبادة وهو من شهوات بني إسرائيل حيث قالوا لموسى - عليه السلام -: ادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها - وهو الحنطة عند الأكثرين وصححه القرطبي قال في نزهة النفوس: ترياق العدس في قشره وصحاحه أنفع من مطحونه، وأقل ضررًا وأخف على المعدة وهو أنفع الأغذية لصاحب الجدري والحصبة ومن ابتلع منه ثلاثين حبة مقشرة نفع من استرخاء المعدة وإذا طبخ دقيقه بماء الكزبرة الخضراء وتدلك في الحمام من به حكة أو جرب قلعه، قال بعضهم: أكل الكزبرة بالخل والسماق ينفع لمن لا تحتوي معدته على الطعام.

حكاية: مكث عيسى - عليه السلام - يناجي ربه ستين صباحًا لم يخطر على قلبه أكل الخبز، ثم خطر له ذلك فانقطعت عنه المناجاة فبكى عيسى وإذا بشيخ قد أقبل فقال له عيسى: ادع الله لي فإني كنت على حالة فانقطعت عني لما خطر أكل الخبز فقال الشيخ: اللهم إن كان خطر ببالي أكل الخبز منذ عرفتك فلا تغفر له، قال بعض المفسرين: كان يعقوب - عليه السلام - يضع الأرغفة على عدد أولاده فيأكل يوسف من رغيف أخيه بنيامين سرًّا ويتصدق برغيفه فلذلك سموه سارقًا، بقولهم: ﴿إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ﴾ [يوسف:٧٧] وهو يوسف - عليه السلام - قال القرطبي - رضي الله عنه -: ما أباح الله شيئًا وكرهه إلا الطلاق والشبع وقال غيره: أول بدعة حدثت بعد النبي ﷺ الشبع. قال ابن عبد السلام في قواعد البدعة: فعل لم نعهده في عصر النبي ﷺ. وهي تنقسم إلى واجب كالنحو لأجل القراءة والحديث النبوي وإلى محرم كمذهب القدرية والمجسمة، فالرد على هؤلاء من البدع الواجبة وإلى مندوب كصلاة التراويح، وبناء المدارس وإلى مكروه كزخرفة المساجد وتزويق المصاحف وإلى مباح كالمصافحة بعد صلاة العصر والصبح والتوسع في المأكل والمشرب والملبس، قال في شرح المهذب: أما المصافحة بعد العصر والصبح فلا أصل لها ولكن لا بأس بها. وقال في الفتاوى: المصافحة بعد العصر والصبح معدودة من البدع المباحة إن اجتمع المتصافحان قبل الصلاة وإلا فهو مستحب لأنه ابتداء لقاء. قال ﷺ: «**ما من مُسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غُفر لهما قبل أن يفترقا**» رواه أبو داود. وقال ﷺ: «**إن المؤمن إذا لقي المؤمن فسلم عليه وأخذ بيده فصافحه تناثرت خطاياه كما يتناثر ورق الشجر**» رواه الطبراني. وقال ﷺ: «**من تمام التحية الأخذ باليد**» رواه الترمذي.

ورأيت في كتاب شرف المصطفى: من السنة أن يقرأ عند المصافحة ﴿وَٱلْعَصْرِ﴾ [العصر :١] وقال أنس - رضي الله عنه -: ما أخذ النبي ﷺ بيد رجل ففارقه حتى يقرأ: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة :٢٠١] ذكره في الأذكار.

مسألة: فإن قيل: كيف سافر موسى - عليه السلام - أربعين يومًا إلى الطور فما جاع وسافر إلى الخضر ساعة فوجد الجوع؟، فلذلك قال لفتاه - يعني غلامه - إذا أقامه مقام الغلام وفي الخدمة، وهو يوشع بن نون وأمه أخت موسى: آتنا غداءنا قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: كانا يأكلان من الحوت بكرة وعشيًا.

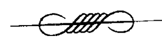
فالجواب: أن سفره إلى الطور سفر طرب وحب؛ لأنه مسافر إلى مناجاة الحق سبحانه وتعالى، وسفره إلى الخضر كان سفر أدب فكان معه الجوع.

وجواب آخر: السفر الأول كان مبنيًا على الصوم ألا ترى أنه لما تسوك صام عشرة أيام أخر، والسفر الثاني كان سفر رخصة فجاز معه الأكل والشرب.

وجواب آخر: السفر الأول كان للتعليم وهو بمعنى الأول.

وقال مؤلفه: - رحمه الله تعالى -: وعندي جواب آخر وهو إنما فقد الجوع أولاً ووجده ثانيًا عملاً بالمناسبة في المقامين فمقام موسى للمناجاة يناسب ترك الأول والشرب؛ لأن ربه متصف بذلك فاتحد المقامان ولابد للعبد أن يتخلق بخلق من أخلاق الله تعالى، وقد ورد: من تخلق بخلق من أخلاق الله دخل الجنة ومقام موسى ومقام الخضر - عليهما السلام - في الأكل واحد فلذلك وجد الجوع، والله أعلم.

فائدة: قال إبراهيم بن أدهم - رضي الله عنه -: معصية الله بعيدة من الجوعان قريبة من الشبعان والله المستعان.



باب: فضل الحج

قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران :٩٧] قال القشيري - رضي الله عنه -: الاستطاعة على فنون: فمستطيع بماله ونفسه وهو الصحيح السليم، ومستطيع بغيره وهو الزمن والمعضوب قال النووي في الروضة: لو قال المعضوب وهو العاجز عن الحج بنفسه: من حج عني فله ألف فسمعه رجلان فأحرما عنه مرتبًا صح حج الأول وحج الثاني من نفسه ولا شيء له، وإن أحرما معًا أوشكا فحجهما لهما ولا شيء لهما من الألف وقال - رضي الله عنه - في قوله تعالى حكاية عن إبليس لعنه الله: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الأعراف :١٦] أي لأصدنهم من طريق الحج، وعن النبي ﷺ: «**إذا خرج الحاج من منزله خرج من ذنبه كيوم ولدته أمه، وله بكل خطوة عبادة سبعين سنة حتى يرجع إلى منزله، فإذا رجع فاغتنموا دعاءه فإن دعاءه مستجاب**» وقال ﷺ: «**الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة**» قيل: وما بره؟ قال: «**إطعام الطعام وطيب الكلام**» رواه الطبراني بإسناد صحيح. وقال ﷺ: «**إن الكعبة لها لسان وشفتان ولقد اشتكت وقالت: يا رب قلّ عوادي وقل زواري فأوحى الله إليها: أني خالق بشرًا خشعًا سجدًا يحنون إليك كما تحن الحمامة إلى بيضها**».

حكاية: مر سليمان - عليه السلام - بجنوده على الكعبة والأصنام تعبد من دون الله فبكت الكعبة وقالت: يا رب هذا نبي من أنبيائك وقومه من أوليائك، مروا على ولم يطوفوا بي فأوحى الله تعالى إليها: لأملأنك وجوهًا سجدًا وأبعث نبيًا في آخر الزمان هو أحب الأنبياء إليّ وأجعل فيك عمارًا من خلق يعبدوني وأفرض على عبادي فريضة يحنون إليك حنين الناقة إلى ولدها والحمامة إلى بيضها وأطهرك من الأوثان، ثم أمر الله سليمان أن ينزل بمكة وقرب قرباناً، ففعل وذبح حول الكعبة خمسة آلاف ناقة وخمسة آلاف ثور وعشرين ألف شاة، ثم مر على طيبة فقال: هذه دار هجرة نبي آخر الزمان طوبى لمن آمن به وصدقه.

فوائد:

الأولى عن جعفر الصادق: أن رجلاً سأل والده عن ابتداء البيت، فقال: إن الله تعالى قال للملائكة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ [البقرة: ٣٠]فغضب عليهم فطافوا بالعرش سبعة أيام يسترضون ربهم فرضي عنهم، وقال: ابنو لي بيتًا في الأرض يتعوذ به من سخطت عليه من بني آدم فأرضى عنه فبنوا هذا البيت، وقال مجاهد: إن الله تعالى خلق موضع البيت قبل أن يخلق شيئًا من الأرض بألفي عام، وإن قواعده في الأرض السابعة.

الثانية: بكة اسم المسجد ومكة بالميم اسم لكل البلد، وقال القشيري: سميت بكة لازدحام الناس في الطواف؛ ولأنهم يبذلون الأموال والأرواح في التوجه إليها.

الثالثة: قال في مجمع الأحباب: من كمال الحج أنه لا يجب في العمر إلا مرة واحدة ومن

كماله أنه يشبه غيره من العبادات فالإحرام به كالإحرام بالصلاة وأذكار الطواف والوقوف كأذكار الصلاة والسعي والطواف كالركوع، والإقامة بمنى ورمي الجمرات كالجهاد والوقوف بعرفة والمشعر الحرام وهو جبل صغير في آخر المزدلفة كالاعتكاف، والنفقة فيه كالزكاة فمن حج فكأنما أتى بهذه العبادة، وقال النبي ﷺ: «**الحجاج والعمار وفد الله تعالى يعطيهم ما سألوا ويستجيب لهم ما دعوا ويخلف عليهم ما أنفقوا الدرهم ألف ألف**» رواه البيهقي وفي رواية الطبراني أيضًا: النفقة في الحج كالنفقة في سبيل الله سبعمائة ضعف. وعنه ﷺ: «**إذا خرج الحاج من بيته كان في حرز الله فإن مات قبل أن يقضي نسكه وقع أجره على الله، وإن بقى حتى يقضي نسكه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وإنفاق الدرهم الواحد في ذلك الوجه يعدل أربعين ألف ألف فيما سواه**» أخرجه الحافظ زكي الدين، وقال النبي ﷺ: «**اللهم اغفر للحاج ومن استغفر له الحاج**» رواه الحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم.

حكاية: ذكر النسفي - رحمه الله تعالى - أن بعض الصالحين حج فلما انصرف من عرفات ذكر أنه نسي همیانه فرجع إلى عرفات فوجد فيه قردة وخنازير ففزع منهم فقيل: لا تخف إنما نحن ذنوب الحجاج تركونا وانصرفوا طاهرين فأخذ ماله وانصرف متعجبًا وقال ﷺ وهو على عرفات: «**أيها الناس أتاني جبريل آنفًا فأقرأني من ربي السلام وقال: إن الله غفر لأهل الموقف ولأهل المشعر الحرام وضمن عنهم التبعات**» فقال عمر - رضي الله عنه -: يا رسول الله هذا لنا خاصة؟ قال: «**لكم ولمن أتى من بعدكم إلى يوم القيامة**» فقال عمر: كثر خير الله وطاب.

فائدة: قال النبي ﷺ: «**ما من مسلم يقف عشية عرفة بالموقف ويستقبل القبلة بوجهه ثم يقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير مائة مرة، ثم يقرأ قل هو الله أحد مائة مرة ثم يقول: اللهم صلي على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد وعلينا معهم مائة مرة إلا قال الله تعالى: يا ملائكتي ما جزاء عبدي سبحني وهللني وكبرني وعظمني وأثنى علي وصلى على نبيي، اشهدوا يا ملائكتي أني قد غفرت له وشفعته في نفسه، ولو سألني عبدي لشفعته في أهل الموقف**» رواه البيهقي. وقال ﷺ: «**من صلى تحت الميزاب ركعتين خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ومن صلى خلف المقام ركعتين غفر له ما تقدم من ذنبه وأعطى من الحسنات بعدد من صلى خلفه وأمنه الله يوم الفزع الأكبر**».

حكاية: قال الجنيد - رحمه الله تعالى -: رأيت رجلًا يستقى من ماء زمزم فسقطت ركوته فقال: وعزتك؛ لأن لم تسقني لأغضبن فطلع الماء إلى أعلى البئر فشرب فلما انصرف قلت له: كيف كنت تغضب؟ قال: على نفسي فأمنعها الماء سنة. وقال بعض الصالحين: رأيت رجلًا يستقى من زمزم فقلت: اسقني فأسقاني فإذا هو عسل ثم في اليوم الثاني رأيته يستقي فقلت له: اسقني، فأسقاني فإذا هو عسل ثم في اليوم الثالث رأيته يستقى فقلت له: من أنت؟ قال: سفيان الثوري، قال ﷺ في ماء زمزم: «**إنه طعام وشفاء سقم**» وقوله ﷺ: «**طُعْم**» هو بضم

الطاء وسكون العين أي يشبع من شربه وكان ابن عباس إذا شربه يقول: اللهم إني أسلك علمًا نافعًا ورزقًا واسعًا وشفاء من كل علة.

فوائد:

الأولى: يقال في الحج: يا رب أتيتك من مشقة بعيدة مؤملاً معروفك فألني معروفًا من معروفك تغنني به عن معروف من سواك يا معروفًا بالمعروف.

الثانية: ذكر الحسن البصري - رضي الله عنه - أن حول الكعبة ثلثمائة نبي منهم بين الحجر الأسود والركن اليماني سبعون نبيًا ماتوا من القمل والجوع، وقبر إسماعيل وأمه تحت الميزاب.

الثالثة: قال وهب - رضي الله عنه -: مكتوب في التوراة أن الله تعالى يبعث إلى الكعبة سبعين ألف ملك بسلاسل من ذهب يقودونها إلى المحشر فينادي ملك بالكعبة: يا كعبة الله سيري فتقول: حتى أعطى سؤالي فيقال: سلي، فتقول: يا رب شفعني في جيراني الذين دفنوا حولي من المؤمنين، فيقال لها: قد أعطيتك سؤلك ثم يقال: يا كعبة الله سيرى فتقول: حتى أعطى سؤالي فيقال: سلى فتقول: يا رب عبادك المذنبون الذين جاؤوني من كل فج عميق أسألك أن تؤمنهم من الفزع الأكبر فينادى مناد: ألا من زار الكعبة فليعتزل، فيجمعهم الله تعالى حول الكعبة بيض الوجوه ثم يقال: يا كعبة الله سيرى فتقول: لبيك اللهم لبيك، ثم يجرونها بالسلاسل إلى المحشر فأول من يحشر محمد ﷺ: فتقول: يا محمد اشتغل بمن لم يزرني وأما من زارني فهو في شفاعتي وقال في كتاب شرف المصطفى ﷺ: إن الكعبة تستأذن ربها في زيارة قبر المصطفى ﷺ فيأذن لها، فتقول: يا نبي الله لا تهتم بثلاثة فإني أشفع لهم: من طاف بي ومن خرج ولم يبلغني ومن اشتهى الوصول إلى ولم يجد سبيلاً.

الرابعة: لما أمر الله إبراهيم - عليه السلام - ببناء الكعبة أرسل الله إليه جبريل فأخبره بقدر موضعها، وقيل: أرسل الله إليه سحابة فأظللته فبنى على قدرها، وقيل: أرسل الله ريحًا فكشفت له عن أساسها، فلما فرغ قال الله تعالى: وأذن في الناس بالحج فمنك النداء ومني البلاغ يأتوك رجالاً أي مشاة وعلى كل ضامر من شدة السفر ركبانًا عليها وهي الإبل غالبًا، وقيل: رجالاً؛ لأن حج الرجال أكثر من حج النساء وكقوله تعالى: يأتوك وهم إنما يأتون الكعبة؛ لأن المنادي إبراهيم فمن قصدها فكأنما قصد إبراهيم؛ لأنه أجاب النداء فصعد على الصفا، وقيل: على جبل أبي قبيس ونادى: يا عباد الله أجيبوا داعي الله وحجوا بيته فأجابوا من أصلاب الآباء وبطون الأمهات: لبيك فمن لبى مرة حج مرة ومن لبى مرتين حج مرتين فمن حج مرة أدى فريضة، ومن حج مرتين داين ربه ومن حج ثلاث حجج حرم على النار ذكره في الشفاء.

الخامسة: ذكر النسفي - رحمه الله تعالى -: إن إبراهيم - عليه السلام - قال: اللهم من حج هذا البيت من شيوخ أمة محمد ﷺ فشفعني فيه، وقال إسماعيل - عليه السلام -: اللهم من حج هذا البيت من شباب أمة محمد ﷺ فشفعني فيه وقال إسحاق - عليه السلام -: اللهم من حج هذا البيت من كهول أمة محمد ﷺ فشفعني فيه، وقالت سارة: اللهم من حج هذا البيت من نساء أمة محمد ﷺ فشفعني فيهن، وقالت هاجر: اللهم من حج هذا البيت من أرقاء محمد ﷺ فشفعني فيهم فلذلك أمرنا بالصلاة على إبراهيم وعلى آله في التشهد.

السادسة: رأيت في تفسير النيسابوري: أن الله تعالى أنزل البيت من ياقوتة حمراء من الجنة له بابان من زمرد شرقي وغربي وقال لآدم: أهبطت لك ما يطاف به كما يطاف حول عرشي فتوجه آدم إليه من أرض الهند ماشيًا فتلقته الملائكة وقالوا: أبر الله حجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بألف عام، زاد صاحب الترغيب فقال: ما كنتم تقولون في طوافكم؟ قالوا: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، قال آدم: فزيدوا ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، قال آدم لما بنى الكعبة: يا رب إن لكل عامل أجرًا فما أجري؟ قال: إذا طفت به غفرت لك، قال: يا رب زدني، قال: أغفر لأولادك إذا طافوا به قال: زدني، قال: أغفر لمن استغفر له الطائفون، قال: حسبي، قال الإمام النووي: إن الكعبة شرفها الله بنيت ست مرات إحداهن بناء الملائكة ثم آدم ثم إبراهيم ثم قريش ثم عبد الله بن الزبير ثم الحجاج بن يوسف وهو هذا البناء الموجود لذلك وصفه الله بالبيت العتيق. وقالت طائفة: سمي عتيقًا؛ لأن الله تعالى يعتق فيه رقاب المذنبين من المؤمنين، وقيل: أعتقه من الغرق أيام الطوفان. وقيل: أعتقه من أيدي الجبابرة.

السابعة: عن النبي ﷺ: من طاف حول البيت سبعًا في يوم صائف استلم الحجر في كل طوفة من غير أن يؤذي أحدًا وقل كلامه إلا من ذكر الله تعالى كان له بكل قدم سبعون ألف حسنة ومحا عنه سبعين ألف سيئة ورفع له سبعين ألف درجة.

الثامنة: اختلف العلماء في عبادة البدن أيها أفضل؟ فمنهم من قال: الصلاة وجزم به صاحب التنبيه، ومنهم من قال: الطواف. وعن النبي ﷺ: **«من أراد رمضان بمكة فصامه وقام منه ما تيسر كتب الله له مائة ألف رمضان غيرها»** قال العلماء: المراد بقيام رمضان صلاة التراويح.

التاسعة: لما خلق الله آدم ونهاه عن شجرة الحنطة وكل الله به ملكًا يحفظه فغاب عنه فأكل منها، فنظر الله إلى الملك بالهيبة فصار جوهرة؛ لأنه هتك ستر آدم فصار يبكي عند ذلك الحجر فأنطقه الله تعالى، فقال: يا آدم أنا الملك الذي وكلني ربي بحفظك ثم انتقل إلى الكعبة وهو الحجر الأسود جعله تعالى في جبل أبي قبيس وكان من جبال خراسان فلما بنى إبراهيم الكعبة قال: يا رب ائذن لي أسلم الوديعة لإبراهيم فأخذه منه ثم قال إبراهيم: ادع ربك أن لا يعيدني إلى خراسان فدعا له فاستمر بمكة.

العاشرة: ذكر في كتاب شرف المصطفى: أن الحجر نزل كالنجم مع خيمة من ياقوتة حمراء فيها ثلاثة قناديل من ذهب فلمع نور الحجر فحيث ما انتهى نوره فهو حد الحرم، وقال ﷺ: «**نزل الحجر الأسود من الجنة وهو أشد بياضًا من اللبن فسودته خطايا بني آدم**» وفي رواية الطبراني: «**الحجر الأسود من حجارة الجنة وما في الأرض من الجنة غيره**». وقال النبي ﷺ: «**أشهدوا هذا الحجر خيرًا فإنه يوم القيامة شافع يشفع له لسان وشفتان يشهد لمن استلمه**».

الحادية عشرة: قال ابن عباس: جاء جبريل إلى النبي ﷺ وعليه عصابة صفراء وفي وجهه غبار فمسحه النبي ﷺ وقال: «**ما هذا؟ قال: إن الكروبيين استأذنوا ربهم في زيارة البيت الحرام فأذن لهم فازدحموا وهذا الغبار من أجنحتهم، يا محمد سل ربك أن يشرك أمتك في صالح دعائهم فسأل ربه فرجع جبريل سريعًا وقال: يا محمد ربك يقرئك السلام ويقول: من حج هذا البيت من أمتك فله ثواب ملائكة السماء والأرض ولا يرجع إلا مغفورًا له**.

الثانية عشر: قال سفيان الثوري: حججت في بعض السنين فنويت على عرفات أن لا أعود فرأيت شيخًا فسلم علي، وقال: ارجع عن نيتك فقلت: من أين علمت نيتي؟ قال: ألهمني ربي فوالله لقد رأيت في بعض السنين ههنا في منامي كأن القيامة قد قامت، ورأيت الجنة والميزان والصراط والنار وسمعتها تقول: اللهم في الحجاج حرى وبردي فقيل له: يا نار سلي غيرهم فإنهم ذاقوا عطش البادية وحر عرفات فانتهت فوجدت على كفي مكتوبًا من وقف بعرفات وزار البيت فشفعته في سبعين من أهل بيته.

الثالثة عشرة: قال الرازي: اختلفوا في الحج الأكبر، فقال ابن عباس: هو يوم السحر وقال مجاهد والثوري: أراد به أيام منى كلها وقال ابن المسيب وطاوس: هو يوم عرفة، وسمى الحج الأكبر؛ لأن المسلمين والمشركين اجتمعوا فيه، قال الإمام النووي: والصحيح الأول.

الرابعة عشرة: لما بنى إبراهيم - عليه السلام - البيت أعانه إسماعيل قال تعالى: قد جعلت لكما كنزًا ثم أوحى الله إلى إسماعيل: اذهب إلى مكان كذا فادعه فقال: يا كنز الله أقبل، فأقبلت الخيل وكانت وحشية فأطاعها الله له ولما عرض الله تعالى على آدم كل شيء قال له: اختر من خلقي ما شئت فاختار الخيل، فقيل له: اخترت عزك وعز ولدك إلى أبد الآبدين، قال السبكي: خلق الله الخيل قبل آدم والذكور قبل الإناث؛ لأن آدم خلق قبل حواء والعربيات قبل البرازين ولحمها حرم عند الأئمة الثلاثة، وأجازه أبو حنيفة وخالفه صاحباه.

الخامسة عشرة: كان أبو الدرداء يعلف فرسه فسئل عن ذلك فقال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**ما من امرئ يقي لفرسه شعيرًا ثم يعلفه عليه إلا كتب الله له بكل حبة حسنة**» حكاه في مجمع الأحباب وفي حديث آخر: «**من علق مخلاة على فرس في سبيل الله كان له حجة مبرورة وعمرة متقبلة**».

السادسة عشرة: قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠]

وهي الرمي؛ لما في صحيح مسلم: «**ألا وإن القوة الرمي**» ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم، قيل: هم الجن واختاره الطبري؛ لأنهم ينفرون من صهيلها، وفي الترمذي عن النبي ﷺ: «**خير الخيل الأدهم**» قال عكرمة: وأحبها الإناث؛ لأن بطنها كنز وظهرها غزو لا تقرب الجن دارًا فيها فرس.

حكاية: قال وهب - رضي الله عنه -: إن آدم - عليه السلام - لما هبط إلى الأرض استوحش فيها؛ لأنه لم ير فيها أحدًا مثلها فقال: يا رب أما لأرضك عامر يسبحك غيري؟ فقال الله تعالى: سأجعل فيها من ذريتك من يسبحني ويقدسني، وسأجعل فيها بيوتًا ترفع لذكري وسأبوؤك منها بيتًا أختاره لنفسي وأخصه بكرامتي وأوثره على بيوت الأرض كلها باسمي وأسميته بيتي وأنطقه بعظمتي وأحوطه بحرمتي وأضعه في البقعة التي اخترتها لنفسي، فإني اخترت مكانه يوم خلقت السموات والأرض أجعل ذلك البيت لك ولمن بعدك حرمًا وأمنًا وأحرم بحرمته ما فوقه وما تحته وما حوله من حرمه بحرمتي فقد عظم حرمتي ومن أحل فقد أباح حرمتي ومن أمن من أهله فقد استوجب أماني ومن أخافهم فقد جفاني سكانه جيراني وعماره وفدى وزاواره أضيافي، أجعله أول بيت وضع للناس وأعمره بأهل السموات والأرض يأتونه أفواجًا شعثًا غبرًا لا يريدون غيري وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق، يعجون بالتكبير عجًا ويضجون بالتلبية ضجًا فمن اعتمره فقد زارني وضافني ووفد على وحق الكريم أن يكرم وفده وزواره وأضيافه تعمره يا آدم ما كنت حيًا ثم تعمره من بعدك الأمم والقرون والأنبياء وولدك أمة بعد أمة وقرنًا بعد قرن ونبيًا بعد نبي حتى ينتهي إلى نبي بعدك يقال له: محمد وهو خاتم الأنبياء فأجعله من عماره وحماته وولاته، ويكون أميني عليه مادام حيًا فإذا انقلب إلي وجدني قد ادخرت له من الأجر ما يتمكن به من القربة إلى الوسيلة عندي وأجعل اسم ذلك البيت وشرفه وذكره ومجده ومكرمته لنبي من ولدك يكون قبل هذا النبي وهو أبوه يقال له: إبراهيم، أرفع به قواعده وأقتضى على يديه عمارته وأعلمه مشاعره ومناسكه وأجعله أمة وحده قائمًا بأمري داعيًا إلى سبيلي أبتليه فيصبر وأعافيه فيشكر أستجيب دعاءه في ولده وذريته من بعده وأجعلهم أهل ذلك البيت وخدمه وحجابه حتى يغيروا ويبدلوا وأجعل إبراهيم إمام ذلك البيت وأهل تلك الشريعة يأتم به من حضر تلك المواطن من جميع الخلق والجن والإنس، وعن النبي ﷺ: «**الركن والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة طمس الله نورهما ولولا ذلك لأضاءا ما بين المشرق والمغرب وما مسهما ذو عاهة ولا سقيم إلا شفى**».

فصل: في أركان الحج وهي خمسة

الأول: الإحرام من الميقات ناويًا بقلبه ولسانه أو بقلبه الدخول في الحج أو العمرة أو فيهما أو مطلقًا بأن لا تزيد على نفس الإحرام لكن التعيين أفضل أو نويت عن فلان الحج أو عقدت الإحرام له أو أحرمت عنه وهكذا ينوى الوالد عن ولده الصغير فإن بلغ في عرفة وقت الوقوف

أو عتق العبد أجزأه عن حجة الإسلام كمن أدرك الركوع فإنه يكون مدركًا للركعة، نعم لو سعى عقب طواف القدوم وجبت إعادته لوقوعه في حالة النقصان، وإذا أراد الإحرام فليغتسل أو يتيمم حيث لا ماء ويزيل شعره وظفره ويطيب بدنه وثوبه الذي يحرم فيه ولا ينزعه بعد ذلك فإن نزعه ثم لبسه لزمته الفدية وسيأتي بيانها وتخضب المرأة للإحرام يديها وكل ذلك مستحب ويصلي ركعتين والأفضل أن يحرم إذا انبعث به راحلته أو إذا توجه ماشيًا عقب الركعتين ويرفع الرجل صوته بالتلبية ويكثر منها في ركوبه ونزوله وصعوده وهبوطه واختلاط رفقته ولفظها: لبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك ويصلي على محمد ﷺ ويسأل الله الجنة ويستعيذ به من النار وإذا رأى ما يعجبه أو يكرهه قال: لبيك إن العيش عيش الآخرة، وإذا أحرم حرم عليه ستر رأسه إن كان رجلًا بما يعد ساترًا إلا لحاجة وليس مخيط كقميص ولبس الحذاء في رجله أو قتل ناموسة فإن خالف لزمته الفدية وتتكرر بتكرر اللبس في أماكن: وهي صوم ثلاثة أيام في أي موضع كان أو ذبح شاة صالحة للأضحية في الحرم ويفرقها على مساكينه وأقلهم ثلاثة أو يتصدق بثلاثة آصع على ستة منهم لكل مسكين نصف صاع والصاع: أربع أمداد ويحرم عليه أيضًا دهن رأسه ولحيته بكل دهن إلا أن يكون أقرع أو أصلع فإن فعل ذلك في أماكن تعددت الفدية والمرأة كالرجل إلا أنه يجوز لبس الثياب لها ويحرم عليها القفاز وهي شيء يستر اليدين وتجب عليها الفدية لذلك وستر وجهها بثوب مثلًا إلا أن يرتفع عنه بعود ونحوه ويجوز قطع شعر غطى العين من حاجب أو رأس وظفر انكسر وتأذى به وتحرم مقدمات الجماع كلمس وقبلة بشهوة فإن فعل ذلك فعليه الفدية المتقدمة وعلى كل من الزوجين مع العلم والاختيار الفدية: ذبح بدنه وهي بعير ذكر أو أنثى بشرطه في الأضحية فإن عجز فبقرة فإن عجز فسبع خن الغنم فإن عجز قوّم البعير بدراهم، والدراهم بطعام ويفرق على مساكين الحرم ولو من المجاورين مثاله: إن كان البعير يساوي خمسمائة درهم مثلًا فيشتري به حنطة ثم يفرقها فإن عجز صام عن كل مد يومًا. وسيأتي بيان المد في باب التوبة واللواط وإتيان البهائم كالجماع في الكفارة ويحرم اصطياد كل مأكول برى ووحشي.

الركن الثاني: الوقوف بعرفة ولو لحظة بعد الزوال يوم عرفة وإن كان وقته من الزوال إلى طلوع فجر يوم النحر فيكفى حضوره لحظة ولو مارًّا في طلب دابة أو آبق أو غريمه بشرط كونه أهلًا للعبادة لا مغمى عليه ولا سكران ولا يشترط عليه بأنها عرفات فلو نام حتى خرج الوقت أجزأه ولو وقفوا في اليوم العاشر غلطًا أجزأهم إلا أن يقلوا على خلاف العادة فيقضون حجهم في عام آخر مثاله: وقف على عرفات خمسون مثلًا في اليوم العاشر فيجب عليهم القضاء، ولو وقفوا في غير عرفات غلطًا وجب القضاء، وإن كانوا الركب المعتاد؛ لأن الخطأ في المكان مأمون فيلزمهم القضاء غير مأمون في الزمان.

مسألة: يصح وقوف الحائض والجنب في عرفات كما سيأتي في باب الكرم.

فائدة: قال النبي ﷺ في يوم عرفة: «**أيها الناس إن الله تعالى تطول عليكم في هذا اليوم فغفر لكم إلا التبعات فيما بينكم ووهب مسيئكم لمحسنكم وأعطى لمحصنكم ما سأل فادفعوا بسم الله فلما كان يجمع قال: إن الله غفر لصالحيكم وشفع صالحيكم في طالحيكم تنزل الرحمة فتعممهم ثم تفرق المغفرة في الأرض فتقع على كل تائب ممن حفظ لسانه ويده وإبليس وجنوده على جبل عرفات ينظرون ما يصنع الله بهم فإذا نزلت الرحمة دعا إبليس وجنوده بالويل والثبور**». رواه الطبراني.

حكاية: رأيت في كتاب عظة الألباب قال بعض السادات: كنت في عرفات وإذا بفقير قد انفرد بنفسه تلوح عليه معارف الحق وأنسه فسمعته يقول: يا عالم كل معلوم أسألك بما بيني وبينك من السر المكتوم إلا ما حملت ذنوب هذه الخليقة عليّ من قبل أن تمتد يد المنون إليّ فأكون لهم فدى وإلا فشفعني فيهم غدًا وإذا بهدهد قد أقبل من الجو ومعه ورقة فيها مكتوب: قد شفعناك فيهم وفي أمثالهم فهل بقي لك مطلوب؟ فرمق نحو السماء بطرفيه وبسط في الجو كفيه وأشار إلى الهدهد فطار من بين يديه وأظهر الشهادتين فخر مغشيًّا عليه فإذا به قد مات رحمة الله تعالى علينا وعليه.».

الركن الثالث: طواف الإفاضة وشرطه الطهارة على حدث وخبث وعورة قال بعضهم في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الأعراف:٣٣] ، أي ما ظهر وهو طواف الرجال عراة بالنهار وما بطن وهو طواف النساء عراة بالليل وشرطه أيضًا أن يبدأ بالحجر الأسود ويكون البيت عن يساره ليحاذي القلب بالبيت وأن يكون سبعًا كلما انتهى إلى الحجر ابتدا منه محاذيًا له في مروره بجميع بدنه ومن السنة أن يطوف ماشيًا وأن يستلم الحجر أول طوافه ويقبله ويضع جبهته عليه، فإن عجز عن التقبيل استلم فإن عجز أشار بيده لا بكمه وأن يقول أول طوافه: بسم الله والله أكبر اللهم إيمانًا بك وتصديقًا بكتابك ووفاء بعهدك وإتباعًا لسنة نبيك محمد ﷺ ويقول قبالة الباب: اللهم إن البيت بيتك والحرم حرمك والأمن أمنك وهذا يشير إلى مقام إبراهيم - عليه السلام - مقام العائذ بك من النار ويقول بين الركنين اليمانيين: ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ويدعو بما شاء.

الركن الرابع: السعي من الصفا إلى المروة مرة وعودة منها إليه أخرى ويستحب أن يرقى على الصفا والمروة قدر قامة ويقول: الله أكبر الله أكبر ولله الحمد الله أكبر على ما هدانا والحمد لله على ما أولانا لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده، لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ثم يدعو بما شاء.

الركن الخامس: الحلق للرجال ويكره للمرأة بل لا يجوز عند قوم؛ لأنه مثله وتشبيه بالرجال بل تقصر من شعرها قدر أنملة وأقل ذلك لها وللرجل ثلاث شعرات حلقًا أو تقصيرًا أو نتفًا أو بنورة قائلاً: اللهم آتني بكل شعرة حسنة وامح عني بها سيئة وارفع لي به درجة واغفر لي في المحلقين والمقصرين.

فائدة: قال في المنهاج: ويسن شرب ماء زمزم؛ لما ورد عن جابر مرفوعًا: من طاف خلف البيت سبعًا وصلى خلف المقام ركعتين وشرب من ماء زمزم غفرت له ذنوبه كلها بالغًا ما بلغت. قال الماوردي: ويغسل به وجهه وصدره ويصب على رأسه، قال الزعفراني: ويستحب أن يكثر من شربه حتى يتضلع أي يمتلئ منه ويكره نفسه على ذلك فإن المنافقين كانوا لا يتضلعون منه. قال عبد الله بن المبارك - رضي الله عنه -: أنا أشربه لعطش القيامة.

فائدة: زيارة قبر النبي ﷺ مستحبة في كل وقت خلافًا لتقييد المنهاج حيث قال: وزيارة قبر النبي ﷺ بعد فراغ الحج قال النبي ﷺ: «**من زار قبري وجبت له شفاعتي**» رواه ابن خزيمة وعنه ﷺ: «**من جاءني زائرًا لم يكن له حاجة إلا زيارتي كان حقًا عليَّ أن أكون شافعًا له يوم القيامة**». وفي عيون المجالس عنه ﷺ: «**من زار قبري بعد موتي فكأنما زارني في حياتي ومن لم يزر قبري فقد جفاني**» وقال إسحاق بن سنان: زرت قبره الشريف سبع عشرة مرة كلما زرته مرة قلت: السلام عليك يا رسول الله فيقول: وعليك السلام يا ابن السنان. وعنه ﷺ: «**من زارني بعد موتي فكأنما زارني في حياتي ومن مات بأحد الحرمين بعث من الآمنين يوم القيامة**» رواه البيهقي.

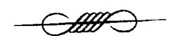
حكاية: كان الشيخ الصالح سيدي أحمد الرفاعي يبعث السلام مع الحجاج في كل عام إلى قبر النبي ﷺ فلما قدر الله له بالحج وقف عند القبر الشريف وقال:

في حالة البعد روحي كنت أرسلها ... تقبل الأرض عني وهي نائبتي
وهذه دولة الأشباح قد حضرت ... فامدد يمينك كي تحظى بها شفتي

فظهرت له يد النبي ﷺ فقبلها ولا إنكار في ذلك فإن إنكار ذلك يؤدي إلى سوء الخاتمة والعياذ بالله وإن كرامات الأولياء حق والنبي ﷺ حي في قبره سميع بصير منعم في قبره، وقال بعضهم: بلغنا أن من وقف عند قبر النبي ﷺ وقرأ هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾[الأحزاب:٥٦]، ثم قال: صلى الله عليك يا محمد سبعين مرة، ناداه ملك: صلى الله عليك يا فلان ولم تسقط له حاجة ويستحب لمن زاره أن يصلي بين القبر الشريف والمنبر فإنها روضة من رياض الجنة قيل: معناه البقعة تستحق روضة من لحيته، وقيل: إن تلك البقعة بعينها تكون في الجنة يوم القيامة قال ﷺ: «**الصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة، والصلاة في مسجدي بألف صلاة، والصلاة في بيت المقدس بخمسمائة صلاة**» رواه الطبراني وقد صرح بعض العلماء بأن المشي إلى قبره ﷺ أفضل من المشي إلى الكعبة؛ لأن البقعة التي ضمت أعضاءه

الطرية أفضل من العرش والكرسي وكيف لا وقد رفع الله تعالى ذكره وقرن اسمه مع اسمه وكتبه في كل موضع من الجنة، وقال ابن عباس - رضي الله عنهما -: على باب الجنة مكتوب إني أنا الله، لا إله إلا الله محمد رسول الله لا أعذب من قاله، وقال النبي ﷺ: «**ما ضر أحدكم أن يكون في بيته محمد ومحمدان وثلاثة وعن جعفر بن محمد عن أبيه إذا كان يوم القيامة** نادى مناد: **ألا ليقم من اسمه محمد فليدخل الجنة لكرامة اسمه ﷺ**».

قال في الشفاء: إن الله تعالى حمى اسم محمد وأحمد أن يسمى بهما غيره قبل زمانه فلما قرب زمانه سمى جماعة من العرب أبناءهم بمحمد طمعًا في أن يكون أحدهم هو، قال الإمام النووي في تهذيب الأسماء واللغات: أول من سمى في الإسلام محمد بن حاطب فهو صحابي ابن صحابي ابن صحابية رضي الله عنهم - وأبوه حاطب أرسله النبي ﷺ إلى المقوقس صاحب الإسكندرية، فقال له: صاحبكم نبي قال: نعم، قال: فلم لا يدعو على قومه؟ فقال: ما بال عيسى لم يدع على قومه؟ فقال له: أحسنت أنت حكيم جئت من عند حكيم وأعطاه هدية منها مارية وأختها سيرين بالسين المهملة فأخذ النبي ﷺ مارية لنفسه وزوج أختها لحسان بن ثابت - رضي الله عنه - ثم قال أيضًا في تهذيب الأسماء واللغات: ولم يسم أحد بأحمد بعد نبينا ﷺ قبل أحمد بن الخليل بالبصرة عام سبعين ومائة، والله أعلم.



باب: في فضل الجهاد

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[آل عمران:١٦٩] قال ابن عباس – رضي الله عنه –: قال عبد الله بن رواحة: لو نعلم أحب الأعمال إلى الله تعالى لعملناه فنزل الجهاد فكرهوه فنزل قوله تعالى: ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف:٢] ، وقيل: لما نزل قوله جل ذكره: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[الصف:١٠] ، فقالوا: لو نعلم ما هي لاشتريناها بالأرواح والأموال والأهوال فنزل ﴿تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[الصف:١١] ففروا يوم أحد فنزل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾[الصف: ٢] ، وقيل: نزلت في رجل قال: يا رسول الله قتلت فلانًا فقال عمر – رضي الله عنه –: إنما قتله كلاب النخل.

موعظة: قال النبيﷺ: «**لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله تعالى أرواحهم في أجواف طيور خضر ترد أنهار الجنة فتأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب في ظل العرش فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم وحسن مقيلهم قالوا: يا ليت إخواننا يعلمون ما صنع الله بنا؛ لئلا يزهدوا في الجهاد، فقال تعالى: أنا أبلغهم عنكم، فأنزل الله تعالى:** ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[آل عمران: ١٦٩] وفي صحيح مسلم: «**من سأل الله الشهادة بصدق أناله منازل الشهداء وإن مات على فراشه**». وعن علي – رضي الله عنه – عن النبيﷺ قال: «**إن الغزاة إذا هموا بالغزو كتب لهم براءة من النار فإذا تجهزوا لغزواهم باهى الله ملائكته، فإذا ودعهم أهلهم بكت عليهم الحيطان والبيوت ويخرجون من ذنوبهم كما تخرج الحية من سلخها ويوكل الله بكل رجل منهم أربعين ألف ملك يحفظونه من بين يديه ومن خلف وعن يمينه وعن شماله ولا يعمل حسنة إلا ضعفت له ويكتب له كل يوم عبادة ألف رجل يعبدون الله ألف سنة كل سنة ثلاثمائة وستون يومًا اليوم مثل عمر الدنيا فإذا صاروا بحضرة العدو انقطع علم أهل الدنيا عن ثواب الله إياهم فإذا برزوا لعدوهم وشرعت الأسنة وفوقت السهام وتقدم الرجل إلى الرجل حفتهم الملائكة بأجنحتها ويدعون الله لهم بالنصر والتثبيت ونادى مناد: الجنة تحت ظلال السيوف فتكون الضربة والطعنة على الشهيد أهنأ من الماء البارد في اليوم الصائف فإذا زال الشهيد عن فرسه بطعنة أو ضربة لم يصل إلى الأرض حتى يبعث الله تعالى زوجته من الحور العين فتبشره بما أعده الله له من الكرامة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ويقول الله تعالى: أنا خليفته على أهله من أرضاهم فقد أرضاني ومن أسخطهم فقد أسخطني ويجعل الله تعالى روحه في حواصل طير تسرح في الجنة حيث شاء يأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة بالعرش ويعطى الرجل منهم سبعين غرفة من غرف الفردوس سُمك كل غرفة كما بين صنعاء والشام يملأ نورها ما بين الخافقين في كل غرفة سبعون خيمة في كل خيمة سبعون سريرًا من ذهب قوائمه الدر والزبرجد على كل سرير أربعون فراشًا غليظًا كل فراش أربعون ذراعًا على كل فراش زوجة من الحور العين**

عربًا أي عاشقات لأزواجهن أترابًا أي على سن واحدة لها سبعون ألف وصيف وسبعون ألف وصيفة صفر الحلي بيض الوجوه عليهم تيجان اللؤلؤ وعلى رقابهم المناديل وبأيديهم الأكواب والأباريق، فإذا كان يوم القيامة فوالذي نفسي بيده لو كان الأنبياء على طريقهم لترجلوا لهم لما يرون من بهائهم حتى يأتون بموائد من الجوهر فيقعدون عليها ويشفع الرجل منهم في سبعين ألفًا من أهل بيته وجيرانه حتى أن الرجلين ليختصمان أيهم أقرب جوارًا يقعدون معي ومع إبراهيم على مائدة الخلد وينظرون إلى الله تعالى كل يوم بكرة وعشيًا» حكاه العلائي في آل عمران وعن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ: «من رابط يومًا في سبيل الله جعل الله بينه وبين النار سبع خنادق كل خندق منها مثل سبع سموات وسبع أرضين» رواه الطبراني وقال ﷺ: «من رابط ليلة في سبيل الله كانت له كألف ليلة قيامها وصيامها» رواه ابن ماجه. وقال ﷺ: «كل ميت يختم له على عمله إلا المرابط في سبيل الله فإنه ينمى له عمله إلى يوم القيامة ويأمن من فتنة القبر» رواه الترمذي وقال: حسن صحيح.

فائدة: قال العلائي في قوله تعالى: ﴿طه﴾[طه:١] قيل: الطاء طبول الغزاة في سبيل الله تعالى والهاء هيبتهم في قلوب أعدائهم، وقال القرطبي: الطاء شجرة طوبى والهاء الهاوية، وقيل: الطاء طوب أهل الجنة والهاء هوان أهل النار وقيل الطاء طامعًا في الشفاعة والهاء هادي الأمة، وقيل: اسم من أسماء الله تعالى وقيل: اسم من أسماء محمد ﷺ فإنه له ألف اسم زاده الله شرفًا وقال أبو بكر الصديق - رضي الله عنه -: هو من أسرار الله التي انفرد الله تعالى بعلمها، وقيل: كان النبي ﷺ يصلي على قدم واحد فأنزل الله تعالى طه أي طأ الأرض بقدميك، وقيل: هو قسم من الله تعالى على عدم شقاوته ﷺ لما قال أبو جهل: شقيت يا محمد وقال ابن عباس: طه معناه: يا رجل وقال القشيري: طه الطاء: طهارة قلب محمد عن غير الله تعالى والهاء هداية قلبه إلى الله تعالى، وقال النبي ﷺ: «﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾[الأنفال:٦٠] ألا وإن القوة الرمي».

وفي عيون المجالس: أول سلاح نزل من السماء القوس؛ لأن آدم لما زرع جاء الغراب فقلعه فشكا آدم ذلك إلى الله تعالى فأرسل إليه القوس فرمى به الغراب فسلم الزرع وذكرت الأسلحة عند النبي ﷺ فلما ذكر القوس قال: «ما سبقه سلاح إلى خير» وقال ﷺ: «من شاب شيبة في الإسلام كانت له نورًا يوم القيامة ومن رمى بسهم في سبيل الله فبلغ العدو أو لم يبلغ كان له كعتق رقبة ومن أعتق رقبة مؤمنة كانت له فداء من النار عضوًا بعضو» رواه النسائي بإسناد صحيح.

حكاية: قال عبد الواحد بن زيد - رضي الله تعالى عنه -: خرجنا للجهاد فقرأ رجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾[التوبة:١١١] فقام غلام، وقال: قد بعت نفسي ومالي لله بأن لي الجنة فلما وصلنا بلاد الروم وإذا به يقول: واشوقاه إلى العيناء المرضية!! فقلنا: لعله أصيب في عقله ثم سألته عن العيناء فقال: كنت نائمًا فقيل: اذهب إلى

العيناء فرأيت روضة خضراء فيها نهر من ماء غير آسن أي غير متغير عليه حور كالأقمار فقلن: أهلًا وسهلًا بزوج العيناء فقلت: أفيكم العيناء؟ فقلن: لا نحن خدمها امض أمامك فرأيت نهرًا من لبن لم يتغير طعمه عليه حور كالكواكب فقلن: أهلًا وسهلًا بزوج العيناء فقلت: أهي فيكم؟ فقلن: لا نحن خدمها امض أمامك فرأيت خيمة بيضاء وعلى بابها جارية ما رأيت أحسن منها فضحكت، وقالت: أيتها العيناء قد جاء زوجك فدخلت الخيمة فرأيت العيناء على سرير من ذهب مكلل بالدر والياقوت فقالت: مرحبًا يا ولي الله أبشرك فإنك في هذه الليلة تفطر عندنا فاستيقظت، قال عبد الواحد: فقاتل في ذلك اليوم حتى قتل، ذكره اليافعي.

حكاية: قال بعض الصالحين: رأيت رجلًا في الطواف يقول: يا سيدي ما فعلت بالمحروم؟ فسألته عن ذلك فقال: كنا عشرة نجاهد في سبيل الله فأخذنا العدو، وأمر كبيرهم بضرب رقابنا فنظرت في الهواء فرأيت عشرة من الحور العين فكلما ضرب عنق واحد نزلت جارية ومعها منديل من الجنة فتأخذ روحه وتصعد بها إلى السماء فلما انتهى إلى السياف تقربت مني جارية فحصل فيّ شفاعة فتركوني فصعدَتْ وهي تقول: يا محروم يا محروم.

حكاية: لما حاصر النبي ﷺ خيبر جاءه عبد أسود فقال: يا رسول الله اعرض عليَّ الإسلام فأسلم ثم قال: يا رسول الله إني أرعى غنمًا ليهودي فما أصنع بها فقال: اضرب في وجوهها التراب فسترجع إلى صاحبها فرمى في وجوهها التراب، وقال: ارجعي إلى صاحبك فرجعت إليه كأن سائقًا يسوقها ثم قاتل مع المسلمين حتى قتل فأتوا به إلى النبي ﷺ فأعرض عنه فقيل له: يا رسول الله ولم أعرضت عنه؟ قال: لأنه معه زوجته من الحور العين تنفض التراب عن وجهه وتقول: ترب الله وجه من ترب وجهك وقتل من قتلك.

لطيفة: رأيت في كتاب العرائس للثعلبي - رحمه الله تعالى -: أن رجلًا كان يلعن إبليس كل يوم ألف مرة ثم نام يومًا في ظل حائط فأيقظه رجل وقال: إن الحائط يريد أن ينقض فما تم كلامه حتى وقع الحائط فقال من أنت؟ فقال: إبليس فقال: كيف تفعل هذا معي وأنا ألعنك في كل يوم ألف مرة؟ فقال: حتى لا تكون شهيدًا.

فائدة: الشهداء تسع، من مات تحت هدم والغريب والمقتول دون ماله والمبطون والمطعون والغريق والحريق وذوات الطلق والمقتول في سبيل الله خصوصًا إذا غزا في البحر قال النبي ﷺ: «**غزوة في البحر خير من عشر غزوات في البر**» رواه البيهقي، والمقتول ظلمًا شهيد أيضًا كماشطة بنت فرعون، قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: سقط المشط من ماشطة بنت فرعون فقالت: تعس من كفر بالله فقالت بنت فرعون: ألك إله غير أبي؟ فقالت: إلهي وإله أبيك وإله السموات والأرض إله واحد، فأخبرت فرعون بذلك فطلبها وسألها عن ذلك فقالت: نعم فعذبها بالأوتاد ثم ذبح بنتها الكبيرة وهم أن يذبح الصغيرة فانزعجت الأم فقالت الصغيرة: يا أماه - وهي ممن تكلم في المهد - لا تجزعي فإن الله تعالى بنى لك بيتًا في

الجنة فاصبري فإنك تصيرين إليه فلما رأت آسية ذلك عاتبت فرعون فقال: لعل الجنون الذي أصابها أصابك فقالت: ما بي جنون ولكن إلهي إلهك وإله السموات والأرض واحد لا شريك له فمزق ثيابها وضربها ضربًا شديدًا ثم أرسل إلى أبيها، وقال: إن الجنون الذي بالماشطة قد أصاب آسية فقالت: أشهد أن ربي وربكم ورب السموات والأرض واحد فقال أبوها: يا آسية حقًّا قد زوجتك إله العالمين وأنت أجمل النساء فقالت: بالله من ذلك إن كان قولكما فيتوجني تاجًا تكون الشمس أمامه والقمر خلفه والكواكب حوله فعاقبها فرعون بالأوتاد ففتح الله لها بابًا إلى الجنة ليهون عليها العذاب فعند ذلك قالت: رب ابن لي عندك بيتًا في الجنة وقد تقدم في باب المحبة قال ابن عباس: لما أسرى بالنبي ﷺ مرت به رائحة طيبة فقال: «**يا جبريل ما هذه الرائحة؟**» قال: ريح ماشطة بنت فرعون.

قال مؤلفه: هاتان السعيدتان - رضي الله عنهما - ومثلهما من قتله الكفار أسيرًا ليس من شهداء الدنيا الذين لا يغسلون ولا يصلى عليهم، فإن عمر وعثمان قتلا ظلمًا وغسلا وصلي عليهما فهؤلاء شهداء الآخرة دون الدنيا، قلت: هذا مذهب الشافعي، وأما مذهب أبي حنيفة: الماشطة وامرأة فرعون وعمر وعثمان وكل من يقتل ظلما بمحدد وعلم قاتله يكون شهيد الدنيا والآخرة فلا يغسل ولا يكفن ولا يصلى عليه ومثلهم المطعون والمبطون وكذلك الحامل إذا ماتت بعد اجتماع خلق حملها كما أفتى به النووي وأما شهيد الدنيا والآخرة الذي لا يغسل ولا يصلى عليه وله ثواب خاص في الآخرة فهو الذي مات في قتال الكفار بسبب القتال فإن عاد إليه سهمه أو وقع عن فرسه أو في بئر أو جاءه سهم من مسلم أو كافر أو وجد بعد انكشاف الحرب قتيلًا لم يعلم سبب موته وإن لم ير عليه أثر الدم.

حكاية: ذكر النسفي - رحمه الله تعالى - أن رجلًا كان يجاهد في سبيل الله فإن فرغ من القتال نفض ثيابه وجمع غبارها حتى جمع غبارًا كثيرًا في بعض أيام ثم جعله لبنة وأوصي أن تكون تحت رأسه في قبة ففعلوا ذلك فرآه بعض أصحابه في منامه فسأله عن حاله فقال: غفر لي ببركة اللبنة.

حكاية: خرج جماعة من المسلمين للجهاد فأخذهم العدو فأمرهم ملك كافر بدخولهم في دينه فأبوا فقتلهم إلا واحدًا رغب فيه ثم أمره أيضًا بالدخول في دينه وله من الأموال كذا وكذا فأبى فأدخله في بيته ووضع عنده جارية جميلة فلم يلتفت إليها وقرأ سورة الفتح إلى قوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ﴾ [الفتح :٢٩] فبكت الجارية وأسلمت وقالت: اخرج بنا إلى بلادكم فخرجا ليلًا فلما طلع الفجر سمعا صهيل الخيل فقالت له الجارية: قد جاء الطلب في أثرنا فارجع إليهم لعلهم أصحابك فرجع فإذا هم أصحابه الذين قتلوا فقالوا: نحن أصحابك الشهداء أحياء عند الله وستلحق بنا بعد أربعين يومًا، وقيل: إن الله تعالى رزقه منها أولادًا وقاتلوا في سبيل الله تعالى وكان ذلك في أيام عمر - رضي الله عنه - وقال النسفي: إنها كانت في زمن النبي ﷺ.

فائدة: قال عمرو بن العاص - رضي الله عنه -: إذا قتل العبد في سبيل الله ذهبت روحه مع الملائكة إلى دار الشهداء في قباب من حرير في رياض خضر عندهم حوت وثور يظل الحوت يسبح في أنهار الجنة فإذا أمسى وكزه الثور بقرنه فيذكيه أي يذبحه فيأكلون لحمه ويجدون فيه كل ريح طيبة، ويظل الثور في فناء الجنة يرتفع فإذا أصبح وكزه الحوت فيذكيه فيأكلون لحمه ويجدون فيه كل رائحة طيبة، وذكر العلائي أن أرواح الشهداء تركع وتسجد تحت العرش إلى يوم القيامة ويشاركهم في ذلك أرواح المؤمنين إذا ناموا على وضوء، قال في شرح المهذب: سمي الشهيد شهيدًا؛ لأن الله تعالى ورسوله شهدا له بالجنة، وقيل: لأن ملائكة الرحمة يشهدون روحه فيقبضونها، وقيل: لأن روحه تشهد دار السلام وروح غيره لا تشهدها إلى يوم القيامة.

باب: بر الوالدين

قال الله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ [لقمان :١٤] أي شدة على شدة. قال الثعلبي - رضي الله عنه -: لما أسلم سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - قالت أمه: يا سعد بلغني أنك صبأت فلا أستظل بظل ولا آكل ولا أشرب حتى تكفر بمحمد فأنزل الله تعالى هذه الآية فأمره النبي ﷺ بالإحسان إليها ولا يطيعها في الكفر. قال القرطبي: قدمت أم أسماء بنت أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - راغمة في الإسلام، وقيل: راغمة في الشرك وقيل: راغمة بالميم أي كارهة للإسلام، فقالت: يا رسول الله إن أمي قدمت على وهي كافرة أفاصلها؟ قال: «**نعم**» وكان اسمها قُتيلة - بضم القاف - بعدها مثناة فوق ثم بعدها مثناة تحت، وقيل: قَتلة - بفتح القاف وإسكان المثناة فوق، وقال النبي ﷺ: «**رضا الله في رضاء الوالدين وسخط الله في سخط الوالدين**» رواه الترمذي.

مسألة: يحرم على من له أبوان أن يجاهد إلا بإذنهما إن كانا مسلمين أو بإذن المسلم منهما؛ لأن أمرهما فرض عين والجهاد فرض كفاية وفرض العين هنا مقدم والأجداد والجدات هنا في اعتبار الإذن كالأبوين ولو مع وجودهما ولهما منع الولد من حج تطوع ومن سفر تجارة إن كان طويلاً وفيه خوف كركوب بحر وبادية.

حكاية: قال أبو يزيد البسطامي - رضي الله عنه -: طلبت أمي ماء فجئتها فوجدتها نائمة فقمت أنتظر يقظتها فلما استيقظت، قالت: أين الماء؟ فأعطيتها الكوز وقد كان سال الماء على أصبعي فجمد عليها الماء من شدة البرد فلما أخذت الكوز انسلخ جلد أصبعي فسال الدم فقالت: ما هذا؟ فأخبرتها فقالت: اللهم إني راضية عنه فارض عنه، كانت في مدة حملها به لا تمد يدها إلى طعام فيه شهية، ورأيت في عيون المجالس أنه قال: كنت ابن عشرين سنة فدعتني أمي للنوم معها ليلة من الليالي وقد تعلق قلبي بقيام الليل فأجبتها فجعلت يدي تحتها والأخرى أمرها على ظهرها وأقرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص :١] فخدرت يدي فقلت: اليد لي وحق

الوالدة لله فصبرت على ذلك كله حتى طلع الفجر وقد قرأت قل هو الله أحد عشرة آلاف مرة ولم أنتفع بعد ذلك بيدي التي خدرت فلما مات - رحمه الله تعالى - رآه بعض أصحابه في المنام وهو يطير في الجنان ويسبح الرحمن فقال له: بم وصلت إلى هذه المنزلة؟ قال: بر الوالدين والصبر على الشدائد. وعنه ﷺ: **«العبد المطيع لوالديه والمطيع لرب العالمين في أعلى عليين»**.

حكاية: قال الخواص - رحمه الله تعالى -: كنت في البادية فرأيت رجلًا إلى جانبي فقلت له: من أنت؟ قال: الخضر قال: فبأي وسيلة رأيتك؟ قال: ببرك لأمك. وقال بعض العارفين: للأم ثلاثة أرباع البر؛ لأنها وضعت الولد بمشقة والأب وضعه بشهوة؛ ولأن ماء الرجل يخرج من ظهره وماء المرأة يخرج من بين الترائب وهو الصدر والصدر أقرب إلى القلب من الظهر، فصارت شفقتها أكثر من شفقة الأب فاستحقت ثلاثة أرباع البر وقد بدأ الله تعالى بذكرها في الآية المتقدمة.

مسألة: الولد يتبع أمه غالبًا حتى لو تزوج عبد بجارية فالولد لصاحب الجارية وتقدم في باب الغيبة والنميمة أنه يجوز بيع الولد مع أمه لا مع أبيه وإن رضيت الأم فإن فرق بينه وبين أمه ببيع أو هبة بطلا.

حكاية: كان في بني إسرائيل - وإسرائيل هو يعقوب - عليه السلام - رجل صالح له ولد صغير وله عجلة صغيرة من ولد البقر فلما حضره الموت، قال: اللهم إني أستودعك هذه العجلة لهذا الصبي فلما كبر الولد اجتهد في العبادة فكان يقوم ثلث الليل وينام ثلثه ويتضرع ثلثه ويعمل بالنهار بدراهم فيتصدق بثلثها ويأكل بثلثها ويعطي أمه ثلثًا ثم قالت له أمه: إن أباك ترك عجلة في مكان كذا فانطلق إليها فلما جاء بها قالت: اذهب إلى السوق وبعها بثلاثة دنانير ولا تبعها إلا بإذني فقال له ملك: خذ ثمنها ستة دنانير ولا تستأذن أمك فقال: لا بد من إذنها فرجع إليها وأخبرها بذلك فقالت: إنه ملك ارجع وقل له: تأمرني ببيعها أم لا؟ فقال: امسكها فإن موسى يشتريها بملء جلدها ذهبًا فقدر الله على بني إسرائيل ذبح تلك البقرة مكافأة للولد على بر أمه ولبيان القتيل؛ لأنهم كانوا ينكرون البعث فلما ذبحوها وضربوا القتيل ببعضها قيل: بلسانها، وقيل: بشيء من جلد ظهرها فأحياه الله تعالى وأخبرهم بالذي قتله، وقيل: إن الجلدة التي من ظهرها وصلت إلى عمر رضي الله تعالى عنه فكانت درته وكان لأبي بكر - رضي الله عنه - القضيب؛ لأن الناس كانوا في نور النبوة لقرب عهدهم بالنبي ﷺ فكانوا أسرع انقيادًا للحق من غيرهم وكان لعمر - رضي الله عنه - الدرة؛ لأن الناس طال عهدهم بالنبي ﷺ فتباعدوا عن الحق فردهم عمر بالدرة وكان لعثمان - رضي الله عنه - السوط؛ لأن الناس زاد خليطهم فأدبهم عثمان - رضي الله عنه - بالسوط واتخذ علي - رضي الله عنه - السيف؛ لأن الناس فرقت الأهوية بين كلمتهم وقد وصف الله تعالى البقرة بصفات فقال: ﴿لَّا

﴿فَارِضٌ﴾ [البقرة :٦٨] أي غير مسنة ﴿وَلَا بِكْرٌ﴾ [البقرة :٦٨] كأنه وصفها بعدم الولادة ﴿عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ [البقرة :٦٨] أي لا كبيرة ولا صغيرة. وقال مجاهد: العوان هي التي ولدت مرة أخرى ﴿فَاقِعٌ لَّوْنُهَا﴾ [البقرة :٦٩] أي لونها خالص الصفرة المعروفة. قال الجمهور وقال الحسن: المراد بالصفرة هنا شدة السواد ﴿لَّا ذَلُولٌ﴾ [البقرة :٧١] أي لا يذللها العمل ﴿تُثِيرُ الْأَرْضَ﴾ [البقرة :٧١] من غير حراثة بل تثيرها مرحًا ﴿وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ﴾ [البقرة: ٧١]أي لا يستقى عليها الزرع ﴿مُسَلَّمَةٌ﴾ [البقرة :٧١] أي سليمة من سائر العيوب ﴿لَّا شِيَةَ فِيهَا﴾ [البقرة :٧١] أي ليس فيها ما يخالف معظم لونها بل هي صفراء كلها حتى قرنها وظلفها.

فوائد: الأولى: رأيت في كتاب شرف المصطفى عن النبي ﷺ «**البسوا النعال الصفر فإنها تقضي الحوائج**» وفي تفسير القرطبي عن علي - رضي الله عنه - من لبس نعلاً أسود لم يزل في كرب وغم ومن تختم بالعقيق لم يزل في بركة وسرور وسيأتي في مناقب الصديق - رضي الله عنه -.

الثانية: قال في نزهة النفوس: العجل والعجلة من أولاد البقر سمي بذلك؛ لأن بني إسرائيل استعجلوا في عبادته وسمي البقر بذلك؛ لأنه يبقر الأرض أي يشقها ولحم العجل محمود طيب لذيذ معتدل الغذاء واللحم الكبير بالفلفل والزنجبيل لا ضرر فيه والاكتحال بمرارة البقر الكبير والصغير لا سيما الأسود يقوي البصر ومن به سعال يطرح مسمارًا عتيقًا في النار حتى يحمر ثم يوضع في حليب البقر ويشربه على الريق فإنه يزول بإذن الله تعالى وشرب حليبه حال حلبه على الريق ثلاثة أيام يقطع الصفار من الوجه بإذن الله تعالى.

الثالثة: قال موسى - عليه السلام -: يا رب أوصني قال: أوصيك بأمك قال: أوصني قال: أوصيك بأمك حتى قال في التاسعة: أوصيك بأبيك يا موسى من بر والديه كنت له وليًّا في الدنيا وفي القبر مؤنسًا وفي الحشر رحيمًا وعلى الصراط دليلاً وفي الجنة محدثًا يكلمني وأكلمه بلا واسطة.

حكاية: رأيت في الترغيب والترهيب عن بعض التابعين: أنه مر على حي فوجد مقبرة فانشق منها قبر بعد العصر فخرج منه رجل رأسه كرأس الحمار وبدنه بدن آدمي فنهق ثلاث مرات ثم انطبق عليه القبر فسألت امرأة عنه فقالت: كان يشرب الخمر فتقول أمه له: اتق الله فيقول لها: انهقي كالحمار فمات بعد العصر، فهو كل يوم بعد العصر ينشق عنه القبر وينهق ثلاث مرات، وكان الحسن - رضي الله عنه - لا يأكل مع فاطمة - رضي الله عنها - فسألته عن ذلك، فقال: أخاف أن آكل شيئًا سبق إليه نظرك فأكون عاق لك فقالت: كل وأنت في حل.

حكاية: قال ابن الجوزي: جاء في الحديث النبوي - على قائله أفضل الصلاة والسلام - كل الأحاديث في بني إسرائيل فحدثوا عنهم ولا حرج ولأحدثنكم بحديث العجوزين، قال: كان رجل في بني إسرائيل له امرأة يحبها ومعه أم عجوز وأم امرأته عجوز أيضًا وكانت تغري

ابنتها بأم زوجها وكان العجوزان قد ذهب بصرهما فلم تزل امرأته حتى خرج بأمه ووضعها في فلاة من الأرض ليس معها طعام ولا شراب ليأكلها السباع ثم انصرف عنها فغشيتها السباع فجاءها ملك فقال: ما هذه الأصوات التي أسمع حولك قالت: خيرًا هذه أصوات إبل وبقر وغنم قال: خيرًا فيكن - إن شاء الله - ثم انصرف عنها فلما أصبحت أصبح الوادي ممتلئًا إبلاً وبقرًا وغنمًا فقال ابنها: لو جئت فنظرت ما فعلت أمي فجاء فإذا الوادي قد امتلأ من الإبل والبقر والغنم، فقال: أي أماه ما هذه؟ فقالت: يا بني عققتني وأطعت امرأتك فاحتمل أمه وساق ما أعطاه الله تعالى ورجع بأمه إلى امرأته فقالت له امرأته: والله لا أرضى حتى تذهب بأمي فتضعها حيث وضعت أمك فانطلق بها فلما أمست غشيتها السباع فجاءها الملك الذي جاء لأمه فقال: أيتها العجوز: ما هذه الأصوات قالت: شرًّا هذه الأصوات سباع تريد أن تأكلني فقال: شرًا فليكن ثم انصرف فجاءها سبع فأكلها فلما أصبحت قالت امرأته: اذهب فانظر ما فعلت أمي فذهب فما وجد منها إلا ما فضل عن السبع فأخذ عظامها وأتى امرأته فماتت كمدًا.

موعظة: قال النبي ﷺ: «**من فضل زوجته على أمه فعليه لعنة الله والملائكة ولا يقبل منه صرف ولا عدل**» يعني فريضة ولا نفلاً. قال النووي - رحمه الله - في الفتاوى ولا يؤتمن من فضل زوجته على أمه في النفقة إذا قام بكفايتها أو لزمه والأفضل الأم، فإن كان ولابد من تفضيل الزوجة فالأفضل أن يخفيه عن الأم.

لطيفة: قال رجل للإمام الليث بن سعد: إن أبي ببلاد السودان وقد كتب إلى أن أذهب إليه فمنعتني أمي قال: أطع أباك ولا تعص أمك فسأل الإمام مالك عن ذلك، فقال: أطع أباك ولا تعص أمك.

قال مؤلفه - رحمه الله تعالى -: الذي فهمته من قول الإمام مالك - رضي الله عنه - أن طاعة الأم أمر لازم وأولى؛ لأن قوله: أطع أباك مصلحة، وقوله: لا تعص أمك أمر بترك المفسدة وترك المفاسد أولى من جلب المصالح إلا في مسألة جلب المصلحة أولى من دفع المفسدة وذلك فيما لو ماتت في جوفها ولد يرجى حياته فشق جوفها مفسدة وإخراج الولد مصلحة فإخراج الولد هنا واجب. قال في الروضة في باب الهبة: يسن للولد أن يعدل في هبته لأبويه كما يسن للوالد أن يعدل في هبته لأولاده أي البارين فإن أراد الولد أن يزيد أحد أبويه على الآخر فالأم أولى.

حكاية: كان لرجل ثلاثة أولاد فمرض فقال كبيرهم لإخوته: اعطوني خدمته ولكم ميراثه ففعلا فخدمه حتى مات فرأى في منامه قائلاً يقول: اذهب إلى موضع كذا وخذ منه دينارًا ولك فيه التركة قال: لا فتركه ثم رأى في الليلة الثانية كذلك وفي الثالثة مثلها فلما أصبح أخذه واشترى به سمكة فوجد فيها جوهرتين فباعهما للسلطان بستين ألف دينار ثم رأى في منامه قائلاً يقول له: هذا بخدمتك لأبيك.

حكاية: لما خرج موسى - عليه السلام - من أنطاكية يريد الشام فتعب فأوحى الله تعالى إليه أن آوي إلى سفح جبل فيه عبد لي فاسأله شيئًا تركبه فوجده يصلي فلما فرغ قال: يا عبد الله أريد شيئًا أركبه فنظر إلى السماء وإذا بسحابة سائرة فقال: أيتها السحابة انزلي واحملي هذا العبد حيث يريد فنزلت حتى لصقت بالأرض فركبها موسى - عليه السلام - فقال الله تعالى: يا موسى أتدري بأي شيء أعطيته هذه المنزلة؟ قال: لا يا رب قال: سألته أمه حاجة عند وفاتها فبادر إلى قضائها فقالت: يا إلهى كما قضى حاجتي فاقض حاجته ولو سألني أن أقلب الخضراء على الغبراء لفعلت.

حكاية: قال رجل للأستاذ أبي إسحاق: رأيتك البارحة في المنام وكانت لحيتك مرصعة باليواقيت والجواهر فقال: صدقت؛ لأني مسحت بها البارحة قدم أمي وفي الحديث: «**أول شيء كتبه الله في اللوح المحفوظ: بسم الله الرحمن الرحيم إني أنا الله لا إله إلا أنا من رضي عنه والداه فأنا عنه راضٍ**» وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ: «**من أصبح وأمسى مرضيًا لوالديه أصبح وأمسى وله بابان إلى الجنة ومن أصبح وأمسي مسخطًا لوالديه أصبح وأمسى وله بابان إلى النار**» فقال رجل: يا رسول الله وإن ظلماه قال: «**وإن ظلماه**» قال الإمام النووي في الفتاوى: من كان عاقًّا لوالديه وماتا ساخطين عليه فلا طريق له في عدم مطالبتهما له لكن ينبغي له بعد الندم على ذلك أن يكثر من الاستغفار لهما مع الدعاء والتصدق عنهما ويقضي دينهما ويصل رحمها ويكرم من كان بجوارهما إكرامًا لهما.

حكاية: ذكر ابن الجوزي في كتاب المنتظم في تواريخ الأمم: أن موسى - عليه السلام - سأل ربه أن يريه رفيقه في الجنة فقال تعالى: اذهب إلى بلد كذا تجد رجلًا قصّابًا فهو رفيقك في الجنة فلما رآه في حانوته وعنده زنبيل فقال الشاب: يا جميل الوجه هل لك أن تكون في ضيافتي قال موسى: نعم فانطلق معه إلى منزله فوضع الطعام بين يديه فكلما أكل لقمة وضع في الزنبيل لقمتين فبينما هو كذلك إذا بالباب يطرق فوثب الشاب وترك الزنبيل فنظر موسى فيه وإذا بشيخ وعجوز قد كبرا حتى صارا كالفرخ الذي لا ريش له، فلما نظرا إلى موسى تبسما وشهدا له بالرسالة ثم ماتا فلما دخل الشاب ونظر إلى الزنبيل قبل يد موسى وقال: أنت موسى رسول الله قال: ومن أعلمك بذلك؟ قال: هذان اللذان كان في الزنبيل أبواي قد كبرا فحملتهما في الزنبيل خوفًا عليهما وكنت لا آكل ولا أشرب إلا بعدهما وكان يسألان الله كل يوم أن لا يقبضهما حتى ينظرا إلى موسى فلما رأيتهما ماتا علمت أنك موسى رسول الله فقال له: أبشر فإنك رفيقي في الجنة.

حكاية: لما دخل يعقوب - عليه السلام - على ولده يوسف - عليه السلام - لم يقم له فأوحى الله إليه تتعاظم على أبيك أن تقوم له وعزتي وجلالي لا أخرجت من صلبك نبيًّا. وذكر النسفي أن يوسف - عليه السلام - دخل على أبيه يعقوب وهو على دابته ولم ينزل فأوحى الله

تعالى إليه: هلاَّ قضيت حق أبيك بالنزول فلو نزلت إليه أخرجت من صلبك سبعين نبيًّا مرسلاً.

لطيفة: رأيت في شرعة الإسلام عن النبي ﷺ حسنة الحر بعشر وحسنة العبد بعشرين.

موعظة: قال النبي ﷺ: «**اثنان لا تجاوز صلاتهما رؤوسهما**» وفي رواية: «**ثلاثة لا تجاوز صلاتهم آذانهم العبد الآبق حتى يرجع وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط وإمام قوم وهم له كارهون**».

حكاية: كان في بني إسرائيل رجل صالح له ولد صالح فلما حضره الموت قال لولده: لا تحلف بالله كاذبًا ولا صادقًا فلما مات تسامع به الناس فسابق إليه بنو إسرائيل فكان الرجل يقول له: لي عند أبيك كذا وكذا من المال فيدفعه إليه حتى افتقر فخرج بزوجته وولديه إلى البحر فانكسرت بهم السفينة فصار كل واحد على لوح فوقع الرجل في جزيرة فناداه مناد: أيها الرجل البار بوالديه إن الله تعالى يريد أن يخرج لك كنزًا وهو في موضع كذا فكشف عنه فوجده فساق إليه بعض الناس فأحسن إليهم فتسامع الناس به فقصدوه وصارت الجزيرة بلدًا وصار الرجل كبيرهم فسمع ولده الأكبر بحسن سيرته فقصده فقربه ولم يعرفه ثم سمع ولده الآخر فقصده وقربه أيضًا ثم سمع زوج امرأته الذي صارت الزوجة إليه فتوجه بها إليه فلما قرب من الجزيرة ترك المرأة في المركب ودخل عليه ومعه هدية فقربه، وقال له: نم عندنا الليلة، فقال: تركت امرأتي في مركب وعاهدتها لا آكل أمرها إلى غيري فقال: أنا أرسل لها رجلين يحرسانها هذه الليلة فلما دخلا عليها قال أحدهما للآخر: قد أمرنا الملك أن نحفظ هذه المرأة ونخاف من النوم فاذكر لي وأنا أذكر لك ما رأينا من الأخبار فقال أحدهما: كان لي أخ اسمه كاسمك فركب والدنا في البحر من بلد كذا فانكسرت السفينة وفرق الله شملنا فلما سمع كلامه، قال: كيف كان اسم والدك؟ قال: فلان، قال: وأمك قال: فلانة فترامى عليه وقال: أنت أخي ورب الكعبة والأم تسمع كلامهما فلما طلع الفجر جاء الرجل من عند الملك فوجدهما في هم عظيم فغضب ورجع إلى الملك وأخبره بذلك فأمر بإحضارهما وإحضار المرأة فقال لها: أيتها المرأة ما الذي رأيت من هذه؟ فقالت: أيها الملك دعهما يذكران كلاهما البارحة فذكرا ذلك فوثب الملك عن سريره وقال: أنتما والله ولدي، وقالت المرأة: والله أنا أمهما ﴿وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: ٢٩] فسبحان من فرقهم وجمعهم.

حكاية: رأيت في الغنية للشيخ عبد القادر الكيلاني - رضي الله عنه - أن عليًّا - رضي الله عنه - سمع رجلاً يقول حول الكعبة:

يا من يجيب دعاء المضطر في الظلم ... يا كاشف الضر والبلوى مع السقم
قد نام وفدك حول البيت وانتبهوا ... وأنت يا حي يا قيوم لم تنم
هب لي بجودك ما أخطأت من جرم ... يا من إليه أشار الخلق بالكرم
إن كان عفوك لم يسبق لمحترم ... فمن يجود على العاصين بالنعم

فقال: يا حسن أدركه فإذا هو رجل حسن الوجه إلا أنه قد شل جانبه الأيمن، فقال: أجب أمير المؤمنين فجاء يجر شقه، فقال: من أنت؟ قال: من العرب وكان والدي يتهاون عن المعاصي فلطمته على وجهه فركب ناقته وأتى الكعبة وقال:

يا من إليه أتى الحجاج من بعد	**يرجون لطف عزيز واحد صمد**
هذى منازل ما قد خاب قاصدها	**فخذ بحقي يا رحمن من ولدي**
فشل منه بجود منك جانبه	**يا من تقدس لم يولد ولم يلد**

قال: فما فرغ حتى أصابني ما ترى فلما رجع ورآني في هذه الحالة سألته أن يدعو لي في الموضع الذي دعا علي فيه بعد أن رضي فخرج على ناقته فسقط عنها فمات فقال علي - رضي الله عنه -: أفلا أعلمك دعاء سمعته من النبي ﷺ؟ سمعته يقول: «**ما دعا به مهموم إلا فرج الله عنه**» وهو هذا: «**اللهم إني أسألك يا عالم الخفية يا من السماء بقدرته مبنية ويا من الأرض بقدرته مدحية، ويا من الشمس والقمر بنور جلاله مشرقة مضيئة، ويا مقبلاً على كل نفس زكية. ويا مسكن رعب الخائفين وأهل البلية ويا من حوائج الخلق عنده مقضية ويا من نجى يوسف من العبودية. ويا من ليس له بواب ينادي: ولا صاحب يغشى، ولا وزير يؤتى ولا غيره رب يدعى، ولا يزداد على الحوائج إلا كرمًا وجودًا صلى على محمد وآله وأعطني سؤلي إنك على كل شيء قدير يا حي يا قيوم يا أرحم الراحمين**» ثم قال - رضي الله عنه - تمسك بهذا الدعاء فإنه كنز من كنوز العرش فدعا به الرجل فعافاه الله تعالى ثم رأى النبي ﷺ في المنام فسأله عن هذا الدعاء فقال: «**هو اسم الله الأعظم**».

حكاية: قال أنس بن مالك: كان في بني إسرائيل شاب إذا قرأ التوراة خرج الرجال والنساء لحسن صوته وكان يشرب الخمر فقالت له أمه: لو علم بك عباد بني إسرائيل لأخرجوك من جوارهم فدخل ليلة وهو سكران فقرأ التوراة فاجتمع الناس فقالت له أمه: قم فتوضأ فضرب وجهها فقلع عينها وقلع سنها فقالت: لا رضي الله عنك فلما أصبح رآها قال: السلام عليك يا أماه فلا أراك بعدها إلى يوم القيامة، فقالت: لا رضي الله عنك أينما توجهت فذهب إلى جبل يعبد ربه فيه أربعين سنة حتى لصق جلد على عظمه ثم رفع رأسه وقال: يا رب إن كنت غفرت لي فأعلمني فهتف به هاتف رضائي من رضا أمك فرجع إليها ونادى لها: يا مفتاح الجنة إن كنت بالحياة واطرباه، وإن كنت ميتة فواعذاباه!! فقالت: من هذه؟ فقال: ولدك فلان فقالت: لا رضي الله عنك فتقدم إليها وقطع يده وقال: هذه التي قلعت عينك لا تصحبني أبدًا ثم قال لأصحابه: اجمعوا لي حطبًا ونارًا ففعلوا فوثب فيها وقال لجسده: ذق نار الدنيا قبل نار الآخرة فأخبروا أمه بذلك فنادته: يا قرة عيني أين أنت؟ قال: بين النيران فقالت: يا بني رضي الله عنك فأمر الله تعالى جبريل فمسح بريشة من جناحه على عينها وسنها فعاد كما كانا ثم مسح على يد ولدها فعادت كما كانت بإذن الله تعالى.

فائدة: روى البيهقي في شعبه عن ابن عباس عن النبي ﷺ «**من قبل عيني أمه كان له سترًا من النار**» وروى في كتاب شرعة الإسلام «**من قبل رجل أمه فكأنما قبل عتبة الكعبة**»، وقال في حادث القلوب الطاهرة: قال النبي ﷺ: «**ما من ولد بار ينظر إلى والديه نظرة رحمة إلا كتب الله له بكل نظرة حجة مبرورة**» قالوا: يا رسول الله وإن نظر كل يوم مائة مرة، قال: «**نعم الله أكثر وأطيب**» حكاه في التتارخانية للحنفية.

حكاية: قال رجل من خثعم: أتيت النبي ﷺ وهو في نفر من أصحابه فقلت: أنت الذي تزعم أنك رسول الله؟ قال: «**نعم**» فقلت: أي الأعمال أحب إلى الله؟ قال: «**الإيمان بالله ثم صلة الرحم**» قلت: فأي الأعمال أبغض إلى الله؟ قال: «**الإشراك بالله وقطيعة الرحم**» وفي صحيح البخاري ومسلم: «**الرحم معلقة بالعرش تقول: من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله**» وعن عائشة - رضي الله عنها - عنه ﷺ قال: «**أسرع الخير ثوابًا البر وصلة الرحم وأسرع الشر عقوبة البغي وقطيعة الرحم**»، وفي الترمذي قال رجل: يا رسول الله إني أذنبت ذنبًا فهل لي من توبة؟ قال: «**هل لك أم؟**» قال: لا، قال: «**فهل لك من خالة؟**» قال: نعم قال: «**برها**».

حكاية: دخل رجلان عند داود - عليه السلام - فأخبره ملك الموت أن أحدهما يموت بعد سبعة أيام ثم رآه داود بعد مدة فسأل ملك الموت عنه، فقال: إنه لما خرج من عندك وصل رحمه فزاد الله في عمره عشرين عامًا. نزل بعضهم معنى الزيادة في العمل أن يكتب له ثوابه بعد الموت. وقال الضحاك: إن العبد يبقى من عمره ثلاثة أيام فيصل رحمه فتصير ثلاثين سنة وأيضًا يبقى من عمره ثلاثون سنة فيقطع رحمه فتصير ثلاثة أيام.

فائدة: ذكر المفسرون في قوله تعالى: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾ [الرعد: ٣٩] وجوهًا:

الأول: أنه يزيد في العمر والرزق وينقصهما ويمحو الشقاوة ويثبت السعادة، وهذا التأويل رواه جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ.

الثاني: أنه تعالى يمحو من ديوان الحفظة ما ليس بحسنة ولا سيئة ويثبت غيره؛ ولأنهم مأمورون بكتابة كل قول وفعل.

الثالث: أنه يمحو الذنب من الديوان بالتوبة بعد إثباته.

الرابع: أنه يمحو القمر ويثبت الشمس، وقال ابن عباس - رضي الله عنهما -: جعل الله تعالى الشمس سبعين جزءًا والقمر كذلك فمحا من نور القمر تسعة وستين جزءًا فجعله مع نور الشمس ولولا ذلك لم يعرف الليل والنهار، وقيل: يمحو الدنيا ويثبت الآخرة.

وقيل: إن الرزق والمصائب يثبتها ثم يمحوها بالدعاء.

فإن قيل: قد جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة فكيف يستقيم المحو والإثبات؟

فالجواب: يمحو ما سبق في علمه أن يمحوه ويثبت ما سبق في علمه أنه يثبته، قال الرازي: وفي إثبات الحوادث في اللوح المحفوظ لتعليم الملائكة أن الله أعلم بجميع المعلومات فعلى هذا عنده كتابان، أحدهما: الذي كتبته الملائكة وذلك هو محل المحو والإثبات، والثاني: هو اللوح المحفوظ الذي لا يتغير مكتوبه ولا ينظر فيه إلا الله تعالى.

فائدة: قال موسى - عليه السلام -: يا رب كيف أصل رحمي إن تباعدت عني؟ قال: أحبب لها ما تحب لنفسك. وفي شرعيتنا المطهرة تحصل الصلة بإرسال الهدية والسّلام وعن النبي ﷺ قال: «**إن أعمال بني آدم تعرض عليّ كل خميس ليلة جمعة ولا يقبل الله قاطع رحم**» رواه الإمام أحمد وعن النبي ﷺ «**من زار قبر والديه أو أحدهما في كل جمعة غفر له وكتب له براءة من النار**».

فائدتان:

الأولى: عن النبي ﷺ: «**من حج عن والديه بعد موتهما كتب الله له عتقًا من النار**»، وقال الأوزاعي: من عق والديه ثم قضى عنهما دينهما بعد موتهما كتب بارًّا وإن كان بارًّا ولم يقض عنهما كتب عاقًّا.

الثانية: عن النبي ﷺ: «**من صلى ليلة الجمعة بين المغرب والعشاء ركعتين يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسي مرة وسورة الإخلاص والمعوذتين خمس مرات، فإذا فرغ استغفر الله خمس عشرة مرة وصلى على النبي خمس عشرة مرة وجعل ثوابها لوالديه فقد أدى حقهما، ولا يعلم ثوابهما إلا الله تعالى**»، وسيأتي في المعراج على هذا زيادة مع ذكر شيء من حقهما إن شاء الله تعالى.



باب الحلم والصفح عن عثرات الإخوان

قال الله تعالى: ﴿وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤] وقال النبي ﷺ في حديث العفو: «**لا يزيد العبد إلا عزًا فاعفوا يعزكم الله**» وقال أيضًا ﷺ: «**ينادي مناد يوم القيامة ليقم من أجره على الله فليدخل الجنة**» قيل: ما هم؟ قال: «**العافون عن الناس**» رواه الطبراني وعن ابن عباس عن النبي ﷺ: «**ألا أنبئكم بشراركم؟**» قالوا: بلى يا رسول الله قال: «**إن شراركم الذي ينزل وحده ويجلد عبده ويمنع رفده أفلا أنبئكم بشر من ذلك؟**» قالوا: بلى يا رسول الله قال: «**من يبغض الناس ويبغضونه أفلا أنبئكم بشر من ذلك؟**»، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «**من لا يرجى خيره ولا يؤمن شره أفلا أنبئكم بشر من ذلك؟**»، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «**الذين لا يقيلون عثرة ولا يقبلون معذرة**».

فائدة: قال النبي ﷺ: «**من أقال مسلمًا من بيعته أقال الله عثراته يوم القيامة**».

مسألة: ولو وكل في بيع دابة ثم ندم المشتري وطلب الإقالة فلا تكون إلا من الموكل أو بإذنه وإذا حصلت الإقالة رجعت العين المبيعة إلى البائع بزيادتها المنفصلة وغير المنفصلة، والله تعالى أعلم.

وفي الإحياء: عن النبي ﷺ «**إذا بعث الله الخلائق يوم القيامة نادى مناد تحت العرش ثلاث مرات يقول: يا معشر الموحدين إن الله قد عفا فليعف بعضكم عن بعض**».

حكاية: دعا علي - رضي الله عنه - غلامه فلم يجبه ثم دعاه ثانيًا فلم يجبه فوثب إليه فرآه مضطجعًا يضحك فقال: ما حملك على ترك جوابي؟ قال: أمنت عقوبتك قال: أنت حر لوجه الله تعالى. قال في روضة العلماء: أوحى الله تعالى إلى إبراهيم أنت خليلي حسن خلقك ولو مع الكافرين أنزلك منازل الأبرار، فإن كلمتي سبقت لمن حسن خلقه أن أظله تحت ظل عرشي يوم لا ظل إلا ظلي، وأن أسكنه حظيرة قدسي، وقال النبي ﷺ: «**من كظم غيظًا وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله على رؤوس الخلائق حتى يخيره من الحور العين ما شاء**» رواه أبو داود والترمذي.

فائدتان:

الأولى: أوحى الله إلى موسى - عليه السلام - أتحب أن يدعو لك كل شيء طلعت عليه الشمس والقمر؟ قال: نعم، قال: اصبر على خلقي وجفائهم كما صبرتُ على من أكل رزقي وعبد غيري، وقال بعضهم: رأيت النبي ﷺ في المنام فقلت: يا رسول الله أخالط الناس أم أعتزلهم؟ قال: «**خالط الناس واحتمل أذاهم**»، وذكر في كتاب شرف المصطفى عن النبي ﷺ: «**المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أفضل من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم**».

الثانية: قال عمر – رضي الله عنه –: رأيت رب العزة في المنام فقال: يا ابن الخطاب تمن على فسكت فقال في الثانية: يا ابن الخطاب أعرض عليك ملكي وملكوتي وأقول لك: تمن على وأنت في ذلك تسكت؟ فقال: يا رب شرفت الأنبياء بكتب أنزلتها عليهم فشرفني بكلام منك بلا واسطة فقال: يا ابن الخطاب من أحسن إلى من أساء إليه فقد أخلص لله شكرًا ومن أساء إلى من أحسن إليه فقد بدل نعمتي كفرًا، فإن قيل: كيف شكر يوسف ربه عز وجل على إخراجه من السجن ولم يصرح بذلك على إخراجه من الجب؟.

فالجواب: لما في ذكر الجب من التوبيخ لإخوته، والصفح الجميل: هو الذي لا عتاب فيه.

موعظة: قال ابن عباس – رضي الله عنهما – في قوله تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ [طه :٤٤] إن موسى – عليه السلام – قال: يا رب أمهلت فرعون أربعمائة عام وهو يقول: أنا ربكم الأعلى ويكذب بآياتك، فأوحى الله إليه: يا موسى إنه حسن الخلق سبل الحجاب فأحببت أن أكافئه.

حكاية: قال العلائي في تفسير سورة طه: قال الله تعالى لموسى – عليه السلام – لما خرج بزوجته صفوريا بنت شعيب نحو مصر وجاءها الطلق فذهب يطلب نارًا فوجدها تخرج من شجر العناب، وقيل: العوسج لا تزداد النار إلا تلهبًا ولا تزداد الشجرة إلا خضرة فوقف ينظر لعل شيئًا يسقط منها، وأخذ شيئًا من نبات الأرض ليشعله فمالت الشجرة نحوه كأنها تريده فتأخر عنها فصارت عمود نور بين السماء والأرض فنودي من شاطئ الوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى فقال: لبيك أسمع صوتك ولا أرى مكانك فأين أنت؟ فقال: من فوقك وعن يمينك وعن شمالك وأمامك وأنا أقرب إليك منك فعلم أنه ربه؛ لأن كلام المخلوقين يأتي من جهة واحدة وكلام الخالق يأتي من كل جهة وكلام المخلوقين يدركه السامع بواسطة عضو واحد وهو الإذن وكلام الخالق يدركه بجميع الأعضاء ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾ [طه :١٢] إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ۝ قَالَ هِيَ عَصَايَ﴾ [طه :١٧-١٨] ﴿قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ۝ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ﴾ [طه :١٩-٢٠] قد فتحت فاها ثمانين ذراعًا.

قال الرازي: تقلع الصخرة والحجارة بأنيابها فلما رآها هرب منها فقال: ﴿خُذْهَا وَلَا تَخَفْ﴾ [طه :٢١] فلف ثوبه على يده فإذا هي عصاه كما كانت ثم قال: يا موسى ادن منى فلم يزل يدنيه حتى أسند ظهره للشجرة، فقال: يا موسى قد أقمتك مقامًا لم أقمه لأحد بعدك قربتك حتى أسمعتك كلامي وكنت بأقرب الأمكنة إلي فاسمع كلامي واحفظ وصيتي وانطلق برسالتي فأنت جند من جندي أرعاك بعيني وسمعي وألبسك جنة من سلطاني تستكمل بها القوة في أمري أبعثك إلى خلق ضعيف بطر نعمتي وأمن مكري حتى جحد حقي وأنكر ربوبيتي وزعم أنه لا يعرفني وإني أقسم بجلالي وعظمتي لولا الحجة التي بيني وبين خلقي لبطشت به بطشه جبار يغضب لغضبه السموات والأرض والجبال والبحار إن أمرت الأرض ابتلعته أو الجبال دمرته أو

البحار أغرقته أو السماء حصبته أي رمته بالحصا ولكنه هان على ووسعه حلمي فبلغ رسالتي وادعه إلى توحيدي وأخبره أني إلى العفو والمغفرة أقرب مني إلى الغضب والعقوبة فلا يرعك ما ألبسته من لباس الدنيا فإن ناصيته بيدي لا ينطق ولا يتنفس إلا بإذني، قل له: أجب ربك فإنه واسع المغفرة وقد أمهلك أربعمائة عام في كلها أنت تبارزه بالمحاربة وهو يمطر عليك السماء وينبت لك الأرض ولم تستقم ولم تهرم ولو شاء لعجل لك العذاب ولكنه ذو أناة وحلم فجاهد بنفسك وأخيك إني لو شئت لأتيته بجنود لا قبل له بها ولكنه ليعلم هذا العبد الضعيف الذي أعجبته نفسه وجموعه أن الفئة القليلة ولا قليل مني تغلب الفئة الكثيرة بإذني فذهب موسى إليه وقرع بابه بالعصا فأخبر البواب الذي دونه سبعين بوابًا إلى فرعون فإذن له فقال له فرعون: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾ [الشعراء :١٨]، فقال له موسى: ما ذكره الله في كتابه: ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ [الأعراف :١٠٧]فوثب على عسكره ففروا فمات خمسة وعشرون ألفًا وقد تقدم تمامه في فضل الذكر.

قال في الكشاف: جاء جبريل - عليه السلام - بفتيا إلى فرعون مكتوب فيها: ما يقول الأمير في عبد نشأ في نعمة مولاه فكفر بنعمته وجحد حقه فكتب فرعون في الجواب يقول أبو العباس الوليد بن مصعب: جزاء هذا العبد أن يغرق في البحر فلما غرق دفع له جبريل خطه بيده فعند ذلك قال: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس :٩٠] قاله خجلاً وحياء لا إيمانًا، وقيل: إنما لم ينفعه ذلك؛ لأن الإيمان عند رؤية العذاب لا يفيد، وقيل: لأنه لم يقر بنبوة موسى - عليه السلام - فإن قيل: كيف تكلم مع الغرق؟

فالجواب: أنه قال ذلك في نفسه وكلام النفس هو الكلام الحقيقي.

قال الرازي: دلت الأخبار على أن قوله: ﴿ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ﴾ [يونس: ٩١]. من كلام جبريل، وقيل: من كلام الله تعالى لقوله: ﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ [يونس :٩٢]، أي بدرعك وكان من ذهب فأخرجه الله تعالى من البحر حتى عرفه بنو إسرائيل - وإسرائيل هو يعقوب - عليه السلام - وقد تقدم أنه لما أدركه الغرق، قال: آمنت فأخذ جبريل الطين فجعله في فمه حتى لا يقول: لا إله إلا الله فيرحمه الله فإن قيل: الرضا بالمعصية معصية فكيف رضي جبريل ببقائه على الكفر؟

فالجواب: إن وضع الطين في فمه هو من فعل الله؛ لأنه خالق لأفعال عباده.

فائدة: أكل العنب ينفع من السعال ووجع الكليتين والصدر والصداع والشقيقة ويقوي البدن، ورطبه ويابسه لكن اليابس يلين الطبيعة والرطب يحصبها وشراب العنب بارد رطب يصلح الدم ويلطفه من أحرقه، وينفع من الجدري وحرارة الكبد والسعال اليابس.

وصفته: أن ينقع العنب في ماء ثم يهرس ثم يصفى ويضاف إليه كفايته من السكر ثم يغلى على النار. وفي الخبر: إذا جمع الله الخلائق يوم القيامة ينادي مناد ألا ليقم أهل الفضل فيقال

لهم: ادخلوا الجنة، فتقول لهم الملائكة: إلى أين؟ قالوا: إلى الجنة قالوا: قبل الحساب؟ قالوا: نعم، قالوا: من أنتم؟ قالوا: أهل الفضل قالوا: وما فضلكم؟ قالوا: كنا إذا جهل علينا حلمنا وإذا ظلمنا صبرنا وإذا أسيء إلينا غفرنا فقالوا لهم: ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين.

ورأيت في الوجوه المسفرة عن اتساع المغفرة: عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: كنت إذا غضبت عرك النبي ﷺ أذني وقال: «**يا عويشة قولي: اللهم رب محمد اغفر لي ذنبي وأذهب غيظ قلبي وأجرني من مضلات الفتن**»، ورأيته في شرح الأربعين لابن رجب عن أم سلمة - رضي الله عنها.

لطيفة: قال الفضيل: ثلاثة لا يلامون على غضبهم المريض والمسافر والصائم، وقال رجل: يا نبي الله دلني على عمل يدخلني الجنة قال: «**لا تغضب ولك الجنة**» رواه الطبراني، قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: ثلاثة من كن فيه فقد استحق ولاية الله حلم أصيل يدفع به سفه السفيه وورع يمنعه من المعاصي وحسن خلق يداري به الناس.

فائدة: قال في الإحياء: الحلم أفضل من كظم الغيظ؛ لأن كظم الغيظ عبارة عن التحلم وهو تكلف الحلم، والحلم: رفع الكلف ككظم الغيظ بالعادة فيكون من هذه صفته حليمًا.

قال بعض المفسرين في قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾[فاطر: ٣٢] هو الذي يظلم الناس ويظلمونه، والمقتصد: هو الذي إذا ظلمه الناس اقتص منهم والسابق هو الذي إذا ظلمه الناس عفا عنهم.

قال الراوي: في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾[آل عمران: ١٥٩] فإن قيل: ما الفرق بين الفظ والغليظ؟ قيل: الفظ: هو السيئ الخلق، وغليظ القلب: هو الذي لا شفقة فيه ولا رحمة، قال في الكشاف: ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ﴾[آل عمران: ١٥٩] أي فيما يتعلق بحقك ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾[آل عمران: ١٥٩] فيما يتعلق بحق الله تعالى أي اطلب لهم المغفرة، فما أمره بذلك إلا وهو يريد أن يغفر لهم فالحمد لله على إحسانه.



باب: الكرم والفتوة ورد السلام

قال الله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩] قيل: نزلت الآية في رجل أُهدي له دجاجة فدفعها لجاره فدفعها الآخر إلى جاره وهكذا إلى سبعة دور حتى رجعت إلى الدور الأول: وفي مجمع الأحباب أن بعض الصحابة - رضي الله عنهم - قصد ابن عمه بشربه ماء فلما وصل إليه سمع شخصًا يشكو عطشًا فأشار إليه أن اسقه فجاء فوجد آخر يشكو عطشًا فأشار إليه أن اسقه فجاءه فوجده قد مات فرجع إلى الثاني فكذلك ثم أتى ابن عمه فكذلك فتعجب من حسن إيثارهم مع شدة اضطرارهم - رضي الله عنهم - وكان ذلك في وقعة اليرموك وهو مكان معروف ينزله الحجاج في ذهابهم ويسمونه المزيريب وكان ذلك في خلافة سيدنا عمر - رضي الله عنه - وفي صحيح البخاري أن النبي ﷺ كان أجود الناس وكان أجود من الريح المرسلة وما رد سائلاً قط وما سُئل عن شيء قط، فقال: لا.

قال النووي - رحمه الله تعالى - في تهذيب الأسماء واللغات: ما قال ﷺ: لا، منعًا من الوجدان، وأما اعتذارًا فقد قالها ﷺ قال تعالى: ﴿قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ [التوبة :٩٢]، قال في عوارف المعارف عن ابن عيينة - رضي الله عنه - إن لم يكن عنده ﷺ ما طلب منه وعد به ثم قال في عوارف المعارف أيضًا عن جبريل - عليه السلام -: ما وجدت أحدًا أشد إنفاقًا لهذا المال من رسول الله ﷺ فإن قيل: كيف كان أجود الناس؟

فالجواب: إن الجود ما كان بغير سؤال والكرم بسؤال، فالأول أبلغ. وفي المنتخب أن يهوديًا رأى النبي ﷺ وعليه قميصان فقال: يا محمد أعطني قميصًا، فنزع له أجودهما فقال عمر - رضي الله عنه -: يا رسول الله هلا أعطيته الأردأ؟ فقال: «**إن ديننا الحنيفية السمحة لا شح فيه، كسوته أفضل القميصين ليكون أرغب له في الإسلام**».

موعظتان:

الأولى: رأى النبي ﷺ رجلاً يطوف بالكعبة وهو يقول: اللهم بحرمة هذا البيت إلا غفرت لي ذنبي فقال: «**ويحك ذنبك أعظم أم الأرضون؟**» قال بل ذنبي أعظم، قال: «**ذنبك أعظم أم السموات؟**» قال: بل ذنبي أعظم قال: «**ذنبك أعظم أم العرش؟**»، قال: بل ذنبي أعظم، قال: «**ذنبك أعظم أم الله؟**» قال: بل الله أعظم، قال: «**صف لي ذنبك**»، قال: يا رسول الله إني صاحب مال كثير وإذا جاءني سائل فكأنما يأتي بشعلة نار قال: «**إليك عني لا تحرقني بنارك أما علمت أن البخل كفر وأن الكفر في النار**»، وعن النبي ﷺ: «**لما خلق الإيمان قال: يا رب قوني فقواه بحسن الخلق ثم خلق الكفر، فقال: يا رب قوني فقواه بالبخل**».

الثانية: قالت عائشة - رضي الله عنها -: جاءت امرأة إلى النبي ﷺ قد يبست يداها فقالت: يا رسول الله ادع الله أن يصلح لي يدي، فسألها عن ذلك فقالت: رأيت في المنام كأن

أمي في واد من جهنم ومعها خرقة صغيرة وشحمة قليلة تتقي بها النار فسألتها عن ذلك، فقالت: كنت مطيعة لله تعالى ولأبيك ولكن كنت بخيلة وهذا موضع البخلاء لم أتصدق إلا بهذه الخرقة والشحمة فسألتها عن أبي فقالت: إنه في دار الأسخياء، فأتيت إليه فوجدته على حوضك يا رسول الله يأخذ الكوز من علي - رضي الله عنه - وعلي يأخذه من عثمان وعثمان يأخذه من عمر وعمر يأخذه من أبي بكر وأبو بكر يأخذ منك يا رسول الله فقلت له: إن أمي في جهنم، فقال: إنها كانت بخيلة فأخذت منه كوزًا واستيقظت ويدي يابسة وأنا أتوسل بك يا رسول الله في رد يدي فدعا لها فرد الله عليها يدها.

حكاية: كان في زمن النبي ﷺ رجل يقال له: أبو دجانة فإذا صلى الصبح خرج من المسجد سريعًا ولم يحضر الدعاء فسأله النبي ﷺ عن ذلك فقال: جارى له نخلة يسقط رطبها في داري ليلاً من الهواء فأسبق أولادي قبل أن يستيقظوا فأطرحه في داره، فقال النبي ﷺ لصاحبها: **«بعني نخلتك بعشرة نخلات في الجنة عروقها من ذهب أحمر وزبرجد أخضر وأغصانها من اللؤلؤ الأبيض»** فقال: لا أبيع حاضرًا بغائب فقال أبو بكر: قد اشتريتها منه بعشر نخلات في مكان كذا ففرح المنافق ووهب النخلة التي في داره لأبي دجانة، وقال لزوجته: قد بعت هذه النخلة لأبي بكر بعشر نخلات في مكان كذا وهي في داري فلا ندفع لصاحبها إلا القليل فلما نام تلك الليلة وأصبح وجد النخلة قد تحولت من داره إلى دار أبي دجانة.

موعظة: ذكر الشيخ عبد القادر الكيلاني - رضي الله عنه - في **«الغنية»** إذا انصرف العبد من الصلاة ولم يحضر الدعاء تقول الملائكة: انظر إلى هذا العبد الذي استغنى عن الله، ورأيت في الملاذ والاعتصام بالصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام أن رجلاً صاد ظبية، فقالت: يا رسول الله سله إرسالي حتى أرضع أولادي وأعود إليه، وإن لم أعد إليه أكن كمن صلى ولم يدع وأشرَّ ممن ذكرت عنده فلم يصل عليك.

فائدة: عن النبي ﷺ: **«لكل شيء طهارة وطهارة قلوب المؤمنين من الضر الصّلاة علي»** فقال علي - رضي الله عنه -: لولا أن أنسى ذكر الله ما تقربت إلى الله إلا بالصّلاة على محمد، وقال أبو هريرة: الصّلاة والسّلام على محمد هما طريق الجنة، وعن النبي ﷺ: **«من صلى على صلاة واحدة أمر الله الحفظة أن لا تكتب عليه ذنبًا ثلاثة أيام»** إن صح الحديث فهو محمول على ذنوب بينه وبين الله تعالى وعنه ﷺ قال: **«البخيل من ذكرت عنده فلم يصل علي»** وسيأتي باب عظيم في الصلاة عليه إن شاء الله تعالى.

فائدة: قال النبي ﷺ: **«من أنظر معسرًا أو وضع عنه أظله الله يوم القيامة تحت ظل عرشه»** رواه الترمذي وصححه، وقال النبي ﷺ: **«من أنظر معسرًا أو وضع له وقاه الله من فيح جهنم»** رواه أحمد بإسناد جيد، وقال النبي ﷺ: **«من أنظر معسر إلى ميسرة أنظره الله تعالى بذنبه إلى توبته»** رواه الطبراني وقال ﷺ: **«أحب الأعمال إلى الله تعالى إدخال السرور على المسلم»** وقال

النبي ﷺ: «**إذا أراد الله بأهل بيت خيرًا أدخل عليهم الرفق**» رواه الإمام أحمد.

فائدة: عن النبي ﷺ: «**إن الله مع الدائن حتى يُقضى دينه ما لم يكن فيما يكره الله تعالى**» وكان عبد الله بن جعفر يقول لخازنه: فخذ لي بدين فإني أكره أن أبيت ليلة إلا والله معي.

موعظة: قال النبي ﷺ: «**الدين راية الله في الأرض فإذا أراد أن يذل عبدًا وضعه في عنقه**» رواه الحاكم، وقال: صحيح على شرط مسلم.

فائدة: عن النبي ﷺ من مشى إلى غريمه بحقه صلت عليه دواب الأرض وحيتان الماء ونبت له بكل خطوة شجرة في الجنة، وقال ﷺ: «**من انصرف غريمه وهو راضٍ عنه صلت عليه دواب الأرض ونون الماء ومن انصرف غريمه وهو ساخط عليه كتب عليه في كل يوم وليلة وجمعة وشهر ظلم**» رواه الطبراني وقوله ﷺ: «**نون الماء**» يعني: دواب البحر، وسيأتي زيادة في باب فضل العدل، قال علي – رضي الله عنه - لرجل: ألا أعلمك كلمات علمنيهن رسول الله ﷺ لو كان عليك مثل جبل تبرٍ دينًا أداه الله عنك؟ فقال بلى: قال: «**اللهم اكفني بحلالك عن حرامك وأغنني بفضلك عمن سواك**»، رواه الترمذي وتقدم في باب الجمعة أن من قالها سبعين مرة أغناه الله.

حكاية: قيل: إن رجلاً كان يأكل دجاجة مع زوجته فجاءه سائل فرده خائبًا ثم بعد مدة ذهب ماله وطلق زوجته فتزوجت غيره فبينما هما ذات ليلة يأكلان دجاجة إذا جاءهما سائل، فقال لها: ادفعي إليه الدجاجة فدفعتها إليه فإذا هو زوجها الأول فأخبرت زوجها الثاني، فقال لها: والله وأنا السائل الأول الذي ردني خائبًا. وقال ﷺ: «**يا زبير إني رسول الله إلى الناس عامة وإليكم خاصة أتدري ماذا قال ربكم حين استوى على عرشه ونظر إلى خلقه؟ قال: عبادي أنتم خلقي وأنا ربكم وأرزاقكم بيدي فلا تتعبوا فيما تكفلت لكم فاطلبوا مني أرزاقكم وإلي فارفعوا حوائجكم وانصبوا إلي أنفسكم أصب عليكم أرزاقكم، أتدرون ماذا قال؟ قال: عبدي أنفق عليك ووسع أوسع إليك ولا تضيق فأضيق عليك، إن باب الرزق مفتوح من فوق سبع سماوات متواصل إلى العرض لا يغلق لا في ليل ولا نهار لينزل الله فيه من الرزق على كل امرئ بقدر نيته وعطيته وصدقته ونفقته من أكثر أكثر الله له ومن أقل أقل له يا زبير إن الله يحب السخاء ولو بفلق تمره ويحب الشجاعة ولو بقتل حية أو عقرب**».

لطيفة: أسلم الزبير وهو ابن خمس عشرة سنة بعد أبي بكر بقليل وروى ثمانية وثلاثين حديثًا، وأمه صفية بنت عبد المطلب، وهي عمة النبي ﷺ أسلمت بلا خلاف- رضي الله عنها.

فائدة: قال ﷺ: «**من قتل حية فله سبع حسنات ومن ترك حية مخافة من عاقبتها فليس منا، ومن قتل وزغة فله حسنة**» رواه الإمام أحمد وفي رواية أبي داود: «**من قتل وزغة أول ضربة فله سبعون حسنة**»، وقال ﷺ: «**من قتل حية فكأنما قتل مشركًا**» رواه الإمام أحمد والبزار إلا أنه

قال: «**من قتل حية أو عقربًا**» وعد في الروضة فيما يسن قتله للمحرم وغيره الحية والعقرب والفأرة والكلب العقور والغراب والحدأة والدب والأسد والذئب والنمر والنشر والعقاب والبرغوث والزنبور والبق، وأما القملة إن قتلها محرم تصدق بلقمة على النص استحبابًا، وقيل: وجوبًا. وفي شرح المهذب: إن العقاب مما لا نفع فيه ولا ضرر فلا يستحب قتله.

مسألة: لو ألقى عليه أو ألقاه عليها أو قيده بموضع فيه حيات أو عقارب فلا ضمان عليه، وإن نهشته حية أو لدغته عقرب يقتل غالبًا فعليه القصاص وإلا فدية.

فائدة: أكل الزبد وشرب السمن يدفع السم وينفع من نهش الحيات ولدغ العقرب وشرب خمسين درهمًا من السمن وخمسة عشر درهمًا من السكر لمن حبس بوله نافع جدًّا، وشرب السمن ينفع من البواسير والاكتحال به مع الزيت يقطع الجرب من الأبدان.

لطيفة الأولى: وقف سائل على باب كبير يسأل شيئًا فأعطوه قليلاً فجاء في اليوم الثاني بفأس وأراد أن يخرب الباب فقيل له: في ذلك فقال: إما أن يكون الباب على قدر العطية أو العطية على قدر الباب.

الثالثة: رأيت في شرح البخاري لابن أبي جمرة أن شابًّا وشيخًا اشتركا في زرع فلما اقتسما صار الشيخ يأخذ من نصيبه ويضعه على نصيب الشاب سرًّا، ويقول: لعل في أجله فسحة والشاب يأخذ من نصيبه شيئًا ويضعه على نصيب الشيخ، ويقول: هذا الشيخ له عيال وكلما فعل ذلك ازدادت الحنطة كثرة وكبرًا في حبها فلما أعياهما ذلك أخبر كل واحد صاحبه بما فعله فأخذ ملك زمانهما من الحنطة حبة وجعلها في خزانته لتكون تذكرة لمن بعد.

حكاية: حصل لعلي بن أبي طالب ولأهله جوع فأخذ من يهودي صوفًا لتغزله فاطمة - رضي الله عنها - بثلاثة آصع من شعير فغزلت أول يوم منه وطحنت صاعًا وخبزته فلما أرادوا الأكل طرق بابهم مسكين، وقال: السلام عليكم يا أهل بيت النبوة أنا مسكين من مساكين أمة محمد ﷺ أطعموني شيئًا لله فدفعوا إليه الأقراص، وفي اليوم الثاني جاءهم يتيم وقال: السلام عليكم يا أهل بيت النبوة أنا يتيم من أيتام أمة محمد أطعموني شيئًا لله فدفعوا إليه الأقراص، وفي اليوم الثالث جاءهم أسير وقال: السلام عليكم يا أهل بيت النبوة أنا أسير من أمة محمد ﷺ أطعموني شيئًا لله فدفعوا إليه الأقراص، وباتوا على الماء فجاع الحسن والحسين - رضي الله عنهما - جوعًا شديدًا فخرج علي إلى النبي ﷺ وأخبره بذلك فطاف على نسائه فلم يجد شيئًا ثم جاء أبو بكر يشتكي الجوع، فقيل: يا رسول الله إن المقداد بن الأسود عنده تمور فخرجوا إليه فلم يجدوا شيئًا، فقال النبي ﷺ لعلي - رضي الله عنه -: «**خذ هذه السلة واذهب إلى تلك النخلة، وقل لها: إن محمد** ﷺ يقول لك: أطعمينا من ثمرك»، فرمت عليهم رطبًا - بإذن الله تعالى - فأكلوا حتى شبعوا، وأرسلوا إلى فاطمة وولديها ما يشبعهم فأنزل الله تعالى في حق علي: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان: ٨].

حكاية: كان لبعض الصالحين امرأة صالحة وكانوا فقراء ليس لهم إلا شاة فلما كان يوم العيد أراد الرجل أن يذبح الشاة، فقالت المرأة: قد رخص لنا في ترك الأضحية فلما كان في بعض الأيام جاءهم ضيف فقالت المرأة: اذبح الشاة لضيفنا فذبحها خارج الدار لئلا يغيظ أولاده فرأت المرأة شاة على جدار الدار فنزلت إليها فظنت أنها قد هربت منه فنظرت إلى زوجها والشاة بين يديه مذبوحة، فقالت: إن الله قد عوض علينا ورد لنا شاة أحسن من شاتنا فكانت تحلب من إحدى ثدييها لبنًا ومن الأخرى عسلًا، ذكره اليافعي في «روض الرياحين».

لطيفة: مر الحسن والحسين على عجوز فذبحت لهما شاة فغضب زوجها فأرسل الحسن إليها ألف دينارًا والحسين كذلك.

موعظة: رأيت في كتاب العقائد: أن رجلًا مات في زمن النبي ﷺ فأرادوا رفع جنازته فلم يقدروا فقال النبي ﷺ: «**عليه دين؟**» قالت زوجته: أربع دراهم من صداقي، فقال: «**حلليه ولك أربعة قصور في الجنة**» فأبت فأعطى ﷺ عليًا رداءه وقال: «**بعه ليخلص هذا المسلم**» فباعه بأربعة دراهم فدفعها لها وقال: «**لا بارك الله لك فيها**» فلذلك لم يبق في صداق امرأة بركة وماتت المرأة كافرة. قال في الروضة: كان يجب عليه ﷺ قضاء دين من مات معسرًا من المسلمين، وقيل: كان يقضها تكرمًا، وقال مؤلفه - رحمه الله تعالى - فإن قيل: كيف دعا عليها النبي ﷺ ولم يوجب عليها براءته؟.

فالجواب: من وجوه:

الأول: أنها اختارت الدنيا على الآخرة.

الثاني: لبعدها عن الله ولقساوة قلبها حيث لم ترحم مسلمًا والقلب القاسي بعيد عن الله كما جاء في الحديث. وقد قال النبي ﷺ: «**من لا يرحم الناس لا يرحمه الله**».

الثالث: لأنها خالفت النبي ﷺ فيما أمرها به ومن خالفه فقد خالف الله تعالى ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]، وقال تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟﴾ [النور: ٥٤]، ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]، ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]، ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧].

الرابع: لعل الله تعالى أجرى على لسانه الدعاء عليها لما سبق لها من الشقاوة وبه المستعان.

فائدة: قال النبي ﷺ: «**السخي قريب من الله تعالى قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار**».

وفي الحديث: من قبل أن ينزل الضيف بأهل المنزل أربعين يومًا يبعث الله إليهم ملكًا في

صورة طير أبيض له جناحان يجاوزان المشرق والمغرب فيقف على عتبة بابهم ثم ينادي: يا أهل المنزل بصوت يسمعه من حضر إلا الثقلين فلا يجيبه أحد فينادي الثانية والثالثة فيجيبه جبريل: ما تريد بأهل المنزل؟ فيقول: يا جبريل بعثني الله إليهم أبشرهم بأن فلانًا ضيفهم يوم كذا في شهر كذا وهذا رزقه معي من الجنة ومعه ورقة مختومة في منقاره فيقول جبريل: ما هذه الورقة؟ فيقول: فيها براءة لهم من النار فيدفعها إلى جبريل فإذا فيها بسم الله الرحمن الرحيم براءة من الله الواحد القهار لفلان ابن فلانة من النار فيتهلل وجه جبريل لأمة محمد ﷺ فيقول لذلك: يا جبريل أيسرك هذا؟ فيقول: أي والذي نفسي بيده فيقول الملك: لأزيدنك سرورًا إن الله بعثني إليهم أكتب لهم الحسنات وأحط عنهم السيئات وأرفع لهم الدرجات حتى ينزل ضيفهم ليأكل رزقه ويرتحل، فإذا ارتحل نظر الله إليهم نظرة فيغفر لحيهم وميتهم وشاهدهم وغائبهم وصغيرهم وكبيرهم. ذكره في «**روض العلماء**».

حكاية: لما اتخذ الله إبراهيم خليلًا قالت الملائكة: له زوجة وولد فقال الله تعالى: ما في قلبه غيري، اذهبوا فجربوه فجاءه جبريل وميكائيل - عليهما السلام - وهو يرعى غنمًا وله أربعة آلاف كلب في عنق كل كلب طوق من الذهب فسألاه عن ذلك، فقال: لأن الدنيا جيفة وطلابها كلاب فقدم لهما طعامًا فقالا له: ما نأكله إلا بثمنه فقال: ثمنه بسم الله الرحمن الرحيم في أوله والحمد لله آخره فقالا: يحق لك أن تكون خليلًا ثم قالا بصوت حسن: سبحان الله من قديم ما أقدمه ومن كريم ما أكرمه ومن رحيم ما أرحمه سبوح قدوس رب الملائكة والروح، فقال إبراهيم من الطرب: قولا مرة ثانية فقالا: ما نقول إلا بشيء فقال: قد وهبتكما جميع ما أملكه من الأغنام فقالا بصوت أحسن من الأول فقال: قولا مرة ثالثة فقالا: ما نقول إلا بشيء فقال: قد وهبتكما جميع ما في الدار من المتاع والأولاد، فقالا بصوت أحسن من الأول، فقال: قولا مرة رابعة، فقالا: ما نقول إلا بشيء فقال: قد وهبتكما نفسي أكون لكما راعيًا فقالا له: بارك الله فيك وفي مالك وأولادك أنا جبريل وهذا ميكائيل، فقال: وأنا خليل الله فلا أرجع في هبتي فأمره الله ببيعها ويشتري بثمنها الضياع ويجعلها وقفًا، ذكره النسفي في «**زهرة الرياض**»، وقال النبي ﷺ: «**ما جبل الله وليًا إلا على السخاء**» وقال يحيى بن زكريا - عليهما الصلاة والسلام - لإبليس: أخبرني بأحب الناس إليك وأبغض الناس إليك، قال: أحب الناس إلي المؤمن وأبغض الناس إليّ الفاسق السخي أتخوف أن الله تعالى يطلع على سخائه فيقبله.

حكاية: حضر مجوسي عند إبراهيم - عليه السلام - فجاءه بطعام ثم قال: هل لك في الإسلام رغبة فترك؟ الأكل وانصرف فأوحى الله إليه: يا إبراهيم أنا أرزقه على كفره منذ أربعين سنة وأنت تريد أن ترده عن دينه بأكلة واحدة فخرج في طلبه فوجده فأخبره بذلك فأسلم ورجع معه إلى طعامه. وجاء في بعض الأيام رجل يعبد نارًا فأكرمه فقالت الملائكة: ربنا خليلك يكرم

عدوك فقال: أنا أعلم بخليلي منكم، يا جبريل اهبط إليه واعرض عليه قول الملائكة: فأخبره بذلك فقال: قل لربي: تعلمت الجود منك؛ لأنك تحسن لمن أساء وعن النبي ﷺ: **«الجود من جود الله فجودوا يجد الله عليكم، ألا إن الله تعالى خلق خلق فجعله في صورة رجل وجعل أصله راسخًا في شجرة طوبى وشد أغصانها بأغصان سدرة المنتهي، ودلى بعض أغصانها إلى الدنيا فمن تعلق بغصن منها أدخله الله الجنة؛ لأن السخاء من الإيمان والإيمان في الجنة وخلق البخل من مقته وجعل أصله راسخًا في أصل شجرة الزقوم ودلى بعض أغصانها إلى الدنيا فمن تعلق ببعض أغصانها أدخله النار؛ لأن البخل من الكفر والكفر في النار»**، ذكره في الإحياء. قال النبي ﷺ: **«إذا دخل الضيف بيت المؤمن دخل معه ألف بركة وألف رحمة وكتب لصاحب المنزل بكل لقمة يأكلها الضيف حجة وعمرة»**، وقال ﷺ: **«لا تكره الضيف فإنه إذا نزل نزل برزقه وإذا ارتحل ارتحل بذنوب أهل الدار»**، قال شقيق البلخي: ليس شيء أحب إلى من الضيف؛ لأن رزقه على الله وأجره لي بفضل الله، وعن النبي ﷺ: **«من أطعم أخاه حتى يشبع وسقاه من الماء حتى يروى باعده الله من النار سبع خنادق ما بين كل خندقين مسيرة خمسمائة عام»**، رواه الطبراني والبيهقي، وقال الحاكم: صحيح الإسناد. وقال النبي ﷺ: **«الملائكة تصلي على أحدكم ما دامت مائدته موضوعة»**.

وفي كتاب شرعة الإسلام: عنه ﷺ **«لكل شيء زكاة وزكاة الدار بيت الضيافة»** وعن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ: **«أيما مؤمن أطعم مؤمنًا على جوع أطعمه الله من ثمار الجنة يوم القيامة، وأيما مؤمن سقى مؤمنًا على ظمأ سقاه الله من الرحيق المختوم يوم القيامة، وأيما مؤمن كسا مؤمنًا على عري كساه الله من حلل الجنة»**، رواه الترمذي. وعن النبي ﷺ: **«إن الله يباهي ملائكته بالذين يطعمون الطعام على عبيده»** ورأيت في كتاب النورين وصلاح الدارين عن النبي ﷺ **«أيما مسلم كسا مسلمًا ثوبًا كان في حفظ الله ما بقيت عليه منه رقعه»**.

موعظة: عن النبي ﷺ: **«من مشى إلى طعام لم يدع إليه فقد دخل سارقًا وخرج مغيرًا»** بكسر الغين المعجمة.

حكاية: كان لعبد الله بن المبارك فرس يجاهد عليه فجاء ضيف فذبحه له فخاصمته زوجته فطلقها، ثم جاءه رجل، فقال: إن لي بنتًا جميلة فتزوجها وأرسل أبوها معها عشرة من الخيل فرأى عبد الله في منامه قائلاً يقول له: أنت طلقت لأجلنا عجوزًا فقد زوجناك بكرًا، وأنت ذبحت لأجلنا فرسًا وقد أعطيناك عشرة.

حكاية: قال عبد الله بن المبارك - رحمه الله - حججت في بعض السنين فرأيت النبي ﷺ في المنام فقال: **«إذا رجعت إلى بغداد فأقرئ بهرام المجوسي مني السلام وقل له: الله تعالى راضٍ عنك»**، فلما رجعت إليه قلت: هل لك من خير عند الله؟ قال: زوجت ابني ببنتي وصنعت وليمة فقلت له: هذا حرام فهل عملت غيره؟ قال: جاءتني مسلمة وأصلحت مصباحًا من

سراجي فلما صارت في الباب أطفأته ثم رجعت أشعلته أيضًا ثم أطفأته في الباب وهكذا ثلاث مرات وفي الرابعة أشعلته ومضت فتبعتها إلى منزلها، وقلت: لعلها جاسوسة فسمعت أولادها يقولون: قد أضرنا الجوع فقالت: استحييت من الله أن أطلب من غيره، فرجعت وأخذت طعامًا وحملته إليهم، فقلت له: أبشر فإن النبي ﷺ يقرئك السلام ويقول: إن الله راض عنك فأسلم وحسن إسلامه.

حكاية: قال جابر بن عبد الله: قال رجل: يا نبي الله إن لفلان في حائطي - يعني بستاني - عذقًا وهو عنقود يحمل الرطب وقد أذاني فأرسل إليه النبي ﷺ وقال: «**بعني عذقك الذي في حائط فلان**»، قال لا. قال: «**فهبه لي**» قال: لا، قال: «**فبعنيه بعذق في الجنة**» قال: لا، قال ﷺ: «**ما رأيت الذي هو أبخل منك إلا الذي يبخل بالسلام**».

فائدة: قال النبي ﷺ: «**من قال: السلام عليكم كتب له عشر حسنات، ومن قال: السلام عليكم ورحمة الله كتب له عشرون حسنة، ومن قال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته كتب له ثلاثون حسنة**» رواه الطبراني وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رجلاً مر على النبي ﷺ فقال: السّلام عليكم فقال: «**عشر حسنات**»، ثم مر آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله، فقال: «**عشرون حسنة**»، ثم مر آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته»، فقال: «**ثلاثون حسنة**»، وقال النبي ﷺ: «**إن أولى الناس بالله من بدأهم السلام**» رواه أبو داود وقال ابن عباس: إذا سلم المسلم على المسلمين فلم يردوا عليه نزع الله عنهم روح القدس وردت عليه الملائكة وإن إبليس ليبكي من سلام المؤمن على أخيه يقول: يا ويلاه لم يتفرقا حتى يغفر لهما، فإن قيل: ما الحكمة في أن ابتداء السلام سنة والجواب فرض؟

فالجواب: لما خلق الله القلم قال: اكتب توحيدي: لا إله إلا الله قال: ثم اكتب محمد رسول الله، فلما سمع القلم اسم محمد سجد، وقال في سجوده: سبحان الموصوف بالكرم سبحان الرؤوف الأرحم إلهي قد علمت اسمك الأعظم فمن ذا محمد الذي قرنت اسمه مع اسمك؟ فقال: تأدب يا قلم فوعزتي وجلالي ما خلقت خلقي إلا لمحبة محمد، فانشق القلم من حلاوة محمد ﷺ وقال: السلام عليك يا رسول الله فلم يجد من يرد عليه السلام فقال الله تعالى: وعليك السلام ورحمتي وبركاتي فصار ابتداء السلام سنة؛ لأنه من المخلوق والجواب فرض؛ لأنه من الخالق، والله أعلم.

فائدة: قال النبي ﷺ لأنس بن مالك: «**ألا أعلمك ثلاث خصال تنتفع بها؟**» قال: بلى قال: «**متى لقيت أحدًا من أمتي فسلم عليه يطل عمرك، وإن دخلت بيتك فسلم يكثر خير بيتك، وصل صلاة الضحى فإنها صلاة الأبرار الأولين**».

لطيفة: رأيت في شرح البخاري لابن أبي جمرة: كان علي بن أبي طالب إذا لقي أبا بكر بدأه بالسلام ثم في يوم من الأيام أعرض عنه فبدأه أبو بكر بالسلام فأخبرني النبي ﷺ بإعراض

علي عنه فسأله النبي فقال علي: رأيت في المنام البارحة قصرًا فقلت: لمن هذا؟ فقيل: لمن بدأ صاحبه بالسلام، فأردت أن أوثر بذلك أبا بكر على نفسي. قال في تهذيب الأذكار: عن ابن عباس قال: من كرم الرجل سلامه على من عرفه ومن لم يعرفه، ولا يترك السّلام على غالب ظنه أنه لم يرد عليه فقد تقدم أن الملائكة ترد عليه.

لطيفة: قال سلمان الفارسي - رضي الله عنه - لقوم جاؤوه من عند أبي الدرداء: أين الهدية؟ قالوا: ما أرسل معنا إلا السّلام فقال: أي هدية أفضل منه؟ ومعنى السلام: اسم الله عليكم، وقيل: السلام عليكم أي ملازم لكم، قال القاضي أبو الطيب: اللهم أنت السلام هذا اسم الله ومنك السلام أي السلام من الله فحينا ربنا بالسلام، أي اجعل تحيتنا يوم لقائك بسلامتنا من الآفات. وقيل: معنى السلام عليكم: أي الله معكم وعلى بمعنى مع، وأما السلام في التشهد فمعناه: السلامة لكم. حكاه النووي في تهذيب الأسماء واللغات.

لطيفة: وجد رجل امرأة مع عشرة رجال فأنكر عليها فقالت: أحدهم زوجي وخمسة عبيدى وأربعة إخوتي وكلهم من بطن واحدة وصورة ذلك أنها اشترت جارية لها ستة أولاد فاعتقت واحدًا منهم وتزوجت به ثم وهبت الجارية لأبيها فأولدها أربعة أولاد.

مسألة: يستقر المهر على الزوج بخلوته بزوجته عند الإمام أحمد وأبي حنيفة أيضًا ولو كانت نائمة وحدها، وكذا عند الإمام مالك إن ظهرت أمارة الزفاف، وعند الإمام الشافعي: لا يستقر إلا بوطء أو بموت أحدهما.

فائدة: عن علي بن أبي طالب عن النبي ﷺ: «**إذا أكلت فابدأ بالملح واختم بالملح، فإن الملح شفاء من سبعين داء أولها الجذام والبرص ووجع الحلق والأضراس والبطن**»، وقالت: عائشة - رضي الله عنها -: من أكل الملح قبل كل شيء دفع الله عنه ثلثمائة وثمانين نوعًا من البلاء أهونها الجذام. وعنه ﷺ: «**سيد إدامكم الملح**»، قال الأطباء: والرعاف الزائد دواءه دلك القدمين بالملح، وإذا علق الكارباء قطع الرعاف أيضًا، وهو صمغ شجر في بلاد الروم، ورأيت في الطب النبوي لابن نسيم أن النبي ﷺ لدغته عقرب فوضع الملح في الماء وجعله على موضع اللدغة ورأيت في عوارض المعارف عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: لدغ النبي ﷺ في إبهام رجله اليسرى، فقال: «**علي بذلك الأبيض الذي يكون في العجين**» فجيء له بالملح فوضعه في كفه ثم لعق منه ثلاث لعقات ثم وضع بقيته على موضع اللدغة فسكن عنه.

حكاية: قال سليمان - عليه السلام - لنملة: كم رزقك في كل سنة؟ قالت: حبة حنطة، فحبسها في قارورة وجعل عندها حبة حنطة فلما مضت السنة فتح القارورة فوجدها قد أكلت نصف الحبة فسألها عن ذلك، فقالت: كان اتكالي على الله قبل الحبس وبعده كان عليك فخشيت أن تنساني فادخرت النصف إلى العام الآتي فسأل ربه أن يضيف جميع الحيوانات يومًا واحدًا فجمع طعامًا كثيرًا فأرسل الله تعالى حوتًا فأكله أكلة واحدة ثم قال: يا نبي الله إني جائع

فقال: رزقك كل يوم أكثر من هذا؟ قال: بأضعاف كثيرة. وفي حادي القلوب الطاهرة قال: إني آكل كل يوم سبعين ألف سمكة، وكان طعام سليمان - عليه السلام - لعسكره كل يوم خمسة آلاف ناقة وخمسة آلاف بقرة وعشرين ألف شاة.

لطيفة: قال هدهد سليمان - عليه السلام -: يا نبي الله أنت في ضيافتي يوم كذا بعسكرك، فلما كان اليوم أخذهم الهدهد إلى جزيرة في وسط البحر وأتى بجرادة ألقاها في البحر، وقال: من فاته اللحم فعليه بالمرق فضحك سليمان منه.

فائدة: عن النبي ﷺ: **«تهادوا تحابوا فإنها تضاعف الود وتذهب بغوائل الصدر»**، وعنه ﷺ: **«الهدية رزق من الله فمن قبلها فإنما يقبلها من الله ومن ردها فإنما يردها على الله»**.

فائدة: إذا بخر البيت بريش الهدهد طرد منه الهوام ومصرانه إذا علق على امرأة بها نزيف الدم قطعه، وتقدم في عاشوراء أن عينه إذا علقت على إنسان زال نسيانه وإذا سحقت ودهن بها وجه إنسان لا يراه أحد إلا أحبه ولحمه ينفع من القولنج وهو حرام على الأصح عند الإمامين وحلال عند مالك ولا بأس به عند أبي حنيفة.

حكاية: رأيت في الكتب: أن قاضيًا كان فقيرًا فلما كان عيد الأضحى قال لزوجته: لا بأس بذبح هذا الديك الذي ما نملك غيره فبلغ ذلك جيرانه فبعث هذا بكبش وهذا بكبش فلما رجع القاضي من صلاة العيد وجد في الدار ثلاثين كبشًا، فقال لزوجته: ما هذا؟ فأخبرته الخبر فقال: أكرمي ديكنا لعله من ذرية إسماعيل فإن الله فداه بكبش واحد وديكنا فداه بثلاثين كبشًا.

فائدة: قال لقمان لابنه: يا بني لا يكن الديك خيرًا منك فإنه إذا انتصف الليل ذكر ربه. وتقدم في باب التقوى الخلاف في اسم ابن لقمان، وقال غيره: في الديك خصال من خصال الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - كثير الذكر شجاع كريم فإنه يؤثر الدجاجة على نفسه وتنام عينه ولا ينام قلبه، ورأيت في **«تحفة الحبيب فيما زاد على الترغيب والترهيب»** عن النبي ﷺ: **«لا تسبوا الديك فإنه صديقي وأنا صديقه عدو عدوي والذي نفسي بيده لو يعلم بنو آدم ما في قربه لاشتروا لحمه وريشه بالذهب والفضة فإنه يطرد مد صوته من الجن»**، وقال ابن عباس: أبغض الطيور إلى إبليس الديك وأحبهم إليه الطاووس وهو حرام عند الشافعي حلال عند الحنابلة وعن أنس عن النبي ﷺ: **«الديك الأفرق الأبيض صديقي، صديق صديقي جبريل وعدو عدوي وعدو الله إبليس»**، يحرس دار صاحبه وستة عشر دار من جيرانه أربعة عن اليمين وأربعة عن الشمال وأربعة من قدام وأربعة من خلف، وكان النبي ﷺ يبيته معه في البيت، وعن أنس أيضًا عن النبي ﷺ: **«اتخذوا الديك الأبيض فإن كل دار فيها الديك الأبيض لايقربها شيطان ولا ساحر والدويرات حولها»** ورأيت في بعض المجامع عن النبي ﷺ من قال عند صياح الديك: **«لا إله إلا الله الحي القيوم خمس مرات غفر الله له ذنوب أربعين سنة»**، وفي رياض الصالحين عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: **«إذا سمعتم نهاق الحمير فتعوذوا بالله من الشيطان فإنها رأت شيطانًا وإذا**

سمعتم صياح الديكة فاسألوا الله من فضله فإنها رأت ملكًا ومن ذبح الديك الأبيض الأفرق ينكب في ماله وأهله». وسيأتي في مناقب علي - رضي الله عنه - أن لحم الديك العتيق داء لا غذاء.

مسألة: يجوز الاعتماد على صياح الديك المحبوب في أوقات الصلاة وكان النبي ﷺ يقوم يصلي بالليل حين يسمع صياح الديك.

فائدة: عن النبي ﷺ: **«اتخذوا الحمام المقاصيص فإنها تلهي الجن عن صبيانكم»** رواه الدار قطني وصاحب مسند الفردوس، وقال: صحيح الإسناد: ورأيت في مفردات ابن البيطار: أن مجاورة الحمام أمان من الفالج وزبله إذا طبخ بالماء وجلس فيه من به عسر البول نفعه جدًا، وشكا عليّ- رضي الله عنه - الوحشة إلى رسول الله ﷺ فقال: **«اتخذ زوجًا من الحمام تؤنسك وتوقظك للصلاة بتغريدها»** وقال مجاهد في قوله تعالى: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ﴾ [الشعراء :١٢٨]: الربع: الطريق، والآية: اتخاذ بروج الحمام. وقال سفيان الثوري: من لعب بالحمام لم يمت حتى يذوق ألم الفقر، ويقال: إن اللعب بالحمام والبندق من عمل قوم لوط. وإذا طبخ فرخان بشيرج فقط يغمرها وأكلهما صاحب الحصاة برأ - بإذن الله تعالى - وتسبيح الحمام: سبحان ربي الأعلى عدد ما في سماواته وأرضه، وقيل: إنه يعيش ثمانين سنة.

فصل: في كرم الله تعالى

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾ [الانفطار :٦] قال أبو سليمان الداراني: غره حلمه وكرمه، وقال الفضيل بن عياض: ما من ليلة اختلط ظلامها وأرخى سربال ستره إلا نادى الجليل جل جلاله من بطنان عرشه: أنا الجواد ومن مثلي يجود على الخلائق وهم عاصون، وأنا لهم مراقب أو كأنهم في مضاجعهم كأنهم لم يعصوا أو أتوا لي حفظهم، كأنهم لم يذنبوا فيما بيني وبينهم أجود على العاصين وأتفضل على المسيئين من ذا الذي دعاني فلم أستجب لهم من الذي سألني فلم أعطه من ذا الذي أناخ ببابي فطردته أنا المتفضل ومني الفضل وأنا الجواد ومني الجود وأنا الكريم ومني الكرم، وقيل: معنى الكريم أنه إذا أذنب عبد غفر لكل من فعل ذلك الذنب وغفر لمن اسمه على ذلك العبد.

فائدة: عن النبي ﷺ: إذا اغتسلت المرأة من حيضها وصلت ركعتين تقرأ فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد ثلاث مرات غفر الله لها كل ذنب عملته من صغيرة وكبيرة ولم تكتب عليها خطية إلى الحيضة الأخرى وأعطاها أجر ستين شهيدًا وبنى لها مدينة في الجنة وأعطاها عدد كل شعرة على رأسها نورًا وإن ماتت إلى الحيضة الأخرى ماتت شهيدة، وقالت عائشة - رضي اله عنها-: ما من امرأة تحيض إلا كان حيضها كفارة لما مضى من ذنوبها وإن قالت عند حيضها: الحمد لله على كل حال وأستغفر الله من كل ذنب كتب لها براءة من النار، وجواز على الصراط وأمان من العذاب. وتقدم أن الحائض إذا استغفرت عند كل صلاة سبعين مرة كتب لها ألف ركعة ومحى عنها سبعون ذنبًا وبنى لها بكل شعره في جسدها مدينة في الجنة.

فوائد: الأولى: دم الحيض من البكر مع مني الرجل يقلع البياض من العين وكذلك البورق الأحمر مع الزيت العتيق أو العسل المسك اكتحالاً صباحًا ومساء ودم الحيض إذا وضع على برص أو بهاق قلعه.

الثانية: لو أرادت المرأة أن تغتسل فعلى الزوج شراء الماء إلا أن يكون الغسل من جماع أو نفاس ومن داس على فعل آخر حال مشية أو على ثوبه حال قيامه فانشق منه فإنه يغرم له نصف القيمة ولو أكره امرأة على الزنا فعليه ثمن ماء غسلها ومن خواص الأرنب إذا علقت الحامل شيئًا من جلده على بطنها لم يسقط حملها أو على شجرة عنب لم يضرها البرد الشديد.

الثالثة: لو حلف أن يطأ زوجته فحاضت لم تطلق لأن المانع الشرعي كالحسي وإحرامها بحج أو عمرة كحيضها وإذا حاضت في منامها كبر همها فإن اغتسلت في نومها زال غمها، وطلاق الحائض حرام إلا في مسائل تأتي إن شاء الله في باب الخوف.

حكاية: رأيت في روض الأفكار أن بعض الصالحين رأى أن القيامة قد قامت وكان الناس يساقون للحساب قال: ورأيتني مع طائفة عليهم التيجان فجلسوا على ساحل بحر فأردت الجلوس معهم فقالوا: لست منا اطلب أصحابك المذنبين فسرت قليلاً فرأيت قومًا على كراسي من نور فأردت الجلوس معهم فقالوا: لا تجلس معنا اطلب أصحابك المذنبين فسرت قليلاً فرأيت قومًا بتيجان رثة فقالوا: اجلس معنا فجلست معهم وإذا بسفينة من ذهب أحمر شراعها من السندس الأخضر ومناد ينادي هذه سفينة الأبرار المستغفرين بالأسحار فقامت طائفة وقالت: لبيك داعي ربنا وسعديك ثم ركبوا فرحين مستبشرين، ثم أقبلت سفينة من لؤلؤ أبيض وشراعها من سندس أخضر ومناد ينادي أين العلماء؟ فقالوا: لبيك داعي ربنا وسعديك ثم ركبوا فرحين مستبشرين، ولم يبق على ساحل البحر غيرنا فبينما نحن في كرب وغم إذ أقبلت سفينة من الياقوت الأحمر مكتوب عليها هذه سفينة الرحمة والتعطف ورحمتي وسعت كل شيء أين أهل العصيان؟ فركبنا فرحين مستبشرين حتى أشرفنا على وادي العفو فجاءنا توقيع الكرم قد غفرنا ما علمنا ووهبنا ما عملوا.

حكاية: كان بعض المسرفين على أنفسهم ممقوتًا عند جيرانه فلما حضرته الوفاة ندم على فعله وقال لأمه: اجعلي قبري في بيتي لئلا أوذي الأموات كما آذيت الأحياء ولا تخبري بموتي أحدًا فإنهم لا يصلون عليّ. فلما مات فعلت به أمه ذلك فرأته في المنام في روضة خضراء مكتوب بين عينيه بالنور هذا عبد اعترف بذنبه فذل فعظم عند الله فقالت: يا بني بم وصلت إلى هذا النعيم؟ فقال: أوقفني ربي بين يديه وقال: يا عبدي هجروك وضيقوا عليك وسدوا مسالك الرحمة بين يديك كأن رحمتي ضاقت على سيئاتك أو خزائن ملكي فقيرة إلى حسناتك فوعزتي وجلالي لقد غفرت لمن كان في جنازتك كرامة لك ورحمة لفقرك اذهب فقد غفرت لك فقلت: يا رب بم صرت إلى هذا النعيم أليس يكفيني منك العفو؟ فقال: يا عبدي أما علمت أنا

إذا عفونا أنعمنا وأبحنا.

ورأيت في شرح أسماء الله الحسنى لابن برجان أن سبعين رجلاً سألوا إبراهيم عليه السلام ما الجود؟ فقال: لا أعلم حتى أسأل جبريل فسأله فقال: لا أعلم حتى أسأل ربي فسأله فقال سبحانه: الجود أن يذنب العبد ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب فحكمي في هذا العبد أن أغفر له ذنوبه وأن أبدله بكل ذنب عمله حسنة فإن الكريم إذا عفا عن عبده أعطاه شيئًا آخر زائدًا من عنده.

حكاية: أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام إن لي وليًا في أرض كذا فاذهب إليه وغسّله وصلِّ عليه فجاءه فوجد الناس يثنون عليه شرًا ويصفونه بكل معصية ففعل موسى ما أمره به ربه ثم قال: يا رب إنهم يصفونه بكذا وكذا فقال: صدقوا ولكنه ناجاني بخمس كلمات فغفرت له فقال له: يا رب كيف قال؟ قال: إنه قال: يا رب أنت تعلم أني أحب الصالحين وإن لم أكن صالحًا يا رب وأنت تعلم أني أكره الفاسقين وإن كنت فاسقًا يا رب لو أعلم أن دخول الجنة يزيد في ملكك شيئًا ما سألتك الجنة، ولو أعلم أن النجاة من النار تنقص من ملكك شيئًا ما سألتك النجاة منها يا رب إن لم ترحمني أنت فمن يرحمني؟ فرحمته يا موسى أكان يليق بكرمي أن أرده خائبًا وقد تكلم بهذه الكلمات؟

وقد ذكرنا زيادة في هذا المعنى في باب التوبة.

حكاية: رأيت في الرسالة القشيرية أن رجلاً تزوج امرأة فظهر عليها جدري فأظهر للمرأة أنه أعمى فمكث على ذلك عشرين سنة فلما ماتت المرأة قيل له في ذلك فقال: خوفًا أن تحزن المرأة. ونظير هذا ما نقل عن حاتم الأصم رضي الله تعالى عنه أن امرأة طلبت منه حاجة فخرج منها ريح فأظهر لها أنه أصم حتى لا تخجل وذلك من فتوته وكرمه.

فائدة: قال النبي ﷺ: **«لا يستر عبد عبدًا في الدنيا إلا ستره الله يوم القيامة»** رواه مسلم وقال ﷺ: **«لا يرى مؤمن من أخيه عورة فيسترها عليه إلا أدخله الله بها الجنة»** رواه الطبراني. وقال النبي ﷺ: **«من ستر عورة أخيه ستره الله يوم القيامة ومن كشف عورة أخيه كشف الله عورته حتى يفضحه بها في بيته»** رواه ابن ماجه، والله أعلم.

حكاية: فيها معنى الحلم والكرم والإخلاص والأمانة والكف عن الغيبة نقلها أبو الليث السمرقندي عن والده أن بعض الأنبياء عليهم السلام رأى في منامه قائلاً يقول له: إذا أصبحت فأول شيء يستقبلك فكله والثاني اكتمه والثالث اقبله والرابع لا تيأسه والخامس اهرب منه، فلما أصبح أول شيء استقبله جبل أسود فتعجب منه وقال: كيف آكله ثم عزم على امتثال الأمر فكلما دنا منه ليأكله صغر حتى كان كاللقمة الواحدة فأكله فوجده كالعسل، ثم وجد طستًا من ذهب فدفنه في الأرض فقذفته ثانيًا وثالثًا ثم تركه ثم استقبله طير خلفه باز، فقال الطير: أغثني يا نبي الله فجعله في كمه وقال الباز: يا نبي الله لا تمنعني عن رزقي فقطع له قطة من فخذه

وأطعمه حتى شبع ثم أرسل الطائر ومضى فرأى جيفة فهرب منها، ثم قال: يا رب بين لي هذا فأوحي الله إليه الجبل الذي أكلته هو الغضب يكون في أوله كالجبل وفي آخره إذا صبر وكظم صغر وحلا كالعسل والطست هو الحسنة كلما أخفيتها ظهرت، وأما الطائر فمن ائتمنك فلا تخنه، وأما الرابع: إذا سألت طالب حاجة فاجتهد في قضائها وأما الخامس أعني الجيفة فهي الغيبة فاهرب منها.

فائدة: قال بعضهم: الكرم أن تكون بمالك متبرعًا وعن مال غيرك متورعًا وكان عبد الرحمن بن عوف - رضي الله عنه - يقول حول الكعبة: قني شح نفسي فسئل عن ذلك، فقال: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ﴾ [الحشر :٩] أي لم يسرق ولم يزن، والله أعلم.

تم الجزء الأول من كتاب نزهة المجالس ويليه الجزء الثاني

وأوله باب: في فضل الصدق وفعل المعروف



الفهرس

